



مركز الأبحاث العقائدية

موسوعتنا

# عبد الله بن عباس

## حبر الأمة وترجمان القرآن



المجلد الأول: تاريخ وسيرة

الجزء الخامس

تأليف

الشيخ محمد محمد تقي بن السيد حسين الموسوي الشيرازي



موسى وعيسى  
عبد الله بن عباس



مُوسُوْعَتُنَا  
عَبْدُ اللَّهِ بَيْتُ عِبَّاسٍ  
حَبْرُ الْأُمَّةِ وَتَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ

الْحَلْفَةُ الْأُولَى: تَارِيخٌ وَسِّيْرَةٌ

الْجُزْءُ الْخَامِسُ

تَأَلَّفَتْ

عَلَى سَيِّدِ الرَّسَائِلِ وَالْمُرْتَبِيِّ بْنِ زَيْنِ الْعَبْدِينِ  
عَلَى سَيِّدِ الرَّسَائِلِ وَالْمُرْتَبِيِّ بْنِ زَيْنِ الْعَبْدِينِ

مركز الأبحاث العقائدية

● العراق . النجف الأشرف . شارع الرسول (ص)  
جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله)

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) ٩٦٤+

● إيران . قم المقدسة . صفائية . ممتاز . رقم ٣٤

ص . ب : ٣٧١٨٥ / ٣٣٣١

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) ٩٨+

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) ٩٨+

الموقع على الانترنت : [www.aqaed.com](http://www.aqaed.com)

البريد الإلكتروني : [info @ aqaed.com](mailto:info@aqaed.com)

شابك (ردمك) : ٧ - ٥٠٠ - ٣١٩ - ٩٦٤ دورة ٢٠ جزءاً احتمالاً

ISBN : 964 - 319 - 500 - 7 / 20 Vols.

شابك (ردمك) ج ٥ : ٨ - ٥٠٥ - ٣١٩ - ٩٦٤

ISBN : 964 - 319 - 505 - 8

موسوعة عبدالله بن عباس حَبر الأُمَّة وترجمان القرآن

تأليف

السيد محمّد مهدي السيد حسن الموسوي الخرساني

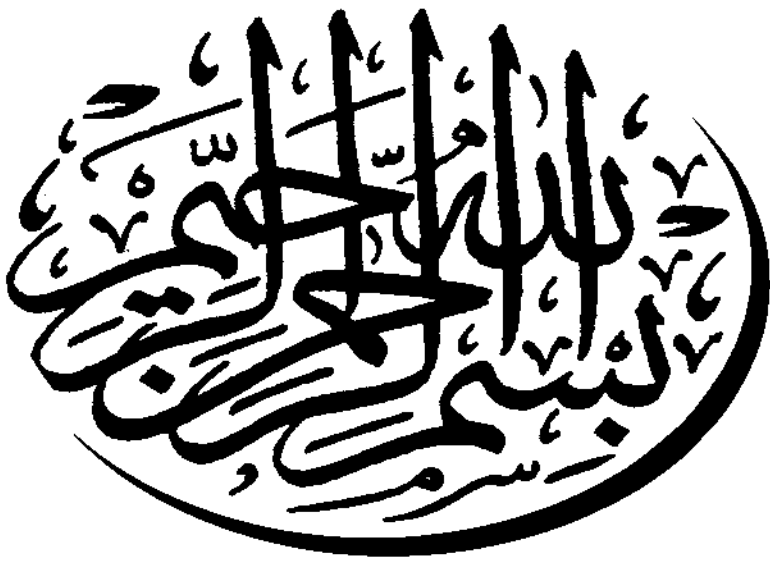
الجزء الخامس

الطبعة الأولى : ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع : ١٤٢٨ هـ

المطبعة : ستارة

\* جميع الحقوق محفوظة للمركز \*







## تقديير

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

به نستعين

الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين، ورضي الله عن الصحابة المهتدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فهذا هو الجزء الخامس من الحلقة الأولى من (موسوعة عبد الله بن عباس) حبر الأمة وترجمان القرآن رضي الله تعالى عنه، أسأل المولى سبحانه أن يوفقني لإتمامه وإخراجه، ويتقبل جهد هذا العبد المقلّ بأحسن القبول، ويشيني بأحسن المأمول، إنّه ولي ذلك، وهو السميع المجيب.



# الفصل الأول:

بداية عهد جديد



وآذنت شمس الخلافة بالغروب:

لقد آذنت شمس الخلافة بالغروب في آخر يوم موادة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان. وفي ذلك اليوم بدأ فيه الملك العضوض للشجرة الملعونة في القرآن، وأنغض شياطينها برؤوسهم كرووس الشياطين، فصالح الإمام وهو السيد - كما سماه جده في حديث أبي هريرة وأبي بكره وأبي جحيفة - معاوية الصعلوك - كما سماه النبي ﷺ في حديث فاطمة بنت قيس <sup>(١)</sup>. وفي ذلك اليوم صدق الله رسوله الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ، وانزل فيها قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّثُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ <sup>(٢)</sup>. وإلى القارئ أقوال بعض علماء أهل السنة في ذلك:

١- قال الجاحظ - وهو المعروف بعثمانيته - «...إلى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحرب، وتخلى الأمور عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه وكثرة تلويحهم عليه. فعندها استبد معاوية على الملك، واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سمّوه - عام الجماعة - وما كان عام

(١) انظر مسند أحمد ٤١٢/٦ ط الأولى.

(٢) الإسراء / ٦٠.

جماعة، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق.

ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا، حتى ردّ قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوقاً وجحد حكمه جحداً ظاهراً، في ولد الفراش وما يجب للعاهر، مع إجماع الأمة أن سميّة لم تكن لأبي سفيان فراشاً وإنه إنما كان بها عاهراً، فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار.

وليس قتل حجر بن عدي، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر، وبيعة يزيد الخليج، والاستتار بالفيء، واختيار الولاية على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة، من جنس جحد الأحكام المنصوصة والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء في باب ما يستحق الكفار جحد الكتاب وردّ السنّة إذا كانت السنّة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليها أشدّ.

فهذه أوّل كفره كانت من الأمة، ثم لم تكن إلا فيمن يدّعي إمامتها والخلافة عليها، على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره، وقد أريت عليهم نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا، فقال: لا تسبّوه فإنّ له صحبة، وسبّ معاوية بدعة، ومن يبغضه فقد خالف السنّة فزعمت أن من السنّة ترك البراءة وجحد السنّة<sup>(١)</sup>.

٢- قال ابن حجر المكي الهيثمي في صواعقه في حديثه عن الإمام الحسن عليه السلام «هو آخر الخلفاء الراشدين بنص جده عليه السلام، ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة، فأقام بها ستة أشهر وأياماً خليفة حق، وإمام عدل

(١) رسائل الجاحظ / ٢٩٢ فما بعدها الرسالة الحادية عشرة جمع ونشر حسن السنديوي ط الأولى بمط الرحمانية سنة ١٣٥٢ هـ.

وصدق، تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوق عليه السلام بقوله: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، فإن تلك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوباً عليها وقام عليها اجماع من ذكر فلا مرية في حقيقتها، ولذا ناب معاوية عنه، وأقر له بذلك كما ستعلمه مما يأتي قريباً في خطبته حيث قال: إن معاوية نازعني حقاً وهو لي دونه فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة...»<sup>(١)</sup>.

٣- قال أبو الثناء الألويسي في تفسيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرْتِنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّثُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>:

(وقد اجتمعت لمعاوية أقطار البلاد الإسلامية كلها بعد أن صالح الحسن ابن علي عليه السلام، فسمى نفسه أمير المؤمنين، ولكنه لم يسر مسيرة من عرفنا من أمراء المؤمنين، وإنما جعل الخلافة ملكاً، وأورثها ابنه من بعده، استباح أشياء حرّمها الله في القرآن، فاستلحق زياداً، ورغب به عن أبيه عبيد، والله ينهى أشدّ النهي في القرآن عن هذا الاستلحاق وأمثاله في قوله في سورة الأحزاب: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾<sup>(٣)</sup> ادعوتهم لأبائهم هو أفسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله عفوراً رحيمًا<sup>(٤)</sup>.

(١) الصواعق المحرقة / ١٣٣ طد محققة.

(٢) الإسراء / ٦٠.

(٣) الأحزاب / ٤ - ٥.

وكان زياد يعرف أباه عبيد الرومي حين قبل هذا الاستلحاق وفرح به، وقد نهى رسول الله ﷺ عن هذا الاستلحاق وأمثاله حين قال: - فيما روى الشيخان - (ومن ادعى لغير أبيه فليتبوأ مقعده من النار) وحين قال: - فيما رواه الشيخان أيضاً - (من رغب عن أبيه فهو كفر) <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

٤- قال الدكتور علي سامي النشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ((ولو عاد الأمر - بعد عليّ إلى المسلمين الخُصّ لكي يحكموا المسلمين وحرم منه ابنا فاطمة الزهراء - لما تضخمت المسائل وكبر الحب وعظم، وكبرت السخيمة وعظمت، ولكن الأمر عاد إلى معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن المسلمون قد تناسوا أباه الغنوصي القائم هذا الثنوي المجوسي الذي لم يؤمن أبداً، وسرعان ما أطلقوا على معاوية الطليق ابن الطليق والوثني ابن الوثني، ومهما قيل في معاوية ومهما حاول علماء المذهب السلفي المتأخر وبعض أهل السنة

(١) من السخرية بمقول المسلمين ما قاله ابن تيمية في مسألة الاستلحاق هذه فهلم فاقراً ما يقول: ((وكان ذلك استلحاق معاوية ﷺ زياد بن أبيه المولود على فراش حارث بن كندة لكون أبي سفيان كان يقول: إنه من نطفته مع ان رسول الله ﷺ قد قال: (من ادعى لغير أبيه فالجنة عليه حرام) وقال: (من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) حديث صحيح قلبي أن الولد للفراش، وهو من الأحكام المجمع عليها، فنحن نعلم ان من انتسب إلى غير الأب الذي هو صاحب الفراش فهو داخل في كلام رسول الله ﷺ مع أنه لا يجوز ان يعين أحداً دون الصحابة فضلاً عن الصحابة ﷺ. فيقال: (إن هذا الوعيد لاحق به لإمكان أنه لم يبلغهم قضاء رسول الله ﷺ بأن الولد للفراش واعتقدوا لمن أحب أمه، واعتقدوا ان أبا سفيان ﷺ هو المحبل لسمية أم زياد. فإن هذا الحكم قد يخفى على كثير من الناس قبل انتشار السنة مع أن العادة في الجاهلية كانت هكذا، أو لغير ذلك من الموانع المانعة هذا المقتضي للوعيد أن يعمل عمله من حسنات يمحوا السيئات غير ذلك) نقلاً عن رفع الملام عن الأئمة الأعلام / ٣٧ نشر المكتبة العلمية (باب الرحمة - المدينة المنورة).

فاقرأ ولا تصجب فكم له من نظير.

(٢) روح المعاني الجزء ١٥/ ط المتبرية.



من وضعه في نسق صحابة رسول الله، فإن الرجل لم يؤمن أبداً بالإسلام، ولقد كان يطلق نفثاته على الإسلام كثيراً، ولكنه لم يستطع أكثر من هذا، وبدأ ابننا فاطمة يكتبون بدمائهم أكبر الملاحم»<sup>(١)</sup>.

وقال أيضاً: «وكان خليفة دمشق غارقاً لأذنيه في جاهليته الأولى بين جواريه ومغانيه وملاهييه وطريه، يرتكب الكبائر سراً أو علانية، ويحطم بناء المجتمع الإسلامي الخُلقي كما حطم بناءه السياسي والاقتصادي، وظن خطأ أنه حلل المجتمع الإسلامي، وأنه أشاع الفاحشة بين الناس، فعاد واقمهم إلى الخمر والنساء والرذائل العادية الشاذة، وأنه أنهكهم بما حملهم من أوزار وخطايا، وبهذا يسهل عليه حكمهم، ظن خطأ أن الناس على دين ملوكهم، وأنهم لا يفعلون غير ما يفعل، ولا يأترون إلا بما أمر»<sup>(٢)</sup>.

٥- قال المؤرخ الشهير السيد أمير علي الهندي في كتابه مختصر تاريخ العرب: «لم ينجح عن توكلي الأمويين دقة الحكم تغيير معالم الخلافة فحسب، بل أدى أيضاً إلى قلب المبدأ الأساس»<sup>(٣)</sup>.

وقال في كتابه روح الإسلام: «ومع ارتقاء معاوية الخلافة في الشام عاد حكم الأوليغاشية الوثنية السابقة، فاحتل موقع (ديموقراطية الإسلام) وانتعشت الوثنية بكل ما يرافقها من خلاعات، وكأنها بعثت من جديد، كما وجدت الرذيلة والتبذل الخُلقي لنفسها متسعاً في كل مكان ارتادته آيات حكام الأمويين من قادة جند الشام»<sup>(٤)</sup>.

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١٨/٢ - ١٩ ط، السابعة دار المعارف سنة ١٩٧٧ م.

(٢) نفس المصدر ١/٣٣١ ط .

(٣) مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي / ٦٣ تعريب رياض رافت.

(٤) روح الإسلام / ٢٩٦ تعريب عمر الديرراوي ط، دار العلم للملايين بيروت.

٦- قال أحمد أمين في كتابه يوم الإسلام: ((ومعاوية انتقل الأمر من خلافة إلى ملك عضود، الفرق بينهما أن الخلافة أساسها اقتضاء أثر الرسول ﷺ والإعتماد في حل المشاكل على شورى أهل الحل والعقد، واختيار الخليفة منهم حسبما يرون أنه الأصلح.

أما الملك فيشبه الملوك الأقدمين من فرس وروم، واستبداد بالرأي، وقصر الخلافة على الأبناء والأقرباء، ولو لم يكونوا صالحين لذلك، وهذا كله ما فعله معاوية...

والحق أن معاوية ساد الناس بالغبلة لا بالاختيار، ثم استبد بتسيير الأمور، ثم عهد بالخلافة إلى ابنه يزيد، ولم يكن أكفأ الناس، ثم ساس الناس سياسة ميكافيلية استبدادية، لا عهد للناس بها من قبل، وجرى المسلمون بعد ذلك على أثره من بيت عباسي بعد بيت أموي وهكذا، وضاع معنى الخلافة التي سار عليها الخلفاء الراشدون، كما ضاع معنى العدل الذي تشدد الإسلام في العمل والتعامل به، وأصبح الأمر سياسة حسبما تتطلبه الغلبة لا عدل حسبما يتطلبه الإسلام))<sup>(١)</sup>.

٧- قال الدكتور طه حسين في الفتنة الكبرى: ((ومهما يقل الناس في معاوية من أنه كان مقرباً إلى النبي بعد إسلامه، ومن أنه كان من كتاب الوحي، ومن أنه أخلص الإسلام بعد أن ثاب إليه، ونصح للنبي وخطفائه الثلاثة، مهما يقل الناس في معاوية من ذلك فقد كان معاوية هو ابن أبي سفيان قائد المشركين يوم أحد ويوم الخندق، وهو ابن هند التي أغرت بحمزة حتى قتل، ثم بقرت بطنه ولاكت كبده، وكادت تدفع النبي نفسه إلى الجزع على عمه الكريم، وكان المسلمون

(١) يوم الإسلام / ٦٦ - ٦٧، دار المعارف سنة ١٩٥٢ م.

يسمون معاوية وأمثاله من الذين أسلموا بآخرة ومن الذين عفا النبي عنهم بعد الفتح باللقاء لقول النبي لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء»<sup>(١)</sup>.

٨- قال عباس محمود العقاد في كتابه معاوية في الميزان: «فليس أضل ضلالاً ولا أجهل جهلاً من المؤرخين الذين سموا سنة (أحدى وأربعين هجرية) بعام الجماعة، لأنها السنة التي استأثر فيها معاوية بالخلافة، فلم يشاركه أحد فيها، لأن صدر الإسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الأمة كما تفرقت في تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها، إذ كانت خطة معاوية في الأمن والتأمين قائمة على فكرة واحدة وهي التفرقة بين الجميع»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: «قلو أنه استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل ولو حاسبه التاريخ حاسبه الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات»<sup>(٣)</sup>.

وأحسب أن القارئ كيف ما كان رأيه في معاوية له أو عليه، فقد تبين له صحة ما مر في العنوان من غروب شمس الخلافة وبدء عهد الملك العضوض، كما أحسبه آمن بصدق أقوال الجاحظ ومن تلاه فيما مر، وخرج بتتيحة أن معاوية قد استيقظت فيه عقدة النقص التي أورثها إياه الكفر حين ظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وقد تبدت حين انغضت برأسها يوم تولى عثمان وسمع أباه

(١) الفتنة الكبرى ١٥/٢ ط دار المعارف.

(٢) موسوعة العقاد (معاوية في الميزان) ٦٦٣/٣.

(٣) نفس المصدر/ ٥٨٥.

وراجع في تصديق ذلك، إضراره بين مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية وبين سعيد ابن العاص بن أمية في المصادر التالية: انساب الأشراف للبلاذري ٣٣/٤١ تح احسان عباس وفي الهامش تجد ذكر الطبري وتذكرة ابن حمدون وابن عساکر وابن كثير والبيان للجاحظ وكامل المبرد وعيون الأخبار لابن قتيبة وروبيع الأبرار والعقد الفريد ومروج الذهب واليعقوبي والتاج للجاحظ.

يقول: «تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فولذي يحطف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة»<sup>(١)</sup>. والولد سرّ أبيه.

ولا شك أنّ معاوية ازداد حنقاً على الإسلام بعد تولي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قيادة الأمة، فلم يرضخ لحكمه، بل أعلن تمرده بعنو وجبروتية ظالمة، فكان كما قال الجاحظ ومن تلامه.

ولا شك أنّ أهل البيت أصبحوا في وضع خطير وجهاد مرير مع معاوية. ولما كان الإمام الحسن عليه السلام وهو صاحب الحق في الخلافة وأولى الناس بالناس قد وادع مضطراً، وسمع الكثير من شيعته ومواليه عتاباً مرّاً، فلا شك في ابن عباس وهو من أبرز بني هاشم قد واجه المحنة في تلك الفترة بصبر أمر من الصبر، وليس أمامه في ذلك الاختبار العسير سوى الصمود وخوض المعركة مع معاوية لصيانة مبادئ الإمام التي هي مبادئ الإسلام، والتي قاتل عليها في صفين. ولما شيم السيف الذي كان يشهره في حروبه مع الإمام، فعليه أن يشهر سلاحه الآخر الذي هو أنكى في العدو، وذلك سلاح الرواية في نشر فضائل الإمام وأهل بيته خوفاً عليها من الضياع بعد منع معاوية عن التحدث بها، وعقوبة من يرويهها ببراءة الذمة وهي تعني القتل. كما جد في نشر فضائح الأمويين بكلّ جرأة وإقدام، وعلينا أن نقرأ بعض مواقفه في محاربه معاوية وبني أمية عن طريق الرواية، ثمّ مواجهته الساخنة في محاوراته معهم.

ابن عباس في حكومة معاوية:

إذا أردنا معرفة موقف ابن عباس من الحكم والحاكم الأموي الجديد، يجب أن لا ننسى النزاع والتخاصم القائم بين بني أمية وبني هاشم، وما بقي من

(١) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٤١٠/١ - ٤١١ ط مصر الأولى.

موروث الإلتناء لدى الأبناء، وهو الذي كان يتنامى يوماً بعد يوم، بالرغم من وجود ما يدعو إلى تناسي الترات وشدّ الأواصر المتنافية، كالمصاهرات والمصالح التجارية. لكن كل ذلك لم يُزل ما في النفوس من كامن الأحقاد عند تذكّر الآباء والأجداد، فقد روي: «أن عقيل بن أبي طالب لما تزوج فاطمة بنت عتبة برغبة وبذل منها، فكانت تيرمه بخلافها وتقول له يا بني هاشم لا يحبكم قلبي أبداً، أين أبي؟ أين عمي؟ أين أخي؟ كأن أعناقهم أباريق فضة، ترد أنافهم الماء قبل شفاهم. قال: إذا دخلت جهنم فخطي على شمالك، فشدت ثيابها وأتت عثمان فشكت عليه، فبعث عبد الله بن عباس ومعاوية حَكَمين، فقال ابن عباس: لأفرق بينهما، وقال معاوية: ما كنت لأفرق بين شيخين من قريش، فلما أتياهما وجداهما قد أخلقا بابهما واصطالحا»<sup>(١)</sup>.

كما لم تجد القربيات النسبية سيلاً إلى إزالة الكوامن في الصدور، فقد ذكر البلاذري في الأنساب: «أن صفية بنت حزن الهلالية هي أم أبي سفيان بن حرب وهي عمة لبابة بنت الحارث أم عبد الله بن عباس»<sup>(٢)</sup>، كما روى أيضاً عن ابن عباس قال: «دخلت على أبي سفيان بن حرب وهو يتغدى، فذكرت له حاجتي ثم قلت: فما منعك من أن تدعوني إلى غدائك؟ فقال إنما وضع الطعام ليؤكل، فإن كانت بك إليه حاجة فكل»<sup>(٣)</sup>.

وهذا منتهى البخل والعذر أقبح من الفعل.

ولو استعرضنا جميل بني هاشم على بني أمية وأياديهم البيضاء لطلال بنا الحديث، وحسب القارئ أن يعلم أن صنائع المعروف التي أسداها الهاشميون

(١) الدرجات الرفيعة / ١٦٤ مد الحيدرية.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٣/٤.

(٣) نفس المصدر / ١٠.

بدءاً من رسول الله ﷺ في فتح مكة، ومروراً بموقف العباس في إنجاء أبي سفيان من موت محقق، فلولا لاحتواشته يومئذ سيوف الله من كل جانب، فقد أتى به مردفه معه على بغلة لرسول الله ﷺ فاستأمن له. فمع هذه الأيادي البيضاء والقربات من الأمهات كيف سيكون حال ابن عباس مع الحاكم الأموي المتفطرس وماذا ينتظره من صلوك الأمس وقيصر اليوم؟ وهامو اعلى عرش الحكم ابتزازاً، ليجعل منه عرش كسرى وقيصر، وقد اتخذ منه مقصلة ليجزر عليها بني هاشم ومن يواليهم.

فلا شك أن ابن عباس لم يكن يتوقع الخير في ظل ذلك الحكم الفاشم، ان لم يكن يتوقع المزيد من الشر، لأن طبيعة الحاكم شر، وهل يستدعي الشر إلا الشر.

وهنا نقطة أرى لزاماً عليّ تنبيه القارئ عليها. وهي أنه لا يمكن لنا دراسة مواقف ابن عباس في العهد الأموي بشكل علمي وموضوعي بمعزل عن استذكار تاريخه في العهد العلوي، وتبين آثاره وأفكاره، لنرى مدى تأثير إستاذه ومعلمه وإمامه وابن عمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي تولى تربيته بعد ابن عمه الرسول الكريم ﷺ، فأودعه عملياً سيرته المثلى في مقارعة الظالمين، وأنهله من صفو مبادئه - وكلها صفو - ما كاد أن يكون نسخة مصغرة منه، حيث بدت مواقفهما متشابهة في أكثر من ميدان وفي غالب الأحيان.

وبشيء من الدقة وبعيداً عن العاطفة، فإننا نستطيع أن نرى ابن عباس في الفترة التي عاشها مع الإمام من قبل توليه الحكم ومن بعده أيام جهاده الناكثين والقاسطين والمارقين كان ساعده الأيمن ومستشاره الأمين، حتى أن معاوية أشد الناس عداوة لهما كان يراه رأس الناس بعد الإمام، كما مرّ بنا كتابه إليه في ذلك

في حرب صفين، وفيه: «فإنك راس الناس بعد علي») ولم يخدع ابن عباس بتلك المخاتلة والمغازلة.

وإن الخط البياني للعلاقة بين ابن عباس المأموم وبين ابن عمه الإمام لم يشهد منحيات تباعد بينهما فكراً وأسلوباً ومنهجاً، وإن جهد المناوون أن يوجدوا زاوية حادة لينفذوا منها في ثغرة فيوسعوها حتى الثغرة، ولكننا حين تبيننا الدسّ فقد تبيننا العكس، كما سيأتي توضيح ذلك بتفصيل في الحلقة الرابعة (ابن عباس في الميزان).

ولم نلاحظ أي تغيير في رأيه تجاه مبادئ الإمام بعد وفاته، فهو على أنماط سلوكه في حياته، بل ازدادت مواقفه الجهادية في الدفاع عنه ومقارعة أعدائه ضراوة وقساوة، ولم يزل صامداً في خط المواجهة الساخن كجندي محارب، ضد معاوية وأشباعه، وحتى مع الخوارج والنواصب.

وعلى ذلك فقد ناصبوه العدا، سواء المعلن أو المبطّن، وحسبنا دليلاً على ذلك محاوراته مع المناوئين وسيأتي الكثير منها في الحلقة الثانية إن شاء الله في صفحة احتجاجاته.

جهاد ابن عباس بسلاح الرواية:

ليس من شك في أنه لا يوجد في جميع بني هاشم رهط الإمامين الحسينين عليهما السلام بعدهما - من يوازي ابن عباس في رصيده العالي في رواية الحديث. وحتى من كان يمتلك بعض ذلك فلم يرو الرواة عنه أنه استعمل رصيده ضدّ الحاكمين كما استعمله ابن عباس. كما لا شك في أنه لا يوجد في حملة الحديث من الصحابة من يمتلك جرأة كجرأة ابن عباس في التحديث

بمساوي الحاكمين، وأخيراً لا يوجد في المسلمين يومئذ من كان لا يقبل حديث ابن عباس إذا حدث بما يرويه في الحكام الظالمين، اللهم إلا أن يكون أموي النسب أو التزعة.

وفيما أحسبه قد استقلَّ وحده في المواجهة مع عدوّه اللدود معاوية خصوصاً حين بلغه تجبره وطفياته، وقد بسط على الناس سلطانه، فأعلن بسبب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين، ثم كتابته إلى الآفاق ينهى عن التحدث بفضائل الإمام، وأعلن ببراءة اللمة ممن روى في ذلك شيئاً، والبراءة معناها إهدار دمه، ثم هياً من مرتزقة المحدثين زمرة تضع له الأحاديث في عثمان وأهل بيته، فما كان أحداً يقوى على خوض تلك المعركة الظالمة التي بدأها معاوية إلا ابن عباس، فكان منه الرد السريع والمرعب والحاسم والحاكم في نشر أحاديث فضائل الإمام عليه السلام كما كانت الضربة الموجعة لمعاوية في رواياته التي سمعها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معاوية وفي بني أمية سوى ما كان منه في توجيه الصفعة بعد الصفعة لهم.

لا أشيع الله بطنه:

وأخال أول تلك الضربات الموجعة لمعاوية رواية ابن عباس لحديث: (لا أشيع الله بطنه) وهو حديث ثابت، وقد أخرجه مسلم، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك كانت له زكاة وأجرأ ورحمة (٩)، ولفظه: ((بسنده عن أبي حمزة القصاب عن ابن عباس قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطاني حطاً وقال: اذهب وادع



لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: (لا أشبع الله بطنه))<sup>(١)</sup>.

وأعاد ذكره مسلم مرة أخرى بسند آخر إلى أبي حمزة وبغاوت يسير<sup>(٢)</sup>. فهذا الحديث صريح في دعاء النبي ﷺ على معاوية، كما هو صريح في عدم مبالاة معاوية باستدعاء الرسول ﷺ واستمراره بالأكل، وقد مرّ في الجزء الأول في حياة ابن عباس في عهد الرسول في شواهد ومشاهد ذكر الحديث. وسيأتي أيضاً تعقينا على هذا الحديث في مرويات ومفتريات على ابن عباس. ووقفه تنوير مع علماء التبوير:

وهنا لابد من وقفة تنوير عن موقف علماء التبوير أزاء هذا الحديث، بدءاً من شراح صحيح مسلم وأولهم النووي ولعله أهمهم فقد قال: ((وأما دعاؤه على معاوية أن لا يشبع حين تأخر فيه الجوابان السابقان، أحدهما: أنه جرى على اللسان بلا قصد، والثاني: أنه عقوبة له لتأخره. وقد فهم مسلم ﷺ من هذا الحديث أنّ معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه فلماذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية، لأنّه في الحقيقة يصير دعاء له...))<sup>(٣)</sup>.

وقال الوشتاني الآبي المالكي: ((قوله: (لا أشبع الله بطنه) (م) يحمل على أنه من القول السابق إلى اللسان من غير قصد إلى وقوعه ولا رغبة في إجابته (ط) وهو دعاء حقيقة فلعله لتراخيه في الإجابة، وإجابته ﷺ على الفور، ويحتمل أنه

(١) صحيح مسلم ٣٧/٨ ط محمد علي صبيح في البر والصلة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥٦/١٦ ط مصر.

معدور في تراخيه لجوع كان به أو خوف فساد الطعام، ولهذا المعنى أدخله بعضهم في فضائل معاوية من حيث أنه ليس من أهل الدعاء عليه، فيقال ما تقدم من قوله: اللهم من دعوت عليه من أمتي وليس بأهل لها فاجعلها له طهوراً وزكاة وقرية تقرّبه بها يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

وهذا ذكره بعينه السنوسي الحسيني في شرحه مكمل إكمال الإكمال ولم يزد عليه بشيء. فراجع هامش المصدر السابق. هذا ما عند شراح صحيح مسلم. أما عن المصادر الأخرى: فقد رواه أحمد في مسنده أربع مرات وليس في شيء منها ذكر الدعاء (لا أشبع الله بطنه)<sup>(٢)</sup>، ورواه الطيالسي في مسنده<sup>(٣)</sup>، وابن الأثير في أسد الغابة<sup>(٤)</sup>، وابن أبي الحديد في شرح النهج<sup>(٥)</sup>، وابن كثير في البداية والنهاية<sup>(٦)</sup> وذكر أن النبي ﷺ أرسل ابن عباس خلف معاوية ثلاث مرات وقال في الثالثة: (لا أشبع الله بطنه) قال - ابن عباس - فما شج بعدها. فعقب ابن كثير على ذلك بقوله:

((وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وآخراه، أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم ومن الحلوى

(١) إكمال إكمال المعلم ٤٧/٧ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) مسند أحمد ١٩/٣ برقم ٢١٥٠ تح أحمد محمد شاكر ط مكتبة التراث الإسلامي ٢٢٦/٢ برقم ٣٦٥١، و٤٢/٤ برقم ٣١٠٤ و٥١/٤ برقم ٣١٣١ فمستجد الحديث متفاوت الألفاظ ومبتوراً من الدعاء.

(٣) مسند الطيالسي ٣٥٩/٢.

(٤) أسد الغابة ٣٨٦/٤.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤٤٤/٣ ط الأولى.

(٦) البداية والنهاية ١١٩/٨.

والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعبى، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك. وأما في الآخرة فقد اتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم إنما أنا بشر فأئما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقرية تقرّبه بها عندك يوم القيامة) فركّب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث الثاني من رواية أبي هريرة نصرة للمؤمنين، وإلا فالنبي ﷺ لم يكن يلعن من لا يستحق اللعن، وعن أنس: (لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لئاعاً ولا سباباً)<sup>(٢)</sup>، فلعله ﷺ لطوائف من أمته ثابت لا شك فيه، إنما الذي زعمه الزاعمون من علماء التبرير أنه ﷺ قد يلعن من لا يستحق اللعن، وهذا معناه غلبة البشرية عليه ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾<sup>(٣)</sup> حتى صار يتجاوز في سبه ولعنه وحتى جلده من لا يستحق ذلك بغلبة هوى البشرية، فأين العصمة التي هي من خصائصه؟ وأين المدح الإلهي له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup>؟

وأين قوله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد نهته قریش كل شيء يسمعه من النبي ﷺ فذكر ذلك للنبي ﷺ فأوما النبي ﷺ بأصبعه إلى فيه وقال: (اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج عنه إلا حق)<sup>(٥)</sup>.

(١) البداية والنهاية ١١٩/٨.

(٢) الأدب المفرد للبخاري / ١٥٤.

(٣) فصلت / ٦.

(٤) القلم / ٤.

(٥) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر / ٣٦/ باب الرخصة من كتاب العلم.

وأغرب من ذلك ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء، وقد ذكر الحديث وفيه الدعاء ثم قال: ((وفسره بعض المحييين قال: لا أشبع الله بطنه حتى لا يكون ممن يجوع يوم القيامة، لأن الخبر عنه: أطول الناس شعباً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة)). ثم قال الذهبي: ((قلت: هذا ما صحح والتأويل ركيك، وأشبهه منه قوله ﷺ (اللهم من سببته أو شتمته من الأمة فاجعلها له رحمة) أو كما قال: وقد كان معاوية معدوداً من الأكلة))<sup>(١)</sup>.

أقول: ولا يعيننا الحديث عن نهم معاوية في الطعام فقد ذكر المؤرخون له شواهد كثيرة ونوادير يطلبها من شاء في مضائها. إنما الذي يعيننا في المقام نهم أصحاب الكلام في الدفاع عن معاوية، الذي قدمنا ما يكفي بتبصرة القارئ بحقيقته نقلاً عن أعلام لا يتهمون في أمره. ولكن الأهواء الشامية والنصب المبطن حمل المعذرين من علماء التبرير على الخوض في المستقع العفن مع معاوية ولو على حساب كرامة الرسول ﷺ، ولو كانت لديهم مسكة من دين لكانوا مثل الحافظ النسائي رحمته، فقد دخل بلاد الشام فرأى النصب بها فكتب خصائص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحدث به، فستل عن معاوية وما روي في فضائله فقال: أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل، ما أعرف له فضيلة إلا (لا أشبع الله بطنه)... فما زالوا يدفعون في حضيئه (خصيئه) وداسوه حتى أخرجوه من المسجد ا قال أبو نعيم: لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول<sup>(٢)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٨٧/٤ ط دار الفكر.

(٢) راجع في ذلك ترجمة النسائي في مصادرنا تجد القصة المذكورة ومنها تاريخ ابن خلكان

### والشجرة الملعونة في القرآن:

لئن كان ابن عباس في روايته لحديث (لا أشيع الله بطنه) قد وجه ضربه الموجعة والمفزعة لمعاوية، فلقد أشفعها بأخرى أشدَّ إيلاماً لمعاوية ولسائر بني أمية، وتلك روايته في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾<sup>(١)</sup> أنهم بنو أمية.

فقد ذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس: أنه عليه السلام رأى في المنام بني مروان ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فقيل: إنما هي الدنيا أعطوها فسرى عنه<sup>(٢)</sup>. وذكر ذلك غير القرطبي وقالوا وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّوحِيَ الْإِنْسَانِيَّ أَرِيْبًا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّثُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وذكر القرطبي في تفسيره عن ابن عباس أنه قال: «هذه الشجرة بنو أمية...»<sup>(٤)</sup>.

وقال أيضاً: «الشجرة الملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر فقتله يعني الكشوث»<sup>(٥)</sup>.

وأحسب أن قوله: (يعني الكشوث) ادراج من الراوي

ومهما يكن ففي تفسيره للشجرة الملعونة بالشجرة التي تلتوي على الشجر فقتله معنى كثنائي وتشبيه له مغزاه، إذ أن الكشوث نبات طفيلي، لا جذر له ولا

(١) الإسراء / ٦٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٢.

(٣) الإسراء / ٦٠.

(٤) تفسير القرطبي ١٠/ ٢٨٦.

(٥) نفس المصدر.

ورق تلتف ساقه على حاضنه وتنشب فيه زوائد ماصة تمص نسغه يضر على الأخص بمروج القُصْب، وسواء صح أنه قال ذلك التفسير وسماه الكشوث أو لم يصح فإنه قد أصاب الهدف في التشبيه، فبنو أمية أتوا إلى الحكم كالنبات الطفيلي المشبه به فلا جذر لهم فيه ولا ورق، وإنما ابتزوا الحكم من أصحابه كهيئة من سرق، ثم امتصوا من الأمة دماءها وعرقها وكدها وجهدها كما يمتص الكشوث النسغ من الشجرة وهو السائل الذي تمتصه الجذور من الأرض ويجري في الساق والأوراق بواسطة العروق -

روايته في آية النبأ:

روى الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾<sup>(١)</sup> الآية، قال: «كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، ثم أحد بني عمرو بن أمية، ثم أحد بني أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وأنه لما أتاهم الخبير فرحوا، وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله ﷺ، وأنه لما حَدَّث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه، رجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم، إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله إنا حَدَّثنا أنَّ رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون رده كتاب جاءه منك لغضب غضبه علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فأنزل الله عليهم في الكتاب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

(١) الحجرات ٦/

(٢) الحجرات ٦/

(٣) تفسير الطبري ١٣٣/٣٦ - ١٢٤.

وذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية وقال أخرج ابن جرير وابن مردويه والبيهقي في سننه وابن عساكر عن ابن عباس. وقد روى ذلك غير ابن عباس أيضاً، وكان المسلمون يعرفون الوليد بالفاسق، وهو المحدود في الخمر حذّه الإمام أمام عثمان بعد أن ثبت ذلك عليه، وقصته مشهورة في التاريخ حين ولّاه عثمان - وكان أخاه لأمه - على الكوفة فشرب الخمر ثمّ قاءها في المحراب فشكاه أهل الكوفة وشهد عليه بذلك جماعة بعد أن أخذوا خاتمه من يده وهو سكران لا يعي، وكاد عثمان يتستر عليه ولكن الإمام طالبه بإقامة الحد عليه فوكل الأمر إليه فجلده، فكانت هذه الحادثة ممّا عمّقت الخلاف وأوغرت صدور الأمويين على الإمام.

وكان ابن عباس يحدث بما كان بين الإمام وبين الوليد منذ أيام الرسول ﷺ فقد أخرج الحاكم الحسكاني والبلاذري في أنساب الأشراف في ترجمة الإمام، وابن المغازلي المالكي في المناقب والعصامي المكي في سمط النجوم وغيرهم جميعاً عن ابن عباس إن الوليد بن عقبة قال لعليّ: أنا أسلط منك لساناً وأحدّ سنناً وأربط جناناً وأملأ حشواً للكعبة فقال له عليّ: أسكت يا فاسق، فأنزل الله ﷻ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لعنه معاوية في يوم عرفة:

أخرج أحمد في مسنده بسنده عن سعيد بن جبيرة قال: «أتيت عليّ ابن عباس بعرفة وهو يأكل رماناً، فقال: أفطر رسول الله ﷺ بعرفة، وبعثت إليه أم الفضل بلبن فشربه. وقال: لعن الله فلاتاً، عمدوا إلى أعظم أيام الحج فمحووا زيتته، وإنما زينة الحج التلبية»<sup>(٢)</sup>.

(١) السجدة / ١٨.

(٢) مسند أحمد ٣/٢٦٤ رقم ١٨٧٠، أحمد محمد شاكر.

وفي كتز العمال ذكر اللعن المبهم نقلاً عن ابن جرير، وهذا رواه ابن جرير أيضاً كما روى أيضاً عن ابن عباس قال: ((لعن الله فلاناً أنه كان ينهى عن التلبية في هذا - يعني يوم عرفة - لأن علياً كان يأتي فيه))<sup>(١)</sup>.

ويبدو غلب على علماء الدولة التعتيم الإعلامي فلم يصرحوا باسم معاوية، وكنّوا عنه فقالوا: (فلانا)! ولكن النسائي في السنن<sup>(٢)</sup> وكذا في صحيح ابن خزيمة<sup>(٣)</sup> والسنن الكبرى للبيهقي<sup>(٤)</sup> صرحوا باسمه.

وإليك الحديث بلفظ البيهقي: ((عن سعيد بن جبيرة قال: كنا عند ابن عباس بعرفة، فقال: يا سعيد ما لي لا أسمع الناس يتلون؟ قلت: يخافون معاوية فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: ليك اللهم ليك وإن رغم أنف معاوية اللهم ألهمهم فقد تركوا السنة من بغض علي<sup>(عليه السلام)</sup>)).

وموقف ابن عباس في هذا المقام يشبه موقف ابن عمه الإمام حين أعلن بعمره وحجة في تليته بعسفان أيام عثمان، حين كان ينهى عن العمرة في أشهر الحج، وقد مرّ الحديث عنه في أيام عثمان.

وهكذا توالى ضرباته على رؤوس الأمويين عن طريق الرواية والقول والعمل، ولا شك أن ذلك كان يبلغ معاوية عن طريق ولاته في الحرمين، ولا شك أن ذلك كان يغيظه، وما يدرينا لعله فكّر في الحج سنة ٤٤ للهجرة من نشاط ابن عباس، وإذا لم يكن ذلك هو الغاية فلا شك أنه باعث قوي.

(١) كتز العمال ٧٩/٥ ط الثالثة (حيدرآباد).

(٢) سنن النسائي (كتاب الحج التلبية بعرفة) ٤١٩/٢ رقم ٣٩٩٣.

(٣) صحيح ابن خزيمة ٣٦٠/٤ برقم ٢٨٣٠.

(٤) السنن الكبرى ١١٣/٥.



وعلينا الآن الرجوع إلى الرواة لنقرأ ما ذكروه عن أول لقاء بينهما بعد قطيعة استدامت قرابة عقد من الزمن، فهما لم يجتمعا منذ أيام عثمان، ولعل آخر اجتماع بينهما حين بعثهما عثمان حكّمين بين عقيل وزوجته فاطمة بنت عتبة وقد مرّ الحديث عن ذلك. ومهما يكن فلا شك أنه ازدادت القطيعة سوءاً في حرب صفين، ولم ننس ما مرّ بنا من محاولة معاوية استدراجه بخديعة المراسلة حين ضاق به الخناق من جيش الإمام وبسالة قواده ومنهم ابن عباس الذي كان على الميسرة، ومرّت بنا مواقفه قيادية ومنازلة ومقاتلة في تلك الحرب الطاحنة الضروس، لكن معاوية لم يفلح بل ندم على فعله حين قرأ جواب ابن عباس كما مرّ ذكر ذلك كلّه.

فإلى الحديث عن أول لقاء بينهما. فمتى كان؟ وأين كان؟ وماذا كان

بينهما؟

ماذا في معرفة التاريخ؟

لابدّ لي من التّبيه على أمر ذي بال في تاريخ ابن عباس أيام الحكم الأموي في عهد معاوية، وذلك معرفة تاريخ المواجهات الكلامية التي كانت تحدث بينه وبين معاوية طيلة حكمه الذي دام عشرين عاماً، وفي بعض تلك المحاورات نجد حضور بعض زمرة معاوية كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزباد بن أبيه وعتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وعبد الرحمن بن أم الحكم ويزيد بن معاوية وهؤلاء كانت لهم مشاركة في محاوره جرت بالشام وأحسبها سنة ٤٢ وهي السنة أتى فيها زياد إلى معاوية بعد استلحاقه أو هي سنة ٤٣ وهي السنة التي مات فيها عمرو بن العاص وذلك قبل ليلة الفطر لأنّ عمراً مات فيها.

وربما حضر غير من ذكرنا عند معاوية كسعيد بن العاص ولم يذكر أنه درس أنفه في الحديث. فإن معرفة تاريخ تلك المحاورات هو تسليط الضوء على مدى تشنج العلاقات بين الطرفين مدأً وجزراً، كما يستعين الباحث على معرفة نفسيات المتحاورين، وهذا ما ينبغي ملاحظته بدقة، ولا ينبغي تجاوزه، لأننا من خلال تلك المحاورات يمكننا تقييم المتحاورين زماناً ومكاناً وقدرات وتكافؤاً.

فابن عباس يعلم في نفسه أنه واقع تحت طائلة التهديد، وعرضة للإنتقام لأنه لم يجر بينه وبين معاوية صلح، وإنما هو تبع لإمامه الحسن عليه السلام في إفضاء الصلح. وقد مرّ بنا تهديد معاوية له بذلك يوم كان في البصرة وقد جاء في بعض كتابه إليه: «وما جرى بيني وبينك صلحٌ فيمنعك مني ولا بيدك أمان».

كما أن ابن عباس كبقية بني هاشم الذين عصبهم معاوية بدم عثمان، وقد صارحه بذلك في كتابه المشار إليه آنفاً.

كلّ ذلك لم يكن ليغيب عن ذاكرة ابن عباس، وهو كفيّل بزرع الخوف في نفسه لو يجد الخوف إلى نفسه سيلاً.

كما لم يغيب عن معاوية أنه سيلتقي إنساناً من بني هاشم يتمتع برصيد عال من العلم والمعرفة بالسياسة فلا يُخدع ولا يُضرع، وله من عزة الهاشميين ما يشمخ بأنفه على معاوية، وعنده اعتداد لا يضارعه اعتداد معاوية بالملك.

وتحدّث الأخبار عن عدة لقاءات ربما بلغت العشرين أو تزيد، لكنها لم تتحدّث عن تاريخها زماناً ولا مواقعها مكاناً.

وبحسب اطلاعي على تلك المحاورات، وجدت بينها ما يساوي ربعاها يمكن تحديد زمانه ومكانه من خلال نصوص المحاورات، أما الباقي فلا أستطيع البتّ بتحديد الزمان والمكان، لكنها في أغلب الظنّ إنها كانت في الشام أيام

وفادته على معاوية، وهي في جميعها نجد ابن عباس يحاور فيها بلغة الاعتزاز والاستعلاء، ونجد معاوية وإن بدأ بلغة التهديد أحياناً فإنه يختتم المحاوراة بلغة الإنكسار والاستخذاء. وليست بلغة الحاكم مع المحكوم.

والأمر الذي لا يفوتني تنبيه القارئ عليه أيضاً، هو خلوة مخاطبة ابن عباس لمعاوية بأمر المؤمنين، بل كان يخاطبه باسمه، إذ لا يرى صحة خلافته فكان يسميه باسمه، وإن وجد في واحدة أو أكثر من محاوراته خطابه له بأمر المؤمنين، فإن أثر الصنعة ظاهر على المحاوراة كما سنشير إلى ذلك عند ذكر المحاورات في الحلقة الثانية إن شاء الله.

والآن إلى نماذج من تلكم المحاورات، ولنبداً بذكر ما كان في الحرمين الشريفين لشرفهما، ثم نعقب بذكر الشام بملاحظة شرف المكان، وإن كانا مختلفين، وعلى العكس في الزمان، فمحاوراة الأولى في الشام هي قبل المحاوراة الأولى في الحرمين.

في مكة المكرمة أو المدينة المنورة:

أخرج الحاكم في المستدرک على الصحيحين بسنده عن معروف بن خربوذ المكي قال: ((بيننا عبد الله بن عباس جالس في المسجد ونحن بين يديه إذ أقبل معاوية فجلس إليه، فأعرض عنه ابن عباس، فقال له معاوية: ما لي أراك معرضاً؟ ألسنت تعلم أنني أحق بهذا الأمر من ابن عمك؟ قال: لم؟ لأنه كان مسلماً وكنيت كافرأ؟ قال: ولكنني ابن عم عثمان قال: فابن عمي خير من ابن عمك. قال: إن عثمان قتل مظلوماً. قال - وعندهما ابن عمر - فقال ابن عباس: فإن هذا أحق

بالأمر منك. فقال معاوية: إن عمر قتله كافر وعثمان قتله مسلم. فقال ابن عباس: ذلك والله أدحض لحجتك<sup>(١)</sup>.

ولهذه المحاوره روايات أخرى ذكرتها في الحلقة الثالثة في صفحة احتجاجاته أذكر منها:

### صورة أخرى:

ما رواه سليم بن قيس وعمرو بن سلمة قالا: ((قدم معاوية حاجاً في خلافته المدينة بعد ما قتل أمير المؤمنين صلوات الله عليه وصالح الحسن عليه السلام... مر بحلقة من قريش، فلما رأوه قاموا له غير عبد الله بن عباس فقال له: يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلا موجودة في نفسك عليّ بقتالي إياكم يوم صفين. يابن عباس إن عمي عثمان قتل مظلوماً. فقال له ابن عباس: فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً فسلم الأمر إلى ولده وهذا ابنه.

فقال: إن عمر قتله مشرك. قال ابن عباس: فمن قتل عثمان؟ قال: قتله المسلمون. قال: فذلك أدحض لحجتك، وأحلّ لدمه إن كان المسلمون قتلوه وخذلوه فليس إلا بحق. قال معاوية: فإننا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكفّ لسانك يا ابن عباس وأربع عليّ نفسك.

فقال له ابن عباس: أفتنهانا عن قراءة القرآن؟ قال: لا. قال: أفتنهانا عن تأويله؟ قال: نعم.

(١) مستدرک الحاكم ٤٦٧/٣.

قال: فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به؟ قال: نعم.

قال: فأبما أوجب علينا قراءته أو العمل به؟ قال معاوية: العمل به.

قال: فكيف نعمل به حتى نعلم ما عنى الله بما أنزل علينا؟

قال: سل عن ذلك من يتأوله على غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك.

قال: إنما أنزل القرآن على أهل بيتي فأسال عنه آل أبي سفيان؟ أو أسأل عنه آل أبي معيط؟ أو اليهود والنصارى والمجوس؟

قال له معاوية: فقد عدلتنا بهم وصيرتنا منهم!

قال له ابن عباس: لعمرى ما أعدلك بهم، غير أنك نهيتنا أن نعبد الله بالقرآن وبما فيه من أمر ونهي أو حلال أو حرام، أو ناسخ أو منسوخ، أو عام أو خاص، أو محكم أو متشابه، وإن لم تسأل الأمة عن ذلك هلكوا واختلقوا وتاهوا.

قال معاوية: فاقروا القرآن وتأولوه، ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم من تفسيره، وما قاله رسول الله فيكم، وارووا ما سوى ذلك.

قال ابن عباس: قال الله في القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَكَوْكَرَهُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال معاوية: يا بن عباس اكفني نفسك، وكف عني لسانك، وإن كنت لا بد فاعلاً، فليكن ذلك سراً ولا يسمعه أحد منك علانية. ثم رجع إلى منزله، فبعث إليه بخمسين ألف درهم<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «ثم رجع إلى منزله فبعث إليه بمائة ألف درهم»<sup>(٣)</sup> وفي نسخة أخرى بمائتي ألف درهم.

(١) التوبة / ٣٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي ٧٧٧/٢ - ٧٨٢ - ٧٨٤ ط الهادي تح الأنصاري.

(٣) بحار الأنوار ١٧٩/٣٣ عن سليم ط بيروت دار إحياء التراث.

ولا بد لنا من وقفة عند هذه المحاوره لتحقيق زمانها ومكانها، ثم ملاحظه تفاوت الرواه الثقله في روايتها وقيل ذلك التنبيه على أمرين:

أولاً: طلب معاوية من ابن عباس، أن يسأل عن تأويل القرآن ممن يتأوله على خلاف ما يتأوله ابن عباس وأهل بيته، وهذا يعني وجود أناس هياهم معاوية أو كانوا مهيبين من قبل للقيام بتأويل القرآن على خلاف ما يتأوله أهل البيت وابن عباس، فمن أين لأولئك العلم بالتأويل وهم ليسوا من أهله وممن نزل عليهم أو في بيوتهم القرآن؟ ولماذا صاروا المرجع الرسمي الذي يدعوا معاوية بالرجوع إليه؟ وهل في القرآن من الغايز وطلاسم يحتاج في حلها إلى مرجع رسمي ينصبه الحاكمون؟ أو ليس الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَتْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾<sup>(١)</sup>، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

إذن ليس المطلوب منا إلا التدبر في معرفة معاني القرآن كما يلزمنا معرفة قراءته تلاوة صحيحة، وهذا ما كان يقوله ابن عباس: «لئن أقرأ البقرة وآل عمران فأتدبرهما خير من أن أقرأ القرآن كله هذرمة»، وكان يرى في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾<sup>(٣)</sup> أنه من الراسخين في العلم العالمين بتأويل القرآن.

إذن فمعاوية في طلبه يريد فصل الناس عن أهل البيت وتأويلهم وتفسير ما نزل فيهم، والأخذ بمن يقول في ذلك بالرأي والهوى، وبذلك يكون معاوية قد

(١) القمر/٣٢.

(٢) محمد /٢٤.

(٣) آل عمران /٧.

عطل الاستفادة من قراءة القرآن كما عطل نشاط أهل البيت، وضرب عصفورين بحجر كما يقول المثل.

ثانياً: في آخر المحاوره ورد (فبعث إليه بخمسين ألف درهم)، وفي رواية (بمائة ألف درهم)، وفي ثالثة (بمائتي ألف)، ولا يعيننا تحديد الرقم بمقدار ما يعيننا معرفة موقف ابن عباس من ذلك المال، إذ لا شك أن معاوية إنما أرسل إليه المال - قلّ أو كثر - رشوة لشراء سكوته، ولكن هذا لم يحدث، بل صار الأمر أكثر حدة وشدّة، واستمرّ ابن عباس في تبليغ رسالته ولم يعبأ بسخط معاوية أو رضاه، كما لم يمتنع من أخذ ما يصله من عطاياها، لأنّه يرى في نفسه وأهل بيته هم أصحاب الحقّ، ولهم في بيت المال من الحقّ أكثر ممّا يعطيهم معاوية، وله في ذلك محاوره سيأتي ذكرها.

ونعود إلى المحاوره لمعرفة زمانها ومكانها واختلاف الرواة فيها.

أما عن زمانها: فهو سنة ٤٤ من الهجرة حيث عزم معاوية على الحج وهي أوّل حجة له في حكمته. وإذا استقرينا الحوادث التي ارتكبها فأحاق شرّها بالمسلمين منذ توليه الحكم، نجد أهمّها ممّا هو بالغ الشنعة في مخالفة الكتاب والسنة هي:

- ١- إعلانه سب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين في جميع أمصار حكومته بقرار رسمي في سنة ٤١.
- ٢- كتابته إلى الآفاق ببراءة الذمة ممّن روى حديثاً في مناقب الإمام وأهل بيته كسابقه.

٣- استلحاقه زياد بن أبيه سنة ٤٤، وتسليطه له على المسلمين في العراقيين الكوفة والبصرة، فأذاقهم مرّ العذاب، ومن الطبيعي أن يكون قد أغضب ذلك

جماعة المسلمين بحكم إسلامهم فاستكروه، إلا أن تفاوت الاستكار على حسب درجات إيمانهم، فمنهم المعلن ذلك لساناً في الملأ، ومنهم من هو دونه حتى تصل التوبة إلى الإنكار القلبي وهو أضعف الإيمان.

ومع ذلك لم يشأ معاوية أن يقطع شعرته التي هي مضرب المثل، فكان يشد ويشد إذا رأى الريح رخاءً، أما إذا رآها عاصفة فهو يلين وإذا اشتدت إعصاراً انحنى لها، وهذا ما قرأناه في المحاوراة السابقة وسنقرأ مثله قريباً وقد عرفنا زمانها.

وأما عن مكانها: فقد قال اليعقوبي في تاريخه: «وحيج معاوية سنة ٤٤ وقدم معه من الشام بمنبر فوضعه عند البيت الحرام، فكان أول من وضع المنبر في المسجد الحرام. ولما صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم وكلموه في أمورهم فقال: أما ترضون يا بني هاشم أن نقرّ عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون، فوالله لأنتم أحلّ دماً من كذا وكذا - وأعظم القول -

فقال له ابن عباس: كلما قلت لنا يا معاوية من شرب بين دفتيك، وأنت والله أولى بذلك منا. أنت قتلت عثمان ثم قمتَ تغمص على الناس أنك تطلب بدمه. فانكسر معاوية، فقال ابن عباس: والله ما رأيتك صدقتُ إلا فرعتُ وانكسرتُ، قال: فضحك معاوية وقال: والله ما أحب أنكم لم تكونوا كلمتموني»<sup>(١)</sup>.

ولنتقف هنا قليلاً ونأمل في موقف ابن عباس من معاوية كيف لوى أحاده حتى أبان انكساره للناس، وأجهز عليه ابن عباس ليؤكد ذلك الإنكسار،

(١) تاريخ اليعقوبي، ١٩٨/٢ ط الغري.



فلم ير معاوية بأساً من أن ينحني لذلك الإعصار الهادر بضحكة خادعة ومقالة خاتمة. ولتقرأ بقية ما عند يعقوبي في تاريخه:

قال: «ثم كَلَّمَهُ الْأَنْصَارُ فَأَغْلَظَ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ وَقَالَ لَهُمْ: مَا فَعَلْتُمْ نَوَاضِحَكُمْ قَالُوا أَفْنَيْتَنَا يَوْمَ بَدْرٍ لَمَا قَتَلْنَا أَخَاكَ وَجَدَكَ وَخَالَكَ، وَلَكِنَّا نَفْعَلُ مَا أَوْصَانَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: مَا أَوْصَاكُمْ بِهِ، قَالُوا: أَوْصَانَا بِالصَّبْرِ، قَالَ: فَاصْبِرُوا، ثُمَّ أَدْلَجَ مَعَاوِيَةَ إِلَى الشَّامِ وَلَمْ يَقْضِ لَهُمْ حَاجَةً... (١)».

أرايتم جبروتية الملك العضوض كيف شمخت بأنفها على الأنصار أولاً ولَمَّا واجهوها بالحقائق ازدادت عنثواً، ثُمَّ أدلجت إلى جحرها حيث طغام أهل الشام، ولم يقض معاوية لهم حاجة. والذي أستشفه من ضمير (لهم) وإن كان ظاهراً في الأنصار لكنه يشمل الهاشميين والأنصار معاً، لأنَّ يعقوبي لم يزل وهو في حديثه مسترسلاً يذكر بعض محدثات معاوية فيقول: وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد (الحرام) وأخرج المنابر إلى المصلى في العيدين، وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك إن الناس كانوا إذا صلوا انصرفوا لثلاث يسمعون لمن عليّ الصلاة فقدّم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فدكاً لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله ﷺ.

فمن كان بهذه المثابة من التنمر والحقد أترأه يقضي لبني هاشم حاجة ولا يقضي للأنصار حوائجهم وهم جميعاً عنده في خندق واحد، وعلى شاكلة واحدة؟ لذلك رأيت أن الضمير في قول يعقوبي (ولم يقض معاوية لهم حاجة) لا يبعد شموله لجميع بني هاشم والأنصار، ويؤكد ما رأيت ما ذكره المقدسي في البدء والتاريخ فقد قال: «فلَمَّا حج معاوية جاءه الحسن

والحسين وابن عباس عليهما السلام وسأله أن يفني لهم بما ضمن، فقال: أما ترضون يا بني هاشم أن نوقر عليكم دماءكم وأنتم قتلة عثمان، ولم يعطهم ممّا في الصحيفة شيئاً<sup>(١)</sup>.

ويبدو من حديث البغدادي الأئف الذكر أن اجتماع بني هاشم مع معاوية كان بالمدينة، ولما ساق الحديث لم نجد ذكراً للمحاورة السابقة التي مر ذكرها أولاً، ومن خلال معرفة هوية الرواة وسياق حديثهم تيقنت أن مكان المحاورة الأولى هو المسجد الحرام واللقاء كان بمكة لا بالمدينة!

فمعروف بن خربوذ - راوي الخبر عند الحاكم في المستدرک - رجل مكي، وأما سليم بن قيس وعمرو بن سلمة وإن كانا مدنيين إلا أنهما يمكن حضورهما بمكة للحج، على أن القاضي نعمان المغربي ذكر في شرح الأخبار<sup>(٢)</sup> أن المحاورة كانت بالمدينة وكان ممن حضر المحاورة سعد بن أبي وقاص وقد جرى له كلام مع معاوية استشهد عليه بأمر سلمة وذلك قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام (أنت مع الحق والحق مع علي).

وهناك بقية من الرواة أهتموا المكان، فقالوا: حج معاوية فجلس إلى ابن عباس فأعرض عنه، كما في (الموقفيات)<sup>(٣)</sup>. وهذا يشير من طرف خفي إلى أن المحاورة وقعت بمكة، حيث كان ابن عباس له مجلس عند قبة الشراب عند زمزم يجتمع عليه الناس فيسألونه - كما سيأتي وصف ذلك فيما بعد.

(١) البدء والتاريخ ٥/٦.

(٢) شرح الأخبار ٦٦/٢.

(٣) انظر كشف الغمة ٤٠٦/١ منشورات مكتبة الشريف الرضي وهذا النص ممّا سقط من مطبوع الموقفيات بتحقيق د. سامي مكي الماني كغيره من نصوص استدركتها على المحقق واهتدت إليها في نسختي بلغت خمسة عشر نصاً.

ومن الرواة من تردّد في مكانها كما في رواية السيوطي<sup>(١)</sup> نقلًا عن العسكري في كتاب الأوائل عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال: «قدم معاوية مكة أو المدينة فأتى المسجد فقعده في حلقة فيها ابن عمر وابن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر فأقبلوا عليه وأعرض عنه ابن عباس فقال: وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه.

فقال ابن عباس: ولم؟ ألتقدم في الإسلام؟ أم مع سابقة رسول الله؟ أو قرابة منه؟ قال: لا ولكنني ابن عم المقتول. فقال: فهذا أحق به - يريد ابن أبي بكر - قال: إن أباه مات موتاً، قال: فهذا أحق به - يريد ابن عمر - قال: إن أباه قتله كافر، قال: فذاك أدحض لحجتك إن كان المسلمون عتّبوا على ابن عمك فقتلوه». وتردد الراوي في ذكر المكان يكشف عن عدم حضوره وقت المحاورّة، وأنما رواها سماعاً، وهذا يدل على شيوعها بين الناس، وذلك شيء طبيعي، فحاكمٌ مستحوذ على خلافة المسلمين بحجة واهية، يتلقّى صفعة مؤلمة من موتور مغلوب على أمره، كيف لا يُذاع ما جرى بينهما ويتشخّر خبره. واللافت للنظر في رواية السيوطي هذه ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر مع الحاضرين وذكر ابن عباس له.

### محاورة ثانية:

وتبعاً لاختلاف الرواة فقد وقفت على محاورة جرت بين ابن عباس وبين معاوية تزيد في جوّها المحموم والمواقف المتشنجة على ما مرّ في المحاورّة الأولى، وفيها من قوة الحجّة والمجّاج وشدة اللجّاج، ما يحملنا على اعتقاد

(١) تاريخ الخلفاء / ١٣٤.

التفاير بينهما، وإن جاء فيها بعض ما مرّ في الأولى، وذلك لا يعني أنها هي وقد تزيد فيها الرواة، خصوصاً إذا لاحظنا المصدر وما فيه مما يحمل على سوء الظن والإتهام، فإنّ البيان المحبوك بصنعة الإنشاء يشبه نتاج صنّاعي الأدب في العصر العباسي الأوّل، حيث كان حمّاد الراوية وحمّاد عجرد، أو العصر الثاني حيث كان الجاحظ وحتى نسج أبي حيان فلا يغيّب عن الأذهان، ولربّما تزيد الرواة إسماءً أو رسماً فازدادوا إثماً، لكن لا يعقل أن تكون المحاوراة جميعها من نسج الخيال.

ومهما يكن الحال، فيألي القارئ صورة ما وجدته في كتاب أخبار الدولة العباسية قال فيه: «دخل ابن عباس على معاوية وعنده جماعة من قريش فيهم عبد الله بن عمر، فلما جلس قال له معاوية: إنك يا بن عباس لترمقني شزراً، كأنني خالفت الحقّ أو أتيت منكراً.

قال ابن عباس: لا منكر أعظم من ذبحك الإسلام بشفرة الشرك، واغتصابك ما ليس لك بحقّ اعتداءً وظلماً.

فقال معاوية: إنّما ذبح الإسلام من قتل إمام الأمة ونقض العهد، وخفر الدمة، وقطع الرحم ولم يرع الحزمة وترك الناس حيارى في الظلمة.

قال ابن عباس: كان الإمام من سبق الناس إلى الإسلام طراً، وضرب خيشوم الشرك بسيف الله جهراً، حتى اتقاد له جماهير الشرك قهراً، وأدخلك وأباك فيه قسراً، فكان ذلك الإمام حقاً، لا من خالف الحقّ حمقاً، ومزق الدين فصار محقاً.

فقال معاوية: رفقاً يا بن عباس رفقاً، فقد أتيت جهلاً وخرقاً، فوالله ما قلت حقاً، ولا تحريت في (كلامك /ظ) صدقاً، فمهلاً مهلاً، لقد كان من ذكرته إماماً

عادلاً، وراعياً فاضلاً، يسلك سبيلاً، مليء حلماً وفهماً، فوثبتم عليه حسداً، وقتلتموه عدواناً وظلماً.

قال ابن عباس: أنه اكتسب بجهده الآثام، وكايد بشكّه الإسلام، وخالف السنّة والأحكام، وجار على الأثام وسلط عليهم أولاد الطغام، فأخذة الله أخذ عزيز ذي انتقام.

قال معاوية: يا بن عباس يحملك شدة الغضب على سوء الأدب، حتى لتخلّ في الجواب، وتعيد عن الصواب، تقعد في مجلسنا، تشتم فيه أسلافنا، وتعيب فيه كبراءنا وخيار أهلنا، ما ذنب معاوية إن كان عليّ خانة زمانه، وخذله أعوانه، وأخذوا سلطانه، وقعدوا مكانه، أما معاوية فأعطي الدنيا فأمكنكم من خيرها، وباعدكم من شرّها، وكان لكم صفوها وحطوها، ولي كدرّها ومرّها.

قال ابن عباس: ذنب معاوية ركوبه الآثام، واستحلاله الحرام، وقصده لظلم آل خير الأثام، ما رعى معاوية للنبوّة حقّها، ولا عرف لهاشم فضلها وقوتها، وبنا أكرم الله معاوية فأهاننا، وبنا أعزه الله فأهاننا، ثمّ ما هو ذا يصول بعزنا، ويسطو بسلطاننا، ويأكل فيثنا، ويرتع في ثروتنا، ثمّ يمتنّ علينا في إعلاننا إيانا بأنه لا يعتذر إلى الله من ظلمنا.

قال معاوية: يا بن عباس إن افتخارك علينا بما لا نقر لك إفكّ وزور، وتبجحك بما لا نشهد لك به هباء مثور، واتكال أبناء السوء على سيادة الآباء ضعف وغرور، ونحن للورى أنجم وبحور، نفى بالتدور، ونصل بالبدور، وساحتنا رحي السماحة تدور.

قال ابن عباس: لئن قلت ذلك يا معاوية لطالما أنكرتم ضوء البدور، وشعاع النور، وسميتم كتاب الله بيننا أسطوراً، ومحمداً صلى الله عليه (وآله) وسلّم

ساحراً وصنبوراً<sup>(١)</sup> ولقول القائل تلفقوها يا بني أمية تلقف الكرة لا بعث ولا نشور، وتغنموا نسيم هذا الروح فما بعده أوبة ولا كرور، وكان لعمر الله القطب الذي عليه رحي الضلالة تدور.

ففضب معاوية وقال: يا بن عباس اربع على نفسك، ولا تقس يومك بأمسك، هيهات صرح الحق عن محضه، وزلق الباطل عن دحضه، أما إذا أبيت فأنا كنت أحق بالأمر من ابن عمك.

قال ابن عباس: ولم ذلك، وعليّ كان مؤمناً وكنيت كافراً، وكان مهاجراً وكنيت طليقاً.

قال: لا ولكني ابن عم عثمان.

قال: فإن ابن عم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم خير من ابن عم عثمان.

قال معاوية: إن عثمان كان خيراً من عليّ وأطيب.

قال ابن عباس: كلا، عليّ أزكى منه وأطهر، وأعرف في ملكوت السموات وأشهر، أتقرن يا معاوية رجلاً غاب عن بدر ولم يشهد بيعة الرضوان، وفرّ يوم التقى الجمعان، ابن مخنث قريش، الذي لم يسلّ سيفاً، ولم يدفع عن نفسه ضيماً، إلى قريح العرب وقارسها، وسيف النبوة وحارسها، أكثرها علماً، وأقدمها سلماً، إذن قسمة ضيزى أبا عبد الرحمن.

قال معاوية: إن عثمان قتل مظلوماً.

قال ابن عباس: فكان ماذا؟ فهذا إذن أحقّ بها منك، قتل أبوه قبل عثمان -

يعني ابن عمر -

(١) الصنبور؛ الرجل الضعيف الذليل بلا أهل ولا عقب ولا ناصر، وكان كفار قريش يقولون محمد صنبور. انظر لسان العرب وتاج العروس مادة (صنبور).

قال معاوية: ان هذا قتله مشرك، وعثمان قتله المؤمنون.

قال ابن عباس: فذلك أضعف لقولك، وأدحض لحجتك، ليس من قتله المشركون كمن نحره المؤمنون.

فقال معاوية: ترى يا بن عباس أن تصرف غُربَ لسانك وحدة نبالك، إلى من دفعكم عن سلطان النبوة، وألبسكم ثوب المذلة، وابتزكم سرهال الكرامة، وصيركم تبعاً للأذنان بعد ما كنتم عز همامات لسادات، وتدع أمية، فإن خيرها لك حاضر، وشرها عنك غائب.

قال ابن عباس: أما تيم وعدي فقد سلبونا سلطان نبينا صلى الله عليه (وآله) وسلم، عدواً علينا فظلمونا، وشفوا صدور أعداء النبوة منا، وأما بنو أمية فإنهم شتموا أحياءنا ولعنوا موتانا، وجاوزوا حقوقنا، واجتمعوا على إخماد ذكرنا وإطفاء نورنا، فيأبى الله لذكرنا إلا علواً، ولتورنا إلا ضياءً، والله للفريقين بالمرصاد.

قال معاوية: ما نرى لكم علينا من فضل، ألسنا فروع دوحة يجمعنا عبد مناف؟

قال ابن عباس: هيهات يا معاوية، حدث عن الصواب، وتركت الجواب، بيتنا وبينكم برزخ وحجاب، أنتم الحثالة ونحن اللباب، ولتشتان ما بين العبد والأرياب، أتجعل أمية كهاشم؟ إن هاشماً كان صميماً كريماً ولم يكن لثيماً ولا زنيماً، أوّل من هشم الثريد وسنّ الرحلتين وله يقول القائل:

عمروا الذي هشم الثريد لقومه      ورجال مكة مستون عجاف

سفرين سنهما له ولقومه سفر الشتاء ورحلة الأضياف))<sup>(١)</sup>

وفي هذه المحاوره - إن صحت - قرأنا خصومة أشبه بالمناظرة والمفاخره، فكل من ابن عباس ومعاوية يرد على الآخر بعنف وشدة ويذكر مفاخر قومه وآبائه، ومن الطبيعي أن تكون الغلبة لابن عباس في ذكرها. لكن معاوية الحاقد يحاول انكار ذلك الفضل بحجة أن الجميع يجمعهم عبد مناف. فذكر ابن عباس له من الفروق بينهما ما أسكنه ودحض حجته. ولم يكن معاوية في قرارة نفسه لا يعرف ذلك، لكنه الحسد ودفائن الأضغان، ولم يكن أحد يقوى على رده وهو في عنقوان سلطانه إلا أهل البيت، وفي مقدمتهم الإمام الحسن والإمام الحسين ثم عبد الله بن عباس، وهو أكثر بني هاشم إصابة في عدوه، وأقوى حجة في دفع خصومه، وسيأتي في صفحات احتجاجاته في الحلقة الثالثة ما يغني ويقني إن شاء الله تعالى.

ومع هذا كله نجد البلاذري في أنسابه روى أن ابن عباس قال: ((لله در ابن هند وكينا عشرين سنة فما آذانا على ظهر منبر ولا بساط، صيانة منه لعرضه وأعراضنا، ولقد كان يحسن صلتنا ويقضي حوائجنا))<sup>(٢)</sup>.

وما أدري كيف استساغ الراوي أن يذكر ذلك منسوباً إلى ابن عباس ومحاوراته مع معاوية تبنى بخلاف ذلك.

وتتحف القارئ بذكر محاوره أخرى ورد ذكرها في تاريخ اليعقوبي<sup>(٣)</sup> وأخبار الدولة العباسية<sup>(٤)</sup> نعرف منها مدى العقد المتأصل في نفس معاوية على

(١) أخبار الدولة العباسية / ٤٧/ تحت الدكتور الدوري والمطليبي ط دار صادر بيروت سنة ١٩٧١.

(٢) أنساب الأشراف ١/٤١/٨٣ تحت احسان عباس.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/١٩٩ - ٢٠٠.

(٤) أخبار الدولة العباسية / ٥٠.



بني هاشم وعلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كما نعرف مدى شجاعة ابن عباس وقوة جنانه فلا يخشى بطش معاوية وهو في عنفوان سلطانه:

«قال معاوية لابن عباس: كيف رأيت صنع الله بي وأبي الحسن؟

فقال ابن عباس: صنعا والله غير مختل، عجله إلى جنة لن تالها، وأخرك

إلى دنيا كان أزالها.

فقال: وإنك لتحكم على الله؟

فقال: الله حكم على نفسه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال: أما والله لو عاش أبو عمرو عثمان حتى يراني لراى نعم ابن العم.

فقال: والله لو عاش لعلم أنك خذلك حين كانت النصره له، ونصرته حين

كانت النصره لك.

قال: وما دخورك بين العصا ولحاها؟

قال: والله ما دخولي بينهما إلا عليهما لا لهما، فدعني مما أكره أدعك من

مثله، لأن تحسن فأجازي أحب الي من أن تسيء فأكافئ، ثم نهض، فاتبعه

معاوية بصره وهو يقول:

حصيد اللسان ذليق الكـ لام غير عي ولا مسهب

يبدأ الجياد بتقريبه ويأوي إلى جُفْرٍ ملهَّب

جرأة وشجاعة:

قال اللغويون: اجترأ - الرجل - على القول - بالهمز - أسرع بالهجوم عليه من

غير توقف، والاسم الجرأة وزان غرفة.

وقالوا: شجّع الرجل - بالضم - قوي قلبه واستهان بالحروب جرأة وإقداماً<sup>(١)</sup>.

وهاتان الصفتان ممّا تميز بهما ابن عباس. فلقد تميز بجرأة نادرة وشجاعة فائقة في مواجهة خصومه، سواء من ييدهم الحكم أم من كان خارج الحكم، فما خصام أحداً إلا خصمه، ولا جادل أحداً إلا أفحمه، ولا فاخر أحداً إلا ألزمه، وما هادن أحداً منهم على حساب دين أو دنيا، يقول كلمة الحقّ حتى يصفع وجه خصمه فيجعله كسيراً حسيراً، وأظهر الشواهد دلالة ما كان يجري بينه وبين معاوية، وقد مرّت بنا بعض محاوراته، وستأتي شواهد أخرى كثيرة في الحلقة الثالثة في صفحة احتجاجاته. وكلّها على نمط واحد في اختياره الطريق الوحيد لنصرة أئمة الحقّ، وإن كان ذلك الطريق هو الصعب والمحفوف بالمخاطر، وقد سبّب له معاناة كبيرة وكثيرة، إلا أنّه ممّن يستسهل الصعب ليلبغ المنى، ولم نقرأ عن أحد من أهل البيت في زمانه سوى الحسين عليه السلام أشدّ جرأة من ابن عباس ولا أقوى حجة وبرهاناً في إفحام معاوية حتى اضطره كثيراً - لا حيناً - إلى المراوغة فيبدي الأنكسار مع عتوه وجبروته، ومع تلك القوة الشخصية فلم يكن بمعزل عن الدعاء والاستعانة بالله سبحانه في أن يدفع عنه شرور أعدائه، فقد علّم سعيد بن جبير فقال له: «إذا دخلت على السلطان وهو مهيب تخاف أن يسطرو عليك قفل: الله أكبر وأعزّ ممّا أخاف وأحذر، اللهم ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم، كن لي جاراً من عبدك فلان وجنوده وأشياعه وأتباعه، تبارك اسمك جلّ ثناؤك وعزّ جارك ولا إله غيرك»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصباح المنير، جرى شجع.

(٢) العقد الفريد ٣/٢٢٤ تح. أحمد أمين ورفيقه.

فهو إذن كان متسلحاً بسلاح الدهاء الذي يدفع البلاء، مضافاً إلى ما عنده من سلاح الحججة والبيان، ومن كان كذلك فهو حليف الغلبة في حضره وسفره وفي صحته ومرضه.

فهللم لنقرأ معاً ما رواه صاحب كتاب نزعة السامع، فقد روى: «(إنه دخل على معاوية يوماً، وكان مريضاً، فرآه معاوية على تلك الحال قطع فيه. فقال: يا بن عباس الله أعلم حيث يجعل رسالته.

فقال له ابن عباس: الحمد لله الذي أنطقك حقنا، وحرّكك فضلنا، والحمد لله الذي جعل الخير منا، والنبوة فينا، وجعلنا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

قال: وكان معاوية متكئاً فجلس وقال: كيف رأيت الله حرمكم هذا الأمر الذي عرضتم له منا كبكم؟

فقال له ابن عباس: يا معاوية إن الله لم يزل يذود أوليائه عن الدنيا ذباد الراعي إبله عن موارد الهلكة، وقد قال سبحانه: ﴿قُلْ تَمَتُّوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾<sup>(١)</sup> وأيم الله لولا حق النبوة وحرمة الإسلام، ووصية النبي بهما عند (عدم) الناصر وغلبة العدو، لعلمت أنه يقصر باعك ويضيق منكبك أن تقذف دلوأ في طوى<sup>(٢)</sup> شد عليها هاشمي رشاء.

فقال له معاوية: يا بن عباس لا أزال أمازحك ولم تحلم.

فقال ابن عباس: إن الحلم عمّن يرى له الفضل عليك صعب، فاتق الله يا معاوية واعرف الحق لأهله، ولعمري إنك لتعرفه ولكنك تنكره<sup>(٣)</sup>.

(١) إبراهيم / ٣٠.

(٢) الطوى: البئر المبنية بالحجارة.

(٣) نقلاً من كتاب قرر الأخبار وقرر الآثار للديلمي - نسخة مخطوطة - ناقصة منذ شيخنا

العلامة الحجة الشيخ هير محمد الهمداني الجورقاني (رحمه الله).

إنها كلمة الحق التي أزهقت الباطل زهوقاً. أي جرأة هذه وأي شجاعة؟  
تدل معاوية حتى يستكين، فيحاول خداع نفسه قبل غيره بأن الأمر كان مزاحاً،  
إنما بن هند سرعان ما يقلب الحق باطلاً، والجد هزلاً ومزاحاً.

في الشام:

وإذا كان معاوية في المرة السابقة مزاحاً كما يزعم فلتنظر إلى موقف له  
آخر أشد صرامة وصراحة، وقد جمع له معاوية زبانيته، ويبدو من صدر المحاوره  
ربما كانت أول لقاء له مع معاوية وزمرته بالشام.

فقد روى المدائني قال: «وقد عبد الله بن عباس على معاوية مرة، فقال  
معاوية: لابنه يزيد ولزياد بن سمية وعتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم  
وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن أم  
الحكم: أنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس، وما كان شجر بيننا وبينه وبين ابن  
عمه، ولقد كان نصبه للتحكيم فذفع عنه. فحركوه على الكلام لنبلغ حقيقة صفته،  
ونقف على كنه معرفته، ونعرف ما صرف عنا من شبا حذء، ووري عنا من دهاء  
رأيه، فربما وصف المرء بغير ما هو فيه، وأعطي من النعم والاسم ما لا يستحقه.

ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس، فلما دخل عليه واستقر به المجلس، ابتدأه  
عتبة بن أبي سفيان فقال: يا بن عباس ما منع علياً أن يوجه بك حكماً؟

فقال: أما والله لو فعل لقرن عمراً بصعبة من الإبل يوجع كفيه مراسها،  
ولأذهلت عقله، وأجرضته بريقه، وقدحت في سويداء قلبه، فلم يبرم أمراً ولم  
ينفض تراباً إلا كنت منه بمرأى ومسمع، فإن نكته أرمت قواه، وإن أرمه فصمت  
عراه، بغرب مقول لا يفلى حذء، وأصالة رأي كمتاح الأجل، لا وزر فيه، أصدغ  
به أديمه، وأفل به شبا حذء، واشحد به عزائم المتقين، وأزيح به شبه الشاكين.

فقال عمرو بن العاص: هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم أول الشر، وأقول آخر الخير، وفي حسمه قطع مادته، فبادره بالحملة، وانتهز منه الفرصة، واردع بالتكبير غيره، وشرّد به مَنْ خلفه.

فقال ابن عباس: يا بن النابغة ضلّ والله عقلك، وسفه حُلمك، ونطق الشيطان على لسانك، هلاًّ تولّيت ذلك بنفسك يوم صفين، حين دعيت نزال، وتكافح الأبطال، وكثرت الجراح، وتقصّفت الرماح، وبرزت إلى أمير المؤمنين مصاولاً، فانكفاً نحوك بالسيف حاملاً، فلمّا رأيت الكواثر من الموت، أعددت حيلة السلامة قبل لقائه، والانكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة حورتك، وكشفت له خوف بأسه سواتك، حذراً أن يصطلمك بسطوته، أو يلتهمك بحملته، ثمّ أشرت على معاوية كالتناصح له بمبارزته، وحسّنت له التعرّض لمكافحته، رجاء أن تكتفي مؤنته، وتعدم صورته، فعلم غلّ صدرك وما انحنت عليه من النفاق أضلعك، وعرف مقرّ سهمك في غرضك، فاكفف غرب لسانك، واقمع عوراء لفظك، فإنك لمن أسدّ خادر، وبحر زاخر، ان تبرّزت للأسد افترسك، وإن غمت في البحر قمسك.

فقال مروان بن الحكم: يا بن عباس إنك لتصرف بنايك، وتوري نارك، كأنك ترجو الغلبة، وتؤمل العافية، ولولا حلم أمير المؤمنين عنكم لتناولكم بأقصر أنامله، فأوردكم منهلاً بعيداً صدره، ولعمري لئن سطا بكم ليأخذن بعض حقه منكم، ولئن عفا عنكم جرائركم فقديمأ ما نسب إلى ذلك.

فقال ابن عباس: وإنك لتقول يا عدو الله وطريد رسول الله، والمباح دمه، والداخل بين عثمان ورعيته بما حملهم على قطع أوداجه، وركوب أثابجه، أما والله لو طلب معاوية ثاره لأخذك به، ولو نظر في أمر عثمان لوجدك أوله

وآخره، وأما قولك لي: إنك لتصرف بناتك وتوري نارك، فسل معاوية وعمرواً يخبراك ليلة الهرير كيف ثباتنا للمثلات، واستخفافنا بالمعضلات، وصدق جلادنا عند المصاولة، وصبرنا على اللأواء والمطاولة، ومصافحتنا بجهاننا السيوف المرهفة، ومباشرتنا بنحورنا حدّ الأسنّة. هل خمننا عن كرائم تلك المواقف؟ أم لم نبذل مهجنا للمتالف؟ وليس لك إذ ذاك فيها مقام محمود، ولا يوم مشهود، ولا أثر معدود، وإنهما شهدا ما لو شهدت لأقلقك، فأربع على ظلمك، ولا تتعرض لما ليس لك، فإنك كالمغروز في صند، لا يهبط برجل ولا يرقى بيد.

فقال زياد: يا بن عباس إني لأعلم ما منع حسناً وحسيناً من الوفود معك على أمير المؤمنين، إلا ما سولت لهما أنفسهما وغرهما به من هو عند البأساء يسلمهما، وأيم الله لو وليتهما لأدأبا في الرحلة إلى أمير المؤمنين أنفسهما، ولقل بمكانهما ليشهما.

فقال ابن عباس: إذن والله يقصر دونهما باعك، ويضيق بهما ذراعك، ولو رمت ذلك لوجدت من دونهما فئة صدقاً صبراً على البلاء، لا يخيمون عن اللقاء، فلعر كوك بكلاكلمهم، ووطنوك بمناسمهم، وأوجررك مشق رماحهم، وشفار سيوفهم، ووخز أستهم، حتى تشهد بسوء ما أتيت، وتبين ضياع الحزم فيما جنيت، فحذار من سوء النية، فإنها ترد الأمنية، وتكون سبباً لفساد هذين الحيين بعد صلاحهما، وسعياً في اختلافهما بعد إئتلافهما، حيث لا يضرهما إبساسك، ولا يغني عنهما إيناسك.

فقال عبد الرحمن بن أم الحكم: لله در ابن ملجم، فقد بلغ الأمل، وأمن الوجل، وأحد الشفرة، وألان المهرة، وأدرك الثار، ونفى العار، وفاز بالمتزلة العليا، ورقى الدرجة القصوى.

فقال ابن عباس: أما والله لقد كرع كأس حنفة بيده، وعجل الله إلى النار بروحه، ولو أبدى لأمير المؤمنين صفحته، لخالطه الفحل القطم والسيف الخدم، ولألحقه صابا وسقاء سماما، وألحقه بالوليد وعتبة وحنظلة، فكلمهم كان أشد منه شكيمة، وأمضى عزيمة، ففرى السيف هامهم، ورملمهم بدمائهم، وقرى الذئاب أشلاءهم، وفرق بينهم وبين أحبائهم أولئك حسب جهنم هم لها واردون ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾<sup>(١)</sup> ولا غرو أن ختل، ولا وصمة أن قتل، فإننا لكما قال دريد بن الصمة:

فإننا للحم السيف غير مكره      ونلحمه طورا وليس بلدي نكر  
بغار علينا واترين قيشضى      بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

فقال المغيرة بن شعبة: أما والله لقد أشرت على علي بالنصيحة، فأثر رأيه، ومضى على غلوانه، فكانت العاقبة عليه لاله، وإنني لأحسب أن خلفه يقتدون بمنهجه.

فقال ابن عباس: كان والله أمير المؤمنين عليه السلام أعلم بوجوه الرأي ومعاقد الحزم وتصريف الأمور، من أن يقبل مشورتك فيما نهى الله عنه، وعنف عليه، قال سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحِهِ مِنَّمَا وَبَدَّخِلَهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْمُقْلِحُونَ<sup>(١)</sup> ولقد وقفك على ذكر ميين وآية متلوة ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا﴾<sup>(٢)</sup> وهل كان يسوغ له أن يحكم في دماء المسلمين وفيء المؤمنين من ليس بماعون عنده، ولا بموثوق به في نفسه، هيئات هيئات، هو أعلم بفرض الله وسنة رسوله، أن يعطن خلاف ما يظهر إلا للتقية، ولات حين تقية، مع وضوح الحق، وثبوت الجتان، وكثرة الأنصار، يمضي كالسيف المصلت في أمر الله، مؤثراً لطاعة ربه والتقوى على آراء أهل الدنيا.

فقال يزيد: يا بن عباس إنك لتتلق بلسان طلق، تنبئ عن مكنون قلب حرق، فاطو ما أنت عليه كشحا، فقد محا ضوء حقنا ظلمة باطلكم.

فقال ابن عباس: مهلاً يزيد، فوالله ما صفت القلوب لكم منذ تكذرت بالعداوة عليكم، ولا دنت بالمحبة لكم مذ نأت بالهغضاء عنكم، ولا رضيت اليوم منكم ما سخطت بالأمس من أفعالكم، وإن تدل الأيام نستقضي ما شدنا، ونسترجع ما اهترنا، كيلاً بكيل ووزناً بوزن، وإن تكن الأخرى فكفى بالله ولياً لنا ووكيلاً على المعتدين علينا.

فقال معاوية: إن في نفسي منكم لحزازات يا بني هاشم، وإني لخليق أن أدرك فيكم الثأر، وأنفي العار، فإن دماءنا قبلكم، وظلامتنا فيكم.

فقال ابن عباس: إن رمت ذلك يا معاوية لثيرن عليك أمدأ مخذره، وأفاعي مطرقة، لا يفتورها كثرة السلاح، ولا تعضها نكاية الجراح، يضعون أسياهم على عواتقهم، يضربون قداماً قداماً من ناوهم، يهون عليهم نباح الكلاب، وعواء

(١) المجادلة/ ٢٢.

(٢) الكهف/ ٥١.



الذئاب، لا يُفَاتون بوتر، ولا يُسَبِقون إلى كريم ذكر، قد وطنوا على الموت أنفسهم، وسمت بهم إلى العلياء همهم، كما قالت الأزدية:

قوم إذا شهدوا الهياج فلا ضرباً ينهتهم ولا زجر  
وكأنهم أساد غينة قد غرثت وبل متونها القطر

فلتكوننّ منهم بحيث أعددت ليلة الهرير للهرب فرسك، وكان أكبر همك سلامة حشاشتك، ولولا طعام من أهل الشام وقوك بأنفسهم، وبذلوا دونك مهجهم، حتى إذا ذاقوا وخز الشفار وأيقنوا بحطوله الدمار، رفعوا المصاحف مستجيرين بها، وعائذين بعصمتها، لكنك شلوا مطروحاً بالمرء، تسفي عليك رياحها، ويعتورك ذبابها، وما أقول هذا أريد صرفك عن عزيمتك، ولا إزالتك عن معقود تبتك، لكن الرحم أثنى تعطف عليك، والأواصر أثنى توجب صرف النصيحة إليك.

فقال معاوية: لله درك يا بن عباس، ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل ورأي أصيل، وبالله لو لم يلد هاشم غيرك لما نقص عددهم، ولو لم يكن لأهلك سواك لكان الله قد كثّرهم. ثم نهض، فقام ابن عباس وانصرف<sup>(١)</sup>.

فهذه المحاوراة زماناً كانت في سنة ٤٢ أو ٤٣ حيث ورد ذكر زياد فيها وهذا أتى معاوية في سنة ٤٢، كما ورد ذكر عمرو بن العاص فيها وهذا مات ليلة الفطر ٤٣، فالمحاوراة وقعت في تلك الفترة ما بين ٤٢ و٤٣، ومكانها في الشام، ولم يكن ابن عباس قد أتى معاوية بالشام قبل ذلك فيما أحسب، لأن تاريخ الصلح كان في سنة ٤١ كما مرّ، وابن عباس لم يحضر الصلح ولم يجر معه صلح

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٩٨/٦ - ٣٠٣ ط دار إحياء الكتب العربية.

ولا معه أمان من معاوية كما مر في كتاب معاوية إليه وهو بالبصرة، ولم يذكر أنه بعد مغادرته لها في سنة ٤١ أتي الشام، فلا أستبعد أن تكون المحاورة المذكورة هي الأولى في لقاءاته مع معاوية، وفي صدرها ما يشير إلى ذلك حيث قال معاوية لجلسائه: «أنه قد طال العهد بعبد الله بن عباس وما كان شجر بيتنا وبينه وبين ابن عمه...».

وفي رواية عند ابن عساکر في ترجمة ابن عباس ورواها عنه ابن كثير عن ابن عباس قال: «دخلت على معاوية حين كان الصلح وهو أول ما التقيت أنا وهو، فإذا عنده أناس فقال: مرحباً بابن عباس ما تحاكت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز عليّ بعداً ولا أحب إليّ قريباً (منك) الحمد لله الذي أمات عليّاً، قلت له: ان الله لا يغلب (يدم) في قضائه، وغير هذا الحديث أحسن منه. قال ما هو؟ قلت له: أحب أن تعفيني من ذكر ابن عمي وأعفيك من ذكر ابن عمك. قال: ذلك لك»<sup>(١)</sup>.

وفي لفظ البلاذري قال معاوية: «ما حالت الفتنة بيني وبين أحد كان أعز عليّ فقدماً وأحب إليّ قريباً منك، فالحمد لله الذي قتل عليّاً. فقال ابن عباس: أو غير هذا، تدع لي ابن عمي وأدع لك ابن عمك. قال: ذلك لك.

ثم قال: أخبرني عن أبي سفيان؟ قال اللهم أنه تجر فأريح، وأسلم فأفزع، وكان رأس الشرك حتى انقضى. فقال: يا بن عباس في علمك ما تسرّ به جليسك، ولولا أن أقارضك الثناء لأخبرتك عن نفسك»<sup>(٢)</sup>.

(١) البداية والنهاية ٣٠١/٨ ط السعادة.

(٢) أنساب الأشراف ١٣٠/٤ تح احسان صيام.

فظهر ممّا مرّ في رواية ابن عساكر أنّه أوّل لقاء كان بين ابن عباس ومعاوية هو الذي جرى فيه ذكر معاوية للإمام وحمده الله على قتله، وهذا ما أثار في ابن عباس الحمية فقال له ما مرّ، وفي الخبر أنّه دخل عليه وعنده أناس، فمن هم أولئك الأناص غير جلساته وخططاته، وهم الذين مرّ ذكرهم في المحاوراة السابقة. يبقى الكلام حول فصول المحاوراة مع شخصها إلى الحلقة الثالثة إن شاء الله، إلاّ أنّنا ننّه القارئ إلى أنّ ابن عباس كان حقّاراً لمعاوية وجريئاً عليه كما يقول بعض الرواة عنه في صدر محاوراة رواها ابن عبد ربه في العقد الفريد والحلوّاني في نزهة السامع وهي طويلة تركها إلى الحلقة الثالثة، ونذكر ما هو أخصر منها وفيه من الجرأة على معاوية ما بلغ حتى التهديد.

فقد روى ابن عبد ربه في العقد الفريد<sup>(١)</sup> والجاحظ في أمل الأمل<sup>(٢)</sup> والابشيهي في المستظرف<sup>(٣)</sup> والحموي في ثمرات الأوراق<sup>(٤)</sup> وأنساب الأشراف للبلاذري<sup>(٥)</sup>.

قال أبو عثمان الحرامي: «اجتمعت بنو هاشم عند معاوية فأقبل عليهم فقال: يا بني هاشم والله إنّ خيري لكم لمنوح، وإنّ بابي لكم لمفتوح، فلا يقطع خيري عنكم علة، ولا يوصد بابي دونكم مسألة، ولما نظرت في أمري وأمركم، رأيت أمراً مختلفاً، إنكم لترون أنّكم أحقّ بما في يدي مني، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم، قلتّم أعطانا دون حقنا، وقصّر بنا عن قدرنا،

(١) العقد الفريد ٣١٧/٢ ط الأولى ٩/٤ تح أحمد امين ورفيقه.

(٢) أمل الأمل ٢٨ - ٢٩ تح رمضان هشن ط دار الكتاب الجديد بيروت سنة ١٣٨٧.

(٣) المستظرف ٥٨/١.

(٤) ثمرات الأوراق بهامش المستظرف ١٣٥/١.

(٥) أنساب الأشراف ١١١/٤ ق ١١٣ - ١١٤.

فصرت كالمسلوب، والمسلوب لا حمد له، وهذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم.

قال: فأقبل عليه ابن عباس فقال: والله ما منحتنا شيئاً حتى سألتناه، ولا فتحت لنا باباً حتى قرعناه، ولئن قطعت عنا خيرك، الله أوسع منك، ولئن أغلقت دوننا بابك، لنكفن أنفسنا عنك.

وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين، ولنا في كتاب الله حقان: حق في الغنيمة، وحق في الفياء، فالغنيمة ما غلبنا عليه، والفياء ما احتيناه، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر، يحمله خف ولا حافر. أكفك أم أزيدك؟

قال: كفاني فإنك لا تفر ولا تشج. (وفي لفظ البلاذري: فإنك تكوي ولا تفوي).

فقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب:

ألا أبلغ معاوية بن صخر	فإن المرء يعلم ما يقول
لنا حقان حق الخمس وافٍ	وحق الفياء جاء به الرسول
فكل عطية وصلت إلينا	وإن سحبت لخدعتها الذبول
ففي حكم القران لنا مزيد	على ما كان لا قال وقيل
أناخذ حقنا وتريد حمدا	له هذاك تأباه العقول
فقال له ابن عباس مجيباً	فلم يدر ابن هند ما يقول
فلا تهج ابن عباس مجيباً	فإن جوابه جدع أصيل

وفي أخبار الدولة العباسية تفاوت سير في المحاوره والشعر<sup>(١)</sup>.

ومن هذه المحاوره يعرف القارئ رأي ابن عباس وسائر بني هاشم بما فيهم الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام في مسألة الأموال التي كان يبعث بها معاوية إليهم أو يفدون عليه لأخذها، إنما هي من حقوقهم المفروضة كما بينه ابن عباس، بل هي دون ما يستحقونه لكن معاوية يريد التطول والمنة إلا أن ابن عباس أسكت نامته، وأبطل حجته، حتى استكفاه معاوية واعترف له بأنه يكوي ولا يفوي.

وكان معاوية يوصي أصحابه باجتباب محاوره رجلين الحسن بن عليّ وعبد الله بن عباس لقوة بدهاتهما<sup>(٢)</sup>.

إلا أن ابن العاص فيما يبدو لم يلتزم بوصية صاحبه، فقد روى البلاذري: «أن عمرو بن العاص قال لعبد الله بن عباس: يا بني هاشم أما والله لقد تقلدتم من دم عثمان كفرم الإمام العوارك، وأطعمتم فساق أهل العراق في عيبه، وأجزرتموه مراقي أهل مصر، وآويتم قتله، وإنما نظر الناس إلى قريش ونظرت قريش إلى بني عبد مناف، ونظر بنو عبد مناف إلى بني هاشم.

فقال ابن عباس لمعاوية: ما تكلم عمرو الا عن رأيك، وإن أحق الناس أن لا يتكلم في قتل عثمان لأنتما. أما أنت يا معاوية فزيتت له ما صنع، حتى إذا حُصر طلب نصرك، فأبطأت عنه وتناقلت، وأحببت قتله، وترهّصت لتتال ما نلت. وأما أنت يا عمرو فأضرمت المدينة عليه ناراً، ثم هربت إلى فلسطين، فأقبلت تحرض عليه الوارد والصادر، فلما بلغك قتله دعيتك عداوة عليّ إلى أن لحقت بمعاوية، فبعث دينك منه بمصر.

(١) راجع أخبار الدولة العباسية / ٥٤ - ٥٦.

(٢) انظر الأعلام للزركلي سنة ٣٣٠.

فقال معاوية: حسبك يرحمك الله، عرضني لك ونفسي فلا جزى خيراً<sup>(١)</sup>.  
وسياتي في الحلقة الثالثة مزيداً مما جرى بين ابن عباس وابن العاص في  
الحجاز وفي الشام، غير أننا نذكر الآن ما رواه عبد الملك بن مروان:  
(قال: كنا عند معاوية ذات يوم وقد اجتمع عنده جماعة من قريش، وفيهم  
عدة من بني هاشم:

فقال معاوية: يا بني هاشم بم تفخرون علينا؟ أليس الأب والأم واحداً؟  
والدار والمولد واحداً؟

فقال ابن عباس: نفخر عليكم بما أصبحت تفخر به على سائر قريش،  
وتفخر به قريش على الأنصار، وتفخر به الأنصار على سائر العرب، وتفخر  
به العرب على العجم، برسول الله ﷺ، وبما لا تستطيع له إنكاراً ولا منه فراراً.  
فقال معاوية: يا بن عباس لقد أعطيت لساناً ذلقاً تكاد تغلب بباطلك حقّ  
سواك.

فقال ابن عباس: فان الباطل لا يغلب الحقّ، ودع عنك الحسد، فلبس  
الشعار.

فقال معاوية: صدقت، أما والله إنّي لأحبك لخصال أربع مع مغفرتي لك  
خصالاً أربعاً، فأما ما أحبك: فلقرابتك من رسول الله. وأما الثانية: فأنك رجل من  
أسرتي وأهل بيتي ومن مصاصي عبد مناف. وأما الثالثة: فإنّ أبي كان خلاً لأبيك،  
وأما الرابعة: فإنك لسان قريش وزعيمها وقيها.

(١) انساب الأشراف ١ ق ٩٤/٤ تح احسان عباس، تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٣٣٨ سير اعلام  
النبلاء للذهبي ٣/٤٩.

وأما الأربع التي غفرت لك: فعدوك عليّ بصفين فيمن عدان، وإساءتك في خذل عثمان فيمن أساء، وسعيك على عائشة أم المؤمنين فيمن سعى، ونفيك عني زياداً فيمن نفى. فضربت أنف هذا الأمر وعينه حتى استخرجت عذرك من كتاب الله ﷺ وقول الشعراء.

أما ما وافق كتاب الله ﷺ فقوله ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾<sup>(١)</sup>

وأما ما قالت الشعراء فقول أخي بني دينار.

ولست بمستبِقِ أخاً لا تلمّه      على شعث أيّ الرجال المهذّب

فاعلم أنّي قبلت فيك الأربع الأولى، وغفرت لك الأربع الأخرى، وكنت في ذلك كما قال الأول:

سأقبل ممن قد أحبّ جميعه      واغفر ما قد كان من غير ذالك

ثمّ أنصت.

فتكلم ابن عباس فقال بعد حمد الله والثناء عليه. أما ما ذكرت أنّك تحبني لقرايتي من رسول الله ﷺ فذلك الواجب عليك وعلى كلّ مسلم آمن بالله ورسوله، لأنّه الأجر الذي سألكم رسول الله ﷺ على ما أتاكم به من الضياء والبرهان المبين، فقال ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup> فمن لم يجب رسول الله ﷺ إلى ما سأله خاب وخزي وكبا في جهنم.

وأما ما ذكرت أنّي رجل من أسرتك وأهل بيتك فذلك كذلك، وإنّما أردت به صلة الرحم، ولعمري إنّك اليوم ووصول مع ما قد كان منك فيما لا تثرِبُ عليك فيه اليوم.

(١) التوبة / ١٠٢.

(٢) الشورى / ٢٤.

وأما قولك إن أبي كان خلاً لأبيك فقد كان ذلك كذلك، وقد علمت ما كان من أبي إليه يوم فتح مكة، وكان شاكراً كريماً، وقد سبق فيه قول الأول:

سأحفظ من آخى أبي في حياته      وأحفظه من بعده في الأقارب  
ولست لمن لا يحفظ العهد واقماً      ولا هو عند الثنابات بصاحبي

وأما ما ذكرت أني لسان قريش وزعيمها وقييها، فإني لم أعط من ذلك شيئاً إلا وقد أوتيته، غير أنك قد آيت بشرفك وكرمك إلا أن تفضلني وقد سبق في ذلك قول الأول:

وكلّ كريم للكرام مفضلٌ      يراه له أهلاً وإن كان فاضلاً

وأما ما ذكرت من عدوي عليك بصفين فوالله لو لم أفعل ذلك لكنت من شر الأم العالمين. أكانت نفسك تحدثك يا معاوية إنني كنت أخذل سيدي وابن عمي أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقد حشد له المهاجرون والأنصار والمصطفون الاخير؟ ولم يا معاوية أشكاً في ديني؟ أم جبناً؟ أم حيرة في سجيّتي؟ أم ضناً بنفسي؟ والله إن لو فعلت ذلك لاختبأته فيّ وعاتبني عليه.

وأما ما ذكرت من خذلان عثمان، فقد خذله من كان أمس رحماً به مني، وأبعد رجاء مني، ولي فيه الأقربين والأبعدين أسوة، وإني لم أعد عليه فيمن عدا، بل كفت عنه كما كف أهل المروءات والحجى.



وأما ما ذكرت من محبي علي عائشة، فإن الله تبارك وتعالى أمرها أن تقرّ في بيتها وتحتجب في سترها، فلمّا عصت ربّها، كشفت جلباب الحياء، وخالفت نبيّها ﷺ، وسعنا ما كان منّا إليها.

وأما ما ذكرت من نفيي زياداً فإنني لم أنفه بل نفاه رسول الله ﷺ إذ قال: (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وإنّي من بعد هذا لأحب ما يراك في جميع أمورك<sup>(١)</sup>.

أقول: إلى هنا أخرج المحاورة صاحب كتاب مختصر تاريخ الخلفاء وقال: «وإنّما أوردنا هذه الحكاية على وجهها، لأنّ فيها مسائل يقع الشك فيها لكل من تأملها ويشتهي المخرج منها، والمظنون أن من جعل عبد الله ابن العباس قدوة في ذلك، مع علمه وحلمه وقرباه برسول الله ﷺ وكونه في الفتن واختياره لنفسه، وسار بسيرته وحكم يمثل حكمه كان من الفايزين... اهـ»<sup>(٢)</sup>.

ونعود إلى بقية المحاورة برواية الشيخ ابن بابويه الصدوق وقد رواها في كتابه الخصال فقال: «فتكلم عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين والله ما أحبّك ساعة قط، غير أنه قد أعطني لساناً ذرباً بقلبه كيف شاء، وإن مثلك ومثله كما قال الأوّل (وذكر بيت شعر).

فقال ابن عباس: إن عمراً داخل بين العظم واللحم، والعصا واللحاء، وقد تكلم فليستمع فقد وافق قرنا. أما والله يا عمرو إنني لأبغضك في الله وما اعتذر منه، إنك قمت خطيباً فقلت: إنا شاني محمّد، فأنزل الله ﷻ ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾<sup>(٣)</sup>

(١) أنساب الأشراف ١ ق/٤٤/٤٤ تح احسان عباس.

(٢) مختصر تاريخ الخلفاء ط موسكو سنة ١٩٦٧ من ورقة ٢٤٠ ب إلى ورقة ٢٤١ ب.

(٣) الكوثر / ٣.

فأنت أهر الدين والدنيا، وأنت شاني محمد في الجاهلية والإسلام، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾<sup>(١)</sup> وقد حاددت الله ورسوله قديماً وحديثاً، ولقد جهدت على رسول الله جهدك، وأجبت عليه بخيلك ورجلك، حتى إذا غلبك الله على أمرك، وردّ كيدك في نحرِك، وأوهن قوتك، وأكذب أحدوثك، نزعته وأنت حسير، ثم كدت بجهدك لعداوة أهل بيت نبيّه من بعده، ليس بك في ذلك حباً معاوية ولا آل معاوية إلا العداوة لله ﷻ ورسوله، مع بغضك وحسدك القديم لأبناء عبد مناف، ومثلك في ذلك كما قال الأول:

تعرض لي عمرو وعمرو خزاية      تعرض ضبع القفر للأسد الورد

فما هو لي نداء فاشتتم عرضه      ولا هو لي عبد فأبطش بالعبد

فتكلم عمرو بن العاص فقطع عليه معاوية وقال: أما والله يا عمرو ما أنت من رجاله، فإن شئت فقل، وإن شئت فذع، فاغتمها عمرو وسكت.

فقال ابن عباس: دعه يا معاوية فولله لأسمه بميسم يبقى عليه عاره وشاره إلى يوم القيامة، تتحدث به الإماء والعييد، ويتغنى به في المجالس ويتحدث به في المحافل.

ثم قال ابن عباس: يا عمرو ما تبدأ في الكلام، فمئة معاوية يده فوضعها على في ابن عباس وقال له: أقسمت عليك يا بن عباس إلا أمسكت، وكره أن يسمع أهل الشام ما يقول ابن عباس، وكان آخر كلامه، إخساً أيها العبد وأنت مذموم، واقتروا<sup>(٢)</sup>.

(١) المجادلة / ٢٢.

(٢) الخصال / ٩٩/١ - ١٠١ بتقديمي ط الحيدرية.

إِنَّكَ لَا تَنْشَاءُ أَنْ تَغْلِبَ إِلَّا غَلِبْتَ:

ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد<sup>(١)</sup> والنويري في نهاية الإرب<sup>(٢)</sup>: ((إن عبد الله بن عباس قدم على معاوية وعنده زياد، فرحّب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه، ووسّع إلى جنبه، وأقبل عليه يسأله ويحادثه وزياد ساكت ولم يكلمه شيئاً. فابتدأ ابن عباس وقال له: ما لك أبا المغيرة كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة؟ قال: لا، ولكن لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين، فقال له ابن عباس: ما أدركت الناس الا وهم يسلمون على إخوانهم، ما ترك الناس التحية بينهم وبين يدي أمرائهم. فقال له معاوية: كفّ عنه يا بن عباس فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت)).

ولا شك أن هذا الموقف الجاف من زياد الذي أثار ابن عباس فقال له ما قال، قد ترك في نفسه حقداً صار معه يتحجّن الفرصة بالإيقاع بابن عباس، وقد مرّت بنا في أوائل حديثنا عن وفادة ابن عباس إلى الشام ولعلها الأولى كانت، وقد جرى فيها حوار ساخن دار بين معاوية وجلسائه بمن فيهم زياد وبين ابن عباس، وكانت الغلبة له حتى قال له معاوية: لله درك يا بن عباس ما تكشف الأيام منك إلا عن سيف صقيل ورأي أصيل...

كما مرّ بنا أن ابن عباس كان معلنأً بنفي زياد - فيما يبدو من كلام معاوية معه في ذلك، وردّ ابن عباس عليه - ولجميع ذلك تراكمات في نفس زياد، وكلما كانت مواقف ابن عباس مع معاوية أشدّ كلما حاول زياداً أن ينفذ من خلالها بحجة الإنتقام لمعاوية، لكن معاوية كان أهدم نظراً من زياد في ذلك، فقد

(١) العقد الفريد ١٩/١ و ٤٥٩/٢ تح. أحمد أمين ورفيقه.

(٢) نهاية الإرب ١٤/٦.

ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد قال: «وفي كتاب زياد إلى معاوية يخبره بطعن عبد الله بن عباس في خلافته»، وكرر ذكره في مكان آخر<sup>(١)</sup> وأنه كتب إليه: «إن عبد الله بن عباس يفسد الناس عليّ، فإن أذنت لي أن أتوعده فعلتُ.

فكتب إليه: إن أبا الفضل وأبا سفيان كانا في الجاهلية في مسلّاح واحد وذلك حلفاً لا يحلّه سوء رأيك (أدبك))<sup>(٢)</sup>.

أقول: إن من معاني المسلّاح: الإهاب، وهو الجلد، والثوب، ومنه سلّخت المرأة ثوبها نزعته، ومن المجاز: فلان حمار في مسلّاح إنسان، وفي حديث عائشة ما رأيت امرأة أحبّ إليّ أن أكون في مسلّاحها من سودة، وتمنت أن تكون في هيتها وطريقتها، ورجل سليخ مليخ شديد الجماع ولا يلقح<sup>(٣)</sup>.

فيا هل ترى أن معاوية أشار على استحياء، ومن طرف خفي إلى أن العباس وأبا سفيان كانا في الجاهلية في مسلّاح واحد، يعني بذلك كناية عن إتيانهما معاً إلى هند أمه؟ والذي يقرب إلينا هذا المعنى الكنائي - وربّ كناية أبلغ من تصريح - ما صرح به لابنه يزيد حين جرى بينه وبين إسحاق بن طابة بن عبيد كلام بين يدي معاوية وهو خليفة فقال يزيد لإسحاق: إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة - أشار يزيد إلى أن أم إسحاق كانت تتهم ببعض بني حرب - فغالبه إسحاق: إن خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة، فلم يفهم يزيد قوله وفهم معاوية، فلما قام إسحاق قال معاوية ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق قال: وهو كذلك أيضاً، قال:

(١) العقد الفريد ١١/٥.

(٢) نفس المصدر ٢٠٦/٤.

(٣) تاج العروس ٢٦٢/٢ سلخ.

وكيف؟ قال: أما علمت ان بعض قريش في الجاهلية يزعمون أنني للعباس، فسقط في يدي يزيد<sup>(١)</sup>.

ومما يؤكد هذا المعنى حديث بيعة النساء يوم فتح مكة ومنهن هند أم معاوية، فقال النبي ﷺ مشروطاً عليهن شرائط الإسلام: (وان لا تزينن) فقالت هند: ((وهل تزني الحرّة)) فنظر إلى عمه العباس وتيسم<sup>(٢)</sup>.

وذكر الزمخشري: ((ان معاوية كان يعزى إلى أربعة: مسافر بن عمرو وعمارة بن الوليد والعباس بن عبد المطلب والصبح مغزٍ أسود كان لعمارة))<sup>(٣)</sup>.  
إننا كتبنا في الآفاق:

لقد مرّت بنا في أولى محاوراته في الحرمين قول معاوية له: ((إننا قد كتبنا في الآفاق نهى عن ذكر مناقب عليّ وأهل بيته، فكفّ لسانك يا بن عباس واربع على نفسك)). فأجابه ابن عباس وحاوره حتى خصمه وانتهت المحاورّة يقول معاوية وقد بان عليه الفشل والخجل أمام جموع المسلمين الذين كانوا يستمعون إلى النقض والإبرام، بين المتحاورين في المسجد الحرام فقال: يا بن عباس اكفني نفسك، وكفّ عني لسانك، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً ولا يسمعه أحد منك علانية. ثمّ تقول الرواية فرجع معاوية إلى منزله فبعث إليه بخمسين ألف درهم، وثمة روايات زاد فيها الرقم إلى مائة ومائتين. وليس معرفة الرقم الصحيح بلذي بال. إنّما المهم أن نعرف موقف ابن عباس بعد هذه المحاورّة هل استجاب لطلب معاوية فلم يتحدّث إلى الناس بفضائل الإمام أمير

(١) المثالب للكلبي نسخة المرحوم الشيخ السماوي بخطه.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية لابن الملقطلي / ١٠٤ ط صادر.

(٣) ربيع الأبرار ٥٥١/٣ باب القرابات والأنساب.

المؤمنين عليهم السلام؟ وهل كان للمال تأثيره في تغيير المواقف؟ مع أن الجواب عن مسألة أخذ ابن عباس للمال قد تبين مما مرّ في محاورته التي لخصها الفضل بن العباس اللهبي في آياته فراجع. لكن يبقى الجواب عن مدى استجابة ابن عباس لطلب معاوية في عدم ذكره مناقب علي عليه السلام وأهل بيته. تحت تأثير الترغيب بالمال أو الترهيب بالقوة فنقول: من خلال متابعتي لمواقف ابن عباس مع أعداء الإمام تبين لي أنه كان ابن جلاها وطلاع ثناياها في تحدي السلطة وإعلان معارضته، عن طريق التحدث بفضائل الإمام عليه السلام وكلّ تلك المواقف تنتهي بفوزه على خصومه، وجملة منها كانت في أيام حكم معاوية، فهو لم تلتن له قناة، ولم تفرغ له صفاة، بل كان مشجاً يسيل غرباً، وإذا أردت عرض جميع ما وقفنا عليه فاحتاج إلى وقت طويل يعيقنا عن متابعة تاريخه ونحن بهذا السبيل، إلا أنني أعرض بعض نماذج فيها تحدّ تسافر لبيان السلطة وصاحبها، ولم أقف على مورد واحد فيه عقاب أو عتاب جويه به، وهذا يعني أن ابن عباس في هذا الميدان كان أقوى من سلطة معاوية، وسلاحه فيه أمضٍ وأمضى.

فإلى نماذج من مروياته ومواقفه في هذا الباب:

١- تسعة رهط يفسدون في الأرض:

قد روى هذه الواقعة أحمد في مسنده، والنسائي في الخصائص، والحاكم في المستدرک، والذهبي في تلخيصه وآخرون تيفوا على العشرة كما سيأتي ذكرهم وموارد رواياتهم في مصادرهم جميعاً في الحلقة الثالثة إن شاء الله تعالى. أما الآن فإلى الحديث برواية عمرو بن ميمون قال: «إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط. فقالوا: يا بن عباس إما أن تقوم معنا وإما أن يخلونا هؤلاء؟ - وأشاروا إلى جلسائه - فقال ابن عباس: بل أقوم معكم - وهو يومئذ

صحيح قبل أن يذهب بصره - فانتبذوا وابتدأوا فتحدثوا فلا ندري ما قالوا. قال عمرو: فجاء ابن عباس، وهو ينفض ثوبه وهو يقول: أفّ وتفّ، وقعوا في رجل له بضعة عشرة فضيلة ليست لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له رسول الله ﷺ: لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يخزيه الله أبداً. قال: فاستشرف لها من استشرف فقال: أين ابن أبي طالب؟ قالوا هو في الرحى يطحن، قال: وما كان أحدكم ليطحن، فدعاه وهو أرمداً لا يكاد يبصر، فنفت في عينيه وهز الراية ثلاثاً ثم دفعها إليه. فجاء بصفية بنت حي.

وربعث أبا بكر بسورة التوبة، وأرسل علياً خلفه فأخذها منه، فقال أبو بكر للنبي: أنزل في شيء؟ فقال: لا ولكن لا يذهب بها رجل إلا مني وأنا منه.

وقال لبني عمه أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال: وعليّ معهم جالس - فقال عليّ: أنا أواليك في الدنيا والآخرة فقال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وجمع رسول الله ﷺ فاطمة وعلياً وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وقال: (أَنَا يُرِيدُ اللَّهُ يُذِيبُ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١).

وكان - عليّ - أول من آمن (أسلم) من الناس بعد خديجة.

وشرى عليّ نفسه، فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، فجعل المشركون يرمونه كما كانوا يرمون رسول الله ﷺ وهو على فراش النبي ﷺ فجعل يتضور، وجعلوا يستكرون ذلك، فجاء أبو بكر وعليّ نائم وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، فقال إن نبي الله قد انطلق إلى بئر ميمون فأدركه، فاتبعه ودخل معه الغار، وبات عليّ يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله ﷺ وهو يتضور، وقد لفّ

رأسه بالثوب لا يخرج حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك للثيم، كان صاحبك نرميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استكرنا ذلك.

قال ابن عباس: وخرج رسول الله ﷺ بالناس في غزوة تبوك فقال له علي: أخرج معك؟ فقال ﷺ: لا، فبكى علي فقال له: أما ترضى بأن تكون مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنك لست بنبي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي. قال: وقال له رسول الله ﷺ: أنت وليي في كل مؤمن بعدي.

قال ابن عباس: وسد رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره.

قال: وأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فإن مولاه علي، وقال: من كنت وليه فعلي وليه. وقال: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

قال: وأخبرنا الله ﷻ في القرآن أنه قد رضي عن أصحاب الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، هل حدثنا أحد أنه سخط عليهم بعد، قال: وقال نبي الله ﷺ لعمر حين قال: إئذني لي فلاضرب عنقه، قال: أو كنت فاعلاً؟ وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم<sup>(١)</sup>.

وسياتي إن شاء الله في الحلقة الثالثة تخريج هذه الفضائل من مصادرها والتعليق عليها بما يسر المؤمنين ويكبت المعاندين<sup>(٢)</sup>. غير أننا نود لفت نظر القارئ إلى أدب حبر الأمة مع جلسائه وزواره، فحين طلب التسعة رهط منه إما

(١) مسند أحمد ٣٣١/١ ط مصر الأولى وخصائص النعماني ٥٠/ تح. محمد الكاظم وفي الهامش مجموعة من مصادره.

(٢) راجع نضجات الأزهاري في خلاصة عبقات الأنوار ١٦/١٧٥ - ٢٢٧ حول هذا الحديث ومن أخرجه وما يتعلق به.



القيام معهم أو يخلوهم جلساؤه، فاختار القيام معهم إكراماً لجلسائه، لأنه يرى جليسه أكرم الناس عليه - كما سيأتي كلامه في ذلك في أدبيات حكمه في الحلقة الثالثة - لذلك اختار القيام مع أولئك الرهط، ولما انتبذ معهم مكاناً قصياً وجلسوا ندياً ليؤفّر لهم حرية الكلام، ولكن عناصر الشرّ أسمعوه في الإمام ما أثار حفيظته، فلم يتمالك على نفسه دون أن قام عنهم يتغضض ثوبه مغضباً وهو يقول: (أف وتف). وهما كلمتا تضجر وتأفف، أي قدراً وبعداً عليهم. ولم يحدث جلساءه بما قالوه إلا أنه ذكر أنهم وقعوا في رجل له... وأخذ يعدّد فضائل الإمام كما مرّ، ولم يذكر الرواة لنا عن مصير أولئك النفر بعد سماعهم حديث ابن عباس.

## ٢- أيكم السابّ لله؟

روى ابن المغازلي المالكي في مناقبه<sup>(١)</sup> والخوارزمي الحنفي في مناقبه<sup>(٢)</sup> وابن طلحة الشافعي في مطالب السؤل<sup>(٣)</sup> وغيرهم وقد تيفوا على العشرين كما سيأتي بيانهم في الحلقة الثالثة إن شاء الله تعالى.

وإليكم الحديث بلفظ الخوارزمي الحنفي: «عن سعيد بن جبير قال: بلغ ابن عباس أن قوماً يقعون في عليّ عليه السلام فقال لابنه عليّ بن عبد الله: خذ بيدي فاذهب بي إليهم، فأخذه ولده بيده حتى انتهى إليهم فقال: أيكم السابّ لله؟ فقالوا: سبحان الله من سبّ لله فقد أشرك.

فقال: أيكم السابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟

(١) مناقب ابن المغازلي / ٣٩٤.

(٢) مناقب الخوارزمي / ٨١.

(٣) مطالب السؤل / ١٠٥.

فقالوا: سبحان الله من سبَّ رسول الله فقد كفر.

فقال: أيكم السابُّ لعليّ بن أبي طالب؟

فقالوا: قد كان ذلك.

فقال لهم: فاشهدوا لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب علياً فقد

سبني، ومن سبني فقد سبَّ الله، ومن سبَّ الله فقد أكبه يوم القيامة على وجهه في

النار، ثم ولى عنهم فقال لابنه: كيف رأيتمهم؟ فأنشأ يقول:

نظروا إليك بأعين محمّرة      نظر التيوس إلى شفار الجازر

قال: زدني فداك أبوك يا بني، فأنشأ يقول:

خزر الحواجب ناكسوا أذقانهم      نظر الدليل إلى العزيز القاهر

قال: زدني فداك أبوك، قال: ما أجد مزيداً قال: لكني أجد:

أحياؤهم عار على أمواتهم      والميتون فضيحة للغابر)

أقول: يوجد بين مرويات المصادر لهذه الواقعة تفاوت غير قليل، سنأتي

على ذكره في الحلقة الثالثة إن شاء الله، ولعل أهم ما وجدته في بعض المصادر

المتأخرة تعيين هوية نفر الذين كانوا يسبون الإمام وأنهم من بني أمية.

وعندي لا استبعاد في ذلك وإن لم يرد في المصادر التاريخية الأولى، كما

لا استبعاد أيضاً أن يكون أولئك التسعة رهط الذين تقدم حديثهم أيضاً منهم،

والذي لا شك فيه إنهم إن لم يكونوا من بني أمية نسباً فهم منهم ذنباً.

وستأتي بصورة أوسع مما هنا في زيادة الأبيات<sup>(١)</sup>.

(١) نقلاً عن منتخب الطريحي / ١٥٧ - ١٥٨ ط الحيدرية الثالثة سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٩ م.

٣- لقد سبقت لعلي سوابق:

روى العاصمي في زين الفتي<sup>(١)</sup>، وروى فرات بن إبراهيم في تفسيره عن ميمون بن مهران قال: ((كنت مع عبد الله بن عباس في الطواف، فإذا هو بشاب متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم إني أقرأ إليك من علي بن أبي طالب، ومما أحدث في الإسلام.

فقال لي ابن عباس: ادع لي ذلك الشاب. قال: فدعوته إليه، فجاء فجلس عن يمين ابن عباس.

فقال له ابن عباس: من أنت؟ وما أسمك؟ قال: أنا زمعة بن خارجة الخارجي.

قال: فقال له ابن عباس: يا زمعة وما أحدث علي في الإسلام؟ قال: إنّه قتل المسلمين يوم الجمل وصفين.

فقال له ابن عباس: إنك لغيري الرأي مخطول الرأس، إن علي بن أبي طالب شهر سيفه على من خرج على الأمة وقاتل الأئمة، لو لم يكن لعلي إلا أربع خصال كانت له سوابق فوالله لقد سبقت لعلي سوابق لو قسمت واحدة منهم على جميع الخلاق (أهل الأرض) لوسعتهم.

قال الرجل: وما هي يا ابن عباس أعددها علي لأتوب إليك، إخبارني بواحدة منهم.

قال: أما أولاهن أنه كان أول الناس إسلاماً، فإنه صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين وهاجر معه، ولم يعبد صنماً قط، ولم يشرب خمرأ.

قال: يا ابن عباس زدني فإني تائب.

(١) زين الفتي / ٤٣ مخطوطة مكتبة الإمام أمير المؤمنين (ع) العامة.

قال: والثانية: إنه كان يسمع حسن جبرئيل علي محمد ﷺ بالوحي دوننا. والثالثة: لما أراد الله أن يزوج كريمته فاطمة من عليّ أمر الحور العين أن يتزينّ وأمر طوبى أن تشر فتشرد الدرّ مثل القلال، فكنّ يلقطن وهن يتهادين إلى يوم القيامة، ويقلن هذه هدايا فاطمة بنت محمد.

قال: ولما فتح النبي ﷺ مكة دخلها فإذا هو بصنم لخزاعة على الكعبة يُعبد من دون الله، فقال النبي لعليّ: يا عليّ انطلق بنا حتى نكسر صنم بني خزاعة - وكان لبني خزاعة صنم عند الميزاب - فانطلقا فلما انتهيا إليه، فقال عليّ ﷺ للنبي ﷺ أطمئن لك فترقى عليّ، ثم اتحنى عليّ وقال: ارق يا رسول الله، فوضع النبي ﷺ رجله على كتف عليّ فكاد عليّ يتكسر فاستغاث بالنبي ﷺ وقال: ألا تأن يا رسول الله فقد كادت أعضائي يختلف بعضها في بعض، فرفع النبي ﷺ رجله عن كتف عليّ وقال: يا عليّ ذلك ثقل النبوة، لو أن أمتي اطمأنوا لي لم يُعلوني لموضع الوحي، ثم قال: ولكن أطمئن لك فترقى عليّ، فاطمأن له فرقى عليّ وكان طول الكعبة أربعين ذراعاً فقال له النبي ﷺ: يا عليّ هل وصلت؟ قال: يا رسول الله لو أردت أن أمس السماء لمستتها، فأخذ الصنم فضرب به الصفا فصار إرباً إرباً ثم وثب إلى الأرض وهو ضاحك، فقال له ما أضحكك يا عليّ؟ قال: عجبت لسقطتي ولم أجد لها ألماً، قال: وكيف تألم منها، وإنما حملك محمد وأنزلك جبرئيل.

قال: فتاب زمعة الخارجي ووالى علياً ﷺ.

قال محمد بن حرب - أحد رواة الخبر - وزادني فيه إبراهيم بن محمد التميمي عن عبد الله بن داود عنه - ميمون بن مهران - أنه قال: قال عليّ: لقد رفعتني رسول الله يومئذ، ولو شئت أن أنال السماء لنتتها.

قال فقال الرجل لابن عباس زدني فإني تائب.  
قال: أخذ النبي ﷺ بيدي ويد علي بن أبي طالب فأنتهى إلى سفح  
الجبل، فرفع النبي ﷺ يده فقال: اللَّهُمَّ اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد  
به أزرى.

فقال ابن عباس للرجل: ولقد سمعت منادياً ينادي من السماء: لقد أعطيت  
سؤلك يا محمد. قال النبي لعلي: ادع فقال علي ﷺ اللَّهُمَّ اجعل لي عندك عهداً،  
اللَّهُمَّ اجعل لي عندك وداً. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(١)</sup>،<sup>(٢)</sup>

٤- فرجعت عني:

روى البيهقي في المحاسن والمساوي<sup>(٣)</sup>، والقاضي نعمان في كتاب الهمة  
في آداب أتباع الأئمة<sup>(٤)</sup>، وابن شاذان في الفضائل<sup>(٥)</sup>، وابن طاووس في اليقين<sup>(٦)</sup>،  
قالوا:

((كان عبد الله بن عباس بمكة يحدث الناس على شفير زمزم ونحن عنده،  
فلما قضى حديثه قام إليه رجل من الملأ.  
فقال: يا بن عباس إنني امرؤ من أهل الشام. فقال: أهوان كل ظالم إلا من  
عصمهم الله منهم، فسل عما بدا لك.

(١) مريم / ٩٦.

(٢) تفسير هرات / ٩٠.

(٣) المحاسن والمساوي / ٣٠/١.

(٤) الهمة في آداب أتباع الأئمة / ٧٥.

(٥) الفضائل / ١٦٠.

(٦) اليقين / ١٠٦ و ١٢٩.

قال: يا بن عباس إني رجل من أهل حمص إنهم يثبرأون من علي بن أبي طالب ويلعنونه.

فقال ابن عباس: بل لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مهيناً، ابعِدْ قرابته من رسول الله ﷺ؟ أو أنه لم يكن أول ذكران العالمين إيماناً بالله ورسوله، وأول من صلى وزكع وعمل بإعمال البر؟

فقال الشامي: أنهم والله ما ينكرون قرابته وسابقته، غير أنهم يزعمون أنه قتل الناس، وإنما جئتكم لأسألك عن عليّ وقاتله أهل لا إله إلا الله، لم يكفروا بقبله ولا قرآن ولا بحج ولا بصيام رمضان.

فقال ابن عباس: ثكلتك أمك سل عمّا يعنك ولا تسل عمّا لا يعنك.  
فقال: يا بن عباس ما جئت أضرب إليك من حمص لحج ولا لعمرة، ولكني جئتكم لأسألك لتشرح لي من أمر عليّ وقاتله أهل لا إله إلا الله.  
فقال ابن عباس: ثكلتكم أمهاتكم إن علياً أصرف بالله ﷻ ورسوله ويحكمهما منكم، فلم يقتل إلا من استحق.

قال يا بن عباس: إن قومي جمعوا لي نفقة وأنا رسولهم إليك، وأمينهم ولا يسمعك أن تردني بغير حاجتي فإن القوم هالكون في أمره ففرّج عنهم فرّج الله عنك.

فقال ابن عباس: ويحك إن علم العالم صعب ولا يحتمل ولا تقبله القلوب إلا قلب من عصمه الله، ولا تقرّبه قلوب أكثر الناس. يا أخا أهل الشام إنما مثل عليّ في هذه الأمة في فضله وعلمه كمثل موسى والعالم، وذلك إن الله تبارك

وتعالى يقول في كتابه: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال: ﴿وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكان موسى يرى أن جميع الأشياء قد أثبتت له كما ترون أنتم أن علماءكم أثبتوا لكم جميع الأشياء، فلما انتهى موسى إلى ساحل البحر لقي العالم فاستطقه، فأقر له بفضل علمه، ولم يحسده كما حسدتم أئمة علياً في علمه، فقال له موسى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا؟﴾<sup>(٣)</sup> فعلم العالم أن موسى لا يطيق صحبته ولا يصبر على علمه، فقال له العالم: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾<sup>(٤)</sup> وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا؟<sup>(٥)</sup> قال موسى وهو يعتذر: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾<sup>(٦)</sup> فعلم أن موسى لم يصبر على علمه فقال له: ﴿فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَخْبِرَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾<sup>(٧)</sup> فإنا نطلقاً حتى إذا ركبنا في السفينة خرقناها<sup>(٨)</sup> وكان خرقها لله ﷻ رضى ولأهلها صلاحاً. وكان عند موسى السخطُ وسخطاً وفساداً، فلم يصبر ﷻ وترك ما ضمن له فقال: ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾<sup>(٩)</sup> فكف عنه العالم ﴿فَانطَلَقَا﴾

(١) الأعراف / ١٤٤.

(٢) الأعراف / ١٤٥.

(٣) الكهف / ٦٦.

(٤) الكهف / ٦٧ - ٦٨.

(٥) الكهف / ٦٩.

(٦) الكهف / ٧٠ - ٧١.

(٧) الكهف / ٧١.

حَتَّى إِذَا لَيَّيَا غُلَامًا فَتَنَّهُ<sup>(١)</sup> وكان قتله لله ﷻ رضى ولأبويه صلاحاً، وكان عند موسى ﷺ ذنباً عظيماً، قال موسى ولم يصبر: «أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نَكِرًا»<sup>(٢)</sup> قال العالم: «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا»<sup>(٣)</sup> قال: «إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا»<sup>(٤)</sup>، «فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ»<sup>(٥)</sup> وكانت إقامة لله ﷻ رضى وللعالمين صلاحاً، فقال: «لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا»<sup>(٦)</sup>، «قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ»<sup>(٧)</sup>، وكان العالم أعلم بما يأتي من موسى ﷻ وكبر على موسى الحق وعظم إذ لم يكن يعرفه، هذا وهو نبي مرسل من أولى العزم ممن قد أخذ الله ﷻ ميثاقه على النبوة، فكيف أنت يا أخا أهل الشام وأصحابك؟

إن علي بن أبي طالب ﷺ لم يقتل إلا من كان يستحل قتله والله رضى ولأهل الجهالة من الناس سخطاً. إجلس أخبرك الذي سمعته من رسول الله وعابته. أخبرك إن رسول الله ﷺ تزوج زينب بنت جحش فأولم، وكانت في وليمته الحبشة، فكان يدعو عشرة عشرة من المؤمنين فكانوا إذا أصابوا طعام النبي ﷺ استأنسوا لحديثه واشتهوا النظر إلى وجهه، وكان رسول الله ﷺ يشتهي

(١) الكهف / ٧٤.

(٢) الكهف / ٧٤.

(٣) الكهف / ٧٥.

(٤) الكهف / ٧٦.

(٥) الكهف / ٧٧.

(٦) الكهف / ٧٧.

(٧) الكهف / ٧٨.



أن يخفوا عنه فيخلوا له المنزل، لأنه كان حديث عهد بعمرس، وكان محباً لزينب وكان يكره أذى المؤمنين فأنزل الله تبارك وتعالى فيه قرآناً قوله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاءً وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَخِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَخِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾<sup>(١)</sup> الآية، فكانوا إذا أصابوا طعاماً لم يلبثوا أن يخرجوا...

قال: فمكث رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن ثم تحول إلى أم سلمة بنت أبي أمية وكانت ليلتها من رسول الله ﷺ وصبيحة يومها، فلما تعالى النهار انتهى علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الباب يريد الدخول على النبي ﷺ فنقر نقراً خفياً، فعرف رسول الله ﷺ نقره فقال: يا أم سلمة قومي فافتحي الباب، فقالت يا رسول الله من هذا الذي يبلغ خطره أن أفتح له الباب وقد نزل فينا بالأمس حيث يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾<sup>(٢)</sup> من هذا الذي يبلغ من خطره أن استقبله بمحاسني ومعاصمي؟

فقال لها نبي الله ﷺ كهيئة المنضب يا أم سلمة إن طاعتي طاعة الله، الله ﷻ قال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾<sup>(٣)</sup> قومي يا أم سلمة وافتحي له الباب، فإن بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا الترق ولا بالعجل في أمره، يحب الله ورسوله. يا أم سلمة أنه أخذ بعضادتي الباب إن تفتحي له الباب فليس بفاتحه حتى تتواري ولا

(١) الأحزاب / ٥٣.

(٢) الأحزاب / ٥٣.

(٣) النساء / ٨.

داخل البيت حتى يخفى عليه الوطاء ان شاء الله، فقامت أم سلمة وهي لا تدري من الباب غير أنها قد حفظت المدح فمشت نحو الباب وهي تقول: بخ بخ لرجل يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، ففتحت، وأمسك عليّ بعضادتي الباب فلم يزل قائماً حتى غاب عنه الوطاء، ودخلت أم سلمة خدرها ففتح الباب ودخل فسلم عليّ النبيّ فردّ عليه السلام وقال: يا أم سلمة هل تعرفين هذا؟ قالت نعم فهيناً له هذا عليّ بن أبي طالب.

فقال رسول الله ﷺ: نعم صدقت هو عليّ سيط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي، يا أم سلمة إسمعي واشهدي هذا عليّ سيّد مبجل مؤمل المسلمين وأمير المؤمنين، وموضع سري وعيبة علمي، وبابي الذي أوتي منه يؤى إليه، وهو الوصي عليّ الأموات من أهل بيتي، والخليفة عليّ الأحياء من أمتي، وهو أخي في الدنيا والآخرة، وهو معي في السنام الأعلى، إشهدني يا أم سلمة إن عليّاً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال ابن عباس: وقتلهم الله رضي وللأمة صلاح ولأهل الضلالة سخط.  
قال الشامي: يا بن عباس من الناكثون؟ قال: الذين بايعوا عليّاً بالمدينة ثم نكثوا فقاتلهم بالبصرة أصحاب الجمل، والقاسطون معاوية وأصحابه، والمارقون أهل النهروان ومن معهم.

فقال الشامي: يا بن عباس ملأت صدري نوراً وحكمة، وفرجت عني فرج الله عنك، وأشهد أن عليّاً ﷺ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة)).

٥- أنه من أهل بيت النبوة:

عن عكرمة قال: ((بينا ابن عباس يحدث الناس، إذ قام إليه نافع بن الأزرق<sup>(١)</sup>)).

فقال: يا بن عباس تفتي في النحلة والقملة، صف لي إلهك الذي تعبد. فأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله، وكان الحسن عليه السلام جالساً في ناحية، فقال: إلهي يا بن الأزرق، قال: لست إياك أسأل.

قال ابن عباس: يا بن الأزرق أنه من أهل (بيت) النبوة، وهم ورثة العلم<sup>(٢)</sup> فأقبل نافع نحو الحسن عليه السلام.

فقال له الحسن: يا نافع إنه من وضع دينه على القياس لم يزل دهره في التباس قابلاً غير المنهاج، ظاعناً في الإعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل.

يا بن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه، وأعرّفه بما عرّف به نفسه: لا يدرك بالحواس ولا يُقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير متقصي، يُؤخّد ولا يبعّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

قال: فهكي ابن الأزرق وقال: يا حسن ما أحسن كلامك ! أنا والله يا حسن لئن كان ذلك لقد كتتم منار الإسلام ونجوم الأحكام، حتى يدلكم فاستبدلنا بكم.

(١) رأس فرقة الأزرقية من الخوارج وهو صاحب المسائل في شريف القرآن التي سأل ابن عباس عنها وطلب منه أن يأتيه بشاهد على ذلك من شعر العرب وسناني في الحلقة الثالثة مزيد بيان عنها.

(٢) ستاتي من ابن عباس كلمة له مشابهة قالها لمعاوية في الإمام الحسين عليه السلام حين أرادهما على بيمة يزيد فانتظر وانظر: إنها لتربية الرسول وأحد اصحاب الكساء ومن البيت المطهر.

فقال الحسن: إني أسألك عن مسألة قال: سل، قال: هذه الآية ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾<sup>(١)</sup> يا ابن الأزرق، من حفظ في الغلامين؟ قال: أبوهما، قال الحسن: فأبوهما خير أم رسول الله ﷺ؟ قال ابن الأزرق: قد أنبأنا الله بأنكم قوم خصمون<sup>(٢)</sup>.

٦- لو كان رسول الله حياً لأذيته:

روى الحاكم بسنده عن أبي مليكة قال: «جاء رجل من أهل الشام فسب علياً عند ابن عباس، فحصبه ابن عباس وقال: يا عدو الله أذيت رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾<sup>(٣)</sup> لو كان رسول الله حياً لأذيته<sup>(٤)</sup>.

وأخرجه الذهبي في التلخيص وقال: «أنه صحيح»<sup>(٥)</sup>.

هذه نماذج من مواقف ابن عباس في مقاومته السلطة الغاشمة التي فرضت التعتيم الإعلامي على فضائل الإمام وأهل بيته وهو بنشاطه المستمر، وكفاحه المستمر كان يشكل عنصراً مهماً في تحدي معاوية لا يوازيه فيه غيره، وفي كل مواقف التي مرت والتي سوف تأتي في الحلقة الثالثة كان الوحيد الذي حفظ التاريخ له مواقفه الكثيرة، فكان ابن عباس رجل الساعة والساحة بتحديه الصارخ لمعاوية مع شدة إجراءاته التعسفية.

(١) الكوف / ٨٢.

(٢) الحدائق الوردية ١٥٤/١ مطب مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي في صنعاء.

(٣) الأحزاب / ٥٧.

(٤) المستدرک علی الصحیحین ١٢١/٣.

(٥) تلخیص الذهبی بهامش المستدرک.

ولعل أشد أثر تلك المواقف على معاوية، وأكثرها إيلاماً له ما كان أشدها جراً وتحدياً، حتى بلغ امتلاك ابن عباس لرصيد شعبي في الشام كوته في وفاداته، فصار يهدد كيان معاوية في عاصمة ملكه، فقد كان يجلس في الجامع فيحدث الناس بفضائل الإمام، وينقد معاوية، فنزل إلى أعماق سامعيه بحديثه، واحتل مكانة في نفوسهم توازي هبة معاوية في سلطانه.

وأخاله اتخذ من السفر إلى الشام وطول المكث فيها وسيلة من وسائل الإعلام المضاد للإعلام السلطوي الكاذب، وغزواً فكرياً ثقافياً في عقر داره، وبذلك تمكن من أداء رسالته في نصرة الحق وإنكار الباطل. فلقد حدث المؤرخون عن مدى استقطابه جماهير الشاميين حتى التصوا حوله يحضرون مجلسه ويستمعون حديثه، ما تبين لمعاوية أثر ذلك في خلوة مجلسه منهم. فضاقت به ذراعاً.

#### ٧- أرحني من شخصك:

ولقد بلغ الحسد والحقد من معاوية في نفسه مبلغاً لم يكنه في موقف آخر فقال لابن عباس أرحني من شخصك شهراً، وذلك حين بلغ من ازدراء ابن عباس بمعاوية أن وصمه أمام أهل الشام بميسم عاره، وذكره بماضي أصله الأسود وشناره، والذي كان في ذمة جده وجواره، فقال له كلمة أخرجته من أهابه وانقطع عن جوابه فلم يملك سوى كلمته الرعناء.

فلنقرأ ما رواه الجاحظ في المحاسن والأضداد<sup>(١)</sup>، والبيهقي في المحاسن والمساوي<sup>(٢)</sup>، وغيرهما، قالاً:

(١) المحاسن والأضداد / ١١٦ ط المعاهد بمصر سنة ١٣٥٠.

(٢) المحاسن والمساوي / ١/ ٦٧ ط النعماني.

((قدم عبد الله بن عباس على معاوية وعنده جمع من بني أمية ووفود العرب، فدخل وسلم وقعد فسأله معاوية من الناس؟ فقال ابن عباس: نحن، قال معاوية: فإذا غبتم؟ قال: فلا أحد، فقال معاوية: فإنك ترى أنني قعدت هذا المقعد بكم؟ فقال ابن عباس: نعم، فبمن قعدت؟ فقال معاوية: بمن كان مثل حرب بن أمية. فقال ابن عباس: بل بمن أكفأ عليه إناءه وأجاره بردائه، فغضب معاوية. وقال: أرحني من شخصك شهراً فقد أمرت لك بصلتك وأضعفتها لك.

فخرج ابن عباس وهو يقول لمن معه: ألا تسألونني ما الذي أغضب معاوية؟ فقالوا: بلى فقل بفضلك. فقال: إن أباه حرب لم يلق أحداً من رؤساء قريش في عقبة ولا مضيق إلا تقدمه حتى يعجزه، فلقبه يوماً رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي، فقال حرب: أنا حرب بن أمية، فلم يلتفت إليه وجازه، فقال: موعدك مكة، فخافه التميمي، ثم أراد دخول مكة فقال: من يجيرني من حرب بن أمية، فقيل له عبد المطلب، فقال: عبد المطلب أجل قدراً من أن يجير علي حرب، فأتى ليلاً إلى دار الزبير بن عبد المطلب، فدق بابه، فقال الزبير لبعده: قد جاءنا رجل إما طالب قري وإما مستجير، وقد أجبناه إلى ما يريد، ثم خرج الزبير إليه فقال التميمي:

لاقيت حرباً في الشنية مقبلاً	والصبح أبلج ضوؤه للساري
فدعا بصوت واكتنى ليروعني	وسما عليّ سموً ليث ضاري
فتركته كالكلب ينبج ظله	وأبيت قرم معالم وفخار
ليشاً هزيراً يستجار بعزه	رحب المباءة مكرماً للججار
ولقد حلفت بمكة وزمزم	والبيت ذي الأحجار والأستار
إنّ الزبير لمانعي من خوفه	ما كبر الحجاج في الأمصار

فقدّمه الزبير وأجاره ودخل به المسجد، فرآه حرب فقام إليه فلطمه، فحمل عليه الزبير بالسيف، فولى هارياً يعدو حتى دخل دار عبد المطلب، فقال: أجزني من الزبير، فأكفا عليه جفنة كان هاشم يطعم فيها الناس، فبقي تحتها ساعة، ثم قال له: أخرج، قال: وكيف أخرج وعلى الباب تسعة من بنيك قد احتبوا بسيوفهم، فألقى عليه رداء كان كساء اياه سيف بن ذي يزن له طرفتان خضروان، فخرج عليهم، فعلموا أنه قد أجاره عبد المطلب ففرقوا عنه)).

فهذه المحاوراة تجاوزت المفاخرة فيها إلى حدّ المنافرة، لأنّه عند اختلال الموازين ترتفع حدة الخلاف، وتبدل لغة الحوار من اللين إلى الشدّة، وهذه كانت حال ابن عباس مع معاوية في جلّ محاوراته طيلة عشرين عاماً أيام حكمه فكان يبدوها معاوية بما يستثير به ابن عباس من زخرف القول، وباطل الإدعاء، فيكون جواب ابن عباس ولا مناص له دون ردّ السهم إلى مآتاه، فيصيب به مرماه، سواء في حضره أو سفره وفي صحته أو مرضه، وعندما يعرف معاوية بغلبة ابن عباس عليه في الحوار يلجأ إلى استخدام لغة المصانعة، التي سماها بالحلم أو التحلم، وإليك الحوار الآتي:

مغازلة واستدراج:

روى ابن عبد ربه (ت ٣٢٨) في العقد الفريد قال: «أرسل معاوية إلى ابن عباس قال: يا أبا العباس إن أحببت خرجت مع ابن أخيك فيأنس بك، ويقربك، وتشير عليه برأيك ولا يدخل الناس بينك وبينه فيشغلوا كل واحد منكما عن صاحبه، وأقل من ذكر حقلك، فإنه إن كان لك فقد تركته لمن هو أبعد منا حُباً

(حياً / ظ)، وإن لم يكن لك فلا حاجة بك إلى ذكره، مع أنه صائر إليك وكلّ آت قريب، ولتجدنّ إذا كان ذلك خيراً لكم منا.

فقال ابن عباس: والله لئن عظمت عليك النعمة في نفسك لقد عظمت عليك في يزيد، وأنا ما سألتني من الكف عن ذكر حقي، فإني لم أغمد سيفي وأنا أريد أن انتصر بلساني، ولئن صار هذا الأمر إلينا ثم وليكم من قومي مثلي كما ولينا من قومك مثلك لا يرى أهلك إلا ما يحبون... اهـ<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر ابن الأثير في الكامل قال: ((وفي هذه السنة - ٤٩ - وقيل سنة خمسين سير معاوية جيشاً كثيفاً إلى بلاد الروم للغزاة وجعل عليهم سفيان بن عوف وامر ابنه يزيد بالغزاة معهم فتناقل واعتل فأمسك عنه أبوه، فأصاب الناس في غزاتهم جوع ومرض شديد، فأنشأ يزيد يقول:

ما إن أبالي بما لاقت جموعهم      بالغر قدونة من حَمَى ومن موم  
إذا اتكأت على الأنماط مرتفعا      بدير مرآن عندي أم كلثوم

وأم كلثوم امرأته وهي ابنة عبد الله بن عامر، فبلغ معاوية شعره فأقسم عليه ليلحقن بسفيان في أرض الروم ليصيبه ما أصاب الناس، فسار ومعه جمع كثير أضافهم إليه أبوه، وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم...<sup>(٢)</sup>.

وهذا الذي ذكره ابن الأثير لم يذكره من المؤرخين قبله كالطبري والدينوري وابن قتيبة واليعقوبي وفيما مر عن العقد الفريد لا يشعر بخروج ابن عباس في الجيش المذكور.

(١) العقد الفريد ٣٦٧/٤ تح. أحمد أمين ورفيقه.

(٢) الكامل ١٩٧/٣.



كأسان أحلاهما مر:

كان معاوية - بالرغم مما وصفوه به من دهاء ومكر سياسي - خلواً من العلم كما كان خلواً من الدين، بل كان من الجاهلين حتى بأحكام الشريعة التي تسنم باسمها حكومة المسلمين. فضلاً عن معرفة سائر فنون المعرفة. وحسبنا ما جرى بينه وبين سعد بن أبي وقاص بمكة المكرمة حين حج فطلب منه أن يطوف به لأنه يجهل أحكام الطواف<sup>(١)</sup>.

وما صلته بالمدينة المنورة، وقد أتم القراءة في فرض ثم نقص في الآخر ونقده الصحابة على ذلك إلا شاهداً مؤيداً لخطوه من العلم كما هو خلواً من الدين.

وله مخالقات دينية صريحة في مسائل الشريعة أتى على بعضها السيوطي والسكوتاري وغيرهما في كتبهم في الأوائل. وستأتي مسألة الوتر وغيرها في مرويّات مفتريات على ابن عباس في فضل معاوية. ولم يجده من ضم معه من حثالات الرجال المتفقيهِين، من صحابة وآخرين تابعين، حيث كانت تردّ عليه مسائل مستعصية، لا يهتدون إلى جوابها سيلاً، فكان يفرع - رغم أنه - بأساليبه الملتوية لمعرفة جواب السائلين، فيرسل إلى الكوفة أيام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من يسأله، وستأتي شواهد ذلك أمّا بعد أن استحوذ على حكومة المسلمين عام أربعين، فقد ازدادت حراجه حيث احتل موقفاً ليس له فيه نصيب، ولكنه بمكره وخداعه صار خليفة للمسلمين. فكانت ترد عليه من الأطراف مسائل يعيى بحلها فلا يعرف لها جواباً، وليس في بطائنه من يستفذه من ورطته ليجيب عليها.

(١) روى ابن صاكر في تاريخه (ترجمة الإمام) ٢١٨/١ تحت المحمودي بسنده قال: لما حج معاوية أخذ بيد سعد بن أبي وقاص فقال: يا أبا إسحاق إنا قوم قد أجمنا هذا الفروعن الحج حتى كدنا ننسى بعض سننه فطف نطف بطواذك...

وكان أشد ما يلقاه ما يرد عليه من مسائل ملك الروم التي لا يهتدى إلى جوابها سيلاً. فكان مضطراً إلى أن يبحث عن علم بجوابها. وليس ثمة سوى أهل البيت عليهم السلام، لكنه لعناده واستكباره قد استبعدهم عن مقامهم وموقعهم القيادي، وظن أنه سوف يقضي عليهم ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، حين ضرب الحصار عليهم وعلى شيعتهم، وابن عباس منهم، بل هو المنظور إليه عنده بعد الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

ولم يدر في خلدته سوف يضطره الزمن إلى طلب نصرته في خلاصه من ورطته، ولما لم يكن له بد من جواب مسائل ملك الروم، والا فسوف يسقط من عينه كما سيأتي على حد قول بعضهم له، فلا ضير أن يلجأ إلى ابن عباس يستجد به، وإن كان هو الآخر من أعدائه، لكن أهون الأمرين المرين اللجوء إليه، لأنه مسلم يغار على الإسلام وإن لم يكن حاكم وقته كما يتبغي ويروم فهو أهون الشرين عليه.

معاوية يستنجد بابن عباس في محنته:

لقد كان قياصرة الروم يكيّدون المسلمين بارسالهم مسائل تعجيزية يسألون بها الحاكم القائم، لعلمهم بعجزه وعدم أهليته، لتبوّته منصباً ليس له أن يكون فيه، وهذا بعض أساليب الحرب النفسية، ومن سوء الطالع أن يلي أمور المسلمين من لا يفقه بسائط أحكام الشريعة فضلاً عن مكنون أسرارها. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليضيق دينه، فلن يخلي الأرض من حجة يلجأ إليه العلماء الذين يحفظون دينه وقيمون شرعه، ويردون عنه عادية الكفار والمنافقين.

وقد روى الأثبات بعض الشواهد على ذلك، فقد ذكر الحافظ ابن شهر اشوب مسائل رسول ملك الروم لأبي بكر وجواب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عنه <sup>(١)</sup>.

وروى سبط ابن الجوزي في التذكرة نقلاً عن أحمد في الفضائل مسائل ملك الروم من عمر وعجزه عن الجواب فأجاب الإمام أيضاً عنه حتى قال ابن المسيب راوي الخبر وسيقول عمر، أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، كان هو جواب تلك المسائل.

وروى الحافظ ابن شهر اشوب نماذج أخرى عن معاوية في مسائل سأله عنها قيصر فعجز عن الجواب فاحتال في تحصيل الجواب من الإمام بوسائل ملتوية.

هذا في أيام حياة الإمام، أما بعد وفاته فكان مفزعه في ذلك إلى ابن عباس. فقد روى ابن قتيبة (ت ٢٧٦) في عيون الأخبار <sup>(٢)</sup> مسائل قيصر من معاوية فعجز عن جوابها فاستعان بابن عباس، ورواها الفسوي (ت ٢٧٧) في المعرفة والتاريخ <sup>(٣)</sup>، وبين روايتهما بعض التفاوت.

كما رواها المعلم بطرس البستاني (ت ١٣٠١ هـ - ١٨٨٣ م) في دائرة المعارف <sup>(٤)</sup> وفي روايته أيضاً بعض التفاوت، فأنا أذكر الخبر مرتباً منها جميعاً: قالوا: «كتب قيصر ملك الروم إلى معاوية: سلام عليك أما بعد: فأنبأني بأحب كلمة إلى الله تعالى؟ وثانية وثالثة ورابعة وخامسة؟ ومن أكرم عباده عليه؟

(١) انظر المناقب ٢/ ١٨٠ ط الحيدرية.

(٢) عيون الأخبار ١/ ١٩٩ ط دار الكتب المصرية.

(٣) المعرفة والتاريخ ١/ ٥٣٠ ط الأوقاف ببغداد.

(٤) دائرة المعارف ١/ ٥٨٤.

ومن أكرم إمامه عليه؟ وعن أربعة أشياء فيهم الروح لم يركضوا في رحم؟ ويقبر يسير بصاحبه؟ وبمكان لم تصبه الشمس إلا مرة؟ وبالمجرة وما موضعها من السماء؟ ويقوس قزح وما بدء أمره؟ قال ابن قتيبة والفسوي: فلما قرأ كتابه قال: اللهم ألعنه ما أدري (ما يدريني) ما هذا.

وفي لفظ البستاني: (قال معاوية: أخزاه الله وما علمي بما هنا. فقبل له اكتب إلى ابن عباس، فكتب إليه بذلك).

فكتب إليه ابن عباس: إن أفضل الكلام لا إله إلا الله كلمة الإخلاص لا يقبل عمل إلا بها وهي المنجية، فإذا قالها العبد يقول الله ﷻ: أخلص عبدي. والثانية التي تليها: سبحان الله وبحمده، صلاة الخلق (الحق) فإذا قال سبحان الله، قال: عبدي عبدي.

والثالثة التي تليها: كلمة الشكر، فإذا قال الحمد لله، قال شكرني عبدي. والرابعة التي تليها: الله أكبر فواتح الصلوات والركوع والسجود فإذا قال الله أكبر، قال: صدق عبدي أنا أكبر.

والخامسة التي تليها: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: ألقى إلي عبدي السلم.

وأما أكرم عباد الله (أكرم الخلق على الله ﷻ) فأدم عليه السلام الذي خلقه بيده وعلمه الأسماء كلها.

وأما أكرم إمامه عليه فهي مريم التي أحصنت فرجها فنفخ فيه الروح. وأما الأربعة التي فيهن الروح ولم يركضن في رحم. فآدم وحواء وعصا موسى حين ألقاها وكانت ثعباناً مينا، (وفي رواية ناقة صالح بدل العصا)

والكباش الذي ذبح عن إسماعيل (وفي هامش الفسوي في الأصل إسحاق) (وصوبه بطرس أيضاً).

وأما القبر الذي سار بصاحبه، فهو بطن الحوت الذي كان فيه يونس.  
وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فالبحر حين انفلق  
لموسى وبنى إسرائيل.

وأما المجرة فباب من أبواب السماء.

وأما قوس قزح: فأمان من الفرق بعد قوم نوح.

قال الفسوي في روايته: (فلما قرأ قيصر كتابه قال: أيم الله ما علمتها وما  
كنت تعلمها إلا من رجل من أهل بيت نبي)).

معاوية يستنجده ثانياً فينجده:

روى الكاسمي (من القرن الرابع) في زين الفتى<sup>(١)</sup>، والابشيهي (ت ٨٥٠) في  
المستطرف<sup>(٢)</sup>، والأمير حيدر الشهابي (ت ١٢٥١) في الفرر الحسان<sup>(٣)</sup>، والخبر  
مرتباً منهم جميعاً، قالوا:

«إن هرقل ملك الروم كتب إلى معاوية عن الشيء ولا شيء؟ وعن كلمة  
(دين) لا يقبل الله غيرها؟ وعن مفتاح الصلاة؟ وعن غرس الجنة؟ وعن صلاة  
كل شيء؟ وعن أربعة فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وراحام  
النساء؟ وعن رجل لا أب له؟ وعن رجل لا أم له؟ وعن امرأة ولدت من غير أم؟  
وعن رجل لا قوم له؟ وعن قبر جرى بصاحبه؟ وعن قوس قزح ما هو؟ وعن بقعة

(١) زين الفتى في تفسير سورة هل أتى (مخطوط).

(٢) المستطرف ٤٦/١ ط دار إحياء التراث العربي (الطبعة).

(٣) الفرر الحسان ٥٣/١.

طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها؟ وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء؟ وعن شيء تنفس ولا روح له؟ وعن اليوم وأمس وغد وبعد غد؟ وعن البرق والرعد وصوته؟ وعن المجرة؟ وعن المحر الذي في القمر؟

قيل لعاوية: لست هناك ومتى أخطأت في شيء من ذلك سقطت من عينه، فاكتب إلى ابن عباس وسله عن تفسيرهن يخبرك عن هذه المسائل. فكتب إليه فأجابته: أما الشيء الماء قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾<sup>(١)</sup> وأما لا شيء فإنها الدنيا تبيد وتفتنى، وأما دين لا يقبل الله غيره فشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأما مفتاح الصلاة فهو الله أكبر، وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأما صلاة كل شيء ف سبحان الله وبحمده، وأما الأربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأدم وحواء وناقصة صالح وكبش إسماعيل، وأما الرجل الذي لا أب له فالمسيح ابن مريم، وأما المرأة التي ولدت من غير أم فهي حواء، وأما الرجل الذي لا قوم له فأبونا آدم عليه السلام وأما القبر الذي جرى بصاحبه فهو الحوت الذي ابتلع يونس وسار به في البحر، وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من الغرق، وليست بقوس قزح، وأما قزح شيطان، وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة فهي أرض البحر الذي انشق قدام بني إسرائيل (حين انطلق لبني إسرائيل)، وأما الظاعن الذي ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها، ف جبل طور سيناء، كان بينه وبين الأرض المقدسة أربع ليال، فلما عصت بنو إسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين من نور فيه ألوان العذاب، فنادى مناد: إن قبلتم التوراة كشفته عنكم

ولإلقية عليكم فأخذوا التوراة معذرين، فرده الله تعالى إلى موضعه فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَنْقَلِبُ الْجِبِلَّ فَوَقَّهْمُ كَأَنَّهُ غَلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية، وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التي أنبتها الله تعالى على يونس عليه السلام، وأما الشيء الذي تنفس بلا روح فالصبح قال الله تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾<sup>(٢)</sup>، وأما اليوم فعمل، وأما أمس فمثل، وأما غد فأجل، وبعد غد فأمل، وأما البرق فمخاريق بأيدي الملائكة تضرب بها السحاب، وأما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجرة، وأما المجرة فأبواب السماء ومنها ما يفتح أبواب السماء، وأما المحو الذي في القمر فقول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾<sup>(٣)</sup> ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل.

قال العاصمي: فبعث معاوية بهذا التفسير إلى هرقل ملك الروم. وفي ذلك

قال البراء بن عازب القرشي:

سأل الهرقل ابن هند عن عجائبه	عند التخلف فيه فروة الناس
لما أتته أضاقته من مخانقه	حتى استغاث جهاراً بابن عباس
لما جلا غيها عنه ونورها	باهى الهرقل بما أحمي على الناس
هذا لعمر كأمير ليس ينفعه	علم ابن هند وما بالحق من باس

وقال معاوية لابن عباس: ويح لك يا بن عباس إذا دفنت تحت التراب أي

علم دفن معك، وإن قريشاً لتغبط بك، بل جميع العرب بل أمة محمد عليه السلام.

(١) الأعراف / ١٧١.

(٢) التكوثر / ١٨.

(٣) الاسراء / ١٢.

فقال في ذلك أيمن بن خريم الأسدي:

ما كان يعلم هذا العلم من أحد      بعد النبيّ سوى الحبر ابن عباس  
مستنبط العلم غصاً من معادنه      هذا اليقين وما بالحق من باس  
دينوا بقول ابن عباس وحكمته      إن الفتى فيكم من أعلم الناس  
كالقطب قطب الرحي في كل معضلة      أو كاللجام فمنه فروة الراس  
من ذا يفرج فيكم كل معضلة      إذ صار رسماً رميمياً بين أرماس

أقول: لقد روى أبو نعيم في الحلية بعض هذه المسائل، كما لا يفوتني التنبيه على تداخل بعض الصورتين، فنجد تكرار بعض المسائل، وفيما عندي أنّ ذلك من خلط الرواة. وقد حدّد الأمير الشهابي تاريخ الواقعة بسنة ٤٣ ولم أقف على ذلك عند غيره.

معاوية يستنجد بابن عباس مرة ثالثة:

قال أبو عبيد البكري في فصل المقال: «ذكر أنّ ملك الروم بعث إلى معاوية يسأله عن هذه المسائل: يسأله عن رجل سار به قبره، وعن رجل لا قبله له، وعن خمسة أكلوا في الدنيا وحيوا لم يخلق واحد منهم في رحم، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء، وبعث بوفد يسمعون الجواب عنها، فاستنظروهم معاوية وبعث إلى ابن عباس يسأله عنها.

فقال ابن عباس: أمّا من سار به قبره فيونس حين التقمه الحوت.

وأما من لا قبله له فمن صعد فوق الكعبة فلا قبله له حتى ينزل.

وأما الخمسة الأنفس الذين أكلوا في الدنيا وعاشوا ولم يخلق واحد منهم في رحم، فأدم وحواء وكبش إبراهيم أخرجه الله ﷻ من الجنة، وناقّة ثمود



أخرجها الله من صخرة صماء، وعصا موسى ألقاها من يده فانقلبت حية تسمى،  
والتقمت ما ألقى السحرة.  
وأما الشيء فالرجل العاقل العامل ترد عليه الأمور فيدبرها بعقله ويمضيها  
بعلمه.

وأما نصف الشيء فالرجل الممضي لما علم، المثبت فيما جهل، ترد عليه  
أمور يعجز عنها علمه، ويقصر فهمه، فيلجأ إلى ذوي العقول فيستشيرهم، فلا  
تنتشر قواه، ولا يتبع هواه.

وأما لا شيء فالرجل الذي لا علم له ولا عقل، ترد عليه الأمور فيتبع فيها  
هواه، فيحل به رذاه، فلا تلقاه إلا حائراً، ولا تجده إلا بائراً.

فأخبرهم معاوية بذلك، فقالوا: ما خرج هذا إلا من أهل نبي.  
فقال معاوية: أجل، هذا كلام ابن عم نبينا ﷺ، قالوا: فاذن لنا نأتيه، فإذن  
لهم فأتوه، فقال: أنتم أصحاب المسائل؟ قالوا: نعم، فقال: إن صاحبكم ذكر  
أنكم أفضل أهل دينكم، قالوا: إن قومنا ليقولون ذلك. قال: فقد سألتمونا  
فأجبتناكم، فهل تجيبوننا إن سألناكم؟ قالوا: سل.

قال: أخبروني عن موضعين أحدهما سهل والآخر جبل، السهل لم تطلع  
قط عليه الشمس إلا ساعة من الدهر. والجبل رفعه الله ﷻ عن الأرض بلا عمد  
يمسكه، ولا سبب يحبسه؟

قالوا: ما لنا بذلك علم فأخبرنا.

قال: السهل متفلق البحرين لما فرقه الله تعالى لموسى لم تصل إليه الشمس  
قط إلا في تلك الساعة.

والجبل هو الذي نتقه الله ﷻ فوق بني إسرائيل كأنه ظلّة.

قالوا: صدقت وانصرفوا مغلوبين»<sup>(١)</sup>.

ما تقول يا بن عباس؟

روى ابن عبد ربه في العقد الفريد<sup>(٢)</sup>، والسيد ابن طاووس في الملاحم والفتن<sup>(٣)</sup>، واللفظ للأول وما بين القوسين من الثاني:

((وقال يوماً معاوية وعنده ابن عباس: إذا جاءت هاشم بقديمتها وحديثها، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها، وبنو عبد الدار بحجابتها ولوائها، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها، وبنو تميم بصديقتها وجوادها، وبنو عدي بفاروقها ومتفكرها، وبنو سهم بأرائها ودهانها، وبنو جمح بشرفها وأنفتها، وبنو عامر بن لؤي بفاروقها وقرعها فمن ذا يجلي في مضمارها، ويجري إلى غايتها؟ ما تقول يا بن عباس؟

قال: أقول: ليس حي (من قريش) يفخرون إلا وإلى جنبهم من يشركهم (فيه) إلا (بنو هاشم) فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشاركون فيها، ولا يساوون بها، ولا يدفنون عنها، وأشهد أن الله (تعالى) لم يجعل محمداً من قريش إلا وقريش خير البرية (ولم يجعله في بني هاشم إلا وهاشم من خير قريش) ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بني هاشم (ولسنا) نريد أن نفخر عليكم إلا بما تفخرون به (على العرب، وهذه أمة مرحومة فمنها نبيها ومهديها ومهدي آخرها لأن) بنا فتح الأمر وبنا يختم، ولك ملك معجل ولنا ملك مؤجل، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك، لأننا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين)).

(١) فصل المقال / ٣٣٠ ط دار الأمانة بيروت.

ولقد مرت بعض المسائل مشابهة لما ورد هنا، ولعل التكرار من وهم الرواة.

(٢) العقد الفريد ١٠/٤ تح أحمد أمين ورفيقه.

(٣) الملاحم والفتن / ٨١ - ٨٢.

## تمهيد لبيعة يزيد:

فمن هذه المحاوراة والتي قبلها بدت بدايات مريبة توجس منها ابن عباس خيفة على خروج الأمر من معدنه في بني هاشم ثم لا يعود إليهم إلا في آخر الزمان، فأجاب بما وسعه البيان فأسكت خصمه. ولكن بقيت بارقة أمل في وثيقة الصلح وعودة الأمر إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد موت معاوية، لكن معاوية كما مرّ تعريفه من قدماء ومحدثين، لم يكن يؤمن بمثل أو قيم، ولا يرى لوثيقة الصلح أي اعتبار لديه، وقد أعلن رفضها قولاً، وبدأ تطبيق الرفض عملاً، حيث صار همه إزالة العناصر التي يتطلع إليها الناس كقادة من أولى الحجى والنهى، وفي مقدمتهم الإمام الحسن عليه السلام صاحب الحق الشرعي، تمهيداً لأخذ البيعة لابنه يزيد، واستشعر ابن عباس من خلال تلك المحاورات بنوايا معاوية السيئة، فصار يولي اهتمامه في حوارهِ حول المفاضلة بين ولاية بني أمية وبني هاشم، ومن الطبيعي كان المستمعون لكل المحاورات يروون لمن لم يحضر ما جرى وما دار، ولا شك أن لتلك المحاورات أثرها - سلباً أو إيجاباً - في النفوس، وبالتالي يستفيد منها كل من المتحاورين. وقد مرّت بنا بعض المحاورات حول المفاضلة. وهلم الآن فاقراً لوناً جديداً لا يخلو من مساومة خفية وتهديد أخفى رواه ابن عبد ربه عن ابن الكلبي قال: «أقبل معاوية يوماً على ابن عباس، فقال: لو وليتمونا ما أتيتم البنا ما أتينا اليكم من الترحيب والتقريب، وإعطائكم الجزيل واکرامكم على القليل، وصبري على ما صبرت عليه منكم، وإني لا أريد أمراً إلا أظمأتم صدره، ولا آتي معروفاً إلا صغرتم خطره، وأعطيتكم العطية فيها قضاء حقوقكم، فتأخذونها متكارهين عليها، تقولون قد نقص الحق دون الأمل، فأني أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم، ثم أكون أسراً بإعطائها منه بأخذها، والله

لئن انخدعت لكم في مالي، وذلكت لكم في عرضي، أرى انخداعي كرمياً، وذكي حليماً، ولو وليتمونا رضينا منكم بالانتصاف، ولا نسألكم أموالكم، لعلنا بحالنا وحالكم، ويكون أبغضها إلينا وأحبها إليكم أن نُعفيكم.

فقال ابن عباس: لو ولينا أحسننا المواساة، وما ابتلينا بالأثرة، ثم لم نغشم الحي، ولم نشتم الميت، ولستم بأجود منا أكفاً، ولا أكرم أنفساً، ولا أصون لأعراض المرءة، ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا، وأعطى في الحق منكم في الباطل، وأعطى على التصوى منكم على الهوى، والقسم بالسوية والعدل في الرعية يأتيان على العنى والأمل، ما رضاكم منا بالكفاف! فلو رضيتم به منا لم ترض أنفسنا به لكم، والكفاف رضا من لا حق له، فلا تُبخلونا حتى تسألونا، ولا تلفظونا حتى تدوقونا... (١).

ولم تقف خطوات معاوية عند هذا الحد، بل بدأ يحاور ويناور، عسى أن يتم له الأمر بأقل جهد، فسافر إلى الحجاز وقرر الاجتماع بالعبادة الأربعة وهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فدعاهم وذكر لهم مهمته التي من أجلها أتاهم. ولنترك الحديث لابن قتيبة فقد قال في كتابه الإمامة والسياسة (قدوم معاوية المدينة وما فوّض (فاوض) فيه العبادة):

((قالوا: فاستخار الله معاوية وأعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين، فلقاه الناس، فلما استقر في منزله، أرسل إلى عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وإلى عبد الله بن عمر وإلى عبد الله بن الزبير، وأمر حاجبه

(١) العقد الفريد ٨/٤ تح. أحمد أمين ورفيقه.

أن لا يأذن لأحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر، فلما جلسوا تكلم معاوية فقال: الحمد لله الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني قد كبر سنّي ووهن عظمي، وقرب أجلي، وأوشكت أن ادعى فأجيب وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيت لكم رضا وانتم عبادلة قريش وخيارها وأبناء خيارها، ولم يمنعني أن أحضر حسناً وحسيناً إلا أنهما أولاد أبيهما على حسن رأبي فيهما، وشديد محبتي لهما، فردوا على أمير المؤمنين خيراً يرحمكم الله.

فتكلم عبد الله بن عباس فقال: الحمد لله الذي ألهمنا أن نحمده، واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد، أما بعد: فإنك قد تكلمت فأنصتنا، وقلت فسمعنا، وإن الله جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه اختار محمداً صلى الله عليه (وآله) وسلم لرسالته، واختاره لوجه وشرّفه على خلقه، فاشرف الناس من تشرف به، وأولاهم بالأمر أخصهم به، وإنما على الأمة التسليم لنيبها إذ اختاره الله لها، فإنه إنما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير. واستغفر الله لي ولكم<sup>(١)</sup>.

أقول: وأحسب أن نقصاً طرأ في رواية كلام ابن عباس من الرواة، وذلك فإن ما يقتضيه بيانه من أن أولى الناس بأمر أخصهم بمحمد أن يقول وهم آل محمد وليس أحد اليوم أولى من الحسن والحسين بذلك.

(١) الإمامة والسياسة ١٤٢/١ ط مصر سنة ١٣٢٨ هـ.

ومهما يكن فقد تابعت الردود من بقية العبادلة بما لم يعجب معاوية، فشد الرحال وعاد إلى الشام فشلاً في مهمته وصار إلى القضاء على الإمام الحسن عليه السلام الذي سمع الهتاف به وبأخيه من العبادلة، كما قد سمعه من قبل من الأحنف بن قيس وربما من غيره. فبدت دسائسه للتخلص من الحسن أولاً، لأنه إن نجح في أمره أحكم قناصته على ما بيده من أمر المسلمين، وهان عليه أمر الباقيين من معارضيه، فإنهم مهما أوتوا من حجة في الخصام وقوة البيان في الكلام لا يخشى منهم حدّ الحسام، وكان ابن عباس من رؤوس المعارضة فيما يراه معاوية، ويعلم أنه إنما يصول ويجول يفعل ذلك لاسترداد الحقّ المهضوم، وإعادته إلى صاحبه وهو الإمام الحسن عليه السلام الذي سيرجع إليه الحكم لو مات معاوية في أيامه، وهذا يعني إفلات الحكم من براثن الأمويين بعد أن تصيدوه بأحاييلهم كما أفلت منهم بعد عثمان، وهؤلاء ضباع لا تزال ترن في أسماعهم كلمة أبيهم أبي سفيان ((تلقفوها يا بني أمية...)).

ولقد أدرك الكاتب المصري المصري خالد محمد خالد في كتابة أبناء الرسول في كربلاء الجعد الحقيقي لهدف معاوية حين قال: ((فها هو ذا معاوية لا يكتفي باغتصابه الخلافة، ثم لا يرغب وهو على وشك لقاء ربه في التكفير عن خطئه، تاركاً أمر المسلمين للمسلمين... بل يمعن في تحويل الإسلام إلى ملك عضوض وإلى مزرعة أموية، فيأخذ البيعة ليزيد كولي عهد له. يأخذها بالذهب وبالسيف))<sup>(١)</sup>.

فعلى هذا التصور الميكافيلي عند معاوية يجب التخلص بكل الوسائل من رموز المعارضة وأولهم الإمام الحسن عليه السلام.

(١) أبناء الرسول في كربلاء / ٢٠.

سم الإمام الحسن عليه السلام:

والآن إلى بحث مسألة سم الإمام الحسن عليه السلام لأن من المؤرخين من أنكرها جملة وتفصيلاً كابن خلدون، ومنهم من برأ ساحة يزيد وأبيه عن ارتكاب تلك الجريمة الشنعاء كابن كثير، ولم يبعد عنه الذهبي كما ستأتي كلماتهم بعد هذا.

أما الآن فإلى عرض روايات السم وتسمية المحرّض والمباشر.

لقد روى البلاذري في ترجمة الإمام الحسن من كتابه أنساب الأشراف: ((ويقال إنه سم أربع دفعات فمات في آخرهن، وأتاه الحسين وهو مريض فقال له: أخبرني من سقاك السم؟ قال: لتقتله؟ قال: نعم. قال: ما أنا بمخبرك، إن كان صاحبي الذي أظن فألقه أشدّ نعمة، وإلا فهو الله لا يقتل بي برئ))<sup>(١)</sup>.

وروى البلاذري أيضاً عن الهيثم بن عدي: ((أن معاوية دس إلى زوجة الحسن وهي ابنة سهيل بن عمرو مائة ألف دينار على أن تسقيه شربة بعث بها إليها ففعلت))<sup>(٢)</sup>.

وهذه الرواية لم أقف عليها عند غير البلاذري، إلا أن ابن أبي الحديد ذكر عن المدائني خبراً يوحى من طرف خفي بحال تلك المرأة، فقد ذكر في شرح النهج قال: ((تزوج الحسن بن علي عليه السلام هند بنت سهيل بن عمرو وكانت عند عبد الله بن عامر كريز فطلقها، فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها على يزيد بن معاوية، فلقبه الحسن عليه السلام فقال: أين تريد؟ قال: أخطب هند بنت

(١) أنساب الأشراف ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ٣/ ٥٥ تمه المحمودي ط بيروت.

(٢) أنساب الأشراف ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ٣/ ٥٩ تمه المحمودي ط بيروت.

سهيل بن عمرو على يزيد بن معاوية، قال الحسن عليه السلام: فاذا ذكرني لها، فأتاها أبو هريرة فأخبرها الخبر. فقالت: اختر لي فقال: اختار لك الحسن، فتزوجته، فقدم عبد الله ابن عامر فرق لها رقة عظيمة، فقال الحسن: ألا أنزل لك عنها فلا أراك تجد محللاً خيراً لكما مني؟ قال: لا ثم قال لها وديعتي، فأخرجت سفتين فيهما جوهر ففتحهما وأخذ من أحدهما قبضة، وترك الآخر عليها. وكانت قبل ابن عامر عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فكانت تقول: سيدهم جميعاً الحسن. وأسماهم ابن عامر، وأحبهم إليّ عبد الرحمن بن عتاب<sup>(١)</sup>.

هذه رواية المدائني وتبقى لها دلالات غير خفية، فزيجة تتم بما وصفت الرواية لا تمنع المرأة من الاستجابة لاستغواء معاوية لها بالمال من ارتكاب الجريمة، فهي وإن رأت في الحسن سيد الأزواج إلا ان يريق المائة ألف من الأصفر الرنان يغشي البصر والبصيرة.

كما أن معاوية رأى في استغوائها بالمال انتقاماً بها ومنها فهو حين يرملها من زوجها سيد الأزواج ما دامت تزوجته ولم تتزوج بابنه يزيد، ثم هو ينتقم بها من الحسن عليه السلام لأنه خطبها له أبو هريرة فتزوج ممن سوف تكون مخطوبة يزيد. وتبقى سلامة الخاطب - أبو هريرة - إذ لم يصبه ضرر من معاوية ولا من يزيد فيما أعلم. وهنا تتصب علامة تعجب واستفهام (٢١).

وهذه المرأة إذ لم يذكرها مؤرخوا الحسن عليه السلام من أصحاب الكتب المحدثين في قائمة أزواجه فمن الطبيعي أن لا يذكرها فيمن دس إليها معاوية سماً تسم به الحسن عليه السلام.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤/٤ ط مصر الأولى.



وهناك بعض خدم الإمام الحسن عليه السلام اتهم أيضاً بسم الإمام! فقد قال ابن كثير وقد سمعت بعض من يقول: ((كان معاوية قد تلطف لبعض خدمه أن يسقيه سماً))<sup>(١)</sup>.

وإني لا أمنع ولا أذفع ما رواه الهيثم بن عدي ولا ما سمعه ابن كثير، ولا منافاة مع ما رواه جملة من المؤرخين من أن معاوية دس السم على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإن الإمام الحسن عليه السلام كان يقول سقيت السم مراراً، فيكون من عرفانهم جميعاً شركاء في الجريمة، وربما كانت هناك أسماء آخرين غير معلنة لها دور مماثل لدور هند وجعدة وبعض الخدم.

وقضية سم معاوية للإمام الحسن عليه السلام تظافر نقلها تظافراً يكاد يلحقها بالتواتر فقد ذكرها جملة من المؤرخين من القدامى والمحدثين، وجزم بها غير واحد منهم قتادة، وأبو بكر بن حفص، والزين العراقي، كما حكاه عنهم ابن حجر الهيثمي في الصواعق، وهو منهم في جزمه، ولم يستبعد ذلك إلا بعض الشاذين ممن هواه مع الأمويين كالذهبي، وابن كثير، وابن خلدون من السابقين، وتبعهم من اللاحقين المعاصرين من غريبين ومغتربين وعرب متغربين، ممن لا يؤبه بهم.

قال الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) بعد أن حكى قول ابن عبد البر في الاستيعاب: ((وقالت طائفة: كان ذلك بتدسيس معاوية لها - لجعدة - وبذله لها على ذلك)).

قال الذهبي: ((قلت: هذا شيء لا يصح فمن الذي أطلع عليه))<sup>(٢)</sup> (١٩).

وقال ابن كثير (ت ٧٤٧ هـ): ((وعندي أن هذا - تدسيس يزيد لجعدة بسم الحسن - ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى))<sup>(٣)</sup> (١٩).

(١) البداية والنهاية ٤٣/٨ ط السعادة.

(٢) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ٢/٢١٩ ط القدسي بمصر.

(٣) البداية والنهاية ٤٣/٨ ط السعادة.

وقال ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ): «وما ينقل من ان معاوية قد دس السم إلى الإمام الحسن على يد زوجته جعله بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية ذلك»<sup>(١)</sup> (١١٤)

وعلى ما أسس الأولون جرى التالون مستبعدين صدور مثل ذلك من معاوية أو من يزيد، ولم أجد عندهم من المفيد ما يزيد، لذلك لم أذكرهم بأسمائهم رغبة عنهم، ويعقون في دائرة الاستبعاد، ما داموا قد اختاروه لأنفسهم وفي صدورهم الريب، وليس هذا من بطن الغيب.

والآن رداً عليهم وعلى من سبقهم من النافين، كابن كثير، والذهبي، وابن خلدون الذي زاد في الطنبور نعمة فقال في ذلك: «فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية ذلك»، أذكر قائمة بأسماء جمهرة كبيرة من المؤرخين السابقين المشتبين لحادثة السم، وفيهم من أكد ضلوع معاوية في الجريمة، وجميعهم ليسوا من الشيعة الذين اتهمهم ابن خلدون. وقد رتبهم حسب تسلسل وفياتهم على القرون كما يلي:

#### القرن الثاني:

١- عامر الشعبي (ت ١٠٣ هـ) قال: «ومصدق هذا القول أن الحسن كان يقول عند موته وقد بلغه ما صنع معاوية: لقد عملت شريته، وبلغ أمنيته، والله لا يفي بما وعد، ولا يصدق فيما يقول»<sup>(٢)</sup>.

٢- قتادة بن دعامة (ت ١١٧ - ١١٨ هـ) قال: «سمت ابنة الأشعث بن قيس الحسن بن علي وكانت تحته ورشيت على ذلك مالم»<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ ابن خلدون ١٨٧/٢ ط دار الكتاب اللبناني.

(٢) تذكرة الخواص / ١٢١ ط حجرية.

(٣) المستدرک على الصحيحين ١٧٦/٢.

- ٣- أبو بكر بن حفص: حكى ابن حجر الهيتمي في الصواعق: قوله وقول سابقه وأنهما كانا جازمين بذلك فراجع<sup>(١)</sup>.
- ٤- السدي (ت ١٢٨ هـ): حكى قوله سبط ابن الجوزي في التذكرة<sup>(٢)</sup>.
- ٥- أبو اليقظان عامر بن حفص (ت ١٩٠ هـ): حكى قوله سبط ابن الجوزي أيضاً في مرآة الزمان<sup>(٣)</sup>.

القرن الثالث:

- ١- الواقدي (ت ٢٠٧ هـ): حكى قوله الذهبي في سير أعلام النبلاء<sup>(٤)</sup>.
- ٢- الهيثم بن عدي (ت ٢٠٧ هـ): حكى قوله السبط في مرآة الزمان<sup>(٥)</sup>.
- ٣- المدائني (ت ٢٢٥ هـ) حكى قوله السبط في تذكرة الخواص<sup>(٦)</sup>.
- ٤- ابن سعد (ت ٢٣٠ هـ): ذكر ذلك في الطبقات<sup>(٧)</sup>.
- ٥- ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ): ذكر ذلك في كتاب المعارف<sup>(٨)</sup>.
- ٦- يعقوب بن سفيان القسوي (ت ٢٧٧ هـ): حكى ذلك عنه ابن الجوزي في صفوة الصفوة<sup>(٩)</sup>.
- ٧- البلاذري (ت ٢٧٩ هـ): ذكر ذلك في أنساب الأشراف<sup>(١٠)</sup>.

(١) الصواعق المحرقة / ٨٤.

(٢) تذكرة الخواص / ١٢١ ط حجرية.

(٣) مرآة الزمان.

(٤) سير أعلام النبلاء / ٣٩٧/٤ ط دار الفكر، وفي الهامش عن مختصر تاريخ دمشق / ٣٩٧/٧.

(٥) مرآة الزمان.

(٦) تذكرة الخواص / ١٢١ ط حجرية.

(٧) ذكر ذلك في كتاب الطبقات الكبير في ترجمة الإمام الحسن ط الطائف تح شامل.

(٨) المعارف / ٩٢.

(٩) صفوة الصفوة / ٣٢١/١ ط حيدرآباد.

(١٠) أنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام) / ٥٥/٣ تح المحمودي.

القرن الرابع:

- ١- الطبري (ت ٣١٠هـ): ذكر ذلك في كتابه المنتخب<sup>(١)</sup>.
- ٢- ابن أئثم الكوفي (ت ٣١٤هـ): ذكر ذلك في كتابه الفتوح<sup>(٢)</sup> الترجمة الفارسية، بينما خلت النسخة العربية المطبوعة في حيدر آباد وعنها أفسدت دار الندوة من ذلك، فمن تولى كبر ذلك؟

- ٣- أبو الفرج الاصبهاني (ت ٣٥٦هـ): ذكر ذلك في مقاتل الطالبين<sup>(٣)</sup>.
- ٤- الحافظ الطبراني (ت ٣٦٠هـ): ذكر ذلك في المعجم الكبير<sup>(٤)</sup>.

القرن الخامس:

- ١- الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ): ذكر ذلك في المستدرک<sup>(٥)</sup>.
- ٢- أبو نعيم الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ): ذكر ذلك في الحلية<sup>(٦)</sup>.
- ٣- صاحب تاريخ الخلفاء - من رجال القرن الخامس -<sup>(٧)</sup>.

القرن السادس:

- ١- ابن عبدون (ت ٥٢٩هـ): أشار إلى ذلك في قصيدته العصماء في رثاء بني الأفتس فقال:

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى أتت بمعضلة الألباب والفكر

(١) المنتخب من ذيل المنذيل / ١٥ ط مصر الحسينية.

(٢) الفتوح (الترجمة الفارسية) / ٣٣٩ ط الهند.

(٣) مقاتل الطالبين / ٧٣ ط مصر تح صقر.

(٤) المعجم الكبير / ٧١/٣ ط الموصل.

(٥) مستدرک الحاكم / ١٧٦/٣.

(٦) حلية الأولياء / ٢٨/٢.

(٧) تاريخ الخلفاء ورقة ٥٣/ ب ط موسكو سلسلة آثار الآداب الشرقية سنة ١٩٦٧ برقم ١١.

فبعضنا قائل ما اغتاله أحد وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر

٢- الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): ذكر ذلك في ربيع الأبرار<sup>(١)</sup>.

٣- أخطب خوارزم الحنفي (ت ٥٦٨ هـ): ذكر ذلك في مقتل الحسين<sup>(٢)</sup>.

٤- ابن عبد البر (ت ٥٧٣ هـ): ذكر ذلك في الاستيعاب وحكى أقوال آخرين في ذلك فراجع<sup>(٣)</sup>.

٥- ابن عساكر (ت ٥٧٣ هـ): ذكر ذلك في تاريخ دمشق<sup>(٤)</sup>.

٦- ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ): ذكر ذلك في المنتظم<sup>(٥)</sup>.

القرن السابع:

١- ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ): ذكر ذلك في الكامل وفي أسد الغابة<sup>(٦)</sup>.

٢- ابن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ): ذكر ذلك في مطالب السؤول<sup>(٧)</sup>.

٣- سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ): ذكر ذلك في مرآة الزمان وفي التذكرة<sup>(٨)</sup>.

(١) ربيع الأبرار ٢٠٨/٤ باب (الموت وما يتصل) به ط اوقاف بغداد.

(٢) مقتل الحسين ١٣٦/١.

(٣) الاستيعاب (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام).

(٤) تاريخ مدينة دمشق (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام).

(٥) المنتظم ٢٢٦/٥ ط دار الكتب العلمية. وفي صفوة الصفوة ٣٢١/١.

(٦) الكامل في التاريخ ١٨٢/٣ ط بولاق وفي أسد الغابة في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام.

(٧) مطالب السؤول / ٧٠ ط حجرية.

(٨) مرآة الزمان تذكرة الفواص ١٢١/ ط حجرية.

- ٤- ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥ هـ): ذكر ذلك في شرح النهج<sup>(١)</sup>.
- ٥- الكنجي الشافعي (ت ٦٥٨ هـ): ذكر ذلك في كفاية الطالب<sup>(٢)</sup>.
- ٦- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ): ذكر ذلك في الوفيات<sup>(٣)</sup>.
- ٧- المحب الطبري (ت ٦٩٤ هـ): ذكر ذلك في الذخائر<sup>(٤)</sup>.

#### القرن الثامن:

- ١- أبو الفداء (ت ٧١٢ هـ): في المختصر<sup>(٥)</sup>.
- ٢- النويري (ت ٧٢٣ هـ): في نهاية الأرب<sup>(٦)</sup>.
- ٣- ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ): في تاريخه<sup>(٧)</sup>.
- ٤- جمال الدين الزرندي (ت ٧٥٠ هـ): في نظم الدرر<sup>(٨)</sup>.

#### القرن التاسع:

- ١- الزين عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٦ هـ): ذكر ذلك في مقدمة شرح التقریب وقد جزم به ، كما حكاه عنه ابن حجر في الصواعق<sup>(٩)</sup>.
- ٢- الدميري (ت ٨٠٨ هـ): ذكر ذلك في حياة الحيوان<sup>(١٠)</sup>.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤/٤ ط مصر الأولى.

(٢) كفاية الطالب / ٣٦٨ ط النجف.

(٣) وفيات الأعيان ٦٦/٢ تح إحصان عباس.

(٤) ذخائر العقبى / ١٤١ ط القدسي.

(٥) المختصر في أخبار البشر / ١٨٣.

(٦) نهاية الأرب / ٣٢٢/٢٠.

(٧) تاريخ ابن الوردي / ١٦٦/١ ط الحيدرية.

(٨) نظم درر السمطين ط النجف.

(٩) الصواعق المحرقة لابن حجر / ٨٤.

(١٠) حياة الحيوان / ٨٥/١ ط مصر.

- ٣- ابن الشحنة (ت ٨١٥ هـ): ذكر ذلك في روضة المناظر<sup>(١)</sup>.
- ٤- المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ): ذكر ذلك في النزاع والتخاصم<sup>(٢)</sup>.
- ٥- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): ذكر ذلك في الاصابة وفي تهذيب التهذيب وفي التقريب<sup>(٣)</sup>.
- ٦- ابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥ هـ): ذكر ذلك في الفصول المهمة<sup>(٤)</sup>.

القرن العاشر:

- ١- السيوطي (ت ٩١١ هـ): ذكر ذلك في تاريخه<sup>(٥)</sup>.
- ٢- الخزرجي (ت ٩٢٣ هـ): ذكر ذلك في خلاصة تهذيب الكمال<sup>(٦)</sup>.
- ٣- ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ): ذكر ذلك في الصواعق وحكى أسماء من جزم بذلك<sup>(٧)</sup>.

القرن الحادي عشر:

- ١- الصفوري (ت ١٠٤٣ هـ): ذكر ذلك في نزهة المجالس<sup>(٨)</sup>.

(١) المطبوع بهامش تاريخ ابن الأثير ١١/١٣٢ ط بولاق.

(٢) النزاع والتخاصم.

(٣) الإصابة ١/٣٣١ ترجمة الإمام الحسن عليه السلام تهذيب التهذيب ٢/٣٠٠، تقريب التهذيب .٥٥/١

(٤) الفصول المهمة / ١٠٧ ط حجرية.

(٥) تاريخ الخلفاء / ١٢٩.

(٦) خلاصة تهذيب التهذيب الكمال / ٦٧.

(٧) الصواعق المحرقة / ٨٣ - ٨٤ .

(٨) نزهة المجالس / ٢/١٩٢.

٢- ابن علان الصديقي (ت ١٠٥٧هـ): ذكر ذلك في شرح رياض الصالحين<sup>(١)</sup>.

#### القرن الثاني عشر:

- ١- الأمير حيدر الشهابي (ت ١١٤٣هـ): ذكر ذلك في الفرر<sup>(٢)</sup>.
- ٢- الشيراوي (ت ١١٧١هـ): ذكر ذلك في الاتحاف<sup>(٣)</sup>.

#### القرن الثالث عشر:

- ١- الشراوي (ت ١٢٢٧هـ): ذكر ذلك في تحفة الناظرين<sup>(٤)</sup>.
- ٢- عباس محمود العقاد: ذكر ذلك في كتابه أبو الشهداء<sup>(٥)</sup>.

أضف إليهم من غير المسلمين: رزق الله منقربوس في تاريخه (دول الإسلام)<sup>(٦)</sup>، وميخائيل شاروويم بك في (الكافي تاريخ مصر)<sup>(٧)</sup>، فهؤلاء جميعاً تبنوا على الخمسين وليس بينهم شيعي واحد سوى ابن أعثم الكوفي فقد قيل بتشيبه وليس كذلك. كل هؤلاء ذكروا سمَّ الإمام الحسن عليه السلام وفيهم من صرح بتدسيس معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس ومنهم من رأى ذلك بتدسيس من يزيد.

ومهما يكن أمر ذلك فهو ثابت لا مجال للقول بأنه من حديث الشيعة كما زعمه ابن خلدون.

(١) شرح رياض الصالحين ١/١٩٦.

(٢) الفرر الحسان ١/٥٤.

(٣) الاتحاف بحب الأشراف / ٥٧.

(٤) تحفة الناظرين بهامش تاريخ الاسحاقى / ٦٩.

(٥) أبو الشهداء / ١٢٨.

(٦) دول الإسلام ١/٥٣.

(٧) تاريخ مصر ٢/٨٧.



تحقيق: أين كان ابن عباس عند موت الحسن عليه السلام؟

لقد ذكر البلاذري في أنساب الأشراف ترجمة الإمام الحسن عليه السلام فقال: ((حدثني عباس بن هشام، عن أبيه عن جده عن أبي صالح قال: قدم معاوية مكة فلقى ابن عباس. فقال له معاوية: عجباً للحسن شرب عسلة طائفية بماء رومة فمات منها! فقال ابن عباس: لئن هلك الحسن فلن ينسأ في أجلك، قال: وأنت اليوم سيّد قومك. قال: أمّا ما بقي أبو عبد الله فلا))<sup>(١)</sup>.

فهذا الخبر على ما في سنده من هتاء إلا أنه مقبول في الجملة لموافقة عدة أخبار له في ذكر جواب ابن عباس فهو ممّا يؤكد أن لقاء تم بين ابن عباس ومعاوية بعد موت الحسن عليه السلام وكان بمكة، ولكن لا يشعر ذلك بأنه أوّل لقاء كان بينهما. غير أن البلاذري ساق بعده خبراً آخر مسنداً فقال: ((المدائني عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال: لقي معاوية ابن عباس بمكة فعزّاه عن الحسن فقال: لا يسوءك الله سوءاً يا أبا العباس، فقال: لن يسوءني الله ما أبقاك يا أمير المؤمنين. فأمر له بمائة ألف درهم - قالوا - وبأكثر من ذلك وبكسوة)).

ثم قال البلاذري: ((وسمعت من يحدث أن وفاة الحسن اتت معاوية وعنده ابن عباس فقال له: عجبت للحسن شرب عسلاً بماء رومة فمات، وعزى ابن عباس عنه فقال: لا يسوءك الله فقال ابن عباس: لا يسوءني الله يا أمير المؤمنين ما أبقاك، فأمر له بألف ألف درهم))<sup>(٢)</sup>.

فتحن الآن أمام هذه الأخبار الثلاث، وعند الموازنة بينها نجد الثالث أوهاها حجة لإرساله، وأمّا الأوّل والثاني فمع الإغماض عمّا في سندهما من هتاء كما

(١) أنساب الأشراف ٦٢/٣ تح. المحمودي.

(٢) نفس المصدر/ ٦٣.

ستأتي الإشارة إليهما، إلا أن ما سيأتي من حضور ابن عباس عند الإمام الحسن عليه السلام وسماعه وصيته لأخيه الحسين عليه السلام ثم مشاركته في تفسير الإمام وتشييعه، وموقفه مع عائشة ومع مروان في ممانعتهما من دفنه عند جده، فكل هذا يؤيد وجوده في المدينة عند موت الإمام، وقد لا يمنع من أن يكون التقى معاوية بمكة - كما مرّ عن البلاذري - فإنّ موت الإمام كان سنة خمسين كما في خبر أبي بصير في الكافي وهو أظهر الأقوال - أو إحدى وخمسين كما عن ابن قتيبة وغيره وهو أبعد الأقوال، وإذا علمنا بأن معاوية قد أتى الحجاز سنة ٥٠، فيمكن أن يكون اللقاء قد تمّ بينه وبين ابن عباس بمكة بعد الإمام الحسن عليه السلام لكن حديث وجوده بالشام عند موت الإمام الحسن عليه السلام وإن لم يثبت بسند قوي قد يمنع من ذلك اللقاء بمكة، نعم إن قلنا إنّ الثابت هو حضوره بالشام بعد موت الإمام لا في حينه، وقد جرى بينه وبين معاوية من الكلام كسائر ما كان يجري بينهما من الخصام، أغلظ فيه ابن عباس في الكلام كما سيأتي خبر ذلك، فلا مانع من الجمع بين حضور ابن عباس المدينة وحضور الشام.

والآن إلى حديث حضوره عند الإمام في احتضاره وروايته للوصية وما يتبع ذلك، ثمّ تعقينا على ما مرّ عن البلاذري فيما جرى من الكلام:

رواية ابن عباس في موت الإمام:

أخرج الشيخ الطوسي في آماله<sup>(١)</sup>، وفي عيون المعجزات المنسوب للمرتضى، والشيخ أبو جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن عليّ الطبري في كتابه بشارة المصطفى<sup>(٢)</sup> وغيرهم، واللفظ للأول:

(١) آمال الشيخ الطوسي / ٩٩ ط حجرية سنة ١٣١٣ و ١٥٩/١ مطب النعمان.

(٢) بشارة المصطفى لشعبة المرتضى / ٣٣٤.

قال: ((حدثنا أبو الحسن علي بن بلال المهلبى قال: حدثنا مزاحم بن عبد الوارث ابن عباد البصرى بمصر قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابى قال: حدثنا العباس بن يكار قال: حدثنا أبو بكر الهلالى عن عكرمة عن ابن عباس.

قال الغلابى: وحدثنا أحمد بن محمد الواسطى قال: حدثنا عمر بن يونس اليمامى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: وحدثنا أبو عيسى عبيد الله بن الفضل الطائى قال: حدثنا الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدثني محمد بن سلام الكوفى.

قال - الغلابى - حدثنا أحمد بن محمد الواسطى قال: حدثنا محمد بن صالح ومحمد بن الصلت قال: حدثنا عمر بن يونس اليمامى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

( حضوره الوصية )

قال: دخل الحسين بن علي عليه السلام على أخيه الحسن بن علي عليه السلام في مرضه الذى توفي فيه فقال له: كيف تجدك يا أخى؟ قال: أجدني في أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا، وأعلم أني لا أسبق أجلي، وأني وارد على أبي وجدي عليه السلام على كره مني لفراقك وفراق إخوتك وفراق الأجرة، وأستغفر الله من مقاتي هذه وأتوب إليه، بل على محبة مني للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولقاء فاطمة وحمزة وجعفر عليه السلام، وفي الله تعالى خلف من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك من كل ما فات.

رأيتُ يا أخى كبدي آنفاً في الطست، ولقد عرفتُ من دهاني ومن أين أتيت، فما أنت صانع به يا أخى؟

فقال الحسين عليه السلام: أقلته والله. قال: فلا أخبرك به أبداً حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله. ولكن اكتب: هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه يعبده حق عبادته لا شريك له في الملك، ولا ولي له من الدل، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً، وأنه أولى من عبده، وأحق من حمده، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى.

فإني أوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي وولدي وأهل بيتك أن تصفح عن مسيئتهم، وتقبل من محبتهم، وتكون لهم خلفاً والداً، وأن تدفني مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله. فإني أحق به وبيته ممن أدخل عليه بيته بغير إذنه، ولا كتاب جاءهم من بعده. قال الله تعالى فيما أنزله على نبيه صلى الله عليه وآله في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده.

فإن أبت عليك الإمراة فأنشدك بالقرابة التي قرّب الله صلى الله عليه وآله منك والرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا تهريق في محجمة دم حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده ثم قبض صلى الله عليه وآله.

(مشاركته في تفصيل الإمام)

قال ابن عباس: فدعاني الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعلي بن عبد الله ابن العباس<sup>(٢)</sup> فقال: أغسلوا ابن عمكم، فغسلناه وحنطناه وألبسناه أكفانه، ثم

(١) الأحزاب / ٥٣.

(٢) لا يخفى ان صمره يومئذ ١١ سنة فلعله كان يناولهم الماء. كما صنع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تفصيل الزهراء عليها السلام حين كان الحسين يناوله الماء وصره سبع سنين يومئذ.

خرجنا به حتى صلينا عليه في المسجد وإن الحسين عليه السلام أمر أن يفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضر هناك من ولد عثمان بن عفان، وقالوا: أيدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القليل ظلماً بالبيع بشرّ مكان ويدفن الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والله لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا، وتتقصف الرماح وتتغد النبل.

فقال الحسين عليه السلام أم والله الذي حرّم مكة، للحسن بن علي بن فاطمة أحق برسول الله وبيته ممن أدخل بيته بغير إذنه، وهو الله أحق به من حمال الخطايا مسير أبي ذر رضي الله عنه الفاعل بعمار ما فعل، ويعبد الله ما صنع، الحامي الحمى، المؤوي لطريد رسول الله صلى الله عليه وآله، لكنكم صرتم بعده الأمراء، وبأيكم على ذلك الأعداء وأبناء الأعداء.

قال - ابن عباس - فحملناه فأتينا به قبر أمه فاطمة عليها السلام فدفناه، إلى جنبها رضي الله عنه وأرضاه.

(ووجدت عند بعض المتأخرين ان ابن عباس شارك في دفن الإمام الحسن عليه السلام حيث ذكر ان الحسين ومحمد بن الحنفية وابن عباس أدخلوه القبر).

واستمراراً في الحديث السابق نقرأ موقف ابن عباس.

(مع عائشة)

قال ابن عباس: وكنت أول من انصرف فسمعت اللفظ وخفت أن يعجل الحسين علي من قد أقبل، ورأيت شخصاً علمت الشرّ فيه، فأقبلت مبادراً، فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغل مرحل تقدمهم وتأمرهم بالقتال، فلما رأني قالت: إليّ إليّ يا بن عباس لقد اجترأتم عليّ في الدنيا، تؤذونني مرة بعد أخرى تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أهوى ولا أحب (١٩).

فقلت: واسوأناه يوم على بغل ويوم على جمل تريدان أن تطفئ في نور الله، وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله وبين حبيبه أن يدفن معه، إرجمي فقد كفى الله تعالى المؤنة، ودفن الحسن إلى جنب أمه، فلم يزد من الله تعالى إلا قرباً، وما ازددت من الله إلا بُعداً، يا سوأناه انصرفي فقد رأيت ما سررتك.  
قال: فقطبت في وجهي ونادت بأعلا صوتها: أما نسيتم الجمل يا بن عباس، إنكم لذوو أحقاد فقلت: أم والله ما نسيه أهل السماء فكيف ينسأه أهل الأرض، فانصرفت وهي تقول:

فألقت عصاها فاستقر بها النوى      كما قرّ عيناً بالإياب المسافر))

وروى المجلسي في البحار نقلاً عن عيون المعجزات المنسوب للمرتضى قال: ((فقال ابن عباس رضي الله عنه وقال: يا حميراء ليس يومنا منك بواحد يوم على الجمل ويوم على البغلة، أما كفاك أن يقال: يوم الجمل حتى يقال يوم البغل يوم على هذا ويوم على هذا، بارزة عن حجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدان إطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره المشركون، إنا لله وإنا إليه راجعون.  
فقلت له: إليك عني وأف لك ولقومك))<sup>(١)</sup>.

وروى أيضاً نقلاً عن الخرايج للراوندي: ((ثم قال ابن عباس - لعائشة - واسوأناه يوماً على بغل ويوماً على جمل.

قال: وفي رواية: يوماً تجملت ويوماً تبغلت وإن عشت تقيلت. فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادي فقال:

تجملت تبغلت      وإن عشت تقيلت

(١) بحار الأنوار ١٤١/٤٤ نقلاً عن عيون المعجزات .

يا بنت أبي بكر لا كان ولا كنت لك التسع من الثمن وبالكل تملك<sup>(١)</sup>

وروى ابن شهر اشوب في المناقب كلام ابن عباس مع عائشة وفيه:

((تجملت تبغلت وإن عشت تفيلت  
ثم قال: قال الصقر البصري:

ويوم الحسن الهادي على بقلك أسرعت  
وما بيست وما تعبت وخاصمت وقاتلت  
وفي بيت رسول الله بالظلم تحكمت  
هل الزوجة أولى بالمواريث من الهنت  
لك التسع من الثمن فبالكل تحكمت  
تجملت تبغلت ولو عشت تفيلت<sup>(٢)</sup>

وقد روى ابن سعد في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقاته بسنده عن عباد ابن عبد الله بن الزبير قال: «سمعت عائشة تقول يومئذ: هذا الأمر لا يكون أبداً، يدفن بقيع الفرقد ولا يكون لهم رابعاً، والله إنه ليأتي أعطانيه رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته، وما دفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري، وما أثر علي عليه السلام عندنا بحسن<sup>(٣)</sup>».

وهذا أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق كما في مختصره لابن منظور<sup>(٤)</sup>، وأشار إليه الذهبي في سير أعلام النبلاء<sup>(٥)</sup>.

(١) نفس المصدر / ١٥٤/ نقلًا عن الخرائج للراوندي. راجع الخرائج / ٢٤٣/١ ط مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام قم.

(٢) المناقب / ٢٠٤/٣ ط الحيدرية.

(٣) الطبقات الكبرى (ترجمة الإمام الحسن) / ٣٩٣/٣ ط الخاندقي بمصر.

(٤) مختصر تاريخ دمشق / ٤٥/٧.

(٥) سير أعلام النبلاء (ترجمة الإمام الحسن) / ٣٧٦/٣.

(مع مروان)

وفي رواية الشيخ المفيد في الإرشاد قال: ((فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له ارجع يا مروان من حيث جئت، فإننا ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ، لكننا نريد أن نجدد به عهداً بزيارته ثم نرده إلى جدته فاطمة فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان أوصى بدفنه مع النبي ﷺ لعلمت أنك أقصر باعاً من ردنا عن ذلك، لكنه ﷺ كان أعلم بالله ورسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً<sup>(١)</sup> كما طرق ذلك غيره، ودخل بيته بغير إذنه.

ثم أقبل على عائشة وقال لها: واسواته يوماً على بغل ويوماً على جمل، تريدان أن تطفى نور الله، وتقاتلي أولياء الله، إرجعي فقد كُفيتِ الذي تخافين، وبلغت ما تحيين، والله متمصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين<sup>(٢)</sup>.

عودة إلى الإشكال:

فقال الإربلي في كشف الغمة: ((إني نقلت أن عبد الله بن عباس ﷺ كان بدمشق وأخبره معاوية بموت الحسن ﷺ: وجرى بينهما كلام أغلظ فيه ابن عباس، وقال له: أصبحت سيد قومك، قال: أما والحسين بن عليّ حي فلا.

وقد أوردناها هنا أنه حدث مروان وعائشة وقال لهما ما ذكرناه فيجب أن نحقق، ولا يجوز أن يكون القائل غير عبد الله، فإن ابن عباس إذا ورد هكذا لم يرد به إلا عبد الله...ها<sup>(٣)</sup>.

(١) قارن مناقب ابن شهر آشوب ٢٠٤/٣ ط الحيدرية.

(٢) الإرشاد ١٩٣ ط الحيدرية.

(٣) كشف الغمة ٥٤٨/١ منشورات الشريف الرضي.



أقول: وعلينا الآن أن نستذكر أولاً ما مرّ بنا من أخبار البلاذري الثلاثة، ولنعيد النظر فيها، ونرى فيها ما اتفقت عليه وما اختلفت فيه ثم نبين رأينا في دلالاتها، فنقول:

أ- إن الخبر الأول والثالث يتفقان في ذكر سبب موت الإمام عليه السلام وأنه شرب عسلاً بماء رومة فمات منها (٩) وما أدري لماذا مات الإمام من شرب العسل الممزوج بماء رومة؟ ورومة أسم بئر بالمدينة زعم الأمويون أن عثمان اشتراها وتصدق بها على المسلمين كما زعموا أنه سقط فيها خاتم النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يلبسه عثمان (٩) وزعموا وزعموا، والآن زعم معاوية أن ماءها إذا مزج بالعسل تفاعل حتى يصير سمّاً (٩) فشرب منه الإمام الحسن عليه السلام ومات من شربه (٩).

ب- والخبر الأول والثاني يتفقان في مكان اللقاء بين ابن عباس ومعاوية وهو كان بمكة.

ج- بينما يتفق الثاني والثالث في صيغة تعزية معاوية: لا يسوءك الله... وفي جواب ابن عباس له: لا يسوؤني الله ما أبقاك يا أمير المؤمنين (٩) وهذا بيت القصيد في مدح أبي يزيد.

د- كما أنّهما يختلفان في مقدار المال الذي أمر به معاوية، ففي الخبر الثاني مائة ألف درهم وفي الخبر الثالث ألف ألف درهم. ومهما يكن فإن معاوية لم يدع مدح ابن عباس يذهب هدراً، بل أرسل إليه ما يشترى به ذمته (٩) أليس هذا هو المطلوب كما يبدو من عرض البلاذري لأخباره، وكأنه يرتأي أن اللقاء كان بمكة، حيث ساق ذلك بإسناد، بينما ذكر الخبر الثالث مرسلًا عن سماع ولم يفصح ممّن سمعه (٩) فهو ساقط بالمرّة، ونعود إلى إسناد الخبرين الأولين.

فالأول منهما عن عباس بن هشام عن أبيه عن جده عن أبي صالح...  
 وجهالة حال العباس قد تكفي في رد خبره، وإن كان أبوه هشام بن محمد  
 ابن السائب الكلبي ممن له ترجمة في الرجال وكذلك، وجده أيضاً وإن أسماه  
 القول فيه من بعضهم لأنه روى فضيلة لآل محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.  
 وأبو صالح هو بإذام قال فيه القطان: «أز أحداً من أصحابنا تركه، وما  
 سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

فالخبر على ما في سنده من هناة تمنع من قبوله ولا مؤيداً لما قدمناه من  
 حضور ابن عباس وصية الإمام الحسن عليه السلام وتجهيزه ومشاركته في تأنيب عائشة  
 ومروان: فهو لا دلالة فيه على أن لقاء مكة كان أول لقاء بين ابن عباس ومعاوية  
 بعد موت الإمام الحسن عليه السلام وقول معاوية: «واعجباً للحسن...») لا يدل على  
 أكثر من بداية أموية استفزازية في إثارة ابن عباس.

أما الخبر الثاني فسنده عن المدائني عن ابن جعدبة = يزيد بن عياض - عن  
 صالح بن كيسان.

وشهرة المدائني تغني عن تعريفه، غير أن ابن جعدبة طعن فيه البخاري  
 ويحيى ومالك، وقد رماه بالكذب، وقال فيه النسائي وغيره: «متروك» مع أنه من  
 رجال الترمذي وابن ماجه عند أصحاب الحديث.

أما صالح بن كيسان، فقالوا فيه: «أحد الثقات والعلماء رُمي بالقدر»، ونفى  
 ابن حجر في لسان الميزان ذلك عنه فقال: «ولم يصح عنه ذلك»، وهذا لا يجعل  
 المتن مقبولاً، ويكفي وجود ابن جعدبة، فهو ساقط متناً لسقوطه سنداً، نعم يبقى

(١) طبقات ابن سعد ٤٧٩/٨.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٦٩/٢.

مواقفته في تعيين مكان اللقاء لما ورد في الخبر الأول، لكننا نبتأ أن صيغة التعجب من معاوية لا تدل على بداية اللقاء بعد موت الإمام الحسن عليه السلام.

على أن ابن سعد ذكر في كتابه الطبقات الكبير في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام أربعة أخبار في لقاء ابن عباس مع معاوية بعد موت الإمام الحسن عليه السلام نذكرها بحدافيرها كما هي:

(٣٢٧ - قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال حدثنا عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لما جاء نعي الحسن ابن علي، استأذن ابن عباس على معاوية - وكان ابن عباس قد ذهب بصره، فكان يقول لقائده: إذا دخلت بي على معاوية فلا تقطني فان معاوية يشمت بي - فلما جلس قال معاوية: لأخبرته بما هو أشد عليه من أن أشمت به، فلما دخل قال: يا أبا العباس هلك الحسن بن علي، فقال ابن عباس إننا لله وإننا إليه راجعون - وعرف ابن عباس أنه شامت به - فقال: أما والله يا معاوية لا يسد حفرتك، ولا تمكّد بعده، ولقد أصبنا بأعظم منه، فنجبرنا الله بعده، ثم قام.

فقال معاوية: لا والله ما كلمت أحداً قط أعدت جواباً ولا أحقل من ابن

عباس.

٣٢٨ - قال: أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدثنا سلام أبو المنذر قال قال معاوية لابن عباس مات الحسن بن علي يبكته بذلك، قال: فقال: لئن كان مات فإنه لا يسد بجسده حفرتك، ولا يزيد موته في عمرك، ولقد أصبنا بمن هو أشد علينا فقدراً منه، فنجبر الله مصيبتنا.

٣٢٩ - قال: أخبرنا علي بن محمد عن مسلمة بن محارب، عن حرب بن

خالد قال: قال معاوية لابن عباس: يا عجباً من وفاة الحسن شرب عسلة بماء رومة

فقضى نحبه، لا يحزنك الله ولا يسوءك في الحسن فقال: لا يسوءني ما أبقاك الله، فأمر له بمائة ألف وكسوة.

قال: ويقال إن معاوية قال لابن عباس يوماً: أصبحت سيد قومك، قال: ما بقي أبو عبد الله فلا.

٣٣٠ - قال: أخبرنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا أبو هلال عن قتادة قال قال معاوية: واعجباً للحسن شرب شربة من غسل يمانية بماء رومة فقضى نحبه، ثم قال لابن عباس: لا يسوءك الله ولا يحزنك في الحسن، فقال: أما ما بقي الله لي أمير المؤمنين فلن يسؤني ولن يحزنني قال: فأعطاه ألف ألف من بين عرض وعين فقال: أقسم هذه في أهلك<sup>(١)</sup>.

فهذه الأخبار على ما في أسانيدنا من ضعف كما ذكر المحقق في الهامش - فهي لا تذكر مكان اللقاء، ولا تحديد زمانه سوى أنه كان بعد موت الحسن عليه السلام وذلك يمكن أن يكون اللقاء بعد حضور ابن عباس وصية الحسن لأخيه، ثم حضوره تجهيزه ودفنه وحتى بعد كلامه مع عائشة ومروان كما مر موثقاً بأسانيد متعددة، وحيث لا تعارض بين حضوره بالمدينة تلك المراسيم والمواقف وبين حضوره بمكة على تقدير صحة روايات البلاذري فهناك كان أول اللقاء بينه وبين معاوية.

إذن فمن أين أتى الإشكال في تعارض حضوره بالشام مع حضوره بالمدينة؟

والجواب: إنما أتى من روايات مسندة ومرسلة أوردتها بعض المؤرخين ذكرت أن معاوية ابتدأ إخبار ابن عباس بموت الإمام الحسن عليه السلام وكان ذلك بالشام فلا بد لنا من عرض تلك الروايات والوقوف عندها.

(١) الطبقات الكبرى ١/٣٦١ - ٣٦٣. محمد بن محمد بن صامل السلمي ط الطائفة سنة ١٤١٤ هـ.

## مواقف متضاربة:

إن الباحث المحقق يستلفت نظره اختلاف روايات المؤرخين في حضور ابن عباس في الشام عندما أتى معاوية خبر موت الإمام الحسن عليه السلام وإظهاره الشماتة بذلك، حتى أنه كبر وسجد وسجد معه كما سيأتي خبر ذلك. وعلى ذلك الاختلاف تضاربت مواقف المؤرخين في هذه القضية، فمنهم من صرح بأنه كان بالشام كالزبير بن بكار في الموققيات كما حكاه عنه الإربلي في كشف الغمة، ويظهر من ابن قتبية واليعقوبي مثل ذلك وربما من آخرين مثلهم.

ومنهم من صرح بأنه كان بالشام ولكن ليس حين أتى النعي بموت الإمام عليه السلام بل كان بعد ذلك بأيام كما عن ابن أعثم الكوفي وسيأتي خبره. ومنهم من ارتأى أن الذي كان بالشام هو قثم بن العباس وليس عبد الله كما في الدر النظيم ويأتي خبره.

فالآن إلى عرض النصوص:

أولاً: ما رواه الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) في الأخبار الموققيات كما حكاه الإربلي (ت ٦٩٢ هـ) في كشف الغمة، ولولاه لضاع هذا مع ما ضاع من نصوص الأخبار الموققيات، إذ لم يوجد في المطبوع منها بتحقيق الدكتور سليم النعيمي كما فاته أن يذكره مع الضائع من الموققيات، وقد استدرسته عليه فيما استدركت من الموارد وقد بلغت خمسة عشر نصاً. وإليك ذلك بتوسط كشف الغمة:

قال الإربلي: ((وحدث الزبير عن رجاله قال: قدم ابن عباس على معاوية، وكان يلبس أدنى ثيابه ويخفض من شأنه لمعرفته أن معاوية كان يكره إظهاره لشأنه، وجاء الخبر إلى معاوية بموت الحسن بن علي عليه السلام فسجد شكراً لله تعالى،

وبان السرور في وجهه - في حديث طويل ذكره الزبير وذكرته منه موضع الحاجة إليه - وأذن للناس وأذن لابن عباس بعدهم، فدخل فاستدناه وكان قد عرف بسجدة.

فقال له: أتدري ما حدث بأهلك؟ قال: لا.

قال: فإن أبا محمد توفي عليه السلام فعظم الله لك الأجر.

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله نحسب المصيبة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند الله نحسب مصيبتنا بالحسن بن علي عليه السلام، أنه قد بلغتني سجدة، فلا أظن ذلك إلا لوفاته، والله لا يسد جسده حفرتك، ولا يزيد انقضاء أجله في عمرك، ولطال ما رزينا بأعظم من الحسن ثم جبر الله.

قال معاوية: كم كان أتى له من العمر؟ قال: شأنه أعظم من أن يجهل مولده.

قال: أحسبه ترك صبية صغاراً، قال: كلنا كان صغيراً فكبر.

قال: أصبحت سيد أهلك. قال: أما ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين بن عليّ فلا، ثم قام وعينه تدمع فقال معاوية: لله درّه لا والله ما هيّجناه قط إلا وجدناه سيداً.

ودخل على معاوية بعد انقضاء العزاء فقال: يا أبا العباس أما تدري ما حدث في أهلك؟ قال: لا.

قال: هلك أسامة بن زيد فعظم الله لك الأجر. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحم الله أسامة وخرج.

وأناه بعد أيام وقد عزم على محاقته<sup>(١)</sup> فصلى في الجامع يوم الجمعة، واجتمع الناس عليه يسألونه عن الحلال والحرام والفقه والتفسير واحوال الإسلام والجاهلية وهو يجيب، وافتقد معاوية الناس فقيل: إنهم مشغولون بابن عباس، ولو شاء أن يضربوا معه بمائة ألف سيف قبل الليل لفعل.

فقال: نحن أظلم منه حبسناه عن أهله، ومنعناه حاجته، ونعينا إليه أحبته، انطلقوا فادعوه، فأناه الحاجب فدعاه. فقال: إنا بني عبد مناف إذا حضرت الصلاة لم نقم حتى نصلي، أصلي إن شاء الله وآتية. فرجع، وصلى العصر وأناه فقال: ما حاجتك؟ فما سأله حاجة إلا قضاها وقال: أقسمت عليك لما دخلت بيت المال فأخذت حاجتك - وإنما أراد أن يعرف أهل الشام ميل ابن عباس إلى الدنيا فعرف ما يريد - فقال: إن ذلك ليس لي ولا لك، فإن أذنت أن أعطي كل ذي حق حقه فعلت.

قال: أقسمت عليك إلا دخلت فأخذت حاجتك. فدخل فأخذ برنس<sup>(٢)</sup> خز أحمر يقال أنه كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم خرج، فقال: يا أمير المؤمنين بقيت لي حاجة؟ فقال: ما هي؟ قال: علي بن أبي طالب قد عرفت فضله وسابقته وقربته، وقد كفاك الموت، أحب أن لا يشتم علي منابركم. قال: هيات يا بن عباس هذا أمر دين أليس أليس؟ وفعل وفعل؟ فعدد ما بينه وبين علي كرم الله وجهه.

فقال ابن عباس: أولى لك يا معاوية والموعود القيامة، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون. وتوجه إلى المدينة... (هـ)<sup>(٣)</sup>.

(١) المحاقّة: المخاصمة وإثبات حقه وأنه أولى به.

(٢) البرنس ثوب يغطي الرأس والبدن كما هو لباس المغاربة في عصرنا.

(٣) كشف الغمّة / ١٢٧ ط حجرية سنة ١٢٩٤ و ٤٠٣/١ منشورات الشريف الرضي.

فهذا الخبر الذي رواه الزبير بن بكار عن رجاله كان أفادنا كثيراً لو أن الإربلي نقله عنه برمته، ولكنه اختصره فحذف ذكر السند - وهذا أمر بالغ الأهمية في تسمية السند. ثم لم يكتف بذلك حتى حذف من المتن كثيراً حيث قال: في حديث طويل ذكره الزبير وذكرت منه موضع الحاجة إليه. فرحم الله الإربلي فهو بقدر ما أحسن إلينا من حفظ هذا النص الذي لولاه لضاع فيما ضاع من نصوص الموقفيات، فقد فوت أيضاً كبير فائدة بتركه ذكر السند، وحذفه من المتن الطويل ما لو ذكره ربّما أفادنا كثيراً في جلاء بعض الغموض الذي اكتشف حضور الشام، ومهما يكن فجزاه الله خيراً.

ثانياً: ما رواه إنسان معاصر للإربلي، فقد روى لنا النص بتفاوت وطوى ذكر الاسناد كما صنع الإربلي وذلك هو الفقيه حُميد الشهيد المتوفى سنة ٦٥٢ ذكر في كتابه الحدائق الوردية في أحوال الأئمة الزيدية. وإلى القارئ ما ذكره كما في نسخة مكتبة الإمام كاشف الغطاء مخطوطة<sup>(١)</sup>:

جاء فيه (ذكر خبر دخول ابن عباس على معاوية وإخباره له بموت الحسن عليه السلام) فقال: ((ولمّا نعي الحسن عليه السلام إلى معاوية وعبد الله بن العباس بباب معاوية فحُجِبَ ابن عباس حتى أخذ الناس مجالسهم، ثم أذن له، فقال: أعظم أجرك يا بن عباس، قال: فيمن؟ قال في الحسن بن عليّ.

قال: إذن لا يزيد موته في عمرك، ولا يدخل عمله عليك في قبرك، فقد فقدنا من هو أعظم منه قدراً، وأجل منه أمراً، فاعقب الله عقبى صالحة، فخرج ابن عباس وهو يقول أربع آيات في ذلك وهي:

(١) طبع الكتاب أخيراً بتحقيق د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني ١٤٢٣ مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي الثقافي صنعاء والخبر فيه في ١٨٤/١ - ١٨٦ بتفاوت يسير.



أصبح اليوم ابن هند آمنًا (شامتخ ل)      ظاهر النخوة إذ مات الحسن  
ولقد كان عليه عمره      مثل رضوى وثبير وحضن  
فارتع اليوم ابن هند قامصاً (آمنأخ ل)      إنما يقمص بالعبير السمن<sup>(١)</sup>  
فاتق الله وأظهر توبه      إنما كان كشيء لم يكن

ثم قال المؤلف: ((وروينا عن الزهري من طريق السيد الامام المرشد بالله يحيى بن الإمام الموفق بالله أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل الحسين الجرجاني رواه بإسناده مع ما تقدم آنفاً قال: قدم ابن عباس على معاوية، فمكث أياماً لا يؤذن له، ثم أذن له ذات يوم، فدخل فإذا معاوية مستبشر ومن يطيف به. فقال: يا بن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟

قال: أما والله ما أدري ما حدث في أهل بيتي غير أنني أراك مستبشراً ومن يطيف بك.

قال: الحسن بن علي مات، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون يكررها مراراً. ثم قال: أما والله يا معاوية لا يزيد موته في عمرك، ولا تسد حفرته حفرتك، ولقد أصبنا بمن كان أعظم منه رسول الله ﷺ فكفانا الله، ثم خرج من عنده قال: ثم مكث أياماً لا يصل إليه، ثم وصل إليه ذات يوم، فقال معاوية: يا بن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟ قال: وما حدث في أهل بيتي؟ قال: مات أسامة بن زيد.

قال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله أسامة بن زيد، ثم خرج من عنده، وقد كان ابن عباس تقشّف وكره أن يتربا بزيت فيشهره أهل الشام فيضرب به

(١) ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار ٤/١٩٧ ط الأوقاف البيت الأول الثالث ونسبهما لعبد الله بن عباس في موت الحسن بن علي.

ذلك عند معاوية. فلما رجع إلى منزله قال: يا غلام هات ثيابي فوالله لئن جلست لهذا المنافق ينمى الي أهلي واحداً واحداً إني اذن أحرق، قال: فقال: عليّ بالمقطعات فلبسها، قال: ثم قال: عليّ بعمامة له اسمها الحورية فلبسها، وكان من أجمل الناس، أمدهم جسماً، وأحسنهم شعراً، وأحسنهم وجهاً.

قال: ثم أتى مسجد دمشق فدخل، فلما نظر إليه أهل الشام قالوا: من هذا؟ ما يشبه هذا إلا الملائكة، ما رأينا مثل هذا. قالوا: هذا ابن عباس، هذا ابن عم رسول الله ﷺ، فجلس إلى سارية وتموض إليه الخلق، فما سئل عن شيء إلا أجابهم من تفسير كتاب الله، ولا حلال ولا حرام، ولا وقعة كانت في جاهلية ولا إسلام، ولا شعر كان في جاهلية ولا إسلام إلا أجابهم به. قال: ومعاوية لا يشعر بشيء من هذا فاتتبه، فقال للأذن: أئذن لمن بالباب، قال: أو بالباب أحد؟ قال: فأين الناس؟ قال: ذهبوا إلى ابن عباس. قال: هاه قد فعلوها ونحن والله أظلم منه وأقطع للرحم، اذهب يا غلام فقل له أجب أمير المؤمنين، فأتاه الرسول، قال: فقال ابن عباس: انا بنو عبد مناف لا نقوم من عند جليستا حتى يكون هو الذي يقوم، ولكن قد تقاربت الصلاة، فإذا صلينا أتينا أمير المؤمنين.

قال: فأتاه الرسول فأخبره، فقال: صدق دعه حتى يصلي.

قال: فلما صلى جاء ابن عباس حتى دخل عليه، فقال له معاوية: ما حاجتك يا بن عباس؟ قال: دين عليّ قال: قد أداه الله عنك، قال: وما استعين به على الزمان، قال: وذلك لك، أو بقيت لك حاجة؟ قال: لا، قال: ادخل بيت المال فاحمل ما بدا لك، قال: انا بنو عبد المطلب لا نأخذ من مال المسلمين إلا ما احتجنا إليه، قال: عزمت عليك إلا ما فعلت. قال: فدخل ابن عباس بيت المال فتلقت يميناً وشمالاً فرأى برنساً من خزّ أدكن، فتدرّعه ثم خرج به، قال: أخذت

حاجتك؟ قال: نعم، قال: الحقّ ببلادك، قال: يا أمير المؤمنين إنك حيث نعت إلى الحسن بن عليّ آليت أن لا أسكن المدينة بعد ما بدا ولا أجد مكاناً أجمل من جوار أمير المؤمنين. قال: هيهات ليس إلى ذلك سبيل، قال: فبقيت لي حاجة هي أهمّ الحوايج إليّ وهي لك دوني، قال: فأبي حاجة هي لنا دونك، إنا نخاف أن نسارع إليها؟ قال: عليّ بن أبي طالب قد كفّك الله مؤنته ومضى لسبيله، وقد عرفت منزله وقرابته فكفّ عن شتمه على المنابر. قال: هيهات ليس إلى ذلك سبيل يا ابن عباس هذا موضع دين، إنّه غشّ رسول الله ﷺ وسَمّ أبا بكر وذم عمر وقتل عثمان، فليس إلى الكفّ عنه سبيل.

فقال له ابن عباس: الله حسبك فيما قلت، ثمّ خرج فلم يلتقيا<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: ما رواه ابن قتيبة (ت ٢٧٠ هـ) في كتابه الإمام والسياسة، قال:

((فلما كانت سنة إحدى وخمسين مرض الحسن بن عليّ مرضه الذي مات فيه، فكتب عامل المدينة إلى معاوية يخبره بشكايه الحسن، فكتب إليه معاوية: إن استطعت أن لا يمضي يوم يي يمر إلا يأتيني فيه خبره فافعل. فلم يزل يكتب إليه بحاله حتى توفي. فكتب إليه بذلك، فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ، فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية: يا ابن عباس هلك الحسن بن عليّ، فقال ابن عباس: نعم هلك إننا لله وإننا إليه راجعون ترجيحاً مكرراً. وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته، أما والله ما سدتّ جسده حضرتك، ولا زاد نقصان أجله عمرك، ولقد مات وهو خير منك، ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه جده رسول الله صلّى الله عليه وآله) وسلم، فجير الله مصيبتيه، وخلف علينا من

(١) التحذائق الوردية / ١٠٩-١١١ (مخطوط).

بعده أحسن الخلافة، ثم شفق ابن عباس ويكى ويكى من حضر في المجلس ويكى معاوية، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم.  
فقال معاوية: بلغني أنه ترك بنين صغاراً؟ فقال ابن عباس: كلنا كان صغيراً فكبير.

قال معاوية: كم أتى له من العمر؟ فقال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده.  
قال: فسكت معاوية يسيراً ثم قال: يا بن العباس أصبحت سيّد قومك من بعده.

فقال ابن عباس: أمّا ما أبقي الله أبا عبد الله الحسين فلا.  
قال معاوية: لله أبوك يا بن عباس، ما استبأتك إلا وجدتك معداً<sup>(١)</sup>.  
رابعاً: ما رواه أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في الأخبار الطوال، قال:  
(وانتهى خير وفاة الحسن إلى معاوية - كتب به إليه عامله على المدينة مروان - فأرسل إلى ابن عباس وكان عنده بالشام - قدم عليه وافداً - فدخل عليه فعزاه وأظهر الشماتة بموته فقال له ابن عباس: لا تشمتن بموته لا تلبث بعده إلا قليلاً<sup>(٢)</sup>.  
خامساً: ما رواه يعقوبي (ت بعد ٢٩٢هـ) في تاريخه، قال:  
(وتوفي الحسن بن عليّ وابن عباس عند معاوية، فدخل عليه لمّا أتاه نعي الحسن فقال له يا بن عباس إن حسناً مات.  
قال: إنّ الله وإنا إليه راجعون على عظم الخطب وجيل المصاب، أما والله يا معاوية لئن كان الحسن مات فما ينسج موته في أجلك، ولا يسد جسمه حفرتك، ولقد مضى إلى خير، وقيت على شر.

(١) الإمامة والسياسة ١/١٤٤-١٤٥ ط الأمة سنة ١٣٢٨.

(٢) الأخبار الطوال / ٢٢٢ ط تراثنا بمصر.

قال: لا أحسبه قد خلف إلا صبية صفاراً؟ قال: كلنا كان صغيراً فكبر.  
قال: بلغ بلغ يا بن عباس أصبحت سيّد قومك؟ قال: إما ما أبقي الله أبا عبد  
الله الحسين ابن رسول الله ﷺ فلا<sup>(١)</sup>.

سادساً: ما رواه ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) في العقد الفريد، قال:  
«ولمّا بلغ معاوية موت الحسن بن عليّ خرم ساجداً لله، ثمّ أرسل إلى ابن  
عباس - وكان معه في الشام - فعزّاه وهو مستبشر وقال له: ابن كم سنة مات أبو  
محمّد؟ فقال له: سنّه كان يُسمع في قریش، فالعجب من أن يجهله مثلك. قال:  
بلغني إنّه ترك أطفالاً صفاراً؟ قال: كلّ ما كان صغيراً يكبر، وإنّ طفلاً لكهل،  
وإنّ صغيرنا لكبير.

ثمّ قال: ما لي أراك يا معاوية مستبشراً بموت الحسن بن عليّ؟ فوالله لا يتسأ في  
أجلك، ولا يسد حفرتك، وما أقلّ بقاءك وبقاءنا بعده، ثمّ خرج ابن عباس، فبعث إليه  
معاوية ابنه يزيد، فقعده بين يديه فعزّاه واستبشر لموت الحسن، فلمّا ذهب اتبعه ابن  
عباس بصره وقال: إذا ذهب آل حرب ذهب اللحم من الناس<sup>(٢)</sup>».

سابعاً: ما رواه الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) في ربيع الأبرار، قال:

«لمّا بلغ معاوية موت الحسن بن عليّ ﷺ سجد معاوية وسجد من حوله  
شكراً، فدخّل عليه ابن عباس فقال له: يا بن عباس أمات أبو محمّد؟ قال: نعم،  
وبلغني سجدك، والله يا بن آكلة الكبود لا يسدّن حسدك إياه حفرتك ولا يزيد  
انقضاء أجله في عمرك<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ اليمقوبي ٢٠٠/٢ ط النجف.

(٢) العقد الفريد ٣٦١/٢ - ٣٦٢ تص. أحمد أمين ورفيقه.

(٣) ربيع الأبرار ١٨٦/٤ ط الأوقاف ببغداد.

وقال: ((وكان ابن عباس بالشام فدخل عليه - معاوية - وقال له: يا ابن عباس هل تدري ما حدث في أهل بيتك؟ قال: لا أدري ما حدث إلا أنني أراك مستبشراً ومن يطيف بك، وقد بلغني تكبيرك وسجودك. قال: مات الحسن. قال: إنا لله رحم الله أبا محمد - ثلاثاً - ثم قال: والله يا معاوية إنه لا يسد جسده حضرتك ولا يزيد يومه في عزرك، ولئن كنا أصبنا بالحسن لقد أصبنا بإمام المتقين، وخاتم النبيين، فسكن الله تلك العبرة، وجبر تلك المصيبة، وكان الله الخلف علينا من بعده))<sup>(١)</sup>.

ثامناً: ما رواه الموفق بن أحمد المكي اخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ) في كتابه مقتل الحسين، قال:

((وقيل) لما أتى معاوية نعيه الحسن - بعث إلى ابن عباس وهو لا يعلم الخبر، فقال له هل عندك خير من بالمدينة؟ قال: لا. قال معاوية: أتاني نعي الحسن وأظهر سروراً، فقال ابن عباس: إذن لا يتسأ في أجلك، ولا يسد حضرتك. قال: أحسبه ترك صبية صغاراً؟ قال: كلنا كان صغيراً فكبير. قال: وأحسبه بلغ الستين؟ قال: أمثل مولده يجهل.

قال معاوية: لو قال قائل أنك أصبحت سيد قومك؟ قال: أما وأبو عبد الله الحسين حيّ فلا.

فلما كان من غد أتى يزيد بن معاوية ابن عباس وهو في المسجد يعزى فجلس بين يديه جلسة المعزي وأظهر حزنه، فلما نهض اتبعه ابن عباس بصره وقال: إذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش (٢).

وروي: أنه لما أتى نعي الحسن عزي معاوية ابن عباس، فاسترجع ابن عباس ثلاثاً، ثم قال: أنه والله يا معاوية لم يمهل من أجلك، ولم يدفن في حفرتك، ولقد رزتنا بمن كان خيراً منه فكفانا الله فقهه، ولم يضيّعنا بعده، يعني النبي ﷺ، ثم قال: والله لا أقيم ببلدة يُشمت فيها بموت ابن رسول الله ﷺ.

أخبرنا صدر الحفاظ أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني بها إجازة، أخبرنا عبد القادر بن محمد البغدادي، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس، أخبرنا أحمد بن معروف، حدثنا حسين بن محمد، أخبرنا محمد بن سعد، أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لما جاء معاوية نعي الحسن بن علي استأذن ابن عباس على معاوية وكان ابن عباس قد ذهب بصره، وكان يقول لقائده إذا دخلت بي على معاوية فلا تقطني، فان معاوية يشمت بي - فلما جلس ابن عباس، قال معاوية لأخبرته بما هو أشدّ عليه من أن أشمت به ثم قال: يا بن عباس هلك الحسن بن علي، فقال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعرف ابن عباس أنه شامت به فقال: أم والله يا معاوية لا يسدّ حفرتك، ولا تخلد، ولقد أصبنا بأعظم منه فجبنا الله بعده، ثم قام.

قال معاوية: لا والله ما كلمت أحداً قط أعدّ جواباً ولا أعقل من ابن عباس.

فقال الفضل بن العباس:

أصبح اليوم ابن هند شامت	ظاهر النخوة إذ مات الحسن
رحمة الله عليه إنما	طالما أشجى ابن هند وأرن
استراح اليوم منه بعده	إذ ثوى رهنأ لأحداث الزمن

فارتع اليوم ابن هند آمناً      إنما يقمص بالعمير السَّمَن  
لست بالباقي فلا تشمت به      كلَّ حيِّ بالمنايا مرتهن  
يا بن هند إن تذق كأس الردى      تك في الدهر كشيء لم يكن<sup>(١)</sup>

تاسعاً: ما رواه الحافظ رشيد الدين ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ) في المناقب<sup>(٢)</sup>، وقد نقل النص عن الزمخشري وصاحب العقد الفريد، فليس عنده من جديد.

عاشراً: ما رواه المجلسي (ت ١١١١ هـ) في البحار نقلاً عن كتاب المناقب لابن شهر آشوب<sup>(٣)</sup>. وحيث عرفنا كما مرَّ أن ما فيه هو ما عند الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد ربه في العقد الفريد، وكذلك ما رواه محمد ميرخواند (ت ٩٠٣ هـ)<sup>(٤)</sup> وليس فيه مزيد على ما مرَّ.

هذه هي النصوص التي وقفتُ عليها حسب تباعي، وقد سقتها حسب سني وفيات أصحابها. ولم يكن في المصادر الثلاثة الأخيرة ما يستدعي ذكرها، لولا أن مؤلفيها نقلوا نصوص من سبقهم، لكن بالمقارنة وجدت التباوت مما أظن فيهم النقل بالمعنى على أحسن الظنون.

ونعود إلى أوَّل النصوص وهو رواية الزبير بن بكار، فهو أقدم من وصلت إلينا روايته في حضور ابن عباس بالشام حين أتى نعي الإمام الحسن عليه السلام إلى

(١) مقتل الحسين ١٤٠/١ - ١٤١ ط الزهراء في النجف.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١٢٤/٣ ط حجرية.

(٣) بحار الأنوار ٥٧٩/٨ ط حجرية و ١٥٩/٤٤ ط الإسلامية.

(٤) روضة الصفا ١ - ١٩/٢ ط بمبئي.



معاوية، وروايته كما حكاهما لنا الأربلي وصلت إلينا مبتورة السند مع نقص في المتن - لأنه حديث طويل - أخذ منه الأربلي موضع الحاجة، ومع ذلك كله فهي - الرواية - ذات فائدة كبيرة، ويكفي ما ورد فيها من خبر المحاقة إلى آخر الرواية.

أما رواية حُميد الشهيد في الحدائق الوردية فقد شاركت الأولى في عدم ذكر الاسناد إلا أنها تميّزت بذكر الآيات الأربعة التي قالها ابن عباس في رثاء الإمام الحسن عليه السلام، وبقيّة الرواية تساقق رواية الزبير بن بكار وتقاربها في تفاصيلها، بل تتفق معها في جل نصوص المحاورة.

أما ما ذكره ابن قتيبة واليعقوبي وابن عبد ربه والزمخشري فهؤلاء كلهم ذكروا ما عندهم مرسلًا وباختصار، سوى ابن عبد ربه فقد تزيد في روايته ذكر تعزية يزيد بن معاوية وقول ابن عباس وقد اتبعه بصره: إذا ذهب آل حرب ذهب الحلم من الناس (؟) وهذه شنشنة أموية تميّز بها ابن عبد ربه الأموي الهوى والولاء فهو صاحب الأرجوزة التي ذكر فيها الخلفاء ولم يذكر معهم الإمام أمير المؤمنين ولا ابنه الإمام الحسن عليهما السلام، مع ذكره للمروانيين والساقطين. فلا غرابة منه، لكن الغرابة من الخوارزمي روى ذلك في كتابه مقتل الحسين عليه السلام وان ذكره مرسلًا وأشعر بتمريضه حيث قال: (وقيل). بينما ذكر بعده في الخبر الثاني من مروياته مرسلًا قول ابن عباس: والله لا أقيم ببلدة يُشمت فيها بموت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما لم أقف عليه عند غيره من قبل، بل قرأنا ما ذكره حُميد الشهيد بعكس ذلك حيث أراد سكنى الشام ومجاورة معاوية فأبى عليه، وإذا صحّ ذلك فقد أراد أن يقيم ليفسد أهل الشام على معاوية، وقد مرّ شاهد ذلك في روايتي الزبير بن بكار

وَحُمِيدُ الشَّهِيدِ. أَمَا مَا رَوَاهُ الْخَوَارِزْمِيُّ مُسْنَدًا فَهُوَ مُخْتَصَرٌ لَمَا مَرَّ فِي رِوَايَتِي الزَّيْبِرِ وَحُمَيْدٍ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ مَزِيدٍ، سِوَى ذِكْرِهِ سِتَّةَ آيَاتٍ نَسَبَهَا لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ بِتَفَاوُتٍ يَسِيرٍ مَنْسُوبَةٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ كَمَا فِي رِوَايَةِ حُمَيْدِ الشَّهِيدِ، وَلَعَلَّ الَّذِي يُؤَكِّدُ أَنَّهَا لَهُ تَصْرِيحُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي رِبْعِ الْأَبْرَارِ قَالَ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي مَوْتِ الْحَسَنِ:

أَصْبَحَ الْيَوْمَ ابْنُ هِنْدٍ آمِنًا      ظَاهِرُ النَّخْوَةِ إِذْ مَاتَ الْحَسَنُ  
ارْتَعَ الْيَوْمَ ابْنُ هِنْدٍ قَامِصًا      إِنَّمَا يَقْمِصُ بِالْعَيْرِ السَّمَنِ»<sup>(١)</sup>

وَجَمِيعٌ مَا مَرَّ مِنَ النُّصُوصِ دَلَّ عَلَى حُضُورِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِالشَّامِ حِينَ أَتَى نَعْمِي الْحَسَنَ عليه السلام إِلَى مَعَاوِيَةَ، وَأَنَّهُ فَاجَأَ ابْنَ عَبَّاسٍ بِالْخَبْرِ، وَلَمَّا كُنَّا قَدْ ذَكَرْنَا مَا رَوَاهُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَسَاتِيدِهِمْ مِنْ حُضُورِهِ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ الْوَفَاةِ وَمِشَارَكَتِهِ فِي التَّجْهِيزِ إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ، فَأَرْبَعٌ ذَلِكَ غَيْرِ وَاحِدٍ مَمَّنْ ذَكَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ أَصَالَةً أَوْ تَبَعًا، لظُهُورِ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ وَتَعَذُّرِ الْجَمْعِ عِنْدَهُمْ، خُصُوصًا وَقَدْ رَأَوْا مِثْلَ الْإِرْبَلِيِّ ذَكَرَ الْإِشْكَالَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْلُ عَقَالًا، أَمَا غَيْرُهُ كَالشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ يَوْسُفَ بْنِ حَاتِمِ الشَّامِيِّ - مِنْ رِجَالِ الْقَرْنِ السَّابِعِ <sup>(٢)</sup> فَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ الدَّرَجَاتِ النَّظْمِيَّةِ فِي مَنَاقِبِ الْأَئِمَّةِ اللَّهَامِيَّةِ فِي بَابِ وَفَاةِ الْحَسَنِ عليه السلام: «أَنَّ الدَّاخِلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَالْمَحَاوِرَ لَهُ فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ هُوَ قُتَيْبُ بْنُ عَبَّاسٍ لَا عَبْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَهُ بِهَذَا يَحْلُ الْإِشْكَالَ، لَكِنْ هَذَا غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ لِتَصْرِيحِ ابْنِ قَتَيْبَةَ مِنْ أَصْحَابِ النُّصُوصِ بِأَنَّ الْمَحَاوِرَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مُصْرِحًا بِاسْمِهِ، فَضْلًا عَنِ الْآخَرِينَ

(١) ربيع الأبرار باب الموت وما يتصل به ١٩٧/٤ ط اوقاف بغداد.

(٢) هو تلميذ المحقق الحلبي (ت ٦٧٦ هـ) ومجاز من السيد رضي الدين ابن طاووس (ت

الذين ذكروه بكنيته (ابن عباس) التي لم يعرف بها أحد سواه من أخوانه. ورأى بعض الباحثين احتمال رواية حضور المدينة لعبيد الله، وحضور الشام لعبد الله، لتشابه الاسمين خطأً، وفاته تفاوتهما خطأً مما يستبعد ذلك الاحتمال فإين الصغير من الكبير، وأين الرعيد الفطير من الصنديد الخبير، ولغة الحوار في كل من الحضورين سواء في المدينة وما جرى له مع عائشة ومع مروان أو في الشام وما جرى له مع معاوية تأبى أن تكون لغير عبد الله بن عباس حبر الأمة. إذن كيف التوفيق بين الحضورين في آن واحد تقريباً؟

وعندي إن خير علاج لرفع التعارض هو ما ذكره ابن أحنم الكوفي (ت ٣١٤ هـ) في كتابه الفتوح<sup>(١)</sup>، حيث ذكر اغراء معاوية لجمعة بسم الإمام ووعدها مبلغاً من المال كما وعدها بتزويجها من يزيد فوفى بالمال ولم يف بالزواج وانها تزوجت من آل طلحة فولدت فكان ابنها يعبر ويقال له يا بن مسمه الأزواج وهذا ما ذكره غير واحد من المؤرخين ثم قال ما ترجمته:

((وأتى ابن عباس في يوم مجلس معاوية فقال له معاوية شامتاً: يا أبا العباس سمعت ان الحسن هلك، فاسترجع عبد الله ثم قال: لا يسد موته حفرتك، ولست بياق بعده طويلاً، ونحن أهل بيت النبي ﷺ أصبنا بأعظم من ذلك فجبر الله مصابنا، ثم نهض وخرج، فقال معاوية متعجباً من سرعة الجواب على وجه الصواب: لم أر في عمري أحضر جواباً ولا أحقل من عبد الله بن عباس))<sup>(٢)</sup>.

(١) الفتوح الترجمة الفارسية / ٣٣٩ ط بمبئي.

(٢) ولقد أشار محقق المطبعة العربية لكتاب الفتوح ط دار المعارف بحيدرآباد ومنها اهتم ط دار الندوة الجديدة ببيروت إلى سقوط النص من النسخة العربية فأكملة بالنص الفارسي في الهامش راجع ٢٠٨/٤ فما بعدها.

وهذا لا يعني حضوره بالشام حين الوفاة، بل ظاهر في غيره، على أن في رواية حميد الشهيد المتقدمة ما يشعر أن ابن عباس قدم الشام فمكث أياماً لا يصل إلى معاوية ثم وصل إليه ذات يوم ثم ذكر الحوار، ولا يبعد عندي أن ابن عباس بعد أن حضر في المدينة موت الإمام وتجهيزه بادر بالخروج إلى الشام لإكمال رسالته في نصرة إمامه الجديد الحسين بن علي عليه السلام حيث سبق لمعاوية تمهيد البيعة لابنه يزيد، ولا مانع من أن يكون دخل الشام مع دخول رسول مروان بخبر النعمي إلى معاوية وتجاهل ابن عباس لمسائل معاوية هل تدري؟ هل تدري؟ لا يلزم منه عدم سبقه وعلمه بموت الإمام الحسن عليه السلام ولما ذكر له ذلك شامتاً انفجر مسترجعاً وموتخاً إلى آخر ما جرى. على أننا لو أعملنا الوسائل عند التعارض لرجح حضور المدينة كما قدمناه آنفاً.

ولا يفوتني التنبيه على ما مر من طلب ابن عباس رفع السب عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لأنه يراه جزءاً من رسالته.

كيف لا وهو الذي قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب فقال له: (أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة، من أحبك فقد أحبني، وحبيبك حبيبي، وحببي حبيب الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك) <sup>(١)</sup>. وهو الذي يروي لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله صلى الله عليه وآله أكبه الله على منخره) <sup>(٢)</sup> فأراد أن يثبت عداوة معاوية لله ولرسوله بعداوته للإمام علي عليه السلام.

(١) أخرجه أحمد في المناقب كما في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي القاري ٢٥٦/١١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) أخرجه أبو عبد الله الجليلي كما في مرقاة المفاتيح ٢٥٦/١١ واحسب (الخلال) هو الصواب.

أول ذل دخل العرب:

كان ابن عباس بفضل ذهنه الوقاد يستطلع المستقبل الموبوء الذي سيواجهه العرب بعد موت الإمام الحسن عليه السلام، ولا غرابة منه بعد أن مرّت بنا كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيه وأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق<sup>(١)</sup>، وتعني أنه كان مخترقاً زمان المستقبل بوعيه العميق للواقع، ولما كان موت الإمام الحسن عليه السلام فضلاً عن المأساة هو نذير شر للعرب بكارثة سوف تحلّ قريباً بهم ويديارهم، تضربهم بذل شامل.

لذلك قال - وهو يعيش مرارة المأساة والشعور بالإحباط -: «أول ذل دخل العرب موت الحسن بن علي عليه السلام».

روى ابن أبي الحديد عن أمالي أبي جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ) قال ابن عباس: «أول ذل دخل على العرب موت الحسن بن علي عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.  
وروى ابن سعد (ت ٢٣١هـ) هذه الكلمة لعمر بن بعجة<sup>(٣)</sup>.

ولدى التحقيق لمعرفة من هو قائل تلك الكلمة التي تنذر العرب بذل شامل، راجعنا ترجمة عمرو بن بعجة، فوجدنا الذهبي يزنه في ميزانه بقوله: «لا يعرف» ومن كان لا يُعرف كيف له أن يعرف مدى تأثير موت الحسن عليه السلام على الأمة العربية<sup>(٤)</sup>؟

وعندي رواية ابن حبيب التي ذكرها ابن أبي الحديد أولى بالقبول، لأن قائل الكلمة هو ابن عباس الذي لا يعرف أثر فقد الإمام الحسن عليه السلام على العرب

(١) العقد الفريد ١٨١/٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٤/٤ ط مصر الأولى.

(٣) طبقات ابن سعد (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام) ط المطائف.

(٤) طبقات ابن سعد (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام) ط المطائف.

بل على المسلمين جميعاً غيره، حيث تجمعهم والإمام قريبي النسب، ومشاركة في الحكم أيام خلافته، ومجاهدة عدو مشترك على أرض الواقع، فهو قد كان يرجو الخير للأمة بعد هلاك معاوية والإمام الحسن حي، إذ سوف تعود الأمور إلى نصابها الصحيح، ويتولى أمر الخلافة صاحبها الشرعي - كما نصت عليه وثيقة الصلح - أما وقد ارتكب معاوية جريمته الشنعاء، فقد ضرب الأمة بذلك شامل سيقتي لها العار والشتار، وستبلي براع مثل يزيد. وإذا ابتليت بذلك فعلى الإسلام السلام كما قال سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

وستحى فكرة تلاقف الكرة التي أوصاهم بها أبو سفيان. فهذا هو الدلّ أشار إليه ابن عباس في كلمته، لأنه أدرك أن الصراع بين الأمويين ومبادئ الإسلام سيرافقه بواتق الحكم الغاشم فيشيع الظلم والنفاق، ويسلب الأمة محاسن الأخلاق، وتحل المداهنة والتملق السياسي محل الكرامة والصرامة، لرواج سوق الشرور عند الحاكمين والناس على دين ملوكهم، وهذا الدلّ حقيقة حتمية أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وتوالت المحن على شيعة الإمام فقتل حجر بن عدي وسبعة نفر آخرين معه بمرج عذراء وهم الذين أخبر عنهم النبي ﷺ كما روت ذلك عائشة حين قالت لمعاوية وقد دخل عليها حين أتى المدينة: ((يا معاوية أقتلت حجراً وأصحابه، فأين عزب حلمك عنهم؟ أما إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يقتل بمرج عذراء نفر يفضب لهم أهل السماوات))<sup>(٢)</sup>.

(١) النمل / ٣٤.

(٢) انظر تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٠٦.

وقتل عمرو بن الحمق الخزاعي وحمل إليه رأسه وهو أول رأس طيف به في الإسلام من بلد إلى بلد وقد حبس زوجته، ومعاوية هو أول من حبس النساء بجرائر الرجال<sup>(١)</sup>.

وقد سرى مفهوم كلمة ابن عباس عند الناس وصدى نبوءته حتى قال أبو إسحاق السبيعي وقد سئل متى ذلّ الناس؟ فقال: «حين مات الحسن، وادعي زياد، وقتل حجر بن عدي»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن الأثير وكان الناس يقولون: «أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن عليّ وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد»<sup>(٣)</sup>، وحتى روى ابن أبي الحديد عن الإمام الباقر عليه السلام وهو يستعرض ظلم قريش لأهل البيت - إلى أن قال - «وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يُذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره»<sup>(٤)</sup>.

وروى أيضاً عن المدائني في كتاب الأحداث قوله في استعراض محدثات معاوية في وضع الأحاديث المكذوبة في فضائل الصحابة، ثمّ نسخته إلى جميع البلدان بنسخة واحدة: «أنظروا إلى من أقامت عليه البيعة أنّه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه، وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره، قال المدائني: فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة... فلم يزل كذلك حتى مات

(١) نفس المصدر .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٨/٤ ط مصر الأولى نقلًا عن أبي الفرج.

(٣) الكامل في التاريخ ٢٠٩/٣ ط بولاق.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥/٣ .

الحسن بن علي عليه السلام فازداد البلاء والفتنة فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض...<sup>(١)</sup>.

ماذا كان موقف ابن عباس من السلطة بعد موت الحسن:

والآن فلننظر إلى حال ابن عباس من بعد موت الإمام الحسن عليه السلام وهو الذي قد استشعر دخول الذل على العرب بموته فماذا لحقه من هوان وهو من سادة العرب؟ وماذا كان موقف معاوية منه في تلك الفترة؟

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: «لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام إلا يسيراً حتى بايع يزيد بالشام وكتب يبعثه إلى الآفاق، وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعه يزيد (٢٢٢) ويأمره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من أهل المدينة ثم يبايعوا يزيد.

فلما قرأ مروان كتاب معاوية أبي من ذلك وأبته قريش وكتب إلى معاوية... في ذلك، قال فعزله وولى سعيد بن العاص. وكتب إليه في ذلك وان يكتب إليه بمن يسارع ومن لم يسارع. فلما أتاه الكتاب دعا الناس إلى البيعة وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك.

قال: فأبطأ الناس عنها إلا اليسير لا سيما بني هاشم فإنه لم يجبه منهم أحد....

فكتب سعيد إلى معاوية يعلمه بتباطؤ الناس عن البيعة لا سيما أهل البيت من بني هاشم فإنه لم يجبني منهم أحد، وبلغني عنهم ما أكره... فكتب معاوية



إلى عبد الله بن عباس وإلى عبد الله بن الزبير وإلى عبد الله بن جعفر وإلى الحسين بن علي رضي الله عنه كتباً وأمر سعيد بن العاص أن يوصلها إليهم ويبحث بجواباتها...

وكتب إلى ابن عباس: أما بعد فقد بلغني إبطاؤك عن البيعة ليزيد بن أمير المؤمنين، وإنني لو قتلتك بعثمان لكان ذلك إليّ، لأنك ممن ألب عليه وأجلب، وما معك من أمان فتعلمن به، ولا عهد فتسكن إليه، فإذا أتاك كتابي هذا فاخرج إلى المسجد، والعن قتلة عثمان وباع عاملي، فقد أعذر من أئدر، وأنت بنفسك أبصر والسلام))<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ((فكان أول من أجابه عبد الله بن عباس فكتب إليه: أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت، وأن ليس معي منك أمان، وأنه والله ما منك يطلب الأمان يا معاوية، وإنما يطلب الأمان من الله رب العالمين، وأما قولك في قلبي، فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمداً صلى الله عليه وآله وسلم خصمك، فما أخاله أفلح ولا أنجح من كان رسول الله خصمه، وأما ما ذكرت من أنني ممن ألب على عثمان وأجلب، فذلك أمر غبت عنه، ولو حضرته ما نسبت إليّ شيئاً من التآليب عليه، وأيم الله ما أرى أحداً غضب لعثمان غضبي، ولا أعظم أحد قتله إعظامي، ولو شهدته لنصرته أو أموت دونه، ولقد قلت وتمنيت يوم قتل عثمان ليت الذي قتل عثمان لقيني فقتله معه ولا أبقى بعده، وأما قولك لي العن قتلة عثمان، فلعثمان ولد وخاصة وقرابة هم أحق بلعنهم مني، فإن شاؤا أن يلعنوا فليلعنوا، وإن شاؤا أن يمسكوا فليمسكوا والسلام...))<sup>(٢)</sup>.

(١) الإمامة والسياسة ١٤٥/١ - ١٤٧ - حد سنة ١٣٢٨.

(٢) نفس المصدر ١٤٨/١.

والذي يلفت النظر أن معاوية ما زالت حججه المزعومة لاستباحة دماء بني هاشم هي قتل عثمان، وكانهم هم الذين قتلوه، مع أنهم أبعد الناس عن تلك التهمة وهم براء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، لكن معاوية لا يمنعه من الاقتراء مانع، فليس له من الدين وازع، وقد مر أن كتب لابن عباس يوم كان في البصرة كتاباً ضمنته نفس تلك التهمة، وردّ عليه ابن عباس بجواب مرّ ذكره وقد رد التهمة عليه، أمّا جوابه في هذه المرة فلا يخلو من ملاحظة تجعلنا في شك ممّا تزيّد فيه الرواية. في غضبه لعثمان غضباً لم يغضبه لأحد إلى آخر ما فيه من دسّ. تفضحه مواقفه في الجمل وصفين ضد المطالبين بدم عثمان فيما يزعمون، ثمّ محاوراته مع معاوية وعمرو بن العاص وقد مرت بما فيها في جراءة وشجاعة فراجع.

معاوية في المدينة:

لمّا فشل ولاية معاوية - مروان وسعيد بن العاص - في حمل الناس بالمدينة على بيعة يزيد، رغم التهيب والترغيب، والذي أقلق معاوية امتناع النفر الذين ينظر الناس إليهم على أنهم أهل الحل والعقد، وهم أولى بالبيعة لهم من يزيد. وفي مقدمتهم بنو هاشم ورأسهم الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ العبادلة وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس، ولما وافته جوابات الكتب تحمل النذير بخلاف مستطير، قرّر أن يذهب بنفسه إلى المدينة، ويأخذ البيعة لابنه قهراً وقسراً، ويبدو من حديث ابن تقيية وابن أعثم إنّه هيا الأجوأ لاستقباله عن طريق واليه ورجاله، قال:

((ققدم معاوية المدينة حاجاً فلما أن دنا من المدينة خرج إليه الناس

يتلقونه ما بين راكب وماشي...))

قال: حتى إذا كان بالجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو

الشام - لقيه الحسين بن عليّ وعبد الله بن عباس.

فقال معاوية: مرحباً بابن بنت رسول الله وابن صنو نبيّه، ثم انحرف إلى الناس فقال: هذان شيخان بني عبد مناف، وأقبل عليهما بوجهه وحديثه، فرحّب وقرب، فجعل يواجه هذا مرة ويضاحك هذا أخرى، حتى ورد المدينة، فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسأرونه إلى أن نزل، فانصرفا عنه، فمال الحسين إلى منزله ومضى ابن عباس إلى المسجد فدخله<sup>(١)</sup>. هذا ما رواه ابن قتيبة.

إلا أن ابن الأثير قال: ((سار - معاوية - إلى الحجاز في ألف فارس، فلما دنا من المدينة لقيه الحسين بن عليّ أولّ الناس فلماً نظر إليه قال: لا مرحباً ولا أهلاً، بدنة يترقق دمها والله مهريقه. قال: مهلاً فإنني والله لست بأهل لهذه المقالة، قال: بلى ولشراً منها.

ولقيه ابن الزبير فقال: لا مرحباً ولا أهلاً، خبّ ضبّ تلعة، يدخل رأسه ويضرب بذيبه، ويوشك والله أن يؤخذ بذيبه ويدقّ ظهره، نحياه عني، فضرب وجه راحلته.

ثم لقيه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له معاوية: لا أهلاً ولا مرحباً شيخ قد خرف وذهب عقله ثم أمر فضرب وجه راحلته. ثم فعل بابن عمر نحو ذلك، فاقبلوا معه لا يلتفت إليهم حتى دخل المدينة، فحضروا بابه فلم يؤذن لهم على منازلهم ولم يروا منه ما يحبّون فخرجوا إلى مكة فأقاموا بها... ثم ذكر خطبة معاوية يتهدد الممتنع عن البيعة وخصوصاً أولئك النفر بالقتل بما فيهم الحسين، وذكر دخوله على عائشة وجرى ذكر امتناع أولئك النفر وتهديده بقتلهم فقالت له: فارق بهم فإنهم يصيرون إلى ما تحب إن شاء الله<sup>(٢)</sup>.

(١) نفس المصدر .

(٢) الكامل في التاريخ ٢١٦/٣ - ٢١٧ ط بولاق.

وهذا الذي ذكره ابن الأثير لعله أشبه بسيرة معاوية الرعناء في تلك الفترة، وقد ذكر ابن كثير أيضاً في تاريخه في حوادث سنة ٥٦ أخذ البيعة ليزيد فقال: «فبايع له الناس في الأقاليم إلا عبيد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر والحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وابن عباس، فركب معاوية إلى مكة معتمراً، فلما اجتاز بالمدينة - مرجعه من مكة - استدعى كل واحد من هؤلاء الخمسة فأوعده وتهدهه بانفراده...»<sup>(١)</sup>.

وأحسب أن ما ذكره ابن الأثير وابن كثير أخذه من الطبري بصورة مخففة<sup>(٢)</sup>، ففي تاريخه ذكر امتناع النفر الخمسة، ثم ذكر كلام معاوية مع كل واحد من الأربعة على انفراد، قال: ولم يذكر ابن عباس، وهذا مما يلفت النظر لماذا لم يذكره؟ وهل ساءت العلاقة لحد القطيعة، أم أنه رضي بالبيعة فلم يرسل عليه فيتهدهه؟ أم أن معاوية أراد أن لا يقطع الشعرة بحد الشفرة؟ لا بد لنا من البحث في ذلك.

لعمرك الله إنها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر:

ذكر ابن قتبية في الإمامة والسياسة كلام معاوية مع النفر مهدداً ومتوعداً بالقتل كما مرّ، ثم قال: «فلما كان صبيحة اليوم الثاني أمر بفراش فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتلقاه من أهله، ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد أسبل طرفها بين كتفيه، وقد تغلف وتعطر فقعده على سريره، وأجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يأمر به، وأمر حاجبه أن لا يأذن لأحد من

(١) البداية والنهاية ٧٩/٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣٠٣/٥ - ٣٠٤ ط. محققة.

الناس وإن قرب، ثم أرسل إلى الحسين بن عليّ وعبد الله بن عباس، فسبق ابن عباس، فلما دخل وسلم عليه أقعده في الفراش على يساره فحادثه ملياً. ثم قال: يا بن عباس لقد وقر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول ﷺ.

فقال ابن عباس: نعم أصلح الله أمير المؤمنين وحظنا من القناعة ببعض والتجافي عن الكل، أوفر.

فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجادلة، ويعدل إلى ذكر الأعمال على اختلاف الفرائض والطباع. حتى أقبل الحسين بن عليّ، فلما رآه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه، فدخل الحسين وسلم فأشار إليه فأجلسه عن يمينه مكان الوسادة، فسأله معاوية عن حال بني أخيه الحسن وأساتنهم فأخبره ثم سكت. قال: ثم ابتدأ معاوية فقال: فالحمد لله وليّ النعم ومنزل النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله المتعالي عما يقول الملحدون علواً كبيراً، وأن محمداً عبده المخلص المبعوث إلى الجن والإنس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، فأدى عن الله وصدع بأمره، وصبر على الأذى في جنبه، حتى أوضح دين الله وأعز أوليائه، وقمع المشركين وظهر أمر الله وهم كارهون، فمضى صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما يُبدل له، واختار منها الترك لما سخر له، زهادة واختياراً لله وأنفة وأقتداراً على الصبر، بغياً لما يدوم ويبقى، فهذه صفة الرسول ﷺ، ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك، وبين ذلك خوض طال ما عالجنه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعاً، وما أعلم منه فوق ما تعلمان. وقد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه وإلى تجويزه، وقد علم ما أحاول به من أمر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما

أيقظ العين وأحمد الفعل، هذا معنای في يزيد، وفيكما فضل القرابة، وخطوة العلم، وكمال المرؤة، وقد أصبت من ذلك في يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله عندكما وعند غيركما، مع علمه بالسنة وقراءة القرآن، والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب، وقد علمتما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم، ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة ولا سنة مذكورة، فقادهم الرجل بأمره، وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيأهم، وقال ولم يقل معه، وفي رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فمهلاً بني عبد المطلب فإننا وأنتم شعباً نفع وجد، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما، فما يقول القائل إلا بفضل قولكما، فرداً على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما، وأستغفر الله لي ولكما.

قال: فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة، فأشار إليه الحسين وقال: على رسلك، فأنا المراد ونصبي في التهمة أوفر، فأمسك ابن عباس، فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال: أما بعد يا معاوية فلن يؤدي القائل وإن أظن في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءاً، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة، والتكبر عن استبلاغ البيعة، وهيئات هيئات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجهفت، ومنعت حتى بخلت، وجرت حتى جاوزت، ما بدلت لذي حق من أتم حقه بنصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصبيه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو

تخبر عما كان احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقراته الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأتراهين، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدم باطلاً في جور، وحقاً في ظلم، حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا هذا الأمر، ومنعتنا عن آباءنا تراثنا، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول ﷺ ولادة، وجثت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذهبن للحجة بذلك، وردّه الإيمان إلى النصف، فركبتم الأعاليل وفلمتم الأفاعيل، وقلتم كان ويكون، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار. وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ﷺ وتأميره له. وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص فضيلة بصحبة الرسول وبيعه له، وما صار لعمرو يومئذ حتى أنف القوم أمرته، وكرهوا تقديمه، وعدّوا عليه أفعاله، فقال ﷺ: لا جرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري. فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في أوكد الأحوال وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابعاً، وحولك من يؤمن في صحبته، ويعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنيا، وتشقى بها في آخرتك، وإن هذا لهو الخسران المبين وأستغفر الله لي ولكم.

قال: نظر معاوية إلى ابن عباس فقال: ما هذا يا ابن عباس ولما عندك أدهى

وأمر.

قال ابن عباس: لعمر الله إنها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر، فإله مما تريد فإن لك في الناس مقنماً حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين.

قال معاوية: أعود الحلم التحلم، وخيره التحلم عن الأهل انصرفاً في حفظ الله<sup>(١)</sup>.

وعيد وتهديد لمن لم يبائع يزيد:

روى ابن أعمش الكوفي (ت ٣١٤هـ) في الفتوح قال:

((وخرج معاوية من منزله إلى المسجد الأعظم فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر ابنه يزيد في خطبته وقال: من أحق بالخلافة من ابني يزيد في فضله وهديه ومذهبه وموضعه من قريش؟ والله اني لأرى قوماً يعيونه، وما أظنهم بمقلعين ولا متتهين حتى يصيبهم مني بواق تجتث أصولهم، فليربع أولئك على ضلعهم من قبل أن تصيبهم مني فاقرة لا يقومون لها، فقد أُنذرت إن نفع الإندار، ويبت إن نفع البيان، ثم جعل يتمثل بهذه الأبيات ويقول:

قد كنتُ حذرتك آل المصطلق      وقلت يا عامر ذرني وانطلق

إنك إن كلفتني ما لم أطق      ساءك ما سرك مني من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

قال: ثم ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي وقال: والله لئن لم يبائعوا ليزيد لأفعلن ولأفعلن... ثم ذكر اجتماعه مع عائشة وما جرى بينهما مما لا يعيننا ذكره...



قال: وأرسل معاوية إلى عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عمر وابن الزبير فأخبر أنهم قد مضوا إلى مكة - وذكر غيره أنّ الحسين أيضاً مَنَّ خرج إلى مكة - قال ابن اعثم: فسكت ساعة يفكر في أمرهم، ثم أرسل إلى عبد الله بن عباس فدعاه، فلما دخل عليه قرَّب مجلسه ثم قال: يا بن عباس أنتم بنو هاشم وأنتم أحق الناس بنا، وأولاهم بمودتنا، لأننا بنو عبد مناف، وإنما باعد بيننا وبينكم هذا الملك، وقد كان هذا الأمر في تيم وعدي فلم تعترضوا عليهم، ولم تظهروا لهم من المباحة ثم قتل عثمان بين أظهركم فلم تغفروا، ثم وليت هذا الأمر فوالله لقد قرَّبكم وأعطيتكم ورفعت مقداركم (أقداركم) فما تردادون مني إلا بعداً، وهذا الحسين بن عليّ قد بلغني عنه هنات غيرها خير له منها، فاذكروا عليّ بن أبي طالب ومحاربه إياي ومعاه المهاجرون والأنصار، فأبى الله تبارك وتعالى إلا ما قد علمتم، أفترجون بعد عليّ مثله؟ أم بعد الحسن مثله؟

قال: فقطع عليه ابن عباس الكلام ثم قال: صدقت يا معاوية نحن بنو عبد مناف، وأنتم أحق الناس بمودتنا وأولاهم بنا، وقد مضى أول الأمر بما فيه فأصلح آخره فإنك صائر إلى ما تريد، وأما ما ذكرت من عطيتك علينا فلعمري ما عليك في جود من عيب.

وأما قولك: ذهب عليّ أفترجون مثله؟ فمهلاً يا معاوية رويداً لا تعجل، فهذا الحسين بن عليّ وهو حيّ وهو ابن أبيه، واحذر أن تؤذيه يا معاوية، فيؤذيك أهل الأرض، فليس على ظهرها اليوم ابن بنت نبيّ سواه.  
فقال معاوية: إنني قد قبلت منك يا بن عباس.

قال: ثم رحل معاوية إلى مكة ورحل معه كافة أصحابه وعامة أهل المدينة وفيهم عبد الله بن عباس<sup>(١)</sup>.

وأظن نحو إيهام في العبارة: (ورحل معه كافة... وفيهم عبد الله بن عباس) إذ لا يعني أن عبد الله بن عباس ممن خرج مع معاوية في ركابه كما قد يتوهم ذلك. بل كان خرج منفصلاً عن معاوية، فقد كان له موكب كما كان لمعاوية موكب. فقد أخرج ابن عبد البر في الاستيعاب وابن حجر في الصواعق عن يزيد ابن الأصم قال: «خرج معاوية حاجاً معه ابن عباس، فكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم. فالمعينة معه إنما هي معية الطريق بدلالة تعدد الموكبين، كما أنهما اجتماعاً في الطواف، فكان معاوية يستلم الأركان كلها فأنكر عليه ابن عباس ذلك»<sup>(٢)</sup>.

وحديثه كما رواه أحمد في مسنده بسنده عن مجاهد عن ابن عباس: «أنه طاف مع معاوية بالبيت فجعل معاوية يستلم الأركان كلها، فقال له ابن عباس: لم تستلم هذين الركنين، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يستلمهما؟ فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجوراً، فقال ابن عباس: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»<sup>(٣)</sup> فقال معاوية: صدقت.

قال شاكر: اسناده صحيح وروى الترمذي معناه مختصراً باسناد آخر عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>.

(١) الفتوح لابن أعمش الكوفي ٢٣٥/٤ - ٢٣٩.

(٢) الاستيعاب ٣٥٢/٢ والصواعق المحرقة ١٠٧.

(٣) الأحزاب / ٢١.

(٤) مسند أحمد ٢٦٦/٣ برقم ١٨٧٧ تح. أحمد محمد شاكر، وانظر صحيح الترمذي ٩٢/٢.

وقد تلاعبت الأهواء بهذا الخبر فقلبت المسألة وجعلت ابن عباس الفاعل ومعاوية هو المنكر، وسيأتي مزيد بيان عن ذلك في الحلقة الثالثة إن شاء الله تعالى.

### تضليل وأحابيل:

قال المؤرخون: ((ولمّا قرب من مكة خرج الناس يستقبلونه وفيهم النفر الذين توعدّهم وهدّد بقتلهم. فلما رأى الحسين قال: مرحباً بابن رسول الله وسيد شباب المسلمين، قرّبوا لأبي عبد الله دابة، وقال لعبد الله بن الزبير مرحباً بابن حواري رسول الله وابن عمته هاتوا له دابة، وقال لابن عمر: مرحباً بصاحب رسول الله وابن الفاروق، هاتوا له دابة، وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر: مرحباً بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق هاتوا له دابة.

وجعلت أطفاه تدخل عليهم ظاهرة يراها الناس، ويحسن إذنهم وشفاعتهم، وحملهم على الدواب، وخرج حتى أتى مكة فقصى حجه، ولما أراد الشخص أمر بأنقاله فقدمت، وأمر بالمنبر فقرب من الكعبة، ثم أرسل إلى النفر الخمسة وهم الحسين ابن عليّ وابن عباس وابن الزبير وابن عمر وابن أبي بكر فأحضرهم وقال لهم: قد علمتم نظري لكم وتعطفي عليكم، وصلتي أرحامكم، ويزيد أخوكم وابن عمكم، وإنما أردت أن أقدمه باسم الخلافة وتكونوا أنتم تأمرون وتتهون. فسكتوا، فقال: أجيوا. فابتدر ابن الزبير فقال: نخيرك بعدئذ إحدى ثلاث أيها أخذت فهي لك رغبة وفيها خيار: إن شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله ﷺ قبضه الله ولم يستخلف أحداً، فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر فدفع هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم.

وإن شئت فما صنع أبو بكر عهد إلى رجل من قاصية قريش وترك من ولده ومن رهطه الأذنين من كان لها أهلاً.

وإن شئت فما صنع عمر جعلها شوري في ستة نفر من قريش يختارون رجلاً منهم، وترك ولده وأهل بيته، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً. فقال معاوية: هل غير هذا. قال: لا. ثم قال للآخرين ما عندكم؟ قالوا نحن على ما قال ابن الزبير.

فقال معاوية: إنني أتقدم اليكم وقد أعذر من أندر، إنني قائم فقاتل مقالة فأقسم بالله لئن رد عليّ رجل منكم كلمة في مقامي هذا لا ترجع إليه كلمته حتى يضرب رأسه، فلا ينظر امرؤ منكم إلا إلى نفسه، ولا يبقى إلا عليها. وأمر أن يقوم على رأس كل واحد منهم رجلان بسيفيهما، فإن تكلم بكلمة يرد بهما عليه قوله قتلاه<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ((وأمر معاوية من حرسه وشرطته قوماً أن يحضروا هؤلاء النفر الذين أبوا البيعة وهم الحسين بن عليّ وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي بكر وأوصاهم معاوية قال: إنني خارج العشية إلى أهل الشام فأخبرهم أن هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا، فإن تكلم أحد منهم بكلام يصدقني أو يكذبني فيه فلا ينتضي كلامه حتى يطير رأسه، فحذر القوم ذلك.

فلما كان المشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم، وقد ألبسهم الحلل، فألبس ابن عمر حلة حمراء، وألبس الحسين حلة

(١) الإمامة والسياسة ١٥٧/١.

صفراء، وأبس عبد الله بن عباس حلة خضراء وأبس ابن الزبير حلة يمانية - ولم يذكر عن حلة ابن أبي بكر شيئاً - ثم خرج بينهم، وأظهر لأهل الشام الرضا عنهم وأنهم بايعوا فقال: يا أهل الشام إن هؤلاء النفر دعاهم أمير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا. قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيئاً حذر القتل، فوثب أناس من أهل الشام فقالوا يا أمير المؤمنين إن كان رابك منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتى نضرب أعناقهم، فقال معاوية سبحان الله ما أحلّ دماء قريش عندكم، يا أهل الشام لا أسمع لهم ذكراً بسوء، فإنهم قد بايعوا وسلموا وارتضوني فرضيت عنهم ~~فرضيت~~.

ثم ارتحل معاوية راجعاً وقد أعطى الناس أعطياتهم وأجزل العطاء، وأخرج إلى كل قبيلة جوائزها وأعطياتها، ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء، وذلك فيما تخيَّله سيحمل بني هاشم على الضغط على الحسين عليه السلام ليبيع، ولكنه فشل في تصوره فقد خرج عبد الله بن عباس في أثره حتى لحقه بالروحاء -

فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من الباب؟ فيقال عبد الله بن عباس، فلم يأذن لأحد، فلما استيقظ قال: من الباب؟ فقيل عبد الله بن عباس، فدعا بدابته فأدخلت إليه ثم خرج راكباً فوثب إليه عبد الله بن عباس فأخذ بلجام البهلة ثم قال: أين تذهب؟ قال إلى الشام قال: فأين جوائزنا كما أجزت غيرنا؟ فأوماً إليه معاوية فقال: والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبيع صاحبكم.

قال ابن عباس: فقد أبى ابن الزبير فأخرجت جاترة بني أسد، وأبى عبد الله ابن عمر فأخرجت جاترة بني عدي. فما لنا إن أبى صاحبنا وقد أبى صاحب غيرنا؟ فقال معاوية: لستم كغيركم لا والله لا أعطيكُم درهماً حتى يبيع صاحبكم. فقال ابن عباس: أما والله لئن لم تفعل لألحقن بساحل من سواحل الشام ثم لأقولن ما تعلم، والله لأتركهنم عليك خوارج فقال معاوية: لا بل أعطيكُم جواتركم فبعث بها من الروحاء ومضى راجعاً إلى الشام<sup>(١)</sup> وقد فشل في سياسته من الضغط على الحسين عليه السلام عن طريق منع الهاشميين جواترهم، ولم يزد هم إلا تضامناً مع الإمام الحسين عليه السلام في رفضهم بيعه يزيد وقد أخذها لهم ابن عباس لساتهم المعبر عنهم وكبير شأنهم، فأرغم معاوية على الإنصياع خاسئاً وهو حسير.

قال ابن أعثم في الفتوح - وقد ذكر نحو ما تقدم - ثم قال: «فتبسم معاوية وقال: بل تعطون وتكرمون وتزادون أبا محمّد. قال: ثم أمر معاوية لبني هاشم بجواتر سنية، فكل قبل جاترته إلا الحسين بن علي فإنه لم يقبل من ذلك شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

والذي يلفت النظر تقنية معاوية لابن عباس بأبي محمّد، ولم يذكر ذلك أحد في كناه فقد كان يكنى أبا العباس باسم ابنه العباس وهو أكبر ولده<sup>(٣)</sup>، على أنه كان له ولد اسمه محمّد ذكره ابن الكلبي في جمهرة النسب وقال: «لا بقية له»<sup>(٤)</sup>. فلعله كانت ولادته في تلك الأيام فكناه معاوية باسمه استطلافاً واستدراجاً والله العالم بحقائق الأمور.

(١) الإمامة والسياسة ١/١٥٧.

(٢) الفتوح ٤/٢٤٤ - ٢٤٥.

(٣) مرّ بالجزء الأوّل ما يتعلق بهذا فراجع.

(٤) انظر جمهرة النسب / ١٤٠.

سنة كسرى وقيصر<sup>(١)</sup>:

إنَّ للجاحظ رسالة في بني أمية مطبوعة وهي الرسالة الحادية عشرة: قال فيها- بعد استعراضه ما حدث للأمة منذ عهد الرسالة :- «إلى أن كان من اعتزال الحسن ﷺ الحرب، وتخلّيته الأمور عند انتشار أصحابه، وما رأى من الخلل في عسكره... فعندها استبد معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين في العام الذي سموه (عام الجماعة) وما كان عام جماعة، بل كان عام فرقة فخر وجبرية وغلبة، والعام الذي تحوّلت فيه الإمامة ملكاً كسروياً، والخلافة منصباً قيصرياً، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق، ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا وعلى منازل ما رتبنا، حتى ردّ قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع اجماع الأمة على أن سمّية لم تكن لأبي سفيان فراشاً، وأنه إنما كان بها عاهراً، فخرج بذلك من حكم الفجّار إلى حكم الكفار، وليس قتل حجر بن عدي واطعام عمرو بن العاص خراج مصر وبيعة يزيد الخليفة والاستتار بالفيء واختيار الولاية على الهوى وتعطيل الحدود بالشفاعة والقراة، من جنس جحد الاحكام المنصوصة والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء في باب ما يستحق من الكفّار جحد الكتاب وردّ السنة إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره إلا أن أحدهما أعظم، وعقاب الآخرة عليها أشد، فهذه أول كفره كانت من الأمة ثم لم تكن إلا فيمن يدّعي إمامتها والخلافة عليها، على أن كثيراً من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره، وقد أريت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة

(١) ممّا الحقّ جديداً بالكتاب.

دهرنا فقال: ((لا تسبوه فإن له صحبة، وسب معاوية بدعة، ومن يبغضه فقد خالف السنة)) فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة... (١).

فهذا الجاحظ وهو المعروف بثمانيته المتشادة جعل عام تولي معاوية المحكم العام الذي تحولت فيه الإمامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً - ولم يكن بدعاً في مقاله فقد سبقه عمر فكان إذا رأى معاوية قال: ((هذا كسرى العرب))<sup>(٢)</sup>، ولحقه آخرون قالوا بذلك ونحوه. وقد مرت الإشارة إلى بعض ذلك، إلا أن الذي دعاني إلى إعادة التذكير به هو ما قرأت حديثاً في كتاب (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) تأليف الدكتور إبراهيم علي شعوط الاستاذ بجامعة الأزهر.

وهذا الكتاب شأن سائر الكتب فيه الغث والسمين، إلا أن الغث غلب طبعه حتى نخر العثُ جذعه، ولست بصدد بيانه في المقام، غير أنني رأيت المؤلف في ازدواجية معاييره بالنسبة إلى المصادر التاريخية يتبع الهوى ويقلد محب الدين الخطيب في تعليقاته على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي المالكي، وحال الجميع يعرف من دفاعهم المستميت عن معاوية وبنو أمية. وقد بلغت القحة بشعوط في الفصل الخامس إنكاره لعن معاوية للإمام عليّ على منابر بني أمية فقال: ((لم يصح أبداً عن معاوية رضي الله عنه أنه سب علياً كرم الله وجهه أو لعنه مرة واحدة، فضلاً عن التشهير به على المنابر))<sup>(٣)</sup>، وهذا من الغرابة بمكان!! فإن مسألة اللعن جازت الشهرة والتظافر إلى حد التواتر، وما أكثر الشواهد المثبتة لذلك الحدث المهين المشين، وقریباً مرّ بنا حديث ابن عباس مع معاوية في رفع الشتم

(١) راجع الرسالة الحادية عشرة في رسائل الجاحظ جمع المسندوي طبع مصر بمطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٢ هـ.

(٢) تاريخ ابن كثير ١٢٥/٨.

(٣) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ / ٢١٤ ط ١٤٠٨ هـ نشر المكتب الإسلامي.



من على منابر المسلمين فقال معاوية: هيهات يا بن عباس، وقد مرّ نقله عن الموفقيات للزبير بن بكار والحدائق الوردية فراجع (مع النصوص)، ثمّ حديث معاوية مع سعد بن أبي وقاص وقد طلب منه أن يسب أبا تراب فأبى، حديث رواه مسلم<sup>(١)</sup>، والترمذي<sup>(٢)</sup>، والحاكم<sup>(٣)</sup>، والطبري والمسعودي وغيرهم وغيرهم. روى البلاذري في أنسابه: «خطب معاوية بالمدينة وذكر علياً فقال منه... والحسن بن عليّ تحت المنبر فقال:... يا أهل الشام إن معاوية يخدعكم بهذا الخاتم الذي من كان في يده جازت كتبه في الآفاق...»<sup>(٤)</sup>.

وروى ابن حجر في الإصابة وابن الأثير في أسد الغابة عن شهر بن حوشب قال: «أقام فلان - يعني معاوية - خطباء يشتمون علياً...»<sup>(٥)</sup>.

وفي العقد الفريد وغيره: «إن الأحنف قال لمعاوية وقد سمع خطيب أهل الشام يلعن علياً: إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم...»<sup>(٦)</sup>.

وفي أنساب الأشراف: «وكتب معاوية إلى المغيرة: أظهر شتم عليّ وتنقصه»<sup>(٧)</sup>.

وفيه أيضاً: «إن معاوية كان قد أوصاه حين أراد توليته قال: لا تكفكن عن شتم عليّ وذمّه»<sup>(٨)</sup>.

(١) صحيح مسلم ١٢٠/٧ ط صبيح.

(٢) سنن الترمذي ١٧١/١٣.

(٣) مستدرک الحاكم ١٠٩/٣.

(٤) أنساب الأشراف ١١٣/٤.

(٥) الإصابة ٨٧/١، وأسد الغابة ١٣٤/١.

(٦) العقد الفريد ١٤٤/٢.

(٧) أنساب الأشراف (بنو عبد شمس) ١٣/٤.

(٨) نفس المصدر ٢٤٣، وانظر كل من تاريخ الطبري ١١١/٢ - ١١٣، وتاريخ ابن الأثير

وحديث المغيرة مع صعصعة بن صوحان كما في مسند أحمد ومستدرک الحاكم والأذکياء لابن الجوزي<sup>(١)</sup>، وحديث رفع عمر بن عبد العزيز لسنة السب، كل ذلك مما ذاع وشاع، ويجده من له أدنى اطلاع في المصادر التاريخية وغيرها<sup>(٢)</sup>. وحديث شتم بسر للإمام عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس فعلاه بعضاً فشجّه لأنه جده من قبل أمه أم كلثوم رواه الطبري وابن الأثير<sup>(٣)</sup>، وقد شتم بسر بن أبي أرطاة على منبر البصرة ثم قال: «تشدت الله رجلاً علم أنني صادق إلا صدقتي أو كاذب إلا كذبتني، فقال أبو بكر: الله أنا لا نعلمك إلا كاذباً. قال فأمر به فختق»<sup>(٤)</sup>، وبنى زياد مساجد لشعبة بني أمية ومن يبغض علياً يسبونه فيها - فمنها مسجد بني عدي ومسجد بني مجاشع ومسجد الأساورة ومسجد الخندان<sup>(٥)</sup>، وشتم كثير بن شهاب على منبر الري وكان يكثر ذلك<sup>(٦)</sup>.

وشتم مروان بن الحكم على منبر رسول الله ﷺ وبحضور الحسن بن علي<sup>(٧)</sup>. روى الذهبي في تاريخه: «كان مروان أميراً بالمدينة ست سنين فكان يسب علياً»<sup>(٨)</sup>.

وشتم عمرو بن سعيد الأشدق وبالغ في الشتم فاصابته اللقوة<sup>(٩)</sup>.

(١) مسند أحمد ١/١٨٨، ومستدرک الحاكم ١/٣٨٥ والأذکياء لابن الجوزي.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/٤٨، والمسعودي ٢/١٦٧، وابن الأثير ٧/١٧، وتاريخ السيوطي ١٦١/.

(٣) رواه الطبري ٥/٣٣٥، وابن الأثير ٣/٥ ط بولاق.

(٤) تاريخ الطبري ٦/٩٦.

(٥) انساب الأشراف ٤/٣٣٢.

(٦) الكامل لابن الأثير ٣/١٧٩.

(٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٣٧.

(٨) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٢٨٨ ط القدسي.

(٩) إرشاد الساري ٤/٣٦٨، وتحفة الباري الأنصاري بنزيل الإرشاد.

وقد ودّع معاوية الحياة بسماحه شتم الإمام<sup>(١)</sup>.

ثم إنهم سبوا علي بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> وقالوا فيه القبيح... وقال مروان لعلي بن الحسين: «ما كان في القوم ادفع عن صاحبنا من صاحبكم - يعني علياً - عن عثمان، قال علي: فما بالكم تسبونه على المنابر؟ قال: لا يستقيم الأمر إلا بذلك»<sup>(٣)</sup>.

ومع هذا كله وغيره، أنكر الاستاذ الأزهري شعوط بجرة من القلم وبوقاحة فقال: «لم يصح أبداً عن معاوية<sup>(٤)</sup> أنه سب علياً كرم الله وجهه أو لعنه مرة واحدة فضلاً عن التشهير به على المنابر». ولم يقف عند هذا الحد، بل جاوز الحزام الطيبين فاتمى إلى جعل عنوان بارز (الصحيفة البيضاء لمعاوية بن أبي سفيان) فقال: «بمعايير العدل ومقاييس الإنصاف يعرض علينا جملة من الرواة ومجموعة من رواد الحق مكانة معاوية وصورته الحقيقية التي ينبغي أن يعرفه الناس بها، ويتزعموا من عواطفهم كل روايب البغض والضغينة التي خلفتها - في أعماق نفوسهم - الروايات المغرضة وشايات السوء الحاكمة»<sup>(٥)</sup>.

ثم ساق ثمانية شواهد لاثبات زعمه كان سادسها شهادة ابن عباس لمعاوية يرويها الطبري وابن كثير هكذا: «ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية، إن كان يرد الناس منه على أرجاء واد رحب»<sup>(٦)</sup>.

وحيث أورد ذكر ابن عباس شاهداً فعلينا أن نحقق ما رواه لتعريف القارئ

بأمانته في النقل فنقول:

(١) راجع ابن أئتم ٢٥٤/٤ في خبر موته وأخذ البيعة لابنه يزيد ودخول سبعين رجلاً من سناديد قريش وأهل الشام.

(٢) رواه الذهبي في تاريخ الإسلام ١٢٩/٢ ط القدسي وقال رواه ابن أبي خيثمة باسناد قوي.

(٣) اباطيل يجب ان تمحى من التاريخ / ٢١٤.

(٤) تاريخ الطبري ٣٣٧/٥، والبداية والنهاية ١٣٥/٨.

نحن راجعنا المصدرين المذكورين فرأينا كلمة ابن عباس في الطبري هكذا: «حدثني عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثني سليمان قال: حدثني عبد الله عن معمر عن همام بن منبه قال سمعت ابن عباس يقول: ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية، إن كان ليرد الناس منه على أرجاء وادٍ رجب، ولم يكن كالضيق المخصص، الحصير - يعني ابن الزبير». وفي البداية والنهاية أيضاً كذلك مع اختصار في السند وفي المتن، وأحسبه أخذه عن الطبري. والخبر رواه البلاذري بسنده عن المدائني عن أبي عبد الله عن رجل قال: «قال عبد الله ابن العباس: ما رأيت أحداً كان أحق بالملك من معاوية، لله دره إن كان حليماً وإن كان الناس لينزلون منه بأرجاء وادٍ خصب، لم يكن بالضيق اللين المتصعب الحصوص. يعني الذي يحاص في كل شيء»<sup>(١)</sup>. وذكر المحقق في الهامش تخريجاته<sup>(٢)</sup>.

أقول: وفي ابن الأثير: «ولم يكن كالضيق الحصوص الحصر يعني ابن الزبير، وكان مغضباً»<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن فإن خبر الطبري الذي اعتمده مع الإغماض عما في سنده ويكفي وجود معمر الذي قال فيه الذهبي ومع كون معمر ثقة ثبتاً فله أوهام لا سيما لما قدم البصرة...<sup>(٤)</sup>. وقد اعترف معمر نفسه بعد أن احتجم فقال: «فقت

(١) انساب الأشراف ج ١/٤٨ برقم ١٧٢.

(٢) عن مصنف عبد الرزاق ج ١١/٤٥٣، والطبري ٢/٢١٥، وابن الأثير ٩/٤ وقال: وأنظر تاريخ الإسلام ٢/٣٢١، وسير الذهبي ٣/١٠١، وتاريخ البخاري ٤/٣٢٧، وابن كثير ٨/١٣٥، واللسان ٥/٢٦٩ و ٨/٣٢١، ونهاية ابن الأثير ١/٢٣٣ و ٢/١٠٢ و ١١٦ وحكى عن الذهبي وعبد الرزاق: المصعب وقال: وهو الأصوب.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣/٥ ط بولاق.

(٤) سير اعلام النبلاء ٧/١٣.

وما أقدر من القرآن على حرف حتى كنت لأصلي فأمر من يلقنني<sup>(١)</sup>. وخبر البلاذري فيه جهالة الرجل الراوي عن ابن عباس، ومع الاغماض عمّا في أسانيدِه فإن آخر الخبر ظاهر في الموازنة بين معاوية وبين ابن الزبير، وتفضيل معاوية على ابن الزبير، وهذا لا يعني شهادة من ابن عباس في حق معاوية تركيه عمّا اقرّف، وحسبنا غروره مع ما أساء واعترف، فمن غروره ما قاله إسماعيل بن قيس: ((دخلنا على معاوية في مرضه الذي مات فيه فقال: هل الدنيا إلا ما جرّ بنا، لوددت أنّي لا أقيم فيكم إلا ثلاثاً حتى ألقى الله، فقلنا إلى رحمة الله، فقال إلى ما شاء الله، إنّي لم آل فيكم إذ وليتكم فإن الله لو كره أمراً غيره<sup>(٢)</sup>)).

قال ابن عينة: ((هذا والله الاغترار، ألم تكن مقاتله عليّاً وقتله حجراً وبيعته يزيد ممّا يكره الله تعالى<sup>(٣)</sup>) وحسبنا تعقياً في المقام قول عائشة وقد رواه ابن عساكر وعنه ابن كثير<sup>(٤)</sup> بالاسناد عن الأسود بن يزيد قال: ((قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء وينازع أصحاب رسول الله ﷺ في الخلافة؟

قالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتیه البرّ والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة وكذلك غيره من الكفّار<sup>(٥)</sup>)).

مرويات مفتريات على ابن عباس في فضل معاوية:

والآن إلى قراءة مرويات مفتريات على ابن عباس في فضل معاوية، انتقيناها من البداية والنهاية لابن كثير، لأنّ شعوط اعتمدها كما مرّ، ولا غرابة

(١) المصنف لعبد الرزاق - وهو أحد الرواة عن معمر - ٣٠/١١.

(٢) محاضرات الراهب ٢٢٢/٢.

(٣) نفس المصدر.

(٤) البداية والنهاية ١٣١/٨.

(٥) تجد التحريف في تاريخ ابن عساكر وكذا في مسند الطيالسي في هذا الحديث مع ان ابن كثير نقله عنهما.

فابن كثير شاميّ البلد والهوى، وهو يروي ذلك عن ابن عساكر وهو مثله وكلمهم في حب معاوية سوا.

١- قال المسيّب بن واضح عن أبي إسحاق الفزاري عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: «أتى جبرئيل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا مجمّد أقرئ معاوية السلام واستوصى به خيراً، فإنّه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين».

قال ابن كثير: ثمّ أورد ابن عساكر من وجه آخر عن عبد الملك بن أبي سليمان ثمّ أورد أيضاً من رواية عليّ وجابر بن عبد الله... ولكن في الأسانيد اليهما غرائب<sup>(١)</sup>.

أقول: وهذا يعني بنظره سلامة الإسناد إلى ابن عباس فلننظر حال رجاله، وحسبنا سقوط السند لوجود المسيّب بن واضح الذي قال فيه ابن عدي: «قلت لعبدان أيهما أحبّ إليك عبد الوهاب بن الضحّاك أو المسيّب بن واضح؟ فقال: كلاهما سواء»<sup>(٢)</sup>. وإذا عرفنا أنّ عبد الوهاب من الكذّابين الوضّاعين المعروفين متروك ضعيف جداً كثير الخطأ والوهم فيكفي ذلك في رد روايته<sup>(٣)</sup>، وقد ضعفه الدارقطني في أماكن من سننه<sup>(٤)</sup>، ودع عنك جهالة أبي إسحاق الفزاري، وقول شعبة في عبد الملك بن أبي سليمان لتفرّده عن عطاء بخبر الشفعة للجار وقال: «لو روى عبد الملك حديثاً آخر مثل حديث الشفعة لطرحت حديثه»<sup>(٥)</sup>.

(١) البداية والنهاية ١٢٠/٨.

(٢) الكامل لابن عدي ٢٩٥/٥.

(٣) مجمع الزوائد ٣٥٧/٩، وفيه قال البخاري: عنده عجائب كما في الكامل لابن عدي ٢٩٥/٥.

(٤) ميزان الاعتدال ١١٧/٤.

(٥) الكامل لابن عدي ٣٠٢/٥.

أقول: وحسبنا بالمثلثة روايته عن عطاء هذا الحديث، فإذا تم هذا فقد سقط إذن الحديث المذكور عن عطاء عن ابن عباس في معاوية.

وقد ذكر الهيثمي هذا الحديث بسند آخر رواه الطبراني في الأوسط، فقال الهيثمي: ((وفيه محمّد بن فطر ولم أعرّفه وعليّ بن سعيد الرازي فيه لين))<sup>(١)</sup>. وذكره السيوطي نقلًا عن الطبراني في الأوسط وذكر في سنده رجلاً مجهولاً كما ذكر قبله حديثاً آخر نحو ما مرّ عن ابن عباس أيضاً وعقب على إسناده فقال: ((فيه مجاهيل ومولى غفرة لا يحتج به، وهذا هو قول ابن الجوزي في الموضوعات فراجع))<sup>(٢)</sup>.

٢- قال: ((ومن رواية ابن عباس: (الأماء سبعة: القلم واللوح واسرافيل وميكائيل وجبرائيل وأنا ومعاوية). قال ابن كثير: وهذا أنكر من الأحاديث التي قبله وأضعف إسناداً))<sup>(٣)</sup>. وحسبنا شهادة ابن كثير في رد هذه الرواية.

٣- روى ابن عدي وغيره من حديث عثمان بن عبد الرحمن الجمحي عن عطاء عن ابن عباس قال: ((قال رسول الله ﷺ: (اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب))<sup>(٤)</sup>.

أقول: لقد ترجم الذهبي في ميزانه عثمان بن عبد الرحمن الجمحي هذا وحكى قول أبي حاتم فيه: لا يحتج به، وقول ابن عدي: منكر الحديث. قال: ثم ساق - ابن عدي - في ترجمته عدة أحاديث منكّرة، منها... ثم ذكر الحديث المذكور آنفاً وقال: فوهم ابن عدي، وإنما هذا الواقسي لا الجمحي<sup>(٥)</sup>.

(١) مجمع الزوائد ٢٥٧/٩.

(٢) اللئالي المصنوعة ٢١٨/٢ ط مصر الأولى.

(٣) البداية والنهاية ١٢٠/٨.

(٤) الكامل لابن عدي ١٦١/٥.

(٥) ميزان الاعتدال ٤٧/٣.

أقول: ورجعنا إلى ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي فوجدنا البخاري قال: تركوه، وابن معين قال: ليس بشيء، وقال - مرة - يكذب، وضعفه عليّ جداً، وقال النسائي والدارقطني: متروك.

وسواء كان راوي الحديث هو الجمحي كما عن ابن عدي وابن كثير، أو هو الوقاصي كما يراه الذهبي، فهما معاً ساقطان لا يحتج بهما.

قال الدكتور جواد عليّ في كتابه المفصل: ((وقد وضعت أحاديث في مدح معاوية وبنو أمية، وأرى أن الحديث المذكور، يعني (اللهم علمه الكتاب والحساب) قاله ﷺ لمعاوية) وُضع في مقابل حديث (اللهم علمه الحكمة) الذي روي أن الرسول قاله في (ابن عباس) وحديث (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) أو (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب) و(اللهم بارك فيه وانشر منه) وأحاديث أخرى ذكر أنها قيلت فيه))<sup>(١)</sup>.

أقول: ولا يبعد صحة ما رآه.

٤- قال ابن كثير بعد إيراد ما مرّ وغيره نقلاً عن ابن عساكر: ((ثم ساق ابن عساكر أحاديث كثيرة موضوعة بلا شك في فضل معاوية أضربنا عنها صفحاً، واكتفينا بما أوردناه من الأحاديث الصحاح والحسان والمستجدات عما سواها من الموضوعات والمنكرات. ثم قال ابن عساكر: وأصح ما روي في فضل معاوية حديث أبي جمرة - والصواب أبي حمزة - عن ابن عباس: ((أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم)) أخرجه مسلم في صحيحه...))<sup>(٢)</sup>. وقد سبق لابن كثير أن أخرجه<sup>(٣)</sup> ولم يعلق عليه بشيء.

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٠٣/٨ ط الأولى.

(٢) البداية والنهاية ١٢٢/٨.

(٣) نقص المصدر ١٦٩/٦.



أقول: وقبل أن نعرِّج على صحيح مسلم، نود لفت نظر القارئ إلى وصف ابن كثير لما انتقاه بالصحاح والحسان والمستجدات... ومن البديهي أن ما سبق منا ذكره نقلاً عنه مما يتعلق بابن عباس كان مما انتقاه، وقد يتنا زيفه سنداً، فهو إذن ليس من الصحاح ولا الحسان ولا المستجدات، بل هو من الموضوعات والمنكرات فلماذا ذكرها؟

أما ما ذكره عن صحيح مسلم منسوباً إلى ابن عباس فليس ثمة ما هو كذلك وأحسبه أراد ما أخرجه عن أبي حمزة القصاب عن ابن عباس قال: «كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب، قال: فجاء فحطاني حطاً وقال: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، قال ثم قال لي اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت هو يأكل فقال: لا أشبع الله بطنه».

قال ابن المشي قلت لأمية: ما حطاني قال: فقدني قفدة<sup>(١)</sup>. (أي ضربني بكفه بين كفتي).

وقد أعاد مسلم ذكر الحديث بسند آخر مختصراً للمتن<sup>(٢)</sup> ومن هذا الحديث - فيما أظنه - نحت ابن عساكر الحديث عن أبي جمرة - والصحيح أبي

(١) صحيح مسلم ١٢٧/٨ طبع محمد علي صبيح.

(٢) لقد مر ذكر هذا الحديث في الجزء الأول في حياة ابن عباس في عهد الرسول في شواهد ومشاهد كما مر في هذا الجزء في جهاد ابن عباس بسلاح الرواية وبقبنا عليه بما يقتضي المقام وذكرنا سند أحمد في مسنده أخرجه مكرراً مختصراً ومطولاً أربع مرات وليس في شيء منها جملة (لا أشبع الله بطنه) فهل ابتلعها من لم يشبع الله بطنه؟ راجع ٢١٥٠ و ٢٢٥١ و ٣١٠٤ و ٣١٣١ تح. أحمد محمد شاكر.

وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده برقم ٣٧٤٦ كما وأشار إليه ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٣٦/٨.

والذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة معاوية وابن عبد البر في الاستيعاب ( ترجمة معاوية) وابن الأثير في اسد الغابة (ترجمة معاوية).

حمزة - فجعل معاوية (كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم)، ومهما يكن فإن ذلك لا يدل على فضيلة لمعاوية بل هو يدل على مثلية، وإن حاول مسلم وجري من بعده على أن ينحتوا منه منقبة لمعاوية، وقدّم لذلك مسلم بأحاديث (فأَيُّ مؤمن أذيتُه أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقرية تقرِّبه بها إليك يوم القيامة)، أو (إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأَيُّ أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقرية تقرِّبه بها منه يوم القيامة)، وبهذا اللون من الإسفاف - ولو على حساب كرامة النبي ﷺ - جعلوا من دعاء الرسول على معاوية (لا أشبع الله بطنه) كرامة له وفضيلة.

ومن السخرية بقول الناس ما قاله ابن كثير تعقياً على الحديث المذكور بعد أن حكاه عن أحمد ومسلم والحاكم وذكر في آخره: فما شبع بعدها. فقال: ((وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أمّا في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميراً كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير ويصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول والله ما أشبع وإنما أعياء وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك (؟) ١)). وأمّا في الآخرة فقد اتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم إنما أنا بشر فأَيُّ عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس بذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارة وقرية تقرِّبه بها عندك يوم القيامة) فركّب مسلم من الحديث الأول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية ولم يورد له غير ذلك)). انتهى ما عند ابن كثير من التعقيب.

ونحن لا تناقشه في انتفاع معاوية بالدعوة في الدنيا فدلائل نهمه كثيرة<sup>(١)</sup>، ولكن من أين له إثبات ذلك في الآخرة؟! وهي غيبٌ محجوب، لا يعلمه إلا علام الغيوب، وما ذكره من تركيب مسلم فضيلة لمعاوية، فهو كسائر تمحلاته الآتية وما أدراك ما هي؟ على أن الحديث ليس فيه (أنه كان كاتب النبي ﷺ منذ أسلم).

قال النووي: ((وأما دعاؤه ﷺ أن لا يشيع حين تأخر فيه الجوابان السابقان: أحدهما أنه جرى على اللسان بلا قصد (ونحن نقول: غفرانك اللهم ان هذا إلا بهتان عظيم)، والثاني أنه عقوبة له لتأخره، وقد فهم مسلم ﷺ من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه فلماذا أدخله في هذا الباب، وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة يصير دعاء له))<sup>(٢)</sup> (١٩).

وقال الذهبي: ((فسره بعض المحييين قال: لا أشيع الله بطنه حتى لا يكون ممن يجوع يوم القيامة لأن الخبر عنه أنه قال: أطول الناس شعباً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة.

(١) راجع على سبيل المثال أنساب الأشراف تح. احسان عباس (بنو عبد شمس) ١٤ برقم ٤٤ - وهذا بعضه في المستطرف ١/١٦٥ - ٤٢ برقم ١٥٥ وتكره في الهامش هذا في الطبري ٢/٢٠٨ والبخلاء ١٣٩/١ وصيون الأخبار ٣/٢٢٨ والبصائر ٤/٢٤٢ وربيع الأبرار ٢١٩/١ والعقد ٦/٢٩٩ وابن الأثير ٤ - ٧ - ٨ وقوت القلوب ٤/٧٩ وابن كثير ٨/١٤١ وتاريخ ابن عساکر ١٠/١٥٧.

وراجع أيضاً أنساب الأشراف / ١٢٥ برقم ٣٥٧ وفي الهامش هذا في أخبار الطراف / ٢٤. وأيضاً في أنساب الأشراف ١٢٥ برقم ٣٥٨ وفي الهامش هذا في نهاية الإرب ٣/٢٤٣ والمروج ٥/٧٤ والمستطرف ١/١٦٥ وابن كثير ٨/١١٩ وربيع الأبرار ٢١١/٢ أسبع أكلات. وقال البلاذري في فتوح البلدان/٤٧٩ ط مصر سنة ١٣١٩: ودماه يوماً وهو يأكل فأبطأ فقال: لا أشيع الله بطنه فكان يقول: لحقتني دعوة رسول الله ﷺ، وكان يأكل في اليوم سبع أكلات وأكثر وأقل.

وقد أضحى معاوية في نهمه مورد النكتة حتى قيل في ذلك:

وصاحب لي بطنه زاوية  
كأنما في بطنه معاوية

(٢) شرح صحيح مسلم ٢/٣٢٥ ط الهند و١٦/١٥٩ ط مصر.

قلت - والقاتل هو الذهبي - هذا ما صحح والتأويل ركيك، وأشبه منه قوله الطبراني (اللهم من سببته أو شتمته من الأمة فاجعلها له رحمة)، أو كما قال: وقد كان معاوية معدوداً من الأكلة<sup>(١)</sup>. انتهى ما عند الذهبي في المقام بنصه وفصه.

لكن الألباني تلاعب بالنص على ما فيه من هنات فقد أورد الحديث في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشرق وغرب إلى أن حكى عن النووي ما ذكرناه آنفاً، ثم قال بعده بلا فصل: ((وقد أشار الذهبي إلى هذا المعنى الثاني، فقال في سير أعلام النبلاء (٢/١٧١/٩): قلت: لعل أن يقال: هذه منقبة لمعاوية لقوله الطبراني: اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة))<sup>(٢)</sup>.

فقارن الآن بينه وبين ما نقلناه حرفياً عن الذهبي لتعرف مدى الخيانة ممن يزعم لنفسه الأمانة.

ومع ذلك فقد تحامل - الألباني بغير حق - على من أنكر حديث: (اللهم من سببته) لمسه بكرامة الرسول ﷺ حين يكون سبه بغير حق وجلده بغير حق وقتله بغير حق<sup>(٣)</sup>، اللهم غفرانك إن هذا إلا بهتان عظيم.

ولم يكن الألباني بدعاً في قومه، فكم له من نظير استحوذ عليهم حب معاوية، ففتشوا له عن منقبة فلم يجدوا، فصاروا يلقبون المفاهيم فجعلوا من المثالب مناقب، والدعاء عليه دعاء له (فإنها لا تغمى الأبصار ولكن تغمى القلوب التي في الصدور)<sup>(٤)</sup> فهم (يحرقون الكلم عن مواضعه)<sup>(٥)</sup> (قَوِيلَ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)<sup>(٦)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء ٢٨٧/٤ - ٢٨٨ ط دار الفكر بيروت.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٢.

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ٨٤.

(٤) الحج / ٤٦.

(٥) المائدة / ١٣.

(٦) البقرة / ٧٩.

وأعود إلى ابن عساكر الذي اعتبر هذا الحديث من أصح ما ورد في حق معاوية، وتابعه ابن كثير على ذلك !! فهلاً بحثاً عن رجال سنده أولاً، ولا أقل عن أبي حمزة القصاب راوي الحديث عن ابن عباس.

فقد ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء فقال: لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به، وحكى عن سفيان قوله: قدم علينا أبو حمزة صاحب ابن عباس فلم آته<sup>(١)</sup>. وذكره ابن حجر وحكى عن أبي زرعة أنه لئن، وعن أبي حاتم والنسائي قولهما: ليس بالقوي، وعن الأجرى عن أبي داود قوله: ليس بذلك وهو ضعيف<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي: ((ليس له عن ابن عباس عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، وله عن ابن عباس من قوله: إنه يكره مشاركة المسلم اليهودي، وكل ما في الصحيحين أبو حمزة عن ابن عباس فهو بالجيم والراء وهو نصر بن عمران الضبي، إلا هذا القصاب - يباع القصب - فله في مسلم هذا الحديث وحده، لا ذكر له في البخاري))<sup>(٣)</sup>.

أقول: فهذا حال الراوي عن ابن عباس ويكفي أنه لا يتابع على حديثه كما قال العقيلي، وليكن ابن عساكر يراه من أصح ما ورد في فضل معاوية، وليتابعه ابن كثير على ذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥- قال ابن كثير: ((وقد قال البخاري في كتاب المناقب (ذكر معاوية بن أبي سفيان): حدثنا الحسن بن بشر ثنا المعافى عن عثمان بن الأسود عن ابن أبي مليكة قال:

(١) الضعفاء الكبير ٣/٢٩٩.

(٢) تهذيب التهذيب ٨/١٣٥.

(٣) شرح صحيح مسلم ١١/١٥٥ ط دار الكتاب العربي سنة ١٤٠٧.

(٤) محمد ١٦/.

أوتر معاوية بعد العشاء بركة وعنده مولى لابن عباس فأتى ابن عباس فقال: أوتر معاوية بركة بعد العشاء؟ فقال: دعه فإنه قد صحب رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

٦- ((حدثنا ابن أبي مريم ثنا نافع بن عمر ثنا ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؟ ما أوتر إلا بواحدة قال: أصاب، إنه قبيح))<sup>(٢)</sup>.

أقول: ذكر البخاري هذين الخبرين في صحيحه، وكأنه لم يشأ أن يتخطى معاوية فلا يخط له ذكراً مع أصحاب السوابق والمناقب من الصحابة، ولما لم يجد له منقبة تؤهله لذلك فنازعته نفسه وغلبه هواه فعمد إلى حشر معاوية فقال: (باب في ذكر معاوية)، وفي اختياره هذا العنوان قال ابن حجر: ((تنبيه: عبر البخاري في هذه الترجمة بقوله ذكر ولم يقل فضيلة ولا منقبة، لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب، لأن ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير، وقد صنف ابن أبي عاصم جزءاً في مناقبه، وكذلك أبو عمر غلام ثعلب وأبو بكر النقاش، وأورد ابن الجوزي في الموضوعات بعض الأحاديث التي ذكروها ثم ساق عن إسحاق بن راهويه أنه قال: لم يصح في فضائل معاوية شيء، فهذه النكته في عدول البخاري عن التصريح بلفظ منقبة اعتماداً على قول شيخه، لكن بدقيق نظره استبطن ما يدفع (يدفع ظ) به رؤوس الروافض، وقصة النسائي في ذلك مشهورة<sup>(٣)</sup>، وكأنه اعتمد أيضاً على قول شيخه، وكذلك في

(١) البداية والنهاية ١٢٢/٨.

(٢) البداية والنهاية ١٢٢/٨.

(٣) رواها الذهبي في تذكرة الحفاظ / ٦٩٩ ط، دمج بيروت وابن خلكان في وفيات الاصبهان ٧٧/١ والمقرئزي في المقفى الكبير ٤٠٢/١ وفيبرهم وخلصتها خرج من مصر إلى دمشق والمنحرف بها عن علي كثير فصنف كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله ﷻ. فسل عن فضائل معاوية فقال أي شيء أخرج ما اصرف له من فضيلة إلا حديث: ( اللهم لا تشيع بطنه) فضربوه في الجامع وداسوا في خصييه (حضنيه) حتى اخرج من الجامع ثم

قصة الحاكم<sup>(١)</sup>، وأخرج ابن الجوزي أيضاً من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل. سألت أبي ما تقول في عليّ ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: اعلم إن علياً كان كثير الأعداء ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كياداً منهم لعلّي. فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل ممّا لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

أقول: ومع هذه الاستماتة من ابن حجر في تبرير ذكر البخاري لمعاوية وأنه استنبط بديق نظره ما يدفع (يدفع ظ) به رؤوس الروافض، فنقول له: أولاً: ما شأن الروافض في المقام، وهل أن من ذكر أسماءهم من لا يرى فضيلة لمعاوية هم من الروافض؟

فهل إن إسحاق بن راهويه رافضي؟ وهل النسائي رافضي؟ وهل أحمد بن حنبل رافضي؟ وهل ابن الجوزي رافضي؟ وهؤلاء الذين ذكرهم ابن حجر وصرحوا بأنه لم تصح فضيلة لمعاوية.

حمل إلى مكة فمات بها سنة ٣٠٣ هـ وروى المقرئ في المقفى الكبير ٤٠٣/١: ان الأمير أبو منصور تكين قال قرأ عليّ أبو عبد الرحمان النعماني كتاب الخصائص، فقلت: حدثني بفضائل معاوية. فجاءني بعد جمعة بورقة فيها حديثان فقلت بهذه بمن ؟ فقال: وليست بصحاح ! هذه غرم معاوية عليها الدراهم...

(١) راجع طبقات الشافعية للمسيكي ٦٧/٣ ط مصر الأولى ١٦١/٤ ط محققة بمصر. تجد العنوان التالي ذكر البحث عمّا رُمي به الحاكم من التشيع... وحكى المسيكي قول ابن طاهر المقدسي... وكان منحرفاً غالباً عن معاوية وأهل بيته فيتظاهر به ولا يمتنر منه... وحكى عن أبي عبد الرحمن المسلمي قوله: دخلت على أبي عبد الله الحاكم وهو في داره لا يمكنه الخروج إلى المسجد من أصحاب أبي عبد الله بن كرام وذلك أنهم كسروا منبره ومنعوه من الخروج فقلت له: لو خرجت وأملت في فضائل هذا الرجل حديثاً لاسترحت من هذه الفتنة فقال: لا يجيء من قلبي - يعني معاوية.

(٢) فتح الباري ١٠٥/٨ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٨.

وتزيده في المقام.

ثانياً: ذكر جماعة تتم بهم العشرة:

١- عبد الله بن المبارك قال: ((ها هنا قوم يسألونا عن فضائل معاوية، وبحسب معاوية أن يُترك كفافاً))<sup>(١)</sup>.

٢- ابن تيمية - وهو عدو الروافض رقم واحد - فقد قال: ((طائفة وضعوا لمعاوية فضائل ورووا أحاديث عن النبي ﷺ في ذلك كلها كذب))<sup>(٢)</sup>.

٣- الفيروز آبادي صاحب القاموس وغيره قال في خاتمة كتابه سفر السعادة: ((باب فضائل معاوية) ليس فيه حديث صحيح))<sup>(٣)</sup>.

٤- العيني صاحب عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري قال في شرح الحديث المذكور: ((فإن قلت: قد ورد في فضله - يعني معاوية - أحاديث كثيرة، قلت: نعم ولكن ليس فيها حديث صحيح يصحح من طرق الإسناد...))<sup>(٤)</sup>.

٥- الشوكاني صاحب نيل الأوطار قال في كتابه الفوائد المجموعة: ((اتفق الحفاظ على أنه لم يصح في فضل معاوية حديث))<sup>(٥)</sup>.

٦- العجلوني قال في كشف الخفاء: ((باب فضائل معاوية) ليس فيه حديث صحيح))<sup>(٦)</sup>.

٧- الذهبي في سير أعلام النبلاء قال: ((وقد ساق ابن عساكر في الترجمة أحاديث واهية وباطلة طول بها جداً. وخلف معاوية خلق كثير يهونه ويتفألون فيه

(١) أنساب الأشراف (بنو عبد همام) / ١٢٩.

(٢) منهاج السنة ٢/٢٠٧.

(٣) سفر السعادة / ١٤٣ ط دار المصنوع بمصر سنة ١٣٣٢.

(٤) عمدة القارئ / ١٦/٢٤٩.

(٥) كما في الفدير ١١/٩٧ نقلاً عن الفوائد المجموعة / ٤٣٣ ح ١٦٢.

(٦) كشف الخفاء / ٤٢٠.



ويفضلونه، إنا قد ملكهم بالكرم والحلم والطاء، وإنا قد ولدوا في الشام على حبه، وترى أولادهم على ذلك، وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء وحاربوا معه أهل العراق ونشئوا على النصب، نعوذ بالله من الهوى»<sup>(١)</sup>.

والآن فلننعم النظر في رجال السند:

فالخبير الأول بدأه البخاري بروايته عن شيخه الحسن بن بشر فمن ذا هو؟ ترجمه ابن حجر فذكر في ترجمته قول أحمد: «(روى عن زهير أشياء مناكير. وقول النسائي ليس بالقوي، وقول ابن خراش: منكر الحديث)»، وختم ابن حجر ترجمته بقوله: «(وذكره الساجي وأبو العرب في الضعفاء)»<sup>(٢)</sup>.  
أقول: فحسبك من القلادة ما أحاط العنق.

أما سند الخبير الثاني ففيه نافع بن عمر، ضَعَفَه ابن سعد بقوله: «(قليل الحديث فيه شيء)»<sup>(٣)</sup>، فتعقبه الذهبي بقوله: قلت هذا نوع من العنت والرجل فكما قال الإمام أجهد وكما قال ابن مهدي فيه كان من الناس ثم حكى توثيقه عن غير واحد<sup>(٤)</sup>. وسواء صح ما قاله أم لم يصح، فإن المتن يستبطن بطلانه من جهات بالبيان التالي:

الأول: اختلاف الراوي في نقله مع أن الواقعة واحدة كما مر في الخبرين عند البخاري، فابن المليكة - وهذا قاضي ابن الزبير ومؤذنه<sup>(٥)</sup> وحسبك بهذا دليلاً

(١) سير اعلام النبلاء (ترجمة معاوية) ٢٩١/٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/٢٥٥ - ٢٥٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٥٦/٨ ط الخانجي.

(٤) ميزان الاعتدال ٥٢٥/٢ ط الهند.

(٥) الطبري ٣٣٠/٥ وفي المصدر المذكور زيادات اختصرها ابن كثير، وقارن ابن الأثير ٧/٤ وابن كثير ١٤٠/٨، وأنساب الأشراف (بنو عبد شمس) ٣١/٤ ق١ تح احسان عباس بتفاوت ليس بينها.

على هويته الناصبة - قد روى الخبرين معاً وتفاوت في نقله الجواب عن ابن عباس، فهو إما أن يكون نطق بهذا أو بهذا، فلماذا الاختلاف في نقل الجواب؟ وهذا الاختلاف يجعل رصيماً لمعاوية عند أحبابه، فهو من الصحابة، فلا يُسأل عما فعل (دعه فإنه قد صحب رسول الله ﷺ)!

وهو كذلك مصيبٌ فيما فعل (أصاب إنه فقيه) وقد مر بنا قول ابن حجر: «لأن ظاهر شهادة ابن عباس له بالفقه والصحبة دالة على الفضل الكثير» مع أن ابن عباس لم يكن نطق بهما معاً كما هو صريح الخبرين، بل بأحدهما على تقدير صحة الخبر وأني ذلك؟ فلاحظ.

الثانية: منافاة تلك الشهادة المزعومة لجملة مواقف ابن عباس مع معاوية بدءاً من أول لقاء بينهما بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام وقد مرّت الإشارة إليه، وفي ذلك الموقف يقول ابن عباس لمعاوية: «لأنه - يعني الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - مسلم وأنت كافر»، فأين صارت الصحبة العاصمة؟ ثم من قرأ المحاورات التي كانت تجري بينهما طيلة عشرين سنة من حكم معاوية يجد أن ابن عباس لم يكن يرى لمعاوية أية حرمة فضلاً عن وصفه له بالفقه.

ومن ذا يصدق بما في البخاري من خبر ابن أبي مليكة هذا، ولا ابن عباس موقف يعلن استنكاره على معاوية في لبسه الحرير، ويقول: «من عذيري من معاوية بن أبي سفيان أنا أقول له: قال رسول الله، وهو يقول: وأنا لا أرى به بأساً» - كما ستأتي المحاورات بنصها في الحلقة الثانية في صفحة احتجاجاته - فلو كان يراه فقيهاً لاغتر له ذلك لإجتهاده.

كما أنه لعنه في قطعه التلبية يوم عرفة ولم يغتر له ذلك - وقد مر ذكر

ذلك.

الثالثة: ولنغض الطرف عن جميع ما مرّ، ولنضع غشاوة على العيون لئلا نقرأ جرائم معاوية التي ارتكبها وكان ابن عباس ضده فيها، ولكن هلم نتساءل من أنصار معاوية عن تخريج بعض أفعال معاوية فقاهاة:

١- فهل كان الفقه يجيز له المطالبة بدم عثمان لأنه ابن عمه، مع وجود أبنائه وهم أولياء الدم إن كان لهم حق المطالبة؟ وقد مرّ بنا من أجوبة ابن عباس لمعاوية في مسألة دم عثمان في بعض محاوراته ممّا يعني عن الإعادة.

ومن المفارقات أن نجد الذهبي وغيره يروي أن ابن عباس قال في كلام له مع بعض سّواره واسمه زهدم الجرّمي: ((وأيم الله ليتأمرن عليكم معاوية، وذلك أن الله يقول: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِوَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾<sup>(١)</sup>). وهذا الخبر أورده الطبراني<sup>(٢)</sup> والهيثمي وعزاه للطبراني، وقال: وفيه من لم أعرفهم<sup>(٣)</sup>، وأورده ابن كثير<sup>(٤)</sup>.

وهكذا تناقلته رواة التبّير مع رواياتهم أنفسهم لما يصادم ذلك من مواقف ابن عباس ضد معاوية في المطالبة بدم عثمان.

ورحم الله الأعمش فقد ذكر عنده معاوية وقالوا: كان حليماً فقال: كيف يكون حليماً وقد قاتل علياً وطلب - وزعم - بدم عثمان من لم يقتله؟ وما هو ودم عثمان، وغيره كان أولى بعثمان منه، وقال شريك القاضي: ليس بحليم من سفه الحقّ وقاتل علياً<sup>(٥)</sup>.

(١) الاسراء / ٣٣.

(٢) المعجم الكبير ١٠/٣٦٣ برقم ١٠٦١٣.

(٣) مجمع الزوائد ٧/٣٦٦.

(٤) البداية والنهاية ٨/١٣٠ - ١٣١.

(٥) انظر البداية والنهاية ٨/١٣٠.

٢- وهل كان الفقه يجيز له التمرد على خليفة بايعه المهاجرون والأنصار في المدينة وبقية الأمصار إلا الشام التي أنفلها معاوية، وقد قال سفيان بن عيينة: ((ما كانت في عليّ خصلة تقصر به عن الخلافة، ولم يكن في معاوية خصلة ينازع بها عليّاً))<sup>(١)</sup>.

٣- وهل كان الفقه يجيز له الحرب الضروس على إمام زمانه ومن معه حتى قتل فيها أكثر من مائة ألف مسلم ورسول الله ﷺ يقول لعليّ: (حرك حربي وسلمك سلمي).

٤- وهل كان الفقه يجيز له تبرير قتل عمار بأن عليّاً هو الذي قتله، حين استعظم بعض زبائنه ذلك للحديث النبوي الشريف الثابت المتواتر: (عمار تقتله الفشة الباغية)؟ إن عليّاً هو الذي قتله أتى به فألقاه بين رماحنا، فبلغ ذلك الإمام الطيّب فقال: وحمزة قتله رسول الله ﷺ (٤٤).

٥- وهل كان الفقه يجيز له استلحاق الدعي زياد بن أبيه فيناقض القرآن والسنة؟

٦- وهل كان الفقه يجيز له استخلاف ابنه الفاسق الفاجر على المسلمين وفيهم من هو صاحب الأمر والحق؟

ودع عنك تلك الأمور لأنها في سبيل الحكم، ولكن هلم الخطب في موارد غيرها مما تنبئ عن استخفافه بالدين وأحكامه، وإليك الإشارة إلى بعضها وجميعها في البداية والنهاية التي يعتمدها سقوط في كتابه (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ).

أ- قال الزهري: مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية<sup>(١)</sup> وقضى بذلك بنو أمية من بعده، حتى كان عمر بن عبد العزيز فراجع السنة، وأعاد هشام ما قضى به معاوية وبنو أمية من بعده، وبه قال الزهري.

ب- ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف، وأخذ النصف لنفسه<sup>(٢)</sup>.

ج- قال ابن كثير: وذكر ابن جرير أن عمرو بن العاص قدم في وفد أهل مصر إلى معاوية، فقال لهم في الطريق: إذا دخلتم على معاوية فلا تسلموا عليه بالخلافة فإنه لا يحب ذلك. فلما دخل عليه عمرو قبلهم قال معاوية لحاجبه: أدخلهم، وأوعز إليه أن يخوفهم في الدخول ويرعبهم، وقال: إني لأظن عمراً قد تقدم إليهم في شيء؟ فلما أدخلوهم عليه - وقد أمانوهم - جعل أحدهم إذا دخل يقول: السلام عليك يا رسول الله، فلما نهض عمرو من عنده قال: قَبِّحَكُمُ اللهُ، نهيتمكم عن أن تسلموا عليه بالخلافة فسلمتم عليه بالنبوة<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً: فاقروا ما رواه ابن عساكر في ترجمة خديج الخصمي مولى معاوية قال: ((اشترى معاوية جارية بيضاء، فأدخلتها عليه مجردة، وبيده قضيب، فجعل يهوي به إلى متاعها - يعني فرجها - ويقول هذا المتاع لو كان لي متاع، اذهب بها إلى يزيد بن معاوية، ثم قال: لا، ادع لي ربيعة بن عمرو

(١) تاريخ ابن كثير ١٣٩/٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تاريخ الطبري ٣٣٠/٥ وفي المصدر المذكور زيادات اختصرها ابن كثير، وقارن ابن الأثير

٧/٤، وابن كثير ١٤٠/٨ وأنساب الأشراف (بنو عبد شمس) ٣١/٤٦١ تحت إسمان عباس

بتفاوت يسير بينها.

الجرشي - وكان فقيهاً - فلما دخل عليه، قال: إن هذه أتيت بها مجردة فأريت منها ذلك وذاك، وإني أردت أن أبعث بها إلى يزيد؟ قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنها لا تصلح له، فقال: نعم ما رأيت. قال: ثم وهبها لعبد الله بن مسعدة الفزاري مولى فاطمة بنت رسول الله ﷺ وكان أسود فقال له: بيض بها ولدك.

وهذا من فقه معاوية وتحريمه حيث كان نظر إليها بشهوة ولكنه استضعف نفسه عنها، فتهرج أن يهبها من ولده يزيد لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>(١)</sup> وقد وافقه على ذلك الفقيه ربيعة بن عمرو الدمشقي... اهـ)).

وإلى هنا فلنختم فقه معاوية بما ذكره ابن كثير<sup>(٢)</sup> عن ابن عساكر فيما رواه في فضائل معاوية.

وليس لنا من تعليق على ما ذكره سوى إنا نقول: أن زوجته ميسون الكلبية كانت أفقه منه حين دخل عليها يوماً ومعه خادم خصي فاستترت منه وقالت: ما هذا الرجل معك؟ فقال: إنه خصي فاطهري عليه، فقالت: ما كانت المثلة لتحل له ما حرّم الله عليه، وحجبت عنها. قال ابن كثير: وفي رواية إنها قالت له: إن مجرد مثلتك له لن تحل ما حرّمه الله عليه.

هذه نماذج من موارد فقهه التي خالف فيها الكتاب والسنة، ثم ينسب أولياؤه - وبلا حياء - إلى ابن عباس الذي هو حبر الأمة وترجمان القرآن أنه قال فيه: ((أصاب إنّه فقيه))؟! وهب أنا صدقنا الراوي في شهادة ابن عباس

(١) النساء / ٢٢.

(٢) انظر البداية والنهاية ١٤٠/٨.

فإن ابن عباس روى أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (آفة الدين ثلاثة: فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل)، وفي قول ابن عباس - لو صح الخبر - دعه، ما يدل على سخريته بمعاوية لمخالفته السنة، ولو لم يكن كذلك لأمره بالاعتداء به.

وتمقيماً منا على ما نسب إليه أيضاً من تبرير عمل معاوية بأنه صحب رسول الله ﷺ، وهذه الشهادة أيضاً يبطلها تقسيم ابن عباس نفسه للمصحابة، فقد كان له رأي في تقسيمهم، ذكرناه في الجزء الأول حيث قال: ((ترك رسول الله ﷺ الناس يوم توفي على أربع مراتب (منازل))) فراجع. ونضيف إليه هنا ما روي عنه في تقييمهم وقد قاله لمعاوية: ((يا معاوية إن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، خص نبيه محمداً صلى الله عليه وآله) وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم في كتابه فقال: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup> الآية، قاموا بمعالم الدين، وناصروا الاجتهاد للمسلمين، حتى تهدبت طرقه، وقويت أسبابه، وظهرت آلاء الله، واستقر دينه، ووضحت أعلامه، وأذل الله بهم الشرك، وأزال رؤوسه، ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية، والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياة لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها.

فقطع عليه معاوية الكلام وقال: إيها يا بن عباس حديثاً في غير هذا<sup>(٢)</sup>.

(١) الفتح / ٢٩.

(٢) مروج الذهب / ٣ / ٦١ - ٦٢ ط عبد الحميد.

وأخيراً نختم الكلام عن رأيه في الصحبة ومن يتشدد بها انتماءً بما رواه البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال: ((يقول أحدهم أبي صحب رسول الله ﷺ وكان مع رسول الله ﷺ، وكُنْعَلُ خَلْقٌ خَيْرٌ مِنْ أَيْهٍ))، قال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح<sup>(١)</sup>.

فهو لا يقيم الوزن لمجرد الصحبة العامة إذ ليس كل من رأى النبي ﷺ أو صحبه يستحق شرف الصحبة ما لم يحسن الصحبة في حياة النبي ﷺ ويؤدي حق الصحبة بعد وفاته. فذلك هو الذي يحظى بوصف الصحبة الحقيقية على ضوء ما ذكره ابن عباس أخذاً من التخصيص الشرعي الذي استفاده من القرآن الكريم. أما الذين أساؤا إلى النبي ﷺ في الحياة، ولم يحسنوا بعد الممات فهم في الدرك الأسفل من النار وإن شملهم الإطلاق اللغوي، وضمت تراجمهم معاجم الصحابة، ويكفينا دليلاً أخبار الحوض الصحيحة التي تُخرج الكثير الكثير من حظيرة القدس وشرف الصحبة إلى مهاوي الحضيض في نار جهنم<sup>(٢)</sup>.

فقد روى البخاري بسنده عن جبير بن نفير - في حديث مع المقداد بن عمرو قال فيه المقداد: ((والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقواماً كَبِهَمِ اللَّهِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ... (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))<sup>(٣)</sup>)).<sup>(٤)</sup>

(١) مجمع الزوائد ١١٣/١.

(٢) لي رسالة في ذلك أسميتها (قطف الروض من أحاديث الحوض) جمعت فيها الأحاديث المتعلقة بذلك من الصحاح والمسانيد والمنن، والتاريخ مع اعترافات خطيرة لأكابر الصحابة بأنهم أحدثوا بعد النبي ﷺ أحداثاً يخشون منها، المؤلف.

(٣) الأعراف / ١٥٧.

(٤) الأدب المفرد ٣٣/ باب الولد قررة العين تحم محمد فؤاد عبد الباقي ط السلفية سنة ١٣٧٥ بمصر.



فهل كان ابن عباس يرى معاوية ممن حظي بشرف الصحبة، ومن حظي بهما فلا يُسأل عما فعل كما هو رأي علماء التبرير؟ اللهم لا، لأنه قد لعنه في يوم عرفة على ملا من المسلمين لأنه ترك التلبية، وهو بالأمس قد حاربه في صفين وهو لا يزال يروي فيه ما سمعه من النبي ﷺ من لعنه والدعاء عليه. فكيف نصدق برواية البخاري التي فيها أكثر من ملاحظة!

والأعجب عندي من ذلك رواية هذا الخبر عند الشافعي في مسنده فرواه بإسناده إلى كريب مولى ابن عباس: «أنه رأى معاوية صلى العشاء ثم أوتر بركمة واحدة لم يزد، فأخبر ابن عباس، فقال: أصاب، وأي بني ليس أحد منا أعلم من معاوية، هي واحدة أو خمس أو سبع أو أكثر...ها»<sup>(١)</sup>

وهذه الشهادة بالأعلمية أفضح وأقضح المفتريات على ابن عباس، فقد استعر أوار المزایدات المناقبة في هذا الخبر عند الشافعي، ولست أدري كيف لم يذكرها ابن حجر وهو المتهاك على جمع الرّم والطّم لمعاوية؟ ولعله رآها فلم يعتن بها لوضوح كذبها. وما أدري ما جواب الشافعي والبخاري وأضرابهما ممن روى المفتريات على ابن عباس في حق معاوية عما رواه ابن عباس من لعن النبي ﷺ لمعاوية وعمرو بن العاص عندما سمعهما يغنيان (٢)

فقد أخرج الطبراني في المعجم قال: «حدثنا أحمد بن علي الجارودي الاصبهاني، ثنا عبد الله بن سعيد الكندي، ثنا عيسى بن سودة النخعي عن ليث عن طاووس عن ابن عباس ؓ قال: سمع رسول الله ﷺ صوت رجلين يغنيان وهما يقولان:

ولا يزال حوارِي يلوح عظامه      زوى الحربُ عنه أن يُجنّ فيقبرا

(١) مسند الشافعي ١/١٠٨.

فَسألَ عنهما، فقيل: معاوية وعمرو بن العاص، فقال: (اللهم أركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعاً))<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث صريح في ذمهما ولعنهما والدعاء عليهما وبالتالي فهما من أهل النار، لأن دعاءه ﷺ مستجاب.

وقد ألق هذا الحديث علماء التبرير، ولهم حوله غمضة وجسجة من غير طحين، فقد رواه غير ابن عباس جماعة منهم:

١- أبو برزة الاسلمي وحديثه في مسند أحمد<sup>(٢)</sup>، ورواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين<sup>(٣)</sup>، إلا أن الأول تستر على الاسمين بينما الثاني صرح بهما، وفي مجمع الزوائد قال: رواه أحمد والبخاري، وأبو يعلى بنحوه ولم يخفى محاولته التستر على الرجلين، فلم يصرح باسميهما وقال: فلان وفلان<sup>(٤)</sup>.

٢- المطلب بن ربيعة وحديثه رواه الطبراني في الأوسط وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد<sup>(٥)</sup>، وخدمه سنداً ولا ضمير فله شواهد.

٣- صالح شقران مولى رسول الله ﷺ، فقد روى حديث ابن قانع في معجمه - كما في لثالي السيوطي<sup>(٦)</sup> بسنده عن سيف بن عمر - الكذاب الوضاع المتهم بالزندقة - ومع ذلك فقد تهلل وجه الراوي - السيوطي - لأن روايته كشفت الغمة

(١) المجمع الكبير ١١/٣٢ برقم ١٠٩٧٠ ط الموصل.

(٢) مسند أحمد ٤٢١/٤ ط الأولى.

(٣) كتاب صفين ٢٤٦/ ط مصر سنة ١٣٦٥ وقد عينا سنة الطبع ومكانه لأن يد الخيانة في طبعة بيروت بالمطبعة العباسية سنة ١٣٤٠ حذفت هذا وما قبله وما بعده ما يقابل صفحتين ونصف ضمت ستة أخبار في دم معاوية كما أسقطوا الأسانيد في الكتاب وما درى الأقبياء ان ذلك لا يعني اخفاء الحق عن الباحثين، فله مصادر أخرى لم نلقها أيديهم كما له شواهد ذكرناها في المتن.

(٤) مجمع الزوائد ٨/١٢١.

(٥) نفس المصدر.

(٦) اللثالي المصنوعة للسيوطي ١/٢٢٢ ط مصر الأولى سنة ١٣١٧.

عن علماء التبرير، فجعلت الغناء والدعاء على عمرو بن رفاعة أحد المناققين وكذلك معاوية بن رافع أحد المناققين فقال السيوطي - مبتهجاً - وهذه الرواية أزالَت الإشكال وبيّنت أن الوهم وقع في الحديث الأول في لفظة واحدة وهي قوله ابن العاصي وإنما هو ابن رفاعة.

وهذا من أغرب الغرائب !! حيث أن ما ذكره بسنده إنما هو عن سيف بن عمر، وهذا هو نفسه قد طعن في روايته، فقال في حديث غير هذا: «إنه وضاع»، وقال في حديث آخر: «فيه ضعفاء أشدّهم سيف»<sup>(١)</sup>، فكيف يزول الإشكال برواية من هو وضاع وضعيف؟ مع أن نصر بن مزاحم المتوفى سنة ٢١٢ ذكر الإسمين من دون أي مهمة أو غمضة. وهو أوثق رواية من سيف الوضاع الذي قال الحاكم فيه: «اتهم بالزندقة»<sup>(٢)</sup> وهو في الرواية ساقط، وقال البرقاني عن الدار قطني: «متروك»<sup>(٣)</sup>، وقال ابن حجر: «وقرأت بخط الذهبي مات سيف زمن الرشيد»<sup>(٤)</sup>.

(أقول:) فإن صح ذلك فهو معاصر لنصر، ونصر أوثق منه، قال ابن أبي الحديد فيه: «ثقة ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى ولا إدغال، وهو من رجال أصحاب الحديث»<sup>(٥)</sup>، وذكره ابن حبان في الثقات<sup>(٦)</sup>.

فهذه جملة من المفتريات على ابن عباس في فضل معاوية ذكرها ابن كثير وحكاها عن ابن عساكر، وآخرها مما أخرجه البخاري في صحيحه، وبينما ما في

(١) نفس المصدر ١/٢٣٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٤/٢٩٦.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ١/١٨٣.

(٦) الثقات ٥/٥٤٩ ط دار الكتب العلمية.

تلك المفتريات من الآفات التي تسقطها عن الاعتبار، وقد يعظم على بعضهم أن يكون البخاري يروي بعضها في فضل معاوية وإن عنون باب ذكر معاوية.

ولكن هلم الخطب فيما وجدناه وأعظم من تلك الطامات في صحيح مسلم مما مر ما افتري به على ابن عباس، ما رواه في فضل أبي سفيان والد معاوية، إنها لأحدى الكُبر. فاقراً وتدبر، ولا تأخذك بهرجة الألقاب، والإطناب في مدح إنسان أو كتاب، وكان الصحاح فيها الكذب مباح.

أخرج مسلم في صحيحه: ((حدثني عباس بن عبد العظيم العنبري وأحمد ابن جعفر المعقري قالاً: حدثنا النضر - وهو ابن محمد اليمامي - حدثنا عكرمة حدثنا أبو زميل حدثني ابن عباس قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله ثلاث أعطينهن، قال: نعم، قال: عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجها؟ قال: نعم، قال: ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك؟ قال: نعم، قال: وتومرنني. حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين؟ قال: نعم.

قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي ﷺ ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يُسأل شيئاً إلا قال: نعم... اه))<sup>(١)</sup>.

ومن حقنا الكلام تعقياً منا على ذلك من جهات:

أولاً: فلندع جانباً المغالاة في الصحيحين سواء كان صحيح البخاري الذي قيل فيه إنه أصح كتاب بعد كتاب الله، ومن روى عنه البخاري فقد جاز القنطرة، أو كان صحيح مسلم الذي قيل فيه: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب

(١) صحيح مسلم ١٧١/٧ كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي سفيان بن حرب ط محمد علي صبيح بمصر.

مسلم<sup>(١)</sup>، فجميع تلك من المزایدات الرخيصة، ولكن هلمّ لنسأل مسلماً أو أي مسلم آخر هل قامت عند مسلم صاحب الصحيح الحجة بصحة هذا الخبر وهو الذي يقول: «ما وضعت شيئاً في كتابي هذا المسند إلا بحجة، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجة»<sup>(٢)</sup>؟

ثانياً: هل أن عنوان الباب الذي ذكره (باب من فضائل أبي سفيان) يعني أن لأبي سفيان فضائل غير ما ذكره لمكان (من) التبعيضية، وكلمة (فضائل) التي تعني الجمع؟ فهل هذا كان حقيقة أم على العين غشاوة؟

ثالثاً: هل كان يعرف زمن تلك الأحداث الكاذبة وأنها لا بد أن تكون من بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة التي أظهر فيها أبو سفيان كلمة الشهادتين بعد معاناته من صراع نفسي مرير؟ فكيف تصحّ وقد كان رسول الله ﷺ تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان في السنة السادسة من الهجرة أي قبل إسلام أيها بستين؟ وهذا ما عليه اتفاق المؤرخين وأهل السير.

قال ابن الأثير في أسد الغابة: «لا اختلاف بين أهل السير في ذلك إلا ما وقع عند مسلم أن أبا سفيان لما أسلم طلب من رسول الله ﷺ أن يزوجه أياها فأجابه إلى ذلك؟ وهو وهم من بعض الرواة»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: «وقد ذكر الزبير في ذلك أخباراً كثيرة كلها تشهد بترويح النجاشي أياها بأرض الحبشة»<sup>(٤)</sup>.

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣٨٩/١ اغتت طبع حيدر اباد.

(٢) نفس المصدر / ٣٩٠.

(٣) أسد الغابة (ترجمة أم حبيبة).

(٤) الاستيعاب (ترجمة رملة بنت صخرام حبيبة) ٢٩٨/٤ بهامش الإصباة.

وقال ابن حجر في الإصابة: «وتزوج النبي ﷺ ابته أم حبيبة قبل أن يسلم، وكانت أسلمت قديماً وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فمات هناك»<sup>(١)</sup>.

وقد تهالك ابن حجر في تبرير ما وقع عند مسلم حتى أنه رد على ابن الأثير قوله: «وهو وهم من بعض الرواة»، فقال: «وفي جزمه بكونه وهماً نظراً، فقد أجاب بعض الأئمة باحتمال أن يكون أبو سفيان أراد تجديد العقد»<sup>(٢)</sup> ١١٩

فاقرأ واضحك على ذقن ذلك البعض، فأبي تجديد عقد لنكاح صحيح وقع قبل عامين؟ وليتني أدري كيف سوَّغ ابن حجر لنفسه أن يكتب ذلك وهو نفسه ذكر: «أنه لا خلاف أنه ﷺ دخل على أم حبيبة قبل إسلام أبي سفيان» ثم ساق عن ابن سعد قصة دخول أبي سفيان المدينة قبل إسلامه، ليزيد في مدة الهدنة، فدخل على ابته أم حبيبة فطوت فراش رسول الله دونه لثلاث يجلس عليه فقال لها: يا بنية أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت أمرؤ نجس مشرك، فقال: لقد أصابك بعدي شر»<sup>(٣)</sup>.

وبعد هذا العرض السريع لملايسات رواية مسلم هل علينا إثم لو رددناها وقلنا لا تصح نسبتها إلى ابن عباس فإنه أوعى وأورع من أن يروي ما لا يصح؟ وقد أدرك شراح صحيح مسلم ما في هذه الرواية من هنات وقذاة فأريكمهم إيرادها في الصحيح، وهم لا يريدون أن ينزلوه من برجه العاجي ويجعلوه كسائر الكتب لداته يؤخذ منه ويترك. كما لم يمكنهم أن يمرروا على الرواية بسلام ويعني ذلك تصديقهم لما هو بين الإفتراء، فحاضوا مخاضاً عسيراً

(١) الإصابة (ترجمة أبي سفيان صخر بن حرب) ١٧٢/٢.

(٢) نفس المصدر ٢٩٩/٤.

(٣) نفس المصدر.

وبالتالي تمخض الجبل عن فارة، واعترفوا بفرابته ومخالفته لما هو ثابت قطعاً. وعلى سبيل المثال نورد بعض أقوالهم:

١- قال النووي - وهو أشهر من شرح صحيح مسلم وأكثرهم عناية واستيعاباً - «واعلم أنّ هذا الحديث من الأحاديث المشهورة بالإشكال، ووجه الاشكال: أنّ أبا سفيان إنّما أسلم يوم فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، وهذا مشهور لا خلاف فيه، وكان النبي ﷺ قد تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل. قال أبو عبيدة وخليفة بن خياط وابن البرقي والجمهور: تزوجها سنة ست، وقيل سنة سبع...»<sup>(١)</sup>.

ثمّ حكى عن القاضي عياض وابن حزم:

٢- وقال القاضي - عياض - «والذي في مسلم هنا أنّه زوّجها أبو سفيان غريب جداً، وخبرها مع أبي سفيان حين ورد المدينة في حال كفره مشهور»، ولم يزد القاضي على هذا<sup>(٢)</sup>.

٣- وقال ابن حزم: «هذا الحديث وهم من بعض الرواة لأنّه لا خلاف بين الناس أنّ النبي ﷺ تزوّج أم حبيبة قبل الفتح بدهر بأرض الحبشة وأبوها كافر»، وفي رواية عن ابن حزم أيضاً أنّه قال: موضوع قال: والآفة فيه من عكرمة بن عمار الراوي عن أبي زميل<sup>(٣)</sup>.

ثمّ حكى النووي عن أبي عمرو بن الصلاح حملته على ابن حزم تبريراً لصحة رواية مسلم، وليس تبريره سوى مكابرة ومصادرة.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم بهامش إرشاد المساري ٣٩٧/٩ - ٣٩٨ ط دار الكتاب العربي بيروت.

(٢) نفس المصدر.

(٣) نفس المصدر.

٤- قال الأبى أوشناي المالكي: ((هذا الذي ذكره أبو زميل عن ابن عباس أنه زوجه إياها بعد إسلامه غريب جداً عند أهل السير، فإن المعروف أنه إنما تزوجها قبل الفتح...))<sup>(١)</sup>.

٥- قال السنوسي الحسني نقلاً عن القرطبي في المفهم في شرح صحيح مسلم: ((المتفق عليه عند أهل التاريخ أنه إنما تزوجها قبل الفتح وقبل إسلام أيها، وأن أبا سفيان قدم قبل الفتح طالباً تجديد العهد بينه وبين رسول الله ﷺ، وأنه دخل بيت أم حبيبة ابنته فأراد أن يجلس على بساط رسول الله ﷺ فتزعت من تحته وقالت: إنه بساط رسول الله ﷺ وأنت مشرك، فقال: أي بنية قد أصابك بعدي شر، ثم طلب من علي وفاطمة وغيرهما أن يكلموا النبي ﷺ فأبوا فرجع إلى مكة غير حاصل له ما قصد، وهذا كله معلوم لا شك فيه.

ثم ذكر حديث التزويج وختم كلامه بقوله: فيكون ما وقع في هذا الحديث من طلب أبي سفيان أن يزوجه منه بعد إسلامه خطأ ووهماً، وقد بحث النقاد عن وقع ذلك الوهم منه فوجدوه وقع من عكرمة بن عمار، وقد ضعف أحاديثه يحيى بن سعيد وابن حنبل، ولذلك لم يخرج عنه البخاري. وإنما خرج عنه مسلم، لأنه قد قال فيه يحيى بن سعيد هو ثقة.

قال بعضهم: ومما يحقق الوهم فيه قول أبي سفيان: أريد أن تؤمرني فقال: نعم، ولم يسمع قط أنه أمره إلى أن توفي. وكيف يخلف رسول الله ﷺ الوعد، هذا مما لا يجوز عليه))<sup>(٢)</sup>.

(١) إكمال إكمال المعلم ٢٤/٦.

(٢) مكمل إكمال الإكمال بهامش سابقه ط دار الكتب العلمية وقد ذكر الأبى عين ما ذكره الحسني عن القرطبي فراجع.



ثم حكى تأويل من صح عنه الحديث بما لا يستحق أن يذكر، فهو تبرير من غير حجة.

ولنقف عند هذا الخبر من المفتريات على ابن عباس في فضائل معاوية وأبيه أبي سفيان، وستأتي جملة وافرة من هذه الشاكلة في الحلقة الثالثة عند البحث عن أحاديثه ما صح وما لم يصح.

والذي دعاني إلى تقديم هذه النماذج من الزيارج ما ساقه شعوط من شهادة ابن عباس المفتراة عليه ليبيض بها صحيفة معاوية، وما درى أنه سوّد صفحته وصحيفته.

ويبقى معاوية كما قال الدكتور سامي على النشار - وقد تقدم قوله :-  
 ((ومهما قيل في معاوية ومهما حاول علماء المذهب السلفي المتأخر وبعض أهل السنة من وضعه في نسق صحابة رسول الله، فإن الرجل لم يؤمن أبداً بالإسلام، ولقد كان يطلق نفتاته على الإسلام كثيراً ولكنه لم يستطع أكثر من هذا))، ولا نستكثر إذن قول ابن أبي الحديد: ((ومعاوية عند أصحابنا مطعون في دينه، منسوب إلى الإلحاد، قد طعن فيه عليه السلام)<sup>(١)</sup>.

شواهد كفر محمومة:

لقد كانت لمعاوية نفتات محمومة مسمومة، شاهدة عليه بالكفر، ولم يتجن التاريخ عليه حين روى بعضها:

فمنها: عن المغيرة بن شعبة ما سمعه منه ليلة فعاد مغتماً متبرماً متأففاً فسأله ابنه المطرف بن المغيرة عن سبب غمه فقال: يا بني جئت من أكفر الناس

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٥٣٧/٢ ط مصر الأولى.

وأخبثهم - ثم حدثه بما سمعه من معاوية وكان في آخره قول معاوية: - وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله) فأبي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك؟ لا والله إلا دفناً دفناً.

رواه الزبير بن بكار في الموفقيات<sup>(١)</sup>، والمسعودي في مروج الذهب<sup>(٢)</sup>، والإربلي في كشف الغمة<sup>(٣)</sup>، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه<sup>(٤)</sup>.

- وليس دونها كلمته الأخرى وقد سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ، فقال: لله أبوك يا بن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك ألا أن يُقرن اسمك باسم رب العالمين<sup>(٥)</sup>.

- وثالثة الأثافي ما ذكره البلاذري في أنسابه بسنده: ((قال معاوية: يا معشر بني أمية إن محمداً لم يدع من المجد شيئاً إلا حازه لأهله، وقد أعنتم عليهم بختين: في ألسنتهم ذرباً وفي العرب أنفٌ وهم محدودون... ثم جعل يوصيهم فيما يفعلون بما يبلغوا به مرادهم وعنادهم))<sup>(٦)</sup>.

- وأنكى من ذلك كله: أن يهودياً تناول الرسول ﷺ فوصفه بالقدر بمحضره - واستغفر الله - فلم ينكر عليه!

روى البلاذري بسنده قال: ((محمّد بن مسلمة الأنصاري عند معاوية قتل كعب بن الأشرف اليهودي، فقال يهودي (اسمه عند الواقدي/ ١٩٢ ابن يمين

(١) الموفقيات ٥٧٦ ط أوقاف بغداد.

(٢) مروج الذهب ٤٠/٤ في أواخر ترجمة المأمون العباسي.

(٣) كشف الغمة ١/٥٥٦.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧٦/٢.

(٥) نفس المصدر ٥٣٧/٢ ١٠١/١٠ ط محقق.

(٦) أنساب الأشراف ٥١/١ ق ٤ تح احسان عباس.

النضري) كان عند معاوية: خُدر به، فقال محمّد: يا معاوية أتمسك عنه وقد نسب رسول الله ﷺ إلى الغدر؟

فقال لليهودي: أخرج عنا، وطلبه محمّد فلم يقدر عليه، وقال لمعاوية: والله لا كلمتك أبداً، ولأقتلن اليهودي إن قدرت عليه<sup>(١)</sup>.

وهذا ما ذكره أيضاً ابن تيمية في كتابه (الصارم) وسمى اليهودي (بنيامين النضري)<sup>(٢)</sup>.

- وقد تجاوز الحدّ حين سلّم عليه وفد أهل مصر بالرسالة فلم يردعهم، فقد ذكر ابن جرير الطبري في تاريخه: «أن عمرو بن العاص وفد إلى معاوية ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو: أنظروا إذا دخلتم علي ابن هند فلا تسلّموا عليه بالخلافة فإنّه أعظم لكم في عينه، وصغّروه ما استطعتم، فلمّا قدموا عليه، قال معاوية لحجابه: إنّي كأني أعرف ابن النابغة وقد صغّر أمري عند القوم، فانظروا إذا دخل الوفد فتعنوهم أشدّ تعتمة تقدرون عليها فلا يبلغني رجل منهم الا وقد همّته نفسه بالتلف، فكان أوّل من دخل عليه رجل من أهل مصر يقال له ابن الخياط فدخل وقد تُعّع فقال: السلام عليك يا رسول الله، فتتابع القوم على ذلك، فلمّا خرجوا قال لهم عمرو: لعنكم الله، نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة فسلّمتم عليه بالنبوة<sup>(٣)</sup>».

والخبر رواه البلاذري في الأنساب<sup>(٤)</sup>، ورواه ابن الأثير وابن كثير وفي

الجميع تفاوت يسير.

(١) نفس المصدر ١/١٦٠.

(٢) الصارم المسلول في كثر شاتم الرسول ٢/٢٨٥ ط الأولى دار ابن حزم ببيروت سنة ١٤١٧هـ.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٣٣٠ - ٣٣١ دار المعارف.

(٤) أنساب الأشراف ١/٣١ ق ٤.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

- أما عن تهكمه واستخفافه بالنبي ﷺ، فحسبك ما رواه السيد ابن عقيل في النصائح الكافية نقلاً عن كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني - وهذا مما ابتلته بطون الأئام وهو بعض جنائيات الأعلام فلم يذكر في المطبوع من كتاب المعمرين بتحقيق عبد المنعم عامر ط دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٦١ وكم له من نظير - قال في أثناء محاوره ذكرها لمعاوية مع المعمر أمد بن أهد الحضرمي قال: ((قال معاوية: رأيت هاشماً؟ قال: نعم والله طوالاً حسن الوجه، يقال ان بين عينيه بركة، قال: فهل رأيت أمية؟ قال: نعم رأيت رجلاً قصيراً أعمى يقال ان في وجهه لشرأ أو شؤماً، قال: أفرأيت محمداً؟ قال: ومن محمداً؟ قال: رسول الله، قال: أفلا فحمت كما فحمه الله فقلت رسول الله؟))<sup>(٣)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

خاتمة السوء:

لقد طال الكلام حول أباطيل الدكتور إبراهيم علي شعوط الاستاذ بجامعة الأزهر فيما يتعلق بجملة مفتريات علي ابن عباس ساقها شعوط وقد تبع فيها ابن كثير وابن عبد ربه وأضرابهما ممن زكموا بحب معاوية حتى غلب الزكام على

(١) يونس / ٣٢.

(٢) الأنعام / ٩٣.

(٣) النصائح الكافية / ١١٨ ط الحيدرية.

(٤) الفرقان / ٣١.

الأفهام ﴿أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

والآن نختم الكلام مع شعوط بأخر ما في جمعبته من اقتراء على ابن عباس في حق معاوية وابنه يزيد:

فقد قال في كتابه: ((وهذه شهادة أخرى لابن عباس ؓ في معاوية، نقلها ابن عبد ربه فقال: سئل عبد الله بن عباس عن معاوية فقال: سما بشيء أسره، واستظهر عليه بشيء أعلنه، فحاول ما أسر بما أعلن فناله، كان حطمه قاهراً لغضبه، وجوده غالباً لمنعه، يصل ولا يقطع، ويجمع ولا يفرق، فاستقام له أمره، وجرى إلى مدته. قيل: فأخبرنا عن ابنه؟ قال: كان في خير سبيله، وكان أبوه قد أحكمه، وأمره ونهاه فتعلق بذلك، وسلك طريقاً مذللاً له (المختار من العقد الفريد ص ٢٣٤٣ ط وزارة الثقافة والارشاد، هامش الكتاب))<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن شعوط استروح الرجوع إلى المختار من العقد - وهو اختيار لجنة من علماء وأدباء مدرّسي مدرسة القضاء الشرعي - صحّحه وراجعه الاستاذ محمّد محمود، هكذا كتب على ظهر الطبعة الثانية من الكتاب وقد طبعته المكتبة المحمودية التجارية بمصر سنة ١٣٨٩، ولدى الرجوع إلى هذه الطبعة فلم أقف على النص في الكتاب، ولعل تفاوت الطبعات نتيجة لتلاعب من لا حريجة له في الدين، ومهما يكن فإن الرجوع إلى المصدر الثانوي الحديث مع وجود المصدر الأول القديم أمرٌ معيب لا يُغفر عند الباحثين. وقارنت بين النص في العقد الفريد - وهو في الجزء الرابع ص ٣٦٣ تح أحمد أمين ورفيقه - وبين ما نقله شعوط

(١) الحج/ ٤٦.

(٢) أضاليل يجب أن تمحى من التاريخ / ٣٣٢.

فلم أجد فارقاً يذكر سوى قوله في يزيد: ((كان في خير سبله)) عند شعوط، بينما الموجود في العقد الفريد: ((كان في خير سبيله)) وأخاله الصحيح، ومع غرض النظر عن هذه الملاحظات فإن النص مرسل لا يُعلم من رواه، ولا من أين نقله ابن عبد ربه، ولم أقف عليه عند غيره فيما بحثت. ولعل الباحث المتبع يجده فيفيدنا مشكوراً.

وإذا تجاوزنا ذلك أيضاً والإشارة إلى ظاهر أثر الصنعة عليه فنقول: إن النص على فرض صحته - وأتى ذلك - فليس فيه ما يدل على فضل معاوية وابنه يزيد من جديد، فإن وصف معاوية بأنه كان وِسْرًا ويطن خلاف ما يعلن، ويعلن غير ما يبطن، وبذلك بلغ مراده وأحكم قياده، فهذا وصف له بالمكر والخديعة والنفاق، فهو بالذم أظهر منه بالمدح لأن ذلك من صفات المنافقين الذين ذمهم الله سبحانه في كتابه بقوله ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وأما ما ورد من وصفه بالحلم والجود، فأحسبه على أحسن تقدير من تزيد الرواة، وعلى أسوء تقدير فمن غير المقبول والمعقول نسبه إلى ابن عباس للمجافاة والمنافاة مع طبيعته، إذ كيف يمكن تصديق النص بأن ابن عباس وصف معاوية بالحلم وهو في محاوراته التي تيفت على العشرين، وهو في لقاءاته طيلة حكم معاوية لم تبرد منه يوماً بادرة رضى عليه، ولم يقصر عن قولة حقّ يصبك بها سمعه، فيردّ معاوية أحياناً كثيرة بالتهديد والوعيد، إلا أنه يصادف سبلاً يدمغه، وحجة تقمعه، فيتراجع مخدولاً، فأين هو الحلم الذي يصفه به ابن عباس فيما يزعمون؟ ألا يكفي موقف معاوية بالأمس بصفين وهو يريد قتل

الإمام وابن عمه وجميع من كانوا معه في نفي الحطم عنه؟ أليس ذلك الموقف كان حجة الأعمش وسفيان بن عيينة في نفي الحطم عنه؟ فهل كان ابن عباس دونهما فهماً وعلماً؟ ألم يقل معاوية: «ما أعد نفسي حليماً بعد قتلي حجراً واصحاب حجر»<sup>(١)</sup> ومعلوم تاريخياً أن قتل حجر كان سنة إحدى وخمسين من الهجرة، وفحوى ما نسب إلى ابن عباس من الوصف كان بعد عشر سنين تقريباً وفي أيام يزيد بعد عهد معاوية الذي هلك سنة ٦٠ من الهجرة، وتولى ابنه بعده، وكم جرائم رآها وشتائم سمعها تبعد وصف الحطم عن معاوية.

وأما وصفه بالجوذ فيكفي في تكذيبه حوار ابن عباس معه وقد مرّ قريباً حيث لحقه إلى الروحاء ليأخذ عطاء بني هاشم وقد حرمهم معاوية لعدم مبايعة الإمام الحسين عليه السلام ليزيد، فأخذه ابن عباس بعد تهديد ووعيد فراجع. وأما نسبة وصف يزيد بأنه كان في خير سبيله وكان أبوه قد أحكمه وأمره ونهاه فتعلق بذلك وسلك طريقاً مذلاً له فأحسن ما أراه لو صحت الأنباء هو حكاية واقع حال، فقد وطأ له أبوه المسالك، وذلك المصاعب بارتكاب المواقف والمهالك، وتعجبني كلمة طه حسين فقد قال: «وكان يزيد فتى من فتیان قريش صاحب لهو وعبث، محباً للصيد، مسرفاً على نفسه في لذاته، مستهتراً لا يتحفظ وكان ربما أضاع الصلاة، فأخذه أبوه بالحزم، وأغزاه الروم، وأمره على الحج، يمهّد بهذا كله لتوليته العهد، فلما رأى من سيرة يزيد ما أرضاه، حزم أمره وأعلن تولية يزيد عهده، وكتب في ذلك إلى الآفاق...

وكذلك استقر في الإسلام لأول مرة هذا الملك الذي يقوم على البأس والبطش والخوف، والذي يرثه الأبناء عن الآباء، وأصبحت الأمة كأنها ملك

(١) تاريخ اليمتوي ٢٠٦/٢ ط الفردي.

لصاحب السلطان ينقله إلى من أحب من أبنائه، كما ينقل إليه من سائل المال وجامده... اهـ<sup>(١)</sup>.

ثم كيف لنا أن نصدق شعوط عن ابن عبد ربه عن مرسل الأنباء بأن ابن عباس قال ذلك في معاوية وابنه، ورأي ابن عباس في معاوية ومن يواليه من آله وبنيه، وصحبه ومواليه، معروف لا يقبل التأويل.

فهم عنده القاسطون<sup>(٢)</sup> وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>(٣)</sup>، وهم عنده من حزب إبليس<sup>(٤)</sup> وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٦)</sup>، وهم عنده من الكفار<sup>(٧)</sup>، ولا أقول كفار نعمة، بل كفار تنزيل وتأويل.

(١) الفتنة الكبرى ٢٤٧/٢ ط دار المعارف.

(٢) راجع محاورة الشامي مع ابن عباس في المصادر التالية: المحاسن والمساوي للبيهقي ٣٠/١، وكتاب الهمة في اداب اتباع الأئمة للقاضي نعمان بن من ط القاهرة واليقين لابن طاووس ١٠٦/ ١٢٩، وفضائل ابن شاذان ١٠٦/١ ط حجرية والدر النظيم مخطوطه ومصباح الأنوار مخطوطه وقارن بحار الأنوار ٤٦٤/٨ و ٢٩٤/٥ ط حجرية وتسام المحاورة تأتي في الحلقة الثانية ان شاء الله.

(٣) الجن: ١٥.

(٤) راجع مستدرك الحاكم ١٤٩/٣ فقد روى عن رواه عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمان لأهل الأرض من الفرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلافه فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أقول: ومخالفة معاوية وبنو أمية لأهل بيته ظاهرة العيان فنية من إقامة البرهان. وحسبك دليلاً على مدى بغضه أنه لم يطلق سماع اسم علي وكنيته وقد قال لابن عباس في ابنه علي لك اسمه وقد كنيته أبا محمد المقد الفريد ١٠٣/٥.

(٥) سبأ / ٢٠.

(٦) طاطر / ٦.

(٧) راجع كنز العمال ١٢ / ٢٠٣ ط حيدر اباد الثانية فقد روى عن الدار قطني في الأفراد عن ابن عباس مرفوعاً عنه ﷺ قال: (علي بن أبي طالب باب حطة من دخل منه كان



- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن استلحاق زياد حكم بغير ما أنزل الله تعالى.

ومن شاء الاستزادة من معرفة رأي ابن عباس فليرجع إلى محاوراته ومراسلاته مع معاوية وأصحابه، فسيجد الكثير الكثير مما يكذب المفتريات عليه التي تشدق بها شعوط في أضاليله المضللة، وقد بينا عوار المستندة منها والمرسلة ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبِرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ابن عباس ومعاوية في أكذوبة شعر النبي ﷺ:

وما دنا بعدئذ نعيش تاريخ ابن عباس أيام حكم معاوية، وقد ذكرنا بعض ما افتراه الذين لا يوقنون على ابن عباس مما ظنوه يرفع خسيصة معاوية، ولو بالزور والبهتان، عسى أن تعطلني تلك الأكاذيب على السذج من الناس، وقد غفلوا أن حبل الكذب قصير، والباحث ناقد بصير، لا يغشهُ التزوير والتحويل.

ورأي لأعجب من أئمة الحديث أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد كيف تهالكوا في سبيل معاوية ليثبتوا له ما ظنوه له فضيلة، وقد مررت بنا شواهد ذلك،

مؤمناً، ومن خرج منه كافراً) ولا شك أن معاوية كان خارج ذلك الباب قال الله تعالى: ﴿وَلَا قَلْبًا أَدْخَلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخَلُوا الْبَابَ سَجِدًا وَقُولُوا حَمْدًا فَغَفَرَ لَكُمْ غَطَابَاتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٤﴾ هَبْدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا كَبِيرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ البقرة ٥٨ - ٥٩.

(١) المائدة / ٤٤.

(٢) الكهف / ٥.

(٣) الكهف / ١٠٤.

(٤) البقرة / ٧٩.

أما الآن إلى أكذوبة افتراها معاوية نفسه ليزعم لنفسه نحو خدمة قام بها للنبي ﷺ، فيتججج بها على من لا درية له بحقيقة الحال، وبلغت القحمة به أن استشهد عليها، وبالأحرى طلب تصديق زعمه من ابن عم النبي ﷺ عبد الله بن عباس، ليكون ذلك له سنداً فيما افتري. ولكن بآء بالفشل، بل ساء ما حصل، حيث كشف ابن عباس حقيقة كان معاوية ينكرها وهي مسألة التمتع بالعمرة إلى الحج فألزمه بها لو صح زعمه. وإليك الحديث عن تلك الفرية:

أخرج البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وأحمد والروادني والبيهقي وغيرهم في دواوينهم الحديثية، وكلّ منهم رواه أكثر من مرة ويأكثر من صورة، حتى أن أحمد روى ذلك أكثر من عشر مرات، وفي جل الصور يقتضرون على صدر الخبر ويحذفون ما قاله ابن عباس في آخره. لماذا؟ لأن ابن عباس الذكي الألمي لم تخف عليه فرية معاوية، فبدل أن يتترع منه معاوية تصديقه، بادره ابن عباس بدحض فريته ثم ياداته.

فلنقرأ ذلك بلفظ مسلم في صحيحه قال ابن عباس: «قال لي معاوية أعلمت أنني قصرت من رأس رسول الله ﷺ عند المروة بمشقص؟ فقلت: له لا أعلم هذا إلا حجة عليك»<sup>(١)</sup>.

فهذه رواية عند مسلم وإذا قارناها مع رواية عند النسائي نجد فرقاً واضحاً في جواب ابن عباس فقد روى النسائي بسنده: «قال معاوية لابن عباس: أعلمت أنني قصرت من رأس رسول الله ﷺ عند المروة؟ قال: لا، يقول ابن عباس: هذا معاوية ينهى الناس عن المتعة، وقد تمتع النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٥٨/٤ كتاب الحج ط صبيح بمصر.

(٢) سنن النعماني ٢٤٤/٥ - ٢٤٥.

واضطرب معاوية في روايته اضطراباً فاحشاً حتى كان الناس ينكرون ذلك عليه، فمن شواهد اضطرابه: قال في رواية عند أبي داود في صحيحه والطبراني في المعجم: «(في حجه)»<sup>(١)</sup> وهذا ما أريك شراح الصحيحين، حيث أن النبي ﷺ كان في حجة الوداع قارناً فلم يحل هو إلا بالحلوق؟ بعد أداء مناسك الحج في منى. بينما أمر من كان معه ممن لم يسق معه الهدي أن يحل، وكان منهم الزبير فأحل وسطح المجمر بينه وبين زوجته أسماء، وهو أول مجمر سطع يومئذ، وبذلك كان رد ابن عباس على عبد الله بن الزبير في أيامه حين أنكر على ابن عباس فتياه بالمتعة فقال له: «(سل أمك عن بردي عوسجة)»، وستأتي المحاوراة بطولها في الحلقة الثانية إن شاء الله. فكيف يزعم معاوية أنه قصر من شعر رأس رسول الله ﷺ عند المروة في حجه؟ إن هذا إلا اختلاق.

ولرفع الإصر عنه فقد تمحل غير واحد في توجيه ذلك، فقال الألباني في ضعيف أبي داود: «(إن ذلك - يعني (في حجه) - ضعيف)»<sup>(٢)</sup>، وهذا منه دفع بالصدر من دون بيان حجة.

وقال النووي والطيبى: «(إن ذلك - يعني تقصير معاوية لشعر رأس رسول الله ﷺ - كان في عمرة الجعرانة)»<sup>(٣)</sup>. لأن عمرات النبي ﷺ كانت أربعاً معدودات معلومات وهي: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة، وعمرة التمتع إلى الحج مع حجة الوداع، ولما كان معاوية لم يسلم في العمرتين الأوليين، وإنما أدرك العمرتين الأخيرتين لأنه من مسلمة الفتح، لذلك رأى النووي والطيبى أن خبر معاوية إنما هو في عمرة الجعرانة، وهذا لو صح لما كان معنى

(١) المعجم الكبير ٣٦٧/١٩ ط الثانية .

(٢) ضعيف سنن أبي داود / ١٤٢/ مكتبة المعارف الرياض .

(٣) أنظر فتح الباري ٤ / ٣١٣ ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده سنة ١٣٧٨ .

لإنكار ابن عباس عليه وقوله: ((هذا معاوية ينهى الناس عن المتعة وقد تمتع النبي ﷺ)) كما مر.

ومن شواهد اضطرابه الدالة على كذبه - إذ ليس لكذب حافظه - تعيين صاحب المشقص الذي زعم أنه استخدمه في التصغير. ففي رواية عند أبي داود والنسائي<sup>(١)</sup> وغيرهما (بمشقص اعرابي)، وفي رواية عند النسائي: ((قال معاوية: أخذت من أطراف شعر رسول الله ﷺ بمشقص كان معي بعدما طاف بالبيت وبالصفاء والمروة في أيام العشر)) (٢).

وفي رواية ثالثة عند الطبراني: ((بمشقص من كنانته))<sup>(٣)</sup> يعني كنانة رسول الله ﷺ.

ولذلك الاضطراب فقد اضطروا المحدثون سترأ على معاوية فرووا (بمشقص) ولم يعينوا لمن هو<sup>(٤)</sup> وما بال المحدثين لم يذكروا عن المشقص في عمرات النبي ﷺ الأخرى هل كان تقصيره بمشقص أو بجلّم - مقص -؟ وهل أن النبي ﷺ كان أعداً لنفسه من يقصر له وما يقصر به، أو أنه كان تاركاً ذلك لمن يتبحه الله كما أتاح لمعاوية؟

ومن شواهد اضطرابه الدال على كذبه: أنه روى صريحاً أنه المتولي للتصغير كما هو في البخاري ومسلم وغيرهما. بينما روى أحمد وأبو داود قوله: ((أو رأيت يقصر عنه بمشقص على المروة))<sup>(٥)</sup> وهذا يعني أنه لم يكن هو الذي تولى التصغير.

(١) سنن النسائي ٢٤٥/٥.

(٢) المعجم الكبير / ١٩ / ٣٨ ط / الثانية بالموصل.

(٣) راجع صحيح البخاري آخر باب الحلق والتقصير عند الإحلال.

(٤) النظر مسند أحمد ٩٦/٤ ط الأولى.

وأحسب أن قول قيس بن سعد الراوي عن عطاء عن معاوية الخبر عند النسائي: «والناس ينكرون هذا على معاوية»<sup>(١)</sup> قول صحيح لا مرية فيه. والآن هلم الخطب في تفسير المشقص، فإنه سهم فيه نصل عريض (يرمى به الوحش كما في القاموس) وليس يستعمل في تقصير الشعر، ولم يسمع أنه استعمل إلا من معاوية، وهذا أيضاً زاد في إرباك بعضهم، لذلك قال الملا عليّ القاري في مرقاته: «وقيل: المراد به المقص وهو الأشبه في هذا المحل»<sup>(٢)</sup> (١٩) وهذا تكلف زائد بارد.

والآن وقد عرفت جانباً من التهالك على اثبات خبر معاوية، أتدري لماذا كان ذلك؟

إنهم يريدون تصحيح ما رووه عن معاوية عند حضور أجله أوصى أن يكفن في ثوب رسول الله ﷺ الذي زعموا إنه كساه إياه، وكان مدخراً عنده لهذا اليوم، وأن يجعل ما عنده من شعره وقلامه أظفاره في فمه وأنفه وعينيه وأذنيه<sup>(٣)</sup>. وروى لنا الذهبي: «قال معاوية ليزيد: إن أخوف ما أخاف شيئاً عملته في أمرك، وإن رسول الله ﷺ قلم أظفاره وأخذ من شعره، فجمعت ذلك، فإذا مت فاحش به فمي وأنفي...»<sup>(٤)</sup>. وهذا أيضاً لم يحصل لأن معاوية مات وابنه يزيد بحوارين، وتولى كفته ودفنه الضحاک بن قيس.

فقد روى الطبري عن رجاله أن معاوية لما مات خرج الضحاک بن قيس حتى صعد المنبر وأكفان معاوية على يديه تلوح فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

(١) سنن النسائي ٢٤٥/٥ المطبعة المصرية بالأزهر.

(٢) مرقاة المفاتيح ٥٥٢/٥ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٤٣/٨.

(٤) تاريخ الإسلام ٣٢٣/٢ ط القدسي بمصر.

«إن معاوية... فهذه أكفانه فنحن مدرجوه ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضر عند الأولى - يعني الظهر - وبعث البريد إلى يزيد...»<sup>(١)</sup>. فلو كان لأصل القضية المزعومة أساس ثابت لأعلنه الضحاك، ولا أقل من الإشارة والإشادة بأن في أكفانه هذه ثوب كساه رسول الله ﷺ وأدخره لهذا اليوم، ونحن مكفونوه فيه، وأن ثمة شعر وقلامة ظفر (٩) ولكن القضية كلها من نسج الهوى فلا قميص ولا شعر ولا قلامة ظفر «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ»<sup>(٢)</sup>.

وجاءت سكرة الموت بالحق:

لقد مرّ بنا تهديد ووعيد لمن لم يبايع يزيد، ومرّ بنا إقامة معاوية الحرس بالسيوف على رؤوس الأربعة ممن أبى مبايعته، وخادع الناس وضلّهم بأن أولئك نفر قد بايعوا، ومرّ بنا حرمان بني هاشم من جوائزهم أسوة ببقية قریش كوسيلة ضغظ على الحسين عليه السلام ولا أقل من بذر الخلاف بين بني هاشم لتفتيت مجتمعهم وتشثيت تضامنهم. ومرّ بنا لحقوق ابن عباس له قادره بالروحاء - موضع على خمسة أو ستة وثلاثين ميلاً من المدينة وبه آبار كثيرة معروفة<sup>(٣)</sup> وهدده إن لم يخرج جوائز بني هاشم ليلحقنّ بساحل من سواحل الشام ويقول ما يعلم وليتركّتهم عليه خوارج، فأحسّ معاوية بخطر ذلك التهديد فانصاع وقال: بل أعطيكم جوائزكم وكان هذا الموقف آخر لقاء بين ابن عباس وبين معاوية، وآخر ما سمعه معاوية من تهديد ينذر بنجوم خطر عليه ما لم يعط بني هاشم

(١) تاريخ الطبري ٣٢٨/٥.

(٢) آل عمران / ٦٢.

(٣) المناسك تحقيق محمد الجاسر / ٤٤٥.

جوائزهم فبعث بها من الروحاء، ومضى راجعاً إلى الشام وقد أصابته اللقوة - داء يكون في الوجه يعوّج منه الشدق - لأنه لما مرّ بالأبواء - وهو موضع منه إلى الجحفة ثلاثة وعشرون ميلاً، وبالأبواء بئر تعرف بعثمان بن عفان وآبار غير ذلك<sup>(١)</sup> اطلع في بئر عادية<sup>(٢)</sup> فضربت اللقوة.

((قال الشعبي: لما أصاب معاوية اللقوة بكى، فقال له مروان: ما يبكيك؟ قال: راجعت ما كنت عزوفاً، كبرت سنّي ودق عظمي، وكثر دمعي، ورُميت في أحسني وما يبدو مني، ولولا هوي في يزيد لأبصرت قصدي))<sup>(٣)</sup>، وفي أنساب الأشراف، والبصائر والذخائر، ومختصر تاريخ دمشق، ومحاضرات الراغب: ((ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي))<sup>(٤)</sup>، وفي مجمع الزوائد: ((ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي))<sup>(٥)</sup>، ومثله في تطهير الجنان واللسان<sup>(٦)</sup>، وفي معجم الطبراني: ((ولولا هوى مني في يزيد أبصرت قصدي))<sup>(٧)</sup>.

وفي فتوح ابن أعثم الكوفي: ((فأخاف أن يكون عقوبة عجّلت لي لما كان مني من دفعي بحق عليّ بن أبي طالب، وما فعلت بحجر بن عدي وأصحابه، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي))<sup>(٨)</sup>.

(١) نفس المصدر/٤٥٤.

(٢) أي قديمة نسبة إلى حاد بن شداد من العرب البائدة.

(٣) سير اعلام النبلاء ٣١٠/٤ دار الفكر.

(٤) أنساب الأشراف ٢٨/١ ق ٤، والبصائر والذخائر لأبي حيان ١٩/١، والفاضل للمبرّة/١٢٣.

ومختصر تاريخ دمشق ٧٨/٢٥، ومحاضرات الراغب ١٥٥/١ و ٢٢/٢.

(٥) مجمع الزوائد ٣/٣٥٥.

(٦) تطهير الجنان واللسان لابن حجر الهيتمي المكي ٢٥/ ط محققة.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٣٦٩/١٩ ط الثانية.

(٨) الفتوح ٤/٢٥٠.

قال ابن حجر المكي: ((وقوله: ولولا هواي... الخ، فيه غاية التسجيل على نفسه بأن يزيد محبته ليزيد أعمت عليه طريق الهدى، وأوقعت الناس بعده مع ذلك الفاسق المارق في الردى، لكنه قضاء انحتم، وقدر انبرم، فسلب عقله الكامل، وعلمه الشامل، ودهاءه الذي كان يضرب به المثل، وزين له من يزيد حسن العمل وعدم الانحراف والخلل، كل ذلك لما أشار إليه الصادق المصدوق عليه السلام من أنه إذا أراد الله انفاذ أمره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ ما أراده تعالى، فمعاوية معذور فيما وقع منه ليزيد، لأنه لم يثبت عنده نقص فيه. بل كان يزيد يدس على أبيه من يحسن له حاله حتى اعتقد أنه أولى من أبناء بقية أولاد الصحابة كلهم، فقدّمه مصرحاً بتلك الأولوية التي تخيلها ممن سلط عليه ليحسنها له واختياره للناس على ذلك، إنما هو لظن أنهم إنما كرهوا توليته لغير فسقه من حسد أو نحوه، ولو ثبت عنده أدنى ذرة مما يقتضي فسقه بل واثمه لم يقع منه ما وقع، وكل ذلك دلّت عليه هذه الكلمة الجامعة المانعة وهي قوله: ولولا هواي في يزيد أبصرت قصدي...))<sup>(١)</sup>.

أقول: اللهم احفظ على أمة محمد نبيك عقولها ليميزوا بين الحق والباطل، ولا تجعله عليهم متشابهاً فيعرفوا مثل ابن حجر الهيثمي دفاعاً عن معاوية وبوائقه، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المنزل على نبيه المرسل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، وابن حجر محبر يقول بالجبرية كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا

(١) تطهير الجنان واللسان / ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) الإنسان / ٣.



بِهَا<sup>(١)</sup>، وقد رد في محكم التنزيل تلك المقولة فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿ۙ﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾<sup>(٣)</sup>، ورسول الله ﷺ كان يقول: (إن الله لم يسترع عبداً برعيته الا وهو سائله عنها)<sup>(٤)</sup>، أما ابن حجر فهو يبرر استخلاف معاوية لابنه حيث اعتقد أنه أولى من أبناء بقية أولاد الصحابة كلهم (١٤) يعني بما فيهم الحسين وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأضرابهم من الصحابة فضلاً عن أبنائهم ممن لا يساوي يزيد شمع نعل واحد منهم في هديه وسمته.

ومع اصرار ابن حجر على تصحيح الاستخلاف حيث قال: ((ولو ثبت عنده أدنى ذرة مما يقتضي فسقه بل وإثمه لم يقع منه ما وقع)). كيف يصح هذا ومعاوية يعترف بأن استخلافه إنما هو لهواه فيه على ما هو فيه؟ ولذلك لما حاق به ما كان عزوفاً عنه في مرضه عند موته فقال الكثير مما يُدين به نفسه، حتى ظهر منه ما تخيلوه من الهجر والهديان وما هو إلا سوء الخاتمة حيث كانت تترادى له جرائم أعماله فيفزع ويقول ما يقول.

فقد روى البلاذري عن أبي الهيثم الرحبي قال: ((قال معاوية ليزيد: ما ألقى الله بشيء أعظم في نفسي من استخلافك))<sup>(٥)</sup>، فلو كان معتقداً صلاحه كما يقول ابن حجر فلماذا هذا التهويل والتسويل.

(١) الأعراف / ٢٨.

(٢) الأعراف / ٢٨.

(٣) ص / ٣٧ - ٢٨.

(٤) تطهير الجنان / ٦٠.

(٥) انساب الأعراف / ٦٠ / ١ ق ٤.

وروى ابن قتيبة - في حديث معاوية ويزيد - : ((قال معاوية: وقد علمت أنني تخطأت الناس كلهم في تقديمك ونزلتهم لتوليتي إياك، ونصبتك إماماً على أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم من عرفت، وحاولت منهم ما علمت))<sup>(١)</sup>.

وحسب القارئ في تكذيب ابن حجر نفسه ما ذكره هو في كتابه تطهير الجنان واللسان من وصية معاوية لابنه لما حضره الموت قال ليزيد: ((قد وطأت لك البلاد وفرشت لك الناس، ولست أخاف عليك إلا أهل الحجاز فإن رابك منهم ريب فوجه اليهم مسلم بن عقبة المرّي فإني جرّته))<sup>(٢)</sup>.

وروى البلاذري في أنسابه<sup>(٣)</sup>، وابن الأثير في الكامل<sup>(٤)</sup> عن الوليد بن مسلم أنه قال: ((معاوية يهذي في مرضه ويقول كم بيتنا وبين الغوطة؟ فقالت ابنته: واحزنناه فأفاق وقال: إن تنفري فقد رأيت منقراً)).

وروى البلاذري أيضاً: ((إن معاوية لما احتضر جعلوا يقبلونه فيقول أيّ جسد يقبلون إن نجا من ابن عدي - يعني حجر بن عدي -))<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية ابن كثير قال: ((إن نجاه الله من عذاب النار خدأ))<sup>(٦)</sup>.

وفي رواية الطبري عن ابن سيرين قال: ((فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يُغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر طويل))<sup>(٧)</sup>.

(١) الإمامة والسياسة ١/١٦٠ مطبوعة في مصر سنة ١٣٧٨ هـ.

(٢) تطهير الجنان واللسان / ٦٠.

(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٢ ق ٤.

(٤) الكامل في التاريخ ٣/٤ مطبوع في بولاق.

(٥) أنساب الأشراف ١/٣٦٦ ق ٤.

(٦) تاريخ ابن كثير ٨/١٤٢.

(٧) تاريخ الطبري ٥/٢٥٧ مطبوع في دار المعارف.

وفي رواية ابن أعثم الكوفي قال: «وكان في مرضه يرى أشياء لا تسره كأنه يهذي هذيان المدنف، وهو يقول اسقوني اسقوني، فكان يشرب بالماء الكثير فلا يروى، وكان ربما غشي عليه اليوم واليومين، فإذا أفاق من غشوته ينادي بأعلا صوته: مالي ولك يا حجر بن عدي، مالي وما لك يا عمرو بن الحمق، مالي وما لك يا بن أبي طالب. إن تعاقب فبذنوبي وإن تغفر فإنك غفور رحيم»<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَاءَت سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿فَاغْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ وَكَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَهْنَأْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿وَلَوْ تَرَى إِذُ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أخرجوا أنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

ومع هذه الخاتمة السيئة واعترافه ببعض جرائمه يطالعنا الذهبي في سير أعلام النبلاء فيقول: «ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو بيريء من الهنات والله يعفو عنه»<sup>(٧)</sup>.

(١) الفتوح ٢٥١/٤.

(٢) ق/ ١٩.

(٣) الملك/ ١١.

(٤) النساء/ ١٧ - ١٨.

(٥) الأنعام/ ٩٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٣١٢/٤ ط دار الفكر بيروت.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(١)</sup>. ألم يقرأ  
الذهبي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾<sup>(٢)</sup>؟ وهل  
يسع الذهبي ومن على مذهبه وذميه إحصاء من أزهقت نفوسهم ظلماً وعدواناً  
أيام حكم معاوية؟ فكم هي الدماء الطاهرة الزكية التي أريقت على رمال صفيين  
مع عمار وابن التيهان والمرقال وبقية المؤمنين؟

وكم هم شهداء بلاد المسلمين التي جاست خيول الضلالة بأمر معاوية  
ديارهم فنهبت أموالهم وأزهقت أرواحهم وحتى سببت نساؤهم؟ من المدينة  
المنورة إلى اليمن جنوباً ومن هيت وعانة إلى القادسية وعين التمر شرقاً سوى  
من قتلوا بمصر مع محمد بن أبي بكر غرباً ودع عنك جرائم زياد وسمره، في  
الكوفة والبصرة، وكم لهذين المسخّين من نظائر، ومع هذه الجرائم كلها يسميها  
الذهبي هنات: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي  
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويموت معاوية تفاقم الخطب والخطر على النفر الذين كانوا يمتلكون  
المعارضة وفي مقدمتهم الإمام الحسين عليه السلام وعبد الله بن عباس وبقية المبادلة.  
أما كيف استقبل أولئك النفر نبأ موت معاوية فليس يعيننا فعلاً إلا معرفة  
موقف ابن عباس، ولا شك أنه قد تسرب إلى نفسه اليأس من استصلاح الحال  
بعد موت معاوية، وقد رويت عنه رواية تمسك بها بعض الباحثين في بيعته ليزيد  
وهي لا تصح سنداً ولا دلالة.

(١) الكهف / ٥٠.

(٢) النساء / ٩٣.

(٣) القصص / ٥٠.

فقد روى البلاذري عن المدائني عن عبد الرحمن بن معاوية قال: ((قال عامر بن مسعود الجحفي: إنا لبمكة إذ مرّ بنا بريدٌ يعنى معاوية، فنهضنا إلى ابن عباس وهو بمكة وعنده جماعة وقد وضعت المائدة ولم يؤت بالطعام فقلنا له: يا أبا العباس، جاء البريد بموت معاوية، فوجم طويلاً ثم قال: اللهم أوسع لمعاوية، أما والله ما كان مثل من قبله، ولا يأتي بعده مثله، وإن ابنه يزيد لمن صالحى أهله، فالزموا مجالسكم واعطوا طاعتكم وبيعتكم، هات طعامك يا غلام، قال: فيينا نحن كذلك إذ جاء رسول خالد بن العاص وهو على مكة يدعوه للبيعة، فقال: قل له اقض حاجتك فيما بينك وبين من حضرك، فإذا أمسينا جئتك، فرجع الرسول فقال: لا بدّ من حضورك فمضى فبايع))<sup>(١)</sup>.

وسند هذا الخبر فيه ما يسقطه عن الاعتبار:

فعامر بن مسعود راوي هذا الخبر كان عامل ابن الزبير على الكوفة فهو وإن ذكره ابن حبان في ثقات التابعين إلا أنه قال: ((يروى المراسيل، ومن زعم أن له صحبة فقد وهم))<sup>(٢)</sup> فهو غير مأمون في حديثه على ابن عباس للخلاف مع ولي نعمته ابن الزبير.

والراوي عنه عبد الرحمن بن معاوية هو ابن الحويرث الانصاري الزرقى أبو الحويرث المدني الذي قال فيه مالك: ليس بثقة، قال ابن عدي: ليس له كثير حديث ومالك أعلم به لأنه مدني ولم يرو عنه شيئاً وقال أبو حاتم: ليس بقوي يكتب حديثه ولا يحتج به، وعن ابن معين: ليس يحتج بحديثه. وقال مالك: قدم علينا سفیان فكتب عن قوم يذمون بالتخنيث يعني أبا الحويرث منهم، قال أبو

(١) انساب الأشراف ٢٨٩/١ ق ٤ تح احمان عباس.

(٢) انظر تهذيب التهذيب ٩١/٥.

داود: وكان يخضب رجليه وكان من مرجيء أهل المدينة، وقال النسائي: ليس بذلك<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن قتيبة هذا الخبر مرسلًا، وبتفصيل أوسع وفيه أكثر من مؤاخذه سنذكرها بعد إيراد الخبر بروايته.

قال في الإمامة والسياسة (وفاة معاوية رضي الله عنه): (وذكروا أن عتبة بن مسعود قال: مر بنا نعي معاوية بن أبي سفيان ونحن بالمسجد الحرام، قال: قمنا فأتينا ابن عباس فوجدناه جالساً قد وضع له الخوان وعنده نفر، قلنا: أما علمت بهذا الخبر يا ابن عباس؟ قال: وما هو؟ قلنا: هلك معاوية، فقال: ارفع الخوان يا غلام، وسكت ساعة ثم قال: جبل ترزع ثم مال بكلكله، أما والله ما كان كمن قبله ولما يكن بعده مثله، اللهم أنت أوسع لمعاوية فينا وفي بني عمنا هؤلاء الذين لبّ معتبر، اشتجرنا بيننا فقتل أصحابهم غيرتنا، وقتل صاحبنا غيرهم، وما أغراهم بنا إلا أنهم لا يجدون مثلنا، وما أغرانا بهم إلا أننا لا نجد مثلهم، كما قال القائل: ما لك تظلمني؟ قال: لا أجد من أظلم غيرك، ووالله إن ابنه لخير أهله، أعد طعامك يا غلام.

قال: فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم إلى ابن عباس أن انطلق فبايع، فقال للرسول: أقرئ الأمير السلام وقل له: والله ما بقي في ما تخافون، فاقض من أمرك ما أنت قاض، فإذا سهل المشى وذهبت حطمة الناس جنتك ففعلت ما أحببت.

قال: ثم أقبل علينا فقال: مهلاً معشر قريش أن تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بني معاوية وانقطع ملكهم، ذهب لعمر الله جدّهم وبقي ملكهم وشرّها بقية هي أطول ممّا مضى، إلزموا مجالسكم وأعطوا بيعتكم.

(١) نفس المصدر ١/٢٧٢ - ٢٧٣.

قال: فما برحنا حتى جاء رسول خالد فقال: يقول لك الأمير لا بد لك أن تأتيانا.

قال: فإن كان لى بد فلا بد مما لا بد منه، يا نوار هلمي ثيابي، ثم قال: وما ينفعكم إتيان رجل إن جلس لم يضركم.

قال: فقلت له أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش؟

قال: مه فأين ما قلت لكم، وكم بعدة من آت ممن يشرب الخمر أو هو شر من شارها أنتم إلى بيعته سراع، أما والله إني لأنهاكم وأنا أعلم أنكم فاعلون ما أنتم فاعلون حتى يصلب مصلوب قريش بمكة يعني عبد الله بن الزبير<sup>(١)</sup>. فأول ما في هذا الخبر: أن ابن قتيبة رواه مرسلًا.

وثانياً: رواه عن عتبة بن مسعود، وهذا الرجل أخو عبد الله بن مسعود، وقد ذكره ابن قتيبة نفسه في كتابه المعارف وقال: ((إنه مات في خلافة عمر))<sup>(٢)</sup>.

وثالثاً: ذكر اسم الوالي بمكة الذي أرسل إلى ابن عباس بأنه خالد بن الحكم، وهذا غلط فاضح فليس بين ولاية معاوية عند موته ولا ولاية يزيد من اسمه خالد بن الحكم، على أنه كرر ذكره في ولاية المدينة حين دعا الحسين عليه السلام وابن الزبير إلى البيعة، وهذا مما يؤمن الخبر، وقد مر بنا في رواية البلاذري للخبر أن عامل مكة اسمه خالد بن العاص، وهو أيضاً غلط فإن عامل مكة يومئذ عمرو بن سعيد بن العاص كما عن ابن خلدون<sup>(٣)</sup>، وهو كذلك عند

(١) الإمامة والسياسة ١/١٦٧ مع الأمة سنة ١٣٢٨ هـ و١/١٩٣ ط مصنفى محمد.

(٢) وطاء طلع النخل.

(٣) كتاب المعارف / ١١٠.

(٤) تاريخ ابن خلدون ١٩/٣.

البلاذري وفيه: «وقيل الحرث بن خالد بن العاص»<sup>(١)</sup> - فمهما يكن فهو ليس الذي ورد ذكره في الخبر.

رابعاً: إن ابن عباس لم يبايع ليزيد مطلقاً. فقد ورد ما يؤيد هذا ما سنقرأ من تاريخ حياته في عهد يزيد.

ومن الغريب العجيب أن يُستند إلى هذا الخبر في مبايعته ليزيد دون تمحيص وفحص عن السند وفي الدلالة ||

والآن إلى خبر ثالث رواه الزبيدي في أتحاف السادة المتقين، وإليك ما نقله: «قال محمود بن محمد بن الفضل، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين حدثنا عبد بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان عن أبيه قال قال عامر بن مسعود الجمحي كنا جلوساً في مجلس عند الكعبة إذ مرّ برید بنى معاوية، فقلت لأصحابي: قوموا بنا إلى ابن عباس - وهو يومئذ بمكة وقد كفّ بصره - فنكون أول من نخبره ونسمع ما يقول، فأتيناها فاستأذنا عليه فدخلنا فإذا بين يديه خوان عليه الكفري<sup>(٢)</sup> ولم يوضع الخبر فسلمنا وقلنا: هل أتاك الخبر يا ابن عباس؟ قال: وما هو؟ قلنا برید بنى معاوية، فقال: ارفع خواتك يا غلام، ثمّ ظلّ واجماً كثيراً مطاطناً رأسه لا يتكلم طويلاً ثمّ رفع رأسه وقال:

جبل ترعزع ثمّ مال بركنه في البحر لا ارتفعت عليه الأبحر

ثمّ قال: اللّهمّ فإنّك أوسع لمعاوية...»<sup>(٣)</sup> إلى آخر ما مرّ عن ابن قتيبة بتفاوت وزيادات يسيرة لا يعنينا أمرها.

(١) انساب الأشراف ١٢/٤.

(٢) وعاء طلع النخل.

(٣) أتحاف السادة المتقين ١٤/١٩٣.



وسند هذا الخبر فيه ينتهي إلى عامر بن مسعود وقد مرّ حاله في خبر البلاذري، غير أنّ الراوي عنه هنا غير الذي مرّ في خبر البلاذري، فلا بدّ من بيان حال رجاله من أوّل السند:

١- محمود بن محمّد بن الفضل صاحب كتاب المتضجعين الذي نقل عنه الزبيدي هذا الخبر ولم أعرف عنه شيئاً بالرغم من البحث عنه في مظانه فهو مجهول عندي.

٢- أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني مجهول كسابقه.

٣- الحسن بن محمّد بن أعين مولى أم عبد الملك: بنت محمّد بن مروان، قال أبو حاتم: ((أدركته ولم أكتب عنه))<sup>(١)</sup>.

٤- محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن مروان مجهول الحال.

٥- عبد الرحمن بن محمّد بن مروان مجهول الحال.

ويكفي في سقوط الخبر وجوده وابنه ثمّ مولاهم الأموي وكلّهم متهمون في روايتهم لأنهم يجرون نفعاً بتصحيح خلافة يزيد ومبايعة ابن عباس لواليه. وثمة خبر يرويه أبو الفرج في الأغاني فيه جملة ممّا مرّ في خبري ابن قتيبة والزبيدي من قول ابن عباس في القرابة بين بني عبد مناف، غير أنّ ذلك كان في أيام ابن الزبير حين نفى بني أمية عن الحجاز، فلعلّ الأمويون ركّبوا من ذلك وما أضافوه إليه الخبر الذي رواه الزبيدي، واليك خبر أبي الفرج بسنده عن ابن أبي مليكة: ((قال: رأيتهم - يعني بني أمية - يتتبعون<sup>(٢)</sup> نحو ابن عباس حين نفى ابن الزبير بني أمية عن الحجاز، فذهبت معهم وأنا

(١) انظر تهذيب التهذيب ٣١٧/٢.

(٢) والتتابع، التتابع في الشر والتهاوت من غير روية.

غلام فلقينا رجلاً خارجاً من عنده فدخلنا عليه، فقال له عبيد بن عمير ما لي أراك تذرّف عيناك؟

فقال له: إن هذا .. يعني عبد الرحمن بن الحكم - قال بيتاً أبكاني وهو:

وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتي      وعبد مناف لم تغلها الغوائل  
فذكر قرابة ما بيننا وبين بني عمنا بني أمية، وإنا إنّما كنا أهل بيت واحد في  
الجاهلية حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيتنا أيما دخل<sup>(١)</sup>.  
ومهما يكن نصيب تلك الأخبار من الصحة لدى من رواها من المصنفين  
فليس لها عندي أيّ وزن.

## الفصل الثاني:

حبر الأمة

أيام حكومة يزيد



في عهد يزيد:

(وإذ بُليت الأمة براءع مثل يزيد فعلى الإسلام السلام) هكذا قال سيّد الشهداء أبيّ الضمير، وهكذا كانت النتيجة المتوقعة، فقد طرق المدينة شرّ عظيم، حين أتى كتاب يزيد إلى الوالي، وكان هو ابن عمه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وفي آخر الكتاب:

((فبايع لنا قوماً ومن قبلك من رجالنا بيعة منشحة بها صدوركم، طيبة عليها أنفسكم، وليكن أول من يبايعك من قوماً وأهلنا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر، ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عشرينها، وحرية رقيقهم، وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم، ولا قوة إلا بالله والسلام)). هكذا روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة<sup>(١)</sup>.

غير أن البلاذري<sup>(٢)</sup> والطبري<sup>(٣)</sup> وابن الأثير<sup>(٤)</sup> ذكروا: ((أنه كتب إليه في صحيفة كأنها أذن فارة: أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة ولا هوادة حتى يبايعوا والسلام))، فلم يرد

(١) الإمامة والسياسة ١/١٦٨ ط سنة ١٣٢٨ هـ بمصر.

(٢) انساب الأشراف ١/٢٩٩.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٣٣٨ ط دار المعارف.

(٤) تاريخ ابن كثير ٤/٦ ط بولاق.

ذكر ابن عباس مع النضر المذكورين. إلا أن البلاذري قال: «وكتب يزيد إليه - إلى ابن عباس - كتاباً يأمره فيه بالخروج إلى الوليد بن عتبة ومبايعته له وينسبه إلى قتل عثمان والممالة عليه، فكتب ابن عباس إليه أيضاً كتاباً يقول فيه: إني كنت بمعزل عن عثمان، ولكن أباك ترخص به وأبطأ عنه بنصره، وحبس من قبله عنه حين استصرخه واستغاث به، ثم بعث إليه الرجال معذراً حين علم أنهم لا يدركونه حتى يهلك»<sup>(١)</sup>.

ويبدو من هذا الجواب الذي صح عندي أنه لم يبايع ليزيد إلى حين الكتاب، ولو أن البلاذري قد ذكر لنا كتاب يزيد وتمايم جواب ابن عباس لتيين ما هو أفصح وأصرح وإن كان فيما ذكره ما كشف عن زيف ما تقدم منا ذكره نقلاً عن البلاذري وابن قتيبة من خبر مبايعته وبيننا أنه لم يصح سنداً ولا دلالة، وأنه تمسك به بعض الباحثين ورأى مبايعته ليزيد، ولعل ما أغراه به ذكر ابن قتيبة له من دون الثقات إلى ما في خبره من هنات ومهما يكن فقد توجس ابن عباس الشر كل الشر في حكومة يزيد، وزاد في قلقه مواقف بقية رجال المعارضة التي اختلفت أهدافهم، فبين راخب كابن عمر وراهب كابن الزبير، ومستكر رافض لكل العروض والمغريات كالإمام الحسين عليه السلام فهو ابن أبيه في إنكار المنكر ودحض الباطل، لا تأخذه في الحق لومة لائم. وابن عباس كان - مع أنه اليائس المتشائم - يقارب الحسين عليه السلام في موقفه الهادف لتحقيق العدالة، ولكن يأسه من الناس أضمر من عزيمته، وفقدانه لبصره أوهى من شكيمته، فصار إما أن يصول بيد جداء أو يصبر على طخية صمياء، كحال ابن عمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيما سلف من الأيام. وعنده في خزين علمه

(١) انساب الأشراف ١/٤٠٦/٤ تح احسان عباس.

الموروث عن النبي المصطفى وابن عمه المرتضى من أخبار وإخبار بما ستلاقي عترته من بعده في عهد يزيد، فهو في حال اضطراب شديد لما سيحلّ بالمسلمين من الفوادم. ولات حين مناص من مزيد ترقب، لتتابع الأحداث سراعاً منذرة بالخطر.

### فمع الأحداث المتتابعة:

كتاب يزيد الى ابن عباس:

لعل أول حدث غامت به نفس ابن عباس كتاب يزيد إليه بمبايعته، وقد مرّ جواب ابن عباس عليه. وأحسب أنه كان في المدينة بعد رجوعه من مكة عمرة رجب، وقد مرّ بنا كتاب يزيد إلى واليه الوليد بن عتبة بأخذ البيعة من الحسين وابن الزبير وابن عمر نقلاً عن الطبري وقلنا إنه لم يرد لابن عباس ذكر معهم، وربما لأن ابن عباس لم يكن يومئذ بالمدينة وكان بمكة معتمراً عمرة رجب وكان موت معاوية في رجب، فلما عاد إلى المدينة أتاه كتاب يزيد بأمره فيه بالخروج إلى الوليد بن عتبة ومبايعته له... ولم يذكر أنه ذهب إلى الوليد، كما لم يذكر أنّ الوليد أرسل عليه، كما أرسل على الحسين وابن الزبير، قال الدينوري: «وأما عبد الله بن عباس فقد كان خرج قبل ذلك بأيام إلى مكة»<sup>(١)</sup>، وقد روى ابن الأثير<sup>(٢)</sup> وابن كثير<sup>(٣)</sup> في تاريخهما وغيرهما أنه وابن عمر لقيا الحسين وابن الزبير في الأبواء منصرفهما من العمرة - وكان الحسين وابن الزبير قد خرجا من المدينة بعد طلب الوليد منهما مبايعتهما ليزيد - فسألاهما عما وراءهما فقالا:

(١) الأخبار الطوال / ٢٧٨.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٧/٤ ط يولاق.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٤٨/٨ نقلاً عن الواقدي.

موت معاوية والبيعة ليزيد، فقال ابن عمر: لا تفرقا جماعة المسلمين<sup>(١)</sup> وقدم هو وابن عباس المدينة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الأثير: «فلما بايع الناس بايعا».

إلا أن ابن كثير قال: «فلما جاءت البيعة من الأنصار بايع ابن عمر مع الناس»، ولم يذكر في هذا المقام<sup>(٣)</sup> عن ابن عباس شيئاً فهو أدق من ابن الأثير في تعبيره، لذلك قلت وأحسب ان كتاب يزيد المشار إليه آنفاً أتى ابن عباس في ذلك الظرف لأنه لم يبايع ليزيد.

خروج الحسين من المدينة إلى مكة وإقامته بها:

قال الدينوري في الأخبار الطوال: «ومضى -الحسين حتى وافى مكة، فنزل شعب علي<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن كثير في تاريخه: «فنزل الحسين دار العباس<sup>(٦)</sup>»<sup>(٧)</sup>.

وحكى الخوارزمي في مقتل الحسين عن الإمام أحمد بن أعثم الكوفي قوله: «ولمّا دخل الحسين مكة فرح به أهلها فرحاً شديداً وجعلوا يختلفون إليه

(١) ومن هنا قلنا ان ابن عمر أنه راى فيها زهد فيه غيره من المعارضة.

(٢) هي طبقات ابن سعد ذكر عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة هو الذي كان مع ابن عمر حين التقيا الحسين وابن الزبير بالابواء لكن في تاريخ دمشق وسير اعلام النبلاء وتاريخ ابن الأثير وابن كثير أنه ابن عباس ولعله تصحيف توارد عليه التناخ.

(٣) احترازاً عما ذكره في ١٥١/ من قوله: بايع ابن عمرو ابن عباس.

(٤) هو شعب أبي طالب ولا يزال يعرف حتى اليوم بشعب علي ويحانبه سوق الليل قارن أخبار مكة للأزرقى ٢٣٣/٢ تحرر في الصحاح محسن ط الثانية سنة ١٣٨٥ هـ مطابع دار الثقافة مكة المكرمة.

(٥) الأخبار الطوال / ٢٢٩.

(٦) هي بالقرب من مولد النبي ﷺ وصارت لخالصة والدته الخيزران قارن / ن م.

(٧) تاريخ ابن كثير ١٦٢/٨.



غدوة وعشية (وكان قد نزل بأعلى مكة وضرب هناك فسطاطاً ضخماً... ثم تحول الحسين إلى دار العباس حوَّله إليها عبد الله بن عباس)<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن أعثم في تاريخه: «وأقام الحسين بمكة في شهر شعبان ورمضان وشوال وذو القعدة.

قال: وبمكة يومئذ - أحسب مراده في ذي القعدة - عبد الله بن عباس ؑ وعبد الله بن عمر بن الخطاب ؑ فأقبلاً جميعاً حتى دخلاً على الحسين وقد عزماً على أن ينصرفا إلى المدينة، فقال له ابن عمر: أبا عبد الله رحمك الله اتق الله الذي إليه معادك فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم وظلمهم إياكم، وقد ولي الناس هذا الرجل يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه لمكان هذه الصفراء والبيضاء فيقتلونك ويهلك فيك بشر كثير، فإنني قد سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: حسين مقتول، ولئن قتلوه وخذلوه ولن ينصروه ليخذلهم الله إلى يوم القيامة، وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم الظالمين.

فقال له الحسين أبا عبد الرحمن أنا أبايع يزيد وأدخل في صلحه، وقد قال النبي ﷺ فيه وفي أبيه ما قال؟

فقال ابن عباس: صدقت أبا عبد الله، قال النبي ﷺ في حياته: ما لي وليزيد، لا يبارك الله في يزيد، وأنه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين ؑ، والذي نفسي بيده لا يقتل ولدي بين ظهرائي قوم فلا يمنعونني الا خالف الله بين قلوبهم وألستهم، ثم

(١) ما بين القوسين لم نجده في تاريخ ابن أعثم ط دار الندوة هفتن خيراً، وازدد خبراً بمطبوعات العصر الحديث، ودار العباس كانت بين الصفا والمروة منقوشة عندها العلم الذي يسمى منه من جاء من المروة إلى الصفا قارن نفس المصدر في المتن.

(٢) مقتل الحسين ١٩٠/١ ط الزهراء في النجف.

بكى ابن عباس وبكى معه الحسين وقال: يا بن عباس تعلم أنني بنت رسول الله ﷺ؟

فقال ابن عباس: اللهم نعم نعلم ونعرف أن ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله ﷺ غيرك، وأن نصرك لقرض على هذه الأمة كفرضة الصلاة والزكاة التي لا يقدر أن يقبل إحداها دون الأخرى.

قال الحسين: يا بن عباس فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله ﷺ من داره وقراره ومولده وحرم رسوله ومجاورة قبره ومولده ومسجده وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقر في قراره ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتخذ من دونه ولياً، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده؟

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم ﴿كَسَالَى بُرَأُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ مُذْبَذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً<sup>(١)</sup> وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت يا بن بنت رسول الله ﷺ فإنك رأس الفخار برسول الله ﷺ وابن نظيره البتول، فلا تظن يا بن بنت رسول الله ﷺ إن الله غافل عما يعمل الظالمون. وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك وطمع في محاربتك ومحاربة نبيك محمد ﷺ فما له من خلاق.

فقال الحسين: اللهم اشهد.

فقال ابن عباس: جعلت فداك يا بن بنت رسول الله ﷺ كأنك تعني إلي نفسك وتريد مني أن أنصرك؟ والله الذي لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك

بسيفي حتى ينقطع وتتخلع يداي جميعاً من كضي لما كنت ممن أوفى من ححك  
عشر العشير، وها أنا بين يديك مرني بأمرك.  
فقال ابن عمر: مهلاً ذرنا من هذا يا بن عباس.

قال: ثم أقبل ابن عمر على الحسين فقال: أبا عبد الله مهلاً عما قد عزمت  
عليه، وارجع من هنا إلى المدينة وادخل في صلح القوم، ولا تغب عن وطنك  
وحرم جدك رسول الله ﷺ، ولا تجعل لهؤلاء الذي لا خلاق لهم على نفسك  
حجة وسبباً وإن أحييت أن لا تباع فأنت متروك حتى ترى برأيك، فإن يزيد  
ابن معاوية - لعنه الله - عسى أن لا يعيش الا قليلاً فيكفيك الله أمره.

فقال الحسين: أف لهذا الكلام أبداً، ما دامت السماوات والأرض، أسألك  
بالله يا عبد الله أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ  
فردني فإني أخضع وأسمع وأطيع.

فقال ابن عمر: اللهم لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على  
خطأ، وليس مثلك من طهارته وموضعه من الرسول ﷺ أن يسلم على مثل يزيد  
ابن معاوية - لعنه الله - باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن  
الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة، وإن  
شئت أن لا تباع فلا تباع أبداً، واقعد في منزلك.

فقال له الحسين: هيهات يا بن عمر إن القوم لا يتركوني، إن أصابوني وإن  
لم يصيبوني، فإنهم يطلبوني أبداً حتى أبايع وأنا كاره أو يقتلونني، ألا تعلم أبا عبد  
الرحمن أن من هوان هذه الدنيا على الله أن يؤتى برأس يحيى بن زكريا إلى بغية  
من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطق بالحجة عليهم، فلم يضرب ذلك يحيى بن  
زكريا، بل ساروا الشهداء فهو سيدهم يوم القيامة؟ ألا تعلم أبا عبد الرحمن ان

بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يجعل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام؟ فاتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي، واذكرني في صلاتك، فوالذي بعث جدي محمداً بشيراً ونذيراً لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني نصرني كما نصر جدي، ولقام من دوني كقيامه من دون جدي.

يا بن عمر فإن كان الخروج معي يصعب عليك ويشغل فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تترك لي الدعاء في دبر كل صلاة. ثم أقبل على عبد الله بن عباس.

وقال له: وأنت يا بن عباس ابن عم أبي، ولم تنزل تأمر بالخير مذ عرفتك، وكنت مع أبي تشير عليه بما فيه الرشاد والسداد، وقد كان أبي يستصحبك ويستصحبك وتستشيرك وتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله، فلا تخفي علي شيئاً من أخبارك، فإنني مستوطن هذا الحرم ومقيم به، ما رأيت أهله يحبونني وينصرونني، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم يوم ألقى في النار، حسبي الله ونعم الوكيل، فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

فبكى ابن عباس وابن عمر ذلك الوقت بكاء شديداً، وبكى الحسين معهما، ثم ودّعهما فصار ابن عباس وابن عمر إلى المدينة<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ ابن اعثم ٣٨/٥ - ٤٤ ط دار الندوة.

وهذا الخبر بطوله رواه الخوارزمي في مقتل الحسين ١٩٠/١ - ١٩٣ نقلاً عن ابن اعثم وما حكاه عنه أصح من المطبوع من فتوحه ط دار الندوة بيروت

كتاب يزيد إلى ابن عباس في أمر الحسين عليه السلام:

روى السبط ابن الجوزي في التذكرة: «وقال الواقدي: ولما نزل الحسين مكة كتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس: أما بعد فإن ابن عمك حسيناً وعدو الله ابن الزبير الثوريا بيعتي ولحقا بمكة مرصدين للفتنة، معرضين أنفسهما للهلكة. فأما ابن الزبير فإنه صريح الفناء وقتيل السيف غداً، وأما الحسين فقد أحبيت الإعذار اليكم أهل البيت مما كان منه، وقد بلغني أن رجلاً من شيعته من أهل العراق يكتابونه ويكاتبهون، ويمتونه الخلافة، ويمتئهم الإمرة، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبته، وأنت زعيم أهل بيتك وسيّد أهل بلادك فالقه فارده عن السعي في الفرقة، وردّ هذه عن الفتنة، فإن قبل منك وأتاب إليك فله عندي الأمان والكرامة الواسعة، وأجري عليه ما كان أبي يجره على أخيه، وإن طلب الزيادة فاضمن له ما أراك الله أنفذ ضمانك، وأقوم له بذلك، وله عليّ الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة بما تطمئن به نفسه ويعتمد في كلّ الأمور عليه، عجل بجواب كتابي وبكل حاجة لك إليّ وقبلي والسلام.

قال هشام بن محمد: وكتب يزيد في أسفل الكتاب:

يا أيها الراكب الغادي لطيبته ... <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

جواب ابن عباس إلى يزيد:

قال السبط في التذكرة: «فكتب إليه ابن عباس أما بعد: فقد ورد كتابك

تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه

(١) الابيات الالكية.

(٢) تذكرة الخواص ط حجرية و ٢١٥ ط منشورات الشريف الرضي بقم.

وهواه، يكانمنا مع ذلك أضغانا يسرها في صدره يوري علينا وري الزناد، لا فك الله أسيرها قاره في أمره ما أتيت رايه.

وأما الحسين فإنه لما نزل مكة وترك حرم جده ومنازل آبائه، سأله عن مقدمه فأخبرني أن عمالك في المدينة أساؤا إليه وعجلوا عليه بالكلام الفاحش، فاقبل إلى حرم الله مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة، ويطغى به الثائرة، ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماء الأمة، فاتق الله في السر والعلن، ولا تبيتن ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافر لغيره حفرأ وقع فيه، وكم من مؤمل أملاً لم يؤت أمله، وخذ بحظك من تلاوة القرآن ونشر السنّة، وعليك بالصيام والقيام، لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا وأباطيلها، فإن كل ما شغلت به عن الله يضر ويغنى، وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام<sup>(١)</sup>.

هذه صورة الكتاين، وقد رواهما السبط عن الواقدي وعن الكلبي كما ذكرهما، وروايته أتم مما رواه ابن سعد والطبري فضلاً عن المتأخرين الذين أخذوا عنهما. ويبدو أن السبط حصل على بعض كتب الواقدي وهشام بن محمد الكلبي، كما يبدو أن اخترا لا متعمداً عند ابن سعد والطبري، وإلى القارئ صورة ما ذكره ابن سعد في طبقاته.

قال ابن سعد في الطبقات: ((وكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عباس يخبره بخروج الحسين إلى مكة: ونصبه جاءه رجال من أهل هذا المشرق فمَنّوه الخلافة، وعندك علم منهم خيرة وتجربة، فإن كان فعل فقد قطع واشج القرابة، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه، فاكفّه عن السعي في الفرقة.

وكتب بهذه الأبيات إليه والى من بمكة والمدينة من قريش:

يا أيها الراكب الغادي لطَيْتِه<sup>(١)</sup>

على عدافرة<sup>(٢)</sup> في سيرها فحم<sup>(٣)</sup>

أبلغ قريشاً على نأي<sup>(٤)</sup> المزار بها

بيني وبين حسين الله والرحم

وموقف بغناء البيت أنشده

عهد الإله وما توفى به الذمم<sup>(٥)</sup>

عنيتم<sup>(٦)</sup> قومكم فخراً بأمكم

أم لعمرى حصان عفة<sup>(٧)</sup> كرم

هي التي لا يداني فضلها أحد

بنت الرسول وخير الناس قد علموا<sup>(٨)</sup>

وفضلها لكم فضلٌ وغيركم

من قومكم لهم في فضلها قسَمُ

(١) طَيْتِه: حاجته.

(٢) العدافرة: الناقة الشديدة العظيمة (اللسان ٤/٥٥٥).

(٣) فحم: أي سريعة تطوي المنازل وتتقحمها منزلاً بعد منزل (نفس المصدر ١٢/٤٦٤).

(٤) تاريخ الطبري ٢٠٢/٨ ط دار المعارف على ضبط المزار.

(٥) تاريخ الطبري: وما ترمى له الذمم.

(٦) وفيه: عنقتم وبيالي في بعض المصادر هُنَيْتَم.

(٧) في الطبري وتاريخ دمشق وتاريخ ابن كثير (بَرَّة) وفي مقتل الحسين للخوارزمي ٢١٨/١

ط الزهراء: (صمها الكرم).

(٨) في مقتل الخوارزمي (وكل الناس قد علموا).

إِنِّي لأَعْلَمُ أَوْ ظَنًّا كَعَالِمِهِ  
 وَالظَّنُّ يَصْدُقُ أحياناً فَيَنْتَظِمُ  
 أَنْ سَوْفَ يَتْرَكُكُمْ مَا تَدْعُونَ بِهِ<sup>(١)</sup>  
 قَتَلِي تَهَادَاكُمْ الْعِقبَانُ وَالرَّخَمُ  
 يَا قَوْمَنَا لَا تَشْبُوا الْحَرْبَ إِذْ سَكَنْتَ<sup>(٢)</sup>  
 وَمَسَكُوا بِجِبَالِ السَّلَامِ وَاعْتَصَمُوا<sup>(٣)</sup>  
 قَدْ غَرَّتْ الْحَرْبُ<sup>(٤)</sup> مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
 مِنَ الْقُرُونِ وَقَدْ بَادَتْ بِهَا الْأُمَمُ  
 فَانصَفُوا قَوْمَكُمْ لَا تَهْلِكُوا بِذُخَا<sup>(٥)</sup>  
 فَرَبِّ ذِي بِلْدَحٍ زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ<sup>(٦)</sup>

قال: فكتب إليه عبد الله بن عباس: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ خُرُوجُ الْحَسَنِ  
 لِأَمْرِ تَكْرَهُهُ، وَلَسْتُ أَدْعُ النَّصِيحَةَ لَهُ فِيمَا يَجْمَعُ اللَّهُ بِهِ الْإِلْفَةَ، وَيُطْفِئُ بِهِ النَّارَ.

(١) في الطبري (ما تطلبون بها).

(٢) في الطبري (لا خمدت).

(٣) في الطبري بعد هذا البيت:

وَإِنْ شَارِبَ كَأْسِ الْبَغِيِّ يَتَخَمُ لَا تَرْكَبُوا الْبَغِيَّ إِنْ الْبَغِيَّ مَصْرُوعَةً

(٤) في الطبري (قد جرت الحرب) وفي مقتل الخوارزمي (قد صغرت الحرب).

(٥) في مقتل الخوارزمي (لا تشمخوا بذخا).

(٦) في كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي ومقتل الخوارزمي واحسبه نقله من الأول قال:

فَنظَرَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ ثُمَّ وَجَّهُوا بِهَا وَإِلَى الْكِتَابِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ؑ  
 فَلَمَّا نَظَرَ فِيهِ عَلِمَ أَنَّهُ كِتَابُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فَكَتَبَ الْحَسَنِ الْجَوَابَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا  
 أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وَالسَّلَامُ. وَالآيَةُ فِي سُورَةِ يُونُسَ / ٤١ ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ...﴾  
 فَاقْتَبَسَ الْإِمَامُ مَعْنَى الْآيَةِ.



ودخل عبد الله بن عباس على الحسين فكلّمه ليلاً طويلاً، وقال: أنشدك الله أن تهلك غداً بحال مضیعة، لا تأتي العراق، وإن كنت لا بدّاً فاعلماً فأقم حتى ينقضي الموسم، وتلقى الناس وتعلم على ما يصدر عن ثم ترى رأيك - وذلك في عشر ذي الحجة سنة ستين. فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق. فقال له ابن عباس: والله إنني لأظنك ستقتل غداً بين نساءك وبناتك كما قتل عثمان بين نساءه وبناته، والله إنني لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

فقال الحسين: أبا العباس إنك شيخ قد كبرت.

فقال ابن عباس: لولا أن يزري ذلك بي أو بك لنشبت يدي في رأسك، ولو أعلم أنا إذا تناصبتنا أقتل لعلت، ولكن لا أخال ذلك نافعي. فقال له الحسين: لئن أقتل بمكان كذا وكذا أحب أن تستحل بي - يعني مكة -

قال: فبكى ابن عباس وقال: أقررت عين ابن الزبير، فذلك الذي سلا بنفسه عنه.

ثم خرج عبد الله بن عباس من عنده وهو مغضب وابن الزبير على الباب، فلما رآه قال: يا ابن الزبير قد أتى ما أحببت، قررت عينك هذا أبو عبد الله يخرج ويشركك والحجاز.

يا لك من قنبرة بمعمر خلالك الجو فيضني واصفري

ونقرّي ما شئت أن تنقرّي<sup>(١)</sup>

(١) الطبقات في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام، محمد بن محمد بن صالح السلمى ط الطائفة والحسين والسنة ط الطباطبائي.

لماذا الإصرار وحوار بعد حوار:

لقد مرّ بنا قريباً أن ابن عباس قد كلّم الحسين عليه السلام ليلاً طويلاً، ولم تكن تلك هي المرّة الأولى والأخيرة، بل لقد تكررت الزيارات، وتابعت النصائح والمحاولات والمحاوَرات. وفي جميعها كان ابن عباس يبذل جهداً متواصلًا في صرف نظر الحسين عليه السلام عن التوجه إلى العراق، لأن أهله قوم غدر، قتلوا أباه وخذلوا أخاه، ويخشى أن يسلموه عند الوثبة.

وقد قرأت له أكثر من محاورة تشابهت لغتها، ولم تخرج في يانها عن المحور الأساس هو الحيلولة دون خروج الحسين عليه السلام إلى العراق، ولم يرد في شيء منها صدّه عن القيام ضد حكومة يزيد، بل كان هو من رأيه القيام ضد حكومة يزيد ذلك الجبار كما سيأتي نعت له بذلك في إحدى محاولاته ومحاوَراته.

ولا أستغرب منه ذلك الإصرار، لأنّه كان على علم يقين بأن الحسين عليه السلام سيقتل في كربلاء بالعراق، أخذ ذلك من حديث النبي صلى الله عليه وآله، فهو أحد رواة حديث التربة التي أتى بها الروح الأمين إلى النبي صلى الله عليه وآله.

فقد روى ابن كثير قال: ((أخرج البزار في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان الحسين جالساً في حجر النبي صلى الله عليه وآله فقال جبريل: أتجبه؟ فقال: وكيف لا أجبه وهو ثمرة فؤادي: فقال: إن أمتك ستقتله، ألا أريك من موضع قبره؟ فقبض قبضة، فإذا تربة حمراء))<sup>(١)</sup>.

وهو الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله ما سمعه من خطبته عند رجوعه من سفر له وهو متغير اللون محمراً الوجه، فخطب خطبة بليغة موجزة وعيناه تهملان دموعاً

قال فيها: (أيها الناس إنني خلقت فيكم الثقلين<sup>(١)</sup>: كتاب الله وعترتي وأرومتي، ومزاج مائي وثمرتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا وإنني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم به المودة في القربى، فانظروا لا تلقوني على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم، ألا وإنه سترد عليّ في القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة:

راية سوداء... ثم ترد عليّ راية أخرى أشد سواداً من الأولى... ثم ترد عليّ راية أخرى تلمع نوراً... ألا وإن جبرئيل قد أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء، ألا فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدهر). قال ابن عباس: ((ثم نزل عن المنبر، ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا وتيقن بأن الحسين مقتول...))<sup>(٢)</sup>.

ولقد ازداد علماً على علم وبقيناً على يقين حين مرّ وهو مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في طريقه إلى صفين، وحديثه كما رواه الشيخ الصدوق في إكمال الدين بسنده عن مجاهد - وكلّ رواته من العامة - عن ابن عباس قال: ((كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفين، فلما نزل نينوى وهو شط الفرات صاح بأعلا صوته: يا بن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قال: قلت: ما أعرفه يا أمير المؤمنين. قال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كيكائي. قال: فبكي طويلاً حتى اخضلت لحيته، وسالت على خديه - وبكينا معه - وهو يقول:

(١) من الأحاديث المتواترة قد رواه أكثر من أربعين صحابياً، وقد قاله عليه السلام في أكثر من موقف وخطبة وقد أحصيت المناسبات في رسالتي عن الحديث المذكور فكانت ستاً، أولها يوم الطائف ثم يوم عرفة في حجة الوداع ثم في مسجد الخيف بمنى، ثم يوم الغدير ثم في المدينة قبل موته عليه السلام بأيام يسيرة وآخرها في حجرته وقد قصت بأصحابه.

(٢) تاريخ ابن اعثم الكوفي ٢١٧/٤ - ٢١٨ ط دار الندوة وهذه الخوارزمي في مقتل الحسين ١٦٢/١ ط الزهراء في النجف الأشرف.

أوه أوه، ما لي ولآل أبي سفيان، ما لي ولآل حزب الشيطان وأولياء الكفر، صيراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم - ثم ذكر ابن عباس كلاماً طويلاً قاله الإمام إلى أن قال:-

والذي نفسي بيده لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم عليه السلام أنني سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها تسعة عشر رجلاً كلهم من ولدي وولد فاطمة عليها السلام، وإنما لقي السماوات معروفة تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس.

ثم قال: يا بن عباس أطلب لي حولها بحر الظباء، فوالله ما كذبت ولا كذبتني قط، وهي مصفرة لونها لون الزعفران.

فقال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها مجمعة، فناديته يا أمير المؤمنين قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي.

فقال عليه السلام صدق الله ورسوله، ثم قام يهرول إليها، فحملها وشمها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم يا بن عباس ما هذه البعرة؟ - ثم حدثه بحديثها إلى أن قال ابن عباس: ثم بكى بكاءً طويلاً، وبكىنا معه، حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً، ثم أفاق فأخذ البعر فصرها في ردائه، وأمرني أن أصرها كذلك ثم قال: يا بن عباس إذا رأيتها تنفجر دماً عيباً، فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها ودفن.

قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أحفظها أشد حفظي، لما افترض الله علي... والله ما كذبتني علي قط في حديث حدثني، ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره...<sup>(١)</sup>

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة في المجلس ٨٧/ بتقديم ط الحيدرية وقارن ص ٢٨٤ الخرايج والجرايح للراوندي المطبوع منضمّاً إلى الأربعين للمجلسي وكفاية الأثر للخزاز ط حجرية والدر النظيم في باب مقتل الحسين عليه السلام (مخطوط).

فبعد هذا كله كيف يستغرب من ابن عباس إصراره على صرف نظر الحسين عليه السلام عن التوجه إلى العراق. فهو حين يصرّ كان مستبصراً بالمصير المحتوم، ومتشائماً ممّا تنتهي إليه تلك الرحلة، ومتيقناً إن ذلك اليوم سيكون آخر العهد بأبي عبد الله الحسين عليه السلام. وليست المسألة قضية غلبة العاطفة فحسب وإن كان لها دورها، ولكن ابن عباس كان يخشى وقوع المحذور، ويترجى بلعل وعسى تأخير المقدور، ومهما يكن فما هو الحسين قد شاع في الناس خبر عزمه على الخروج، فاهترت لذلك النبأ المشاعر الصادقة منها والكاذبة حتى وصف ابن عباس حالهم بالإرجاف، وهو وصف دقيق في التعبير وبلغ في التصوير. فالتناس إذا خاضوا في أخبار الفتن ونحوها قبل أرجفوا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾<sup>(١)</sup>، والإرجاف كالزلزال يعمّ الصديق والعدو، والمؤمن والمنافق، والذكر والأنثى.

## روايات في المحاورات:

لقد وردت عدة روايات عدا ما تقدم من حوار بين ابن عباس وبين الحسين حول عزم الحسين على الخروج إلى العراق:

أ- فمنها ما روى ابن جرير الطبري العامي وابن أعثم الكوفي والخوارزمي وغيرهم بتفاوت وألفاظ متقاربة، واللفظ للأول:

قال أبو مخنف: ((حدثني الحارث بن كعب الوالي عن عقبة بن سميان أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة، أتاه عبد الله بن عباس فقال: يا بن عم إنك قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق فبين لي ما أنت صانع؟

قال: إنني قد أجمعت المسير في أحد يومي هذين إن شاء الله تعالى.  
فقال له ابن عباس: فإني أعيدك بالله من ذلك. أخبرني رحمك الله أتسير  
إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؛ فإن كانوا قد فعلوا فسر  
إليهم، وإن كانوا إنما دعوك اليهم وأميرهم عليهم، قاهر لهم، وعماله تجبي  
بلادهم، فإنهم دعوك إلى الحرب والقتال، ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك  
ويخالقوك ويخذلوك، وأن يُستغفروا إليك، فيكونوا أشد الناس عليك.

فقال له حسين: وإنني أستخير الله وانظر ما يكون.

قال: فخرج ابن عباس من عنده...

قال: فلما كان من العشي أو من الغد أتى الحسين عبد الله بن العباس فقال:  
يا بن عم إنني أتصبر ولا أصبر، إنني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك  
والاستئصال، إن أهل العراق قوم عُدر، فلا تقرنهم، أقم بهذا البلد فإنك سيد أهل  
الحجاز، فإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا، فكتب إليهم: فلينفوا عدوهم  
ثم أقدم عليهم، فإن أبيت إلا أن تخرج، فسر إلى اليمن، فإن بها حصوناً وشعاباً،  
وهي أرض عريضة طويلة، ولأبيك بها شيعة، وأنت عن الناس في عزلة، فتكتب  
إلى الناس، وترحل فتبث دعائك، فإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في  
عافية.

فقال له الحسين عليه السلام يا بن عم إنني والله لأعلم أنك ناصح مشفق، ولكني  
قد أزمعت وأجمعت على المسير.

فقال ابن عباس: فإن كنت سائراً، فلا تسر بنسائك وصبيتك، فوالله إنني  
لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه. ثم قال ابن عباس:  
لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه والحجاز والخروج منها، وهو اليوم لا

ينظر إليه أحد معك، والله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك - إذا أخذت بشرك وناصرتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس - أعطيتي لفعت ذلك.  
قال: ثم خرج ابن عباس من عنده فمرّ بعبد الله بن الزبير، فقال: قرّرت عينك يا بن الزبير ثمّ قال:

يا لك من قبرة بمعمر خلالك الجو فيضني واصفري

ونقرّي ما شئت أن تنقرّي<sup>(١)</sup>

هذا حسين يخرج بالعراق عليك بالحجاز<sup>(٢)</sup>.

ب- ومنها ما روي ابن جرير الطبري الإمامي بسنده عن أبي مخنف لوط ابن يحيى قال: «حدثنا عباس بن عبد الله عن عبد الله بن عباس قال: أتيت الحسين وهو يخرج إلى العراق فقلت له يا بن رسول الله لا تخرج، فقال يا بن عباس: أما علمت إن منعتني من هناك فإنّ مصارع أصحابي هناك. قلت له فأنى لك ذلك؟ قال: بسرّ سرّي وعلم أعطيتي<sup>(٣)</sup>».

ج- ومنها ما روى المجلسي عن الشهيد الثاني باسناده عن ابن قولويه وهو بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه قول الصادق عليه السلام: «لما تجهز الحسين عليه السلام إلى الكوفة أتاه ابن عباس فناشده الله والرحم أن يكون هو المقتول بالطف، فقال: أنا أعرف بمصرعي منك، وما وكدي من الدنيا إلا فراقها.

(١) الرجز لطرفة بن العبد قاله وهو صغير بصطاد القنبر وهو ضرب من الطير قال ابن قتبية في الشعر والشعراء / ١٤٠ أنه أول شعر قال طرفة وقال ابن بري: هو لكليب بن ربيعة التغلبي وليس لطرفة. اللسان (قنبر) والنظر الحيوان للمجاهد ٦٦/٣ و ٢٢٧/٥.  
(٢) تاريخ الطبري ٢٩٣/٣ ط الحسينية بمصر، والفتوح لابن اعثم ١١١/٥، ومقتل الخواريزمي ٢١٦/١ - ٢١٧.

(٣) دلائل الإمامة / ٧٤ ط الحيدرية سنة ١٣٦٩.

ألا أخبرك يا بن عباس بحديث أمير المؤمنين عليه السلام والدنيا فقال له: بلى لعمرى إنني لأحب أن تحدثني بأمرها...» ثم ذكر الحديث<sup>(١)</sup>.

د- ومنها ما ورد في ناسخ التواريخ ما تعريبه: «إن ابن عباس لما أكثر في إلحاحه على الحسين في منعه من التوجه إلى العراق، تغافل بالقرآن فكانت الآية الكريمة ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وأحسب أن هذه كانت آخر المحاولات والمحاورات، وقد وردت روايات أخرى على بعض ما فيها بعض التحفظات نذكر منها:

١- ما ورد في قول ابن عباس في محاوره ذكرها ابن أعثم: «وإنك تعلم أنه -العراق- بلد قد قتل فيه أبوك، واغتيل فيه أخوك، وقتل فيه ابن عمك (٩١) ويبيع يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد في البلد يُعطي ويفرض، والناس اليوم إنما هم عبيد الدينار والدرهم ولا آمن عليك أن تقتل، فأتق الله والزم هذا الحرم. فقال له الحسين، والله إن أقتل بالعراق أحب إلي من أن أقتل بمكة، وما قضى الله فهو كائن، وأنا مع ذلك استخير الله وأنظر ما يكون...»<sup>(٤)</sup>.

ففي قوله: «وقتل فيه ابن عمك» - وفي بعض الروايات زيادة قوله: «وقد بايعه أهله» - دلالة على وصول خير مقتل مسلم بن عقيل إلى الحسين وهو بمكة، بينما دلت روايات أخرى هي الأشهر والأظهر أنه علم بذلك في الطريق إما في زرود أو فيما بعدها.

(١) بحار الأنوار ٨/٢٧٣.

(٢) آل عمران / ١٨٥.

(٣) ناسخ التواريخ ٢/١٢٢.

(٤) الفتوح ٥/١١٢.



٢- ومما ورد أيضاً كذلك مما لا يقبل، بل ولا يعقل مما ورد عن القوادح الحسينية، وكما في أسرار الشهادة قال: ((فالتفت الحسين عليه السلام إلى ابن عباس فقال له: ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت نبيّه من وطنه وداره وقراره وحرم جده، وتركوه خائفاً مرعوباً لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى جوار، يريدون بذلك قتله وسفك دمانه، لم يشرك بالله شيئاً قال له ابن عباس: جعلت فداك يا حسين إن كان لا بدّ من السير إلى الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك.

فقال: يا بن العم إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي وقد أمر بأمر لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهم معي.

وقال: يا بن العم إنهنّ ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا آمن عليهنّ أحداً، وهنّ أيضاً لا يفارقنني.

فسمع ابن عباس بكاء من ورائه وقائلة تقول يا بن عباس تشير علي شيخنا وسيدنا أن يخلفنا ها هنا ويمضي وحده، لا والله بل نحبي معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره. فبكى ابن عباس بكاءً شديداً وجعل يقول: يعزّ والله عليّ فراقك يا بن العم، ثمّ أقبل على الحسين وأشار عليه بالرجوع إلى مكة والدخول في صلح بني أمية (٩١ ٩١ ٩١)

فقال الحسين: هيهات هيهات يا بن عباس إنّ القوم لن يتركوني وانهم يطلبونني أين كنت حتى أبايعهم كرهاً ويقتلونني، والله لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه وقتلوني، والله إنهم ليعتدون عليّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت وإنّي ماض في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله حيث أمرني، وإنّا لله وإنا إليه راجعون<sup>(١)</sup>.

(١) أسرار الشهادة / ٢٢٧ ط حجرية سنة ١٣١٩ هـ.

فإن الأمر الذي قلنا إنه غير مقبول ولا معقول هو مشورة ابن عباس على الإمام الحسين بالرجوع إلى مكة والدخول في صلح بني أمية. وهو ما عقبته بعلامات التعجب والاستفهام استككاراً له، إذ لم يرد في أي مصدر مقبول أن ابن عباس أشار بمثل ذلك، وإن في الخبر: «وأشار عليه بالرجوع إلى مكة» فذلك يعني أن الحوار جرى في الطريق بعد مغادرة الحسين مكة فلحقه ابن عباس وجرى بينهما ما تقدم. وهذا أيضاً لم يرد في أي مصدر مقبول فلاحظ!

وأظن - وظن الأعمى يقين - أن وهماً من وقع الراوي فخلط بين ابن عباس وبين ابن عمر، فإن المشير بالصلح هو ابن عمر كما في الملهوف، قال السيد ابن طاووس: «وجاءه عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير فأشارا عليه بالإمساك فقال لهما: إن رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر وأنا ماض فيه، قال: فخرج ابن العباس وهو يقول: واحسيناه، ثم جاء عبد الله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال وحذره من القتل والقتال.

فقال: يا أبا عبد الرحمن أما علمت أن من هوان الدنيا على الله تعالى أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلي بغية من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً؟ فلم يعجل الله عليهم، بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام. اتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدع نصرتي»<sup>(١)</sup>.

أقول: وقد تقدم هذا بصورة أوسع عن الفتوح لابن هشام فراجع خروج الحسين من المدينة إلى مكة وإقامته بها.

(١) الملهوف لابن طاووس / ٣٦ - ٣٧.

وراجع أيضاً أول هذه الفصلة لماذا الإصرار وحوار بعد حوار، فستجد أن ابن عباس يشارك الحسين عليه السلام في رأيه في جهاد يزيد وسماء الجبار، وحسبك أن تقرأ ما رواه المسعودي في المروج قال: «فلما همّ الحسين بالخروج إلى العراق أتاه ابن العباس فقال له: يا بن عم قد بلغني أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن...»<sup>(١)</sup>.

فمن يسمي يزيد بالجبار، ويصوب محاربة الحسين له كيف يُقبل أو يعقل أنه يشير عليه بمصالحته؟

٣- ومما ورد أيضاً والمهدة على راويه، وهو لا يخلو من مناقشة ما رواه الحافظ ابن شهر آشوب نقلاً عن كتاب التخريج (٩) عن العامري بالاسناد عن هبيرة بن يريم عن ابن عباس قال: «رأيت الحسين قبل أن يتوجه إلى العراق على باب الكعبة وكف جبرئيل في كفه، وجبرئيل ينادي: هلموا إلى بيعة الله. وعنف ابن عباس على تركه الحسين فقال: إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، تعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم»<sup>(٢)</sup>.

فإن هذا الخبر مما لا يمكن قبوله بوجه ما لم تسد ثغرات سنده ومثته. ففي إسناده:

أولاً: جهالة مؤلف كتاب التخريج (٩) ونقل ابن شهر آشوب عنه لا يضمني الوثيقة عليه.

ثانياً: جهالة روايته وانقطاع سنده بين العامري وهبيرة.

(١) مروج الذهب ٦٤/٣ تح محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ٢١١/٣ ط الحيدرية.

ثالثاً: جهالة حال العامري وهيرة عندنا. وقد ذكر ابن حجر<sup>(١)</sup> هيرة وذكر أقوالاً مختلفة فيه فليراجع.

أما ما في منته من ثغرات فهي:

أولاً: كيف رأى ابن عباس الحسين بياب الكعبة وكف جبرئيل في كفه، وهو يومئذ كان مكفوف البصر؟

ثانياً: لو أغمضنا عن الرؤية البصرية فمن أين علم أن المرثي كان جبرئيل ولعله ملك آخر؟

ثالثاً: لو سلمنا بأنه جبرئيل لإخبار المعصوم له بذلك، فلماذا لم يبادر هو إلى بيعة الله ويستجيب لندائه.

رابعاً: إنه أجاب لما عَنف على تركه نصرته الحسين عليه السلام بأن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، فهذا الجواب لا يرفع عنه إصر العتاب بل وحتى العقاب، إذ لا فائدة من نداء جبرئيل ودعوته الناس إلى بيعة الله؟ وهو يرويه.

خامساً: إن ذلك ينافي القول بالبداء والمحو والإثبات، ولقوله عليه السلام: (إعملوا فكل ميسر لما خلق له)، وسيأتي مزيد بيان عن هذا في الحلقة الرابعة إن شاء الله تعالى.

والآن إلى بعضه.

سؤال يتبعه سؤال:

لماذا تخلف ابن عباس عن الخروج مع الحسين؟ ولماذا لم يرسل معه بعض أولاده؟ سؤالان مترتبان أولاً وثانياً منشأهما واحد ويصعب تجنّبهما، ولكن

(١) تهذيب التهذيب ١١/٣٣ - ٢٤.

لا تستعصي الإجابة على الأول منهما بقدر ما تستعصي الإجابة على الثاني منهما. وكلاهما سؤال وجيه ويفرض نفسه، وقد طرحا - وخصوصاً الأول - قديماً، وأجيب عنه بجوابات مختلفة جلّها تحمل طابع التعذير فترفع إصر التخصير.

ومهما يكن الأمر فإنّ بعض أعلام المتأخرين قد اتخذ من تخلف ابن عباس ذريعة للنيل منه، ووسيلة طعن فيه بل في بقية بني هاشم بما فيهم محمّد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر وأضاف إليهم ابن عمر وابن الزبير وآخرين، وقد ذكرت مقالته وأجبت عن بعض مؤاخذاته على ابن عباس وابن الحنفية وابن جعفر، وسوف يأتي ذلك في الحلقة الرابعة من الموسوعة (عبد الله بن عباس في الميزان) ولربّما استعجلنا القارئ بالجواب ولو باختصار:

ف نقول له في جواب السؤال الأول: لماذا تخلف ابن عباس عن الخروج مع

الحسين عليه السلام؟

إعلم إنّ ابن عباس كان يومئذ مكفوف البصر، وعن مثله يسقط التكليف بالجهاد، على أنّه قد مرّ بنا في أولى محاوراته قوله للحسين عليه السلام بعد كلام جرى بينهما: «جعلت فداك يا بن بنت رسول الله كأنك تتعني الي نفسك وتريد مني أن أنصرك فوالله الذي لا إله إلا هو لو ضربت بين يديك بسيفي حتى ينقطع وتنخلع يداي جميعاً من كتفي لما كنت ممّن أوفى من حقك عشر العشير، وها أنا بين يديك فمرني بأمرك.

فقال ابن عمر - وكان حاضراً - مهلاً ذرنا من هذا يا بن عباس».

وأحسبه إنّما قال ذلك خشية أن يهرج هو ليقول مثل مقالة ابن عباس، بينما هو ممّن يرى مسالمة يزيد بالبيعة، بل ودعا الحسين إلى المصالحة معه. كما أنّي لا أستبعد أن يكون غرض ابن عباس من كلامه كان استدراج ابن عمر إلى بذل

نصرته ولو باللسان، ولكن ابن عمر أخطأ حظه وقد واتته القرصة، ولا غرابة منه فهو هو منذ اعتزاله بيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ثم مبايعته لمعاوية ولابنه يزيد واستمر على وتيرته حتى بايع الحجاج لعبد الملك بن مروان.

ويشم ذلك من عدم تعقيب للإمام الحسين عليه السلام على ذلك بشيء، كما أنه مرّ في آخر تلك المحاور من جملة كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابن عباس قوله له: «فامض إلى المدينة في حفظ الله، ولا تخفي عليّ شيئاً من أخبارك...».

فهذا إذن بالإنصراف لكنه قبل التصميم والعزم على التوجه إلى العراق، ولكن المحاورات اللاحقة بعد ذلك كانت بعد التصميم والعزم، وهنا كان محورها نصيحة ابن عباس بعدم التوجه إلى العراق والتحذير من خيانة أهله، والتذكير بأفعالهم وغدرهم. وفي جميعها لم يرد من الحسين عليه السلام أي دعوة لتصرته لا من ابن عباس ولا من غيره من بني هاشم.

نعم وردت دعوة ترغيب صريحة في كتابه الذي كتبه من مكة إلى أخيه محمد بن الحنفية وإلى من كان قبله بالمدينة من بني هاشم، وهو مروى بسند صحيح في كامل الزيارات وإليك نصه: قال ابن قولويه مؤلف الكتاب: «وحدثني أبي رحمه الله وجماعة مشايخي عن سعد بن عبد الله عن عليّ بن إسماعيل بن عيسى ومحمد بن الحسين ابن أبي الخطاب عن محمد بن عمرو بن سعيد الزيات عن عبد الله بن بكير عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب الحسين بن عليّ من مكة إلى محمد بن عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى محمد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم: أما بعد فإن من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»<sup>(١)</sup>.

(١) كامل الزيارات / ٧٥.

وعلى هذا النحو من الترغيب والترهيب كان كتابه الآخر الذي رواه ابن قولويه بعد الكتاب السابق وبنفس السند إلى محمد بن عمرو، وهو سند صحيح، ورواه محمد بن عمرو عن كرام عبد الكريم بن عمرو عن ميسر بن عبد العزيز عن أبي جعفر عليه السلام قال: ((كتب الحسين بن عليّ إلى محمد بن عليّ من كربلاء: من الحسين بن عليّ إلى محمد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم: أما بعد فكان الدنيا لم تكن وكان الآخرة لم تزل والسلام))<sup>(١)</sup>.

فهذان الكتابان لا تشمل دعوتهما الترغيبية والترهيبية لابن عباس، لأنه أولاً كما قلنا كان مكفوف البصر، وثانياً فإن عنوانهما إلى محمد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم، وهو يومئذ كان بالمدينة، وابن عباس حين كتابة الأول كان مع الحسين بمكة وهو غير مشمول بالدعوة.

أما جواب السؤال الثاني لماذا لم يرسل بعض أولاده مع الحسين عليه السلام؟ فهو يشارك الأول في صعوبة تجنبه، وتستعصي الإجابة عنه بالتعذير، فإن الكتاب الذي ذكرنا أن الحسين عليه السلام أرسله من مكة إلى محمد بن عليّ ومن قبله من بني هاشم الذين كانوا بالمدينة، لا شك في أنه دعوة ترغيبية للإلتحاق بركب الحسيني، والتخلف عنه بغير عذر شرعي غير فائز بعظيم الأجر، لأنه لم يبلغ مبلغ الفتح، وعلى هذا فإن بني هاشم الذين كانوا بالمدينة ولم يلحقوا بالحسين عليه السلام هم أولى بالتصغير منهم بالتعذير، وأولاد ابن عباس الذين كانوا بالمدينة من جملة أولئك غير المعدّرين.

ويبقى اللوم - إن صح التعبير - متوجهاً إلى أبيهم - فهو إن كان معذوراً لأنه مكفوف البصر، أما كان الأجدد به أن يصنع مثل صنع ابن جعفر حين أرسل ابنين من ولده مع الحسين لنصرته؟

(١) نفس المصدر.

وأما اعتذار بعض الباحثين ممن أجله معذراً بأنهم ربما كانوا صغاراً، قول تعوزه الدقة في المعرفة التاريخية، فإن في أبناء ابن عباس من ناهز العشرين سنة بل جاوزها. كابنه العباس الأعنق وبه كان يكنى وهو أكبرهم، أما أصغرهم فابنه عليّ - والد العباسيين - فإنه ولد قبل شهادة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبارك الإمام لأبيه ولادته وهو الذي سماه عليّاً، وله بينهما محمد والفضل وعبيد الله وزاد المسعودي عبد الرحمن<sup>(١)</sup>، فهم كلهم له قابلية حمل السلاح ويتوجه عليه التكليف، وقد شملتهم دعوة الحسين (عليه السلام) في كتابه الآنف الذكر. هذا كله إذا احتملنا أنهم كانوا بالمدينة، ولم يكونوا بمكة مع أبيهم، خصوصاً وإن أباهم كان إليه أمر السقاية وهم في موسم الحج وهو بحاجة إلى بعض ولده ممن يساعده في الإشراف على إدارة شؤون السقاية وتدير أمرها خصوصاً بعدما كفّ بصره.

ولو تنزلنا عن هذا أيضاً وعدنا إليهم في المدينة، أما كان عليه أن يرسل عليهم فيحضرهم ليذهبوا مع الحسين فينالوا شرف المفاداة؟ وهكذا يبقى السؤال ناقص الإجابة، عصي التعذير، وحيّ التقصير، والله العالم بحقائق الأمور.

وكان ابن عباس على جانب من المودة والمصافاة مع الحسين (عليه السلام) ما يعد عنه سوء الظن والتقصير، وكذلك كان الحسين (عليه السلام) يوليه عطفاً لطفاً ويسديه نصيحة، حتى روى ابن عباس قال لي الحسين بن عليّ (عليه السلام) ((يا بن عباس، لا تتكلمن بما لا يعينك فأني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمن بما يعينك حتى ترى له موضعاً، فربّ متكلم قد تكلم بحقّ فعيب، ولا تمارين حلماً ولا سفيهاً، فإنّ الحلّيم يقلبك، والسفيه يرديك، ولا تقولنّ خلف أحد إذا توارى عنك إلا مثل ما تحب أن يقول

(١) مروج الذهب ١٠٩/٣.



عنك إذا تواريت عنه، واعمل عمل عبد يعلم أنه مأخوذ بالإجرام مجزي بالإحسان، والسلام»<sup>(١)</sup>.

وسوف يأتي في الحلقة الرابعة من الموسوعة (عبد الله بن عباس في الميزان) مزيد إيضاح وبيان.

واحسيناه:

ندبة المتضجع لفقده، قالها ابن عباس، بعد أن يأس من بقاء الحسين بمكة، ورأى من تصميمه وعزمه ما تيقن معه أن الحسين سائر في طريقه إلى الشهادة، وأن لا تلاقي بينهما بعد اليوم في الحياة، وسوف يضم في نفسه بصيص الأمل بصلاحتها، وقد صح في غياب الأمل يزداد الخوف والوجل، وسوف تبقى النفوس حائرة خائرة، تجتاحها الهواجس وتتأبها الوسوس. فصار ابن عباس يترقب المحذور وقد بدت علائمه، ولم لا يترقب فهو أسير العاطفة الإنسانية، وهو رهين الرحم القريبة، وهو قبل ذلك وفوقه يملكه الدين بشرعية الحفاظ على حياة إمامه، فتصاعد وجيب قلبه فيما أحسب حين سمع صوت الركائب والنجائب ترغو لتحمل ركب الحسين الميمون المحزون. وهو يسمع أصوات الناس يهللون وهم يخرجون إلى منى يوم التروية، بينما الركب يتوجه صوب العراق، فلم يتمالك على نفسه فخرج مغضباً محزوناً وهو يقول واحسيناه<sup>(٢)</sup> ندبة المفجوع المكروب.

(١) كنز الفوائد / ١٩٤، وأعلام الدين للدليمي / ١٤٥.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي / ٢١٦ ط الشريف الرضي بقم والملهوف لابن

وسارت القافلة وكلما ابتعدت في سيرها عن مكة اقتربت من موطن  
الخطر الذي يخشى ابن عباس فيه نزول البلاء، فيزداد وجله ووجيب قلبه،  
وبقي يتطلع الأخبار عما حلّ بالركب الميمون المحزون، وبلغه نزولهم  
بأرض الطف - فيما أحسب - من كتاب الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد بن  
عليّ ومن قبله من بني هاشم الذي بعثه من كربلاء وفيه: «أما بعد فكان الدنيا  
لم تكن وكان الآخرة لم تنزل والسلام» وهذا كتاب رواه ابن قولويه <sup>(١)</sup>.  
وعلم ابن عباس أنه قد حُتم القضاء، وهذا ما حاول دفعه من قبل وقوعه.  
ولكن لا راد لأمر الله تعالى.

وروى الرواة: أنه لما أحاط العدو بأهل البيت ومنعهم الماء وخطبهم  
الحسين عليه السلام وتعالّت صيحات الأطفال والنساء وسمعهم الحسين عليه السلام قال الرواة:  
إنه قال: لا يبعد الله ابن عباس <sup>(٢)</sup>. وقالوا: فظننا أنه إنما قالها حين سمع بكائهن،  
لأنه قد كان نهاء أن يخرج بهن.

وأني على شك من صحة هذا الخبرا لأنه مقولة إنسان حائر خائر، كمن  
يعضّ بضرس الندم، وهذا يبعده عن الحقيقة التي كان الحسين عليه السلام يعلمها وقد  
صمم على بلوغها: (شاء الله أن يراني قتيلًا. شاء الله أن يراهنّ سبايا).

نبأ الفاجعة في الرؤيا المحزنة:

لقد كانت رؤيا ابن عباس للنبي صلى الله عليه وآله في منامه وسط النهار بمثابة نذير شر  
مستطير سيحيق بالامة من جراء حكم يزيد، وهذا ما حدث فعلاً - كما سيأتي  
بيانه.

(١) كامل الزيارات / ٧٥ وسنده صحيح.

(٢) تاريخ ابن كثير ١٧٩/٨ ط السعادة بمصر.

ولمّا كانت الرؤى - كما في الحديث الشريف - على ثلاثة أنواع: (بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه)<sup>(١)</sup>، فرؤيا ابن عباس للنبي ﷺ في المنام يخبره بقتل الحسين عليه السلام ليست هي من البشرى قطعاً، وليست هي من تحزين الشيطان أيضاً، بل هي من القسم الثالث وهو الذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه، فإنه لم يكن تبارح فكره قضية الحسين عليه السلام فهي تعيش في نفسه ليله ونهاره ويقظته ومنامه، فلا غرابة لو رأى تلك الرؤيا، والتي لم تكن نهاية لذلك القلق الذي كان يعيشه بقدر ما هي بداية لحزن مستديم، ووهن في القوى وخيبة في الآمال يعفيه عن أي نشاط سياسي بعد اليوم. وهي أيضاً رؤيا حق لأن الشيطان لا يتشبه بصورة النبي ﷺ<sup>(٢)</sup> وقد روى لنا الرواة خبر الرؤيا بأسانيد متعددة لا تدع مجالاً للشك في صحتها، وقد أخرج حديثها أكثر من عشرين محدثاً ومؤرخاً حسبك منهم ابن سعد وأحمد بن حنبل والطبراني والحاكم والخطيب وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

- (١) الدر المنثور للسيوطي ٣/٣١٣، والبحار ٦١/١٩١ نقلاً عن التبصرة لعلي بن بابويه.  
 (٢) أخرج الخطيب في تاريخه ٨/٣٣٤ و ١٠/٣٥٠/٢٨٤ و ٤٥٤ والدولابي في الكنى والأسماء ١٠١/١ ط حيدرآباد واللفظ له: عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: (من رأى في المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتشبه بصورتي).  
 (٣) انظر طبقات ابن سعد ترجمة الإمام الحسين عليه السلام ٤٢٧/ تحت المسمى ط الطائفة فضائل الصحابة أحمد بن حنبل برقم / ١٣٨٠، مسند أحمد بن حنبل ١/٢٤٢، مستدرک الحاكم ٤/٣٩٧ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي تلخيص المستدرک بهامشه للذهبي معجم الطبراني الكبير ٢/١١٠ ط الموصل تاريخ بغداد ١/١٤٢، مجمع الزوائد ٩/١٩٤ وقال الذهبي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح كفاية الطالب للكنجي الشافعي / ٢٨١، مقتل الحسين للخوارزمي ٢/٩٤، الاستيعاب بهامش الإصابة ١/٣٨١، الإصابة ١/٣٣٥، تاريخ ابن الأثير ٤/٢٨ ط بولاق تاريخ ابن كثير ٨/٢٠٠ نقلاً عن ابن أبي الدنيا، تاريخ ابن عساکر في ترجمة الحسين / ٣٦١ تحت المسموع تاريخ الخلفاء للسيوطي / ١٣٩، ذخائر العقبى للمحب الطبري / ١٤٨ نقلاً عن الحافظ أبي عمرو السلفي وابن بنت منيع نظم در السمطين للزرندي / مخطوطه كشف الغمة للإربلي

وهي كما في طبقات ابن سعد بسنده عن عمّار بن أبي عمّار - والسند إليه حسن - عن ابن عباس قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرى النائم بنصف النهار، وهو قائم أشعث أغبر، يده قارورة فيها دم، فقلت بأبي وأمي ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه، أنا منذ اليوم التمطته. قال - والقائل هو عمّار ابن أبي عمّار - فأحصي ذلك اليوم فوجدوه قتل في ذلك اليوم».

وفي لفظ الإربلي وكشف الغمة: «معه قارورتان فيهما دم...»<sup>(١)</sup>.

وفي نص آخر: «فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة: أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة»<sup>(٢)</sup>.

ولمّا انتبه ابن عباس من نومه فزعاً مرعوباً أخذ يسترجع مكرراً، فسئل عن سبب استرجاعه فحدثهم بالرؤيا المحزنة، وقد فزع ابن عباس إلى ما اختزنه من أبعاد الغيباء التي كان قد صرّحاً في طرف كتمه محافظاً عليها أشد الحفظ، فرآها قد انبجست هي الأخرى بدم سال منها، فعظم حزنه وكثر بكاءه.

ولقد حدث سليم بن قيس التابعي الجليل عن حال ابن عباس وبكائه بعد شهادة الحسين عليه السلام وما سمعه منه ممّا يعبر عن مشاعره وسخطه، وبالتالي فهو حديث يمكن أن نعتبره مشعل ثورة، كما هو بثّ فكرة عن طريق العبرة في رثاء العترة.

قال سليم بن قيس: «لمّا قتل الحسين بن علي عليه السلام بكى ابن عباس بكاءً شديداً ثم قال: ما لقيت هذه الأمة بعد نبينا، اللهمّ إنّي أشهدك أنّي لعلي بن أبي

١٩٢/ ط حجرية مرآة الجنان للياضي ١٣٤/١، الملاحم والفتن لابن طاووس ١٢٧/ ط الحيدرية.

(١) كشف الغمة ٥٩٧/١ ط الشريف الرضي بقم.

(٢) نفس المصدر.

طالب ولولده ولي، ومن عدوه وعدوهم بريء، وإني سلم لأمرهم لقد دخلت على علي عليه السلام (ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله) بذي قار فأخرج إلي صحيفة وقال لي: يا ابن عباس هذه صحيفة أملاها علي رسول الله صلى الله عليه وآله وخطي بيدي، فقلت: يا أمير المؤمنين اقرأها علي فقرأها، فإذا فيها كل شيء منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مقتل الحسين عليه السلام وكيف يقتل ومن يقتله، ومن ينصره ومن يستشهد معه. فبكي بكاءً شديداً وأبكاني.

... حتى انتهى إلى قتل الحسين فسمعت ذلك، ثم كان كما قرأ لم يزد ولم ينقص، فرأيت خطه أعرفه في صحيفة لم تتغير ولم تصغر، فلما أدرج الصحيفة قلت: يا أمير المؤمنين لو كنت قرأت علي بقية الصحيفة.

قال عليه السلام لا، ولكني محدثك، ما يمنعي فيها ما تلقى من أهل بيتك وولدك، وهو أمر فظيع من قتلهم لنا وعداوتهم إيانا وسوء ملكهم وشوم قدرتهم، فأكره أن تسمعه فتغتم ويحزنك ولكني أحدثك...

يا ابن عباس إن ملك بني أمية إذا زال كان أول ما يملك من بني هاشم وذلك يفعلون الأفاعيل.

فقال ابن عباس: لأن يكون نسخت ذلك الكتاب فإنه أحب إلي مما طلعت عليه الشمس<sup>(١)</sup>.

وكان يقول: «لا يمهل الله يزيد بعد قتل الحسين وأنه قال: سبب زوال الدولة عن يزيد بن معاوية والله قتل الحسين عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

(١) سليم بن قيس / ٩١٥ نشر دار الهادي وفضائل شاذان بن جبرئيل / ١٤١١ والروضة وصنهما في البحار ٧٣/٢٨ ط الإسلاميه.

(٢) تاريخ السلامي البيهقي بتوسط مقتل الحسين للخوارزمي / ١٨٢/٢ ط الزهراء.

## سبع سنّي عجاف:

تلك هي السبع العجاف التي عاشها ابن عباس بعد مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فقد رأى فيها من أذى يزيد ما لم يتوقع أن يراه من هو في سنّه وهو ينيف على الستين من عمره، وهو هو في شأنه وفضله مع فقدته بصره، لكن بني أمية لم يتركوا حرمة مسلم إلا انتهكوها، وزاد عليهم في ابتلاء ابن عباس مضايقة ابن الزبير له حيث أراده على مبايعته فامتنع، فصار ابن الزبير يشهر به حتى على المنبر كما سيحيى بيان ذلك، وهو مع ذلك الحال لم يترك كلمة الحق ينطق بها سرّاً وإعلاتاً، تحريراً وبياناتاً، وكان أشد ما يزعجه شماتة الأعداء كابن الزبير وأشباهه، لذلك فيما يبدو كان يكتب خبر شهادة الحسين عليه السلام بمكة وقد وافاها قبل بلوغ الخبر إلى أهلها.

## شماتة الأعداء:

وروى ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة - وسنده فيه ضعيف - قال: ((بينما ابن عباس جالس في المسجد الحرام وهو يتوقع خبر الحسين بن علي إلى أن أتاه آت فسارّه بشيء فأظهر الإسترجاع فقلنا: ما حدث يا أبا العباس؟ قال: مصيبة عظيمة نحسبها أخبرني مولاي أنه سمع ابن الزبير يقول: قتل الحسين بن علي فلم يرح حتى جاءه ابن الزبير فعزّاه ثم انصرف.

فقام ابن عباس فدخل منزله ودخل عليه الناس يعزّونه. فقال: إنّه ليعدل عندي مصيبة حسين شماتة ابن الزبير أترون مشي ابن الزبير إليّ يعزّيني، إنّ ذلك منه إلا شماتة))<sup>(١)</sup>.

(١) طبقات ابن سعد في ترجمة الحسين عليه السلام / ٤٩٣ / تح المصممي، وتاريخ ابن عساکر ترجمة الحسين / ٣٦٤ / تح المحمودي.

ولم يكن ابن عباس متجنباً على ابن الزبير في قوله فيه، بل قد روى ابن سعد أيضاً بسنده عن ابن جريج قال: «كان المسور بن مخرمة بمكة حين جاء نعي الحسين بن علي، فلقى ابن الزبير، فقال له: جاءك ما كنت تمنى موت حسين ابن علي، فقال ابن الزبير: يا أبا عبد الرحمن تقول لي هذا؟ فوالله ليته بقي ما بقي بالجماء حجر، والله ما تمنيت ذلك له. قال المسور: أنت أشرت عليه بالخروج إلى غير وجه. قال: نعم أشرت به عليه ولم أدر أنه يقتل، ولم يكن بيدي أجله، ولقد جئت ابن عباس فعزيت، فعرفت أن ذلك يتقل عليه مني، ولو أنني تركت تعزيتة قال: مثلي يترك لا يعزني بحسين فما أصنع؟ أخوالي وغرة<sup>(١)</sup> الصدور علي، وما أدري على أي شيء ذلك؟ فقال المسور: ما حاجتك إلى ذكر ما مضى وثه<sup>(٢)</sup> دع الأمور تمضي وير أخوالك، فأبوك أحمد عندهم منك»<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن ابن عباس يخفي كراهيته لابن الزبير لشماتته بموت الحسين عليه السلام على حد قوله، كما قال ذلك لابن صفوان الجمحي.

فقد روى ابن سعد في خبره: «أن ابن صفوان كان عند ابن عباس وعنده محمد بن الحنفية لما كان الناس يعزونهم بالحسين عليه السلام فقال ابن صفوان: إنا لله وإنا إليه راجعون أي مصيبة، رحم الله أبا عبد الله وأجر كم الله في مصيبتكم.

فقال ابن عباس: يا أبا القاسم - يخاطب محمد بن الحنفية - ما هو إلا أن خرج من مكة فكنت أتوقع ما أصابه.

قال ابن الحنفية: وأنا والله، فعند الله نحسبه ونسأله الأجر وحسن الخلف.

(١) أي ممتلئة خيطاً وحنقاً (لسان العربية وشر).

(٢) نث الحديث نشر ما كان كتمه أحق من نشره (اللسان، نث).

(٣) طبقات ابن سعد في ترجمة الحسين عليه السلام ٤٩٤، وكذا في تاريخ ابن عساکر/ ٣٦٥ ترجمة الحسين تحه المحمودي.

قال ابن عباس: يا أبا صفوان أما والله لا يخلد بعدُ صاحبك الشامت بموته.  
فقال ابن صفوان: يا أبا العباس والله ما رأيت ذلك منه، ولقد رأيتته محزوناً  
بمقتله، كثير الترحم عليه.

قال: يريك ذلك لما يعلم من مودتك لنا، فوصل الله رحمك، لا يحينا ابن  
الزبير أبداً.

قال ابن صفوان: فخذ بالفضل فأنت أولى به منه<sup>(١)</sup>.

وقعة الحرة:

لقد عاشت الأمة الإسلامية في الحرمين الشريفين في المدينة المنورة  
ومكة المكرمة من بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام حالة من التفكك والانقسام  
لحد الانقسام، فالولاة والحاكمون من الأمويين يشعرون بغضب إسلامي  
عارم عام لمقتل سيد الشهداء، فذرّ بينهم وبين المسلمين قرن الخلاف  
وشعروا بالمهانة والكرامية، وزاد الطين بلة تشهير ابن الزبير بهم، وقد التفّ  
حواله جمهور من الحرمين فبايعوه وخلعوا بيعة يزيد، وبين هؤلاء وهؤلاء  
من هم على الحياد - لو صح التعبير - كابن عباس وبقية بني هاشم، وبعد  
أولئك وأولا رهط الأنصار ومن شايعهم من أبناء المهاجرين الذين خلعوا  
بيعة يزيد وأمرؤا عليهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله بن مطيع  
على قريش، وفي خضم الانقسامات لابد من التدافع حتى ولو أشهرت  
السيوف اللوامع، وهكذا بقي بنو هاشم بمنأى عن ذلك التنازع، وكأنهم  
يعيشون خارج الزمن وإن كانوا بعد أحياء، ومع ذلك الاعتزال فلا يزالون

(١) نفس المصدر/٤٩٤.



طرفاً مستهدفاً لكل من الأمويين وابن الزبير، كلٌ يتغني جرّهم إلى صفّه، ويصانعهم الوذّ حيناً، ويراوغهم أحياناً، ويكاشفهم العداة بالتالي، ولكنهم لم يستجيبوا لرغبة ولم ينساقوا للرغبة، فقد اتخذ ابن عباس ومعه ابن الحنفية موقفاً صلباً في الحياد، وإن بلغ تشنّج الحاكمين حدّ الوعيد، فسكنى ابن عباس بمكة يسّرت له الإشراف على شؤون السقاية التي كانت تهمة كثيراً، لما يرى من فضل زمزم حتى أنّه كان إذا أراد أن يتحف رجلاً بتحفه سقاه من زمزم<sup>(١)</sup> والرفادة عن قرب، وله في المدينة بقية أهله، ولما بلغته أخبار المدينة في تحالف الأنصار وقريش في وقعة الحرة لم يكن متفانلاً بنجاح أهلها لأنهم أمروا عليهم أميرين: عبد الله بن مطيع العدوي على قريش وعبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة على الأنصار. ولما وقعت الواقعة ((وكانت وقعة عظيمة قتل فيها خلق كثير من الناس ومن بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس، فممن قتل من آل أبي طالب ابنان لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب<sup>(٢)</sup> ولجعفر بن محمد بن عليّ بن أبي طالب، ومن

(١) ذكر أخبار أصبهان ١/٣٣٣.

(٢) ثم يذكر المؤرخون اسمهما إلا أن الضسوي في المعرفة والتاريخ ذكر بسنده خبراً عن واهب بن عبد الله المعافري قال: قدمت المدينة فأتيت منزل زينب بنت فاطمة بنت عليّ لأسلم عليها، فدخلت عليها الدار فإذا عندها جماعة عظيمة وإذا هي جالسة مسفرة وإذا امرأة ليست بالحليلة ولم تطعن بالنسب، فاحتملتي الحمية والعمّة لها فقلت: سبحانك الله قدرك قدرك وموضعك موضعك وأنت تجلسين للناس كما أرى مسفرة ؟ فقالت: إن لي قصة قال قلت وما تلك القصة ؟

فقالت: لما كان أيام الحرة وهدأ أهل الشام المدينة فعملوا فيها ما فعلوا، وكان لي يومئذ ابن قد ناهز الاحتلام قالت: فلم أشعربه يوماً وأنا جالسة في منزلي إلا وهو يسمى ويسر بن أبي أرمطة خلفه حتى دخل عليّ، فألقى نفسه عليّ وهو يبكي يكاد البكاء أن يفلق كبده فقال لي بسر: ادفعه إليّ فأنا خير له قالت: فقلت له اذهب مع عمك قالت:

بني هاشم من غير آل أبي طالب: الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، وبنو تميم من سائر قريش، ومثلهم من الأنصار، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف<sup>(١)</sup>.

ومن أعجب العجب بعد ما مر ذكره وغيره من جرائم جيش الأمويين في المدينة المنورة، نقرأ موقفاً عن ابن عمر، متهاكاً في طاعتهم، يرويه البخاري في صحيحه في (باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج خلافه) من كتاب التوحيد، بسنده عن نافع، قال: ((لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: (ينصب لكلّ غادر لواء يوم القيامة)، وأنا قد أيدنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدرأ أعظم

فقال، لا والله لا أذهب معه يا أمه هو والله قاتلي. قالت: فقلت أترى معك يقتلك ؟ لا، أذهب معه. قالت: قال لا والله يا أمه لا أذهب معه هو والله قاتلي. قالت: وهو يبكي يكاد البكاء أن يفلق كبده قالت: فلم أزل أترفق به وأسكنه حتى سكن. قالت: ثم قال لي يصر بذهبيه إني فانا خير له قالت: فقلت اذهب مع هملكه قالت فقام فذهب معه. قالت: فلما خرج من باب الدار قال للفلام امشي بين يدي قالت فإذا بسرقد اشتعل على السيف فيما بينه وبين ثيابه قالت فلما ظهر إلى المسكة رفع بسر ثيابه من مائه وشهر عليه السيف من خلفه ثم علاه من خلفه فلم يزل يضربه به حتى يرد قالت: فجماعتي الصيحة لبركي ابنك فقد قطع قالت فتمت أتمنر في ثيابي ما معي عقلي.

قالت: فإذا جماعة قد اطافوا به فإذا هو قتيل قد قطع.

قالت: فالتفت نفسي عليه وأمرت به فحمل.

قالت: فحملت على نفسي من يومئذ لله أن لا أستتر من أحد، لأن بئراً هو أول من هتك ستري وأخرجني للناس فإله حمييه.

أقول: والخبر رواه ابن عساکر في تاريخ دمشق ١٣/١٠-١٤.

(١) مروج الذهب ٧٩/٢ تح محمد محي الدين عبد الحميد.

من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله ثم ينصب له القتال، وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا يبايع في هذا الأمر إلا كانت الفيصل بيني وبينه»<sup>(١)</sup>.

وقد مرّ بنا آنفاً أنه أشار على الحسين بمبايعة يزيد، فقال له الحسين عليه السلام:  
 (هيهات يا بن عمر... فائق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي، فوالذي بعث  
 جدي محمداً بشيراً ونذيراً لو أنه أباك عمر بن الخطاب أدرك زمانني لنصرتي...).  
 ولو لم يجد يزيد في ابن عمر وأمثاله أنصاراً له على جرائمه في المدينة  
 وغيرها، لما ارتكب موفقاته فيها فأباحها لجيشه ثلاثة أيام، ارتكبوا فيها كل قبيح.  
 وكان ابن عباس يقول: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة «وَلَوْ  
 دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا»<sup>(٢)</sup> قال: لأعطوها، يعني ادخال  
 بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما حدّث منه الإمام الحسين سلام الله عليه أمة جدّه ممّن زاغ عن الحقّ  
 وراغ مع الباطل فقال في يوم عاشوراء في إحدى خطبه: (يا أمة السوء بشما  
 خلفتم محمداً في عترته، أما إنكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله الصالحين  
 فتهابوا قتله، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي).  
 فكلّ إناء بالذّي فيه يفضح:

روى أبو الفرج الاصبهاني بسنده عن ابن أبي مليكة قال: «(رأيتهم - يعني  
 بني أمية - يتايعون<sup>(٤)</sup> نحو ابن عباس حين نفر ابن الزبير بني أمية عن الحجاز،  
 فذهبت معهم وأنا غلام، فلقينا رجلاً خارجاً من عنده، ودخلنا عليه فقال له غيّد

(١) صحيح البخاري ٥٧/٩ ط بولاق سنة ١٣١٣ هـ.

(٢) الأحزاب / ١٤.

(٣) المعرفة والتاريخ لليسوي ٣٢٧/٣ ط أوقاف بغداد.

(٤) التتابع: التتابع في الشر والتهاوت والاسراع إليه ويرمي بنفسه من غير تثبّت.

ابن عمير، ما لي أراك تذرف عيناك؟ فقال له: إن هذا - يعني عبد الرحمن بن الحكم - قال بيتاً أبكاني وهو:

وعبد مناف لم تغلها الغوائل وما كنت أخشى أن ترى الذل نسوتي  
فذكر قرابة بيتنا وبين بني عمنا بني أمية، وأنا إنما كنا أهل بيت واحد  
في الجاهلية، حتى جاء الإسلام فدخل الشيطان بيتنا أيما دخل))<sup>(١)</sup>.

وروى الطبري في تاريخه، وابن الأثير في الكامل: ((أن مروان بن الحكم  
كلم ابن عمر لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في أن يقتب أهله  
عنده فلم يفعل، وكلم علي بن الحسين وقال: يا أبا الحسن إن لي رَحماً وخرمي  
تكون مع حرمك، فقال: أفعل، فبعث بحرمه إلى علي بن الحسين، فخرج بحرمه  
وخرم مروان حتى وضعهم بين))<sup>(٢)</sup>.

قال أبو مخنف كما في الطبري: ((وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان  
إلى الطائف فتمرّ بعلي بن حسين وهو بمال له إلى جنب المدينة قد اعترلها،  
كراهية أن يشهد شيئاً من أمرهم، فقال لها احملني ابني عبد الله معك إلى الطائف،  
فحملته إلى الطائف حتى انقضت أمور أهل المدينة))<sup>(٣)</sup>.

هذه بعض أيادي أهل البيت على الأمويين في محتهم مع ما كان منهم من  
شرّ صدمة أوقعوها بهم يقتلهم الحسين وأهل بيته وسبي عياله و.

فلم يمنعهم ذلك من إسداء المعروف إليهم والتعاطف معهم في المحنة،  
فهلم الآن لنقرأ بعض صور الجزاء المخزي المفزع، لتؤمنوا بأنّ الذي خبت لا  
يخرج إلا نكداً.

(١) الأغانى ١٣/٢٦٤ ط دار الكتب.

(٢) تاريخ الطبري ٥/٤٨٥ ط دار المعارف الكامل في التاريخ ٤٩/٤ ط بولاق.

(٣) تاريخ الطبري ٥/٤٨٥.

قال ابن أعمش - في حديثه عن مسلم بن عقبة المري قائد الحملة التدميرية على المدينة المنورة، وما سفكه من دماء الأبرياء، وأخذة البيعة من الناس على أنهم عبيد حول ليزيد.

قال: ((ثم أتى بعلي بن عبد الله بن عباس، فلما قدم إليه قامت قبائل كندة من كل ناحية فقالوا: أيها الأمير إن هذا الذي قدم عليك منا وإلينا، وذلك أن عبد الله بن العباس خطب إلينا، فزوجناه بنت عم لنا يقال لها زرعة بنت مشوح، فأولدها هذا الفتى ابن اختنا فخلّ سبيله، فقال: يا معشر كندة خلعتكم أيديكم من الطاعة، فقالوا: ما خلعتنا أيدينا من الطاعة، ولكننا لا نمكنك من ابن اختنا تقتله، فقال لهم: إذا فبايع أمير المؤمنين يزيد فقالوا: أما البيعة فانه يبايع، على أنه والله أشرف من يزيد وأكرم منه أباً وأماً.

قال: فبايع علي بن عبد الله بن عباس يزيد بن معاوية، وتحنى ناحية من بين يدي مسلم بن عقبة<sup>(١)</sup>.

وقال: ((وسمع مسلم بن عقبة صياحاً وصراخاً فقال: ما هذا؟ فقيل: إنه قد أتى بعلي بن الحسين بين يديه وهؤلاء أقاربه يصيحون، فقال أعلموه أنه لا بأس عليه.

قال: فلما أتى بعلي بن الحسين، وثب مسلم بن عقبة فصافحه وقبل بين عينيه وأقعدته معه على سريه ثم قال له: لا بأس عليك وأمير المؤمنين يزيد يقرأ عليك السلام ويقول لك: لا تلمني على حبس عطائي لك، إنما شغلني عنك عبد الله بن الزبير، وأنا موجه إليك بعطائك موفراً. قال: ثم أمر له مسلم بن عقبة بألف درهم، وقال: احمלוه إلى منزله<sup>(٢)</sup>.

(١) الفتوح ٢٩٩/٥ ط دار الندوة.

(٢) نفس المصدر/٣٠٠.

وقال المسعودي: ((ونظر الناس إلى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتي به إلى مسرف وهو مختاظ عليه، فغبراً منه ومن آباهه فلما رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلتني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدّم إلى السيف إلا شفّعه فيه، ثمّ اتصرف عنه، فقيل لعلي: رأيناك تحرك شفّيتك فما الذي قلت؟ قال: قلت: اللهم رب السموات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أظللن، رب العرش العظيم رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شره، وأدرا بك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شره.

وقيل لمسلم: رأيناك تسب هذا الغلام وسلفه، فلما أتى به إليك رفعت منزله، فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملني قلبني منه رعباً<sup>(١)</sup>.

وقال المسعودي أيضاً: وأما علي بن عبد الله بن العباس فإن أخواله من كندة منعه وأناس من ربيعة كانوا في جيشه فقال علي في ذلك:

أبي العباس قرم بنى لؤي	وأخوالي الملوك بنو وليمة
هم منعوا ذماري يوم جاءت	كثائب مسرف وبنى اللكيمة
أراد بي التي لا عزّ فيها	فحالت دونه أيدي ربيمة

لقد همّ يزيد بقتل ابن عباس؟

قال سبط ابن الجوزي: ((ذكر الواقدي وهشام وابن إسحاق وغيرهم قالوا: لما قتل الحسين عليه السلام بعث عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن عباس ليبايعه وقال: أنا أولى من يزيد الفاسق الفاجر وقد علمت سيرتي وسيرته، وسوايق أبي الزبير مع

رسول الله ﷺ وسوابق معاوية، فامتع ابن عباس وقال: الفتنة قائمة وباب الدماء مفتوح، وما لي ولهذا، إنما أنا رجل من المسلمين. فبلغ ذلك يزيد بن معاوية فكتب إلى ابن عباس...»<sup>(١)</sup>.

وروى الفسوي بسنده عن شقيق بن سلمة قال: «لما قتل الحسين بن عليّ ابن أبي طالب ثار عبد الله بن الزبير، فدعا ابن عباس إلى بيعته، فامتع ابن عباس وظن يزيد بن معاوية أن امتناع ابن عباس تمسكاً منه ببيعته فكتب إليه...»<sup>(٢)</sup>.

وروى الطبراني في المعجم - وعنه الهيثمي - بسنده عن أبان بن الوليد قال: «كتب عبد الله بن الزبير إلى ابن عباس في البيعة فأبى أن يبايعه، فظن يزيد بن معاوية أنه إنما امتنع عليه لمكانه، فكتب يزيد بن معاوية إلى ابن عباس...»<sup>(٣)</sup>.

ولما كانت روايات الرواة لهذا الكتاب تتفاوت في بعض الألفاظ، فأنا اخترت للقارئ رواية الطبراني التي اختارها الهيثمي في مجمع الزوائد، ونقلتها بلفظه، لأن المطبوع من معجم الطبراني فيه تصحيح لبعض الألفاظ مخرج للمعنى، ولم يتبته إليه محقق الكتاب، وإليك نسخة ما كتب به يزيد وما أجاب به ابن عباس برواية مجمع الزوائد بعد تصحيح الأخطاء المطبعية فيه:

قال: «فكتب يزيد بن معاوية أما بعد: إنه بلغني أن الملحدين ابن الزبير دعاك إلى بيعته ليدخلك في طاعته فتكون على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً، فامتعت عليه، وانقبضت، لما عرفك الله في نفسك من حقنا أهل البيت، فجزاك الله أفضل ما جزى الواصلين عن أرحامهم، الموفين بعهودهم، ومهما أنس من

(١) تذكرة الخواص / ١٥٥ ط حجرية و٢٤٧ ط منشورات الشريف الرضي بقم.

(٢) المعرفة والتاريخ ١/٣١ ط الأوقاف ببغداد.

(٣) المعجم الكبير ١٠/٢٤١ ط الأوقاف الثانية مجمع الزوائد ٧/٢٥٠ ط القدسي.

الأشياء فلن أنس برك وصلتك وحسن جاترتك التي أنت أهلها، في الطاعة والشرف والقرابة لرسول الله ﷺ، فانظر من قبلك من قومك ومن يطرأ عليك من أهل الآفاق ممن يسحره ابن الزبير بلسانه وزخرف قوله، فخذلهم عنه، فإنهم لك أطوع، ومنك أسمع منهم للملحد والخارق المارق والسلام.

فكتب ابن عباس إليه: أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه دعاء ابن الزبير إياي للذي دعاني إليه، وإنني امتنعت عليه معرفة لحقك، فإن يكن ذلك كذلك فلست برك أرجو بذلك ولكن الله بما أتوي به عليم.

وكتبت إلي أن أحث الناس عليك وأجذبهم عن ابن الزبير فلا، ولا سروراً ولا حبوراً، بفيك الكتكث<sup>(١)</sup> ولك الأثلب<sup>(٢)</sup> إنك العازب إن متك نفسك، وانك لأنت المفقود المثبور.

وكتبت إلي بتعجيل بري وصلتي، فاحبس أيها الإنسان عني برك وصلتك، فإنني حابس عنك ودي ونصرتي. ولعمري ما تعطينا ممّا في يدك لنا إلا القليل، وتحبس منه الطويل العريض لا أبأ لك.

أتراني أنسى قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب، مصابيح الدجى ونجوم الأعلام، وغادرتهم خيولك بأمرك، فأصبحوا مصرّعين في صعيد واحد، مزقّلين بالدماء، مسلّوين بالعراء، لا مكفّتين ولا مؤسدين، تسفيهم الرياح، وتغزّوهم الذئاب، وتنتابهم عوج الضباع، حتى أتاح الله لهم قوماً لم يشركوا في دمائهم فكفّنوهم وأجنّوهم.

وبهم والله وبى من الله عليك فجلست في مجلسك الذي أنت فيه.

(١) صفار الحجارة والتراب.

(٢) الحصى والحجر.



ومهما أنس من الأشياء فلست أنسى تسليطك عليهم الدعيّ ابن الدعيّ،  
الذي كان للعاهرة الفاجرة، البعيد رحماً، اللثيم أباً وأماً، الذي اكتسب أبوك في  
ادعائه له العار، والمأثم، والذلة، والخزي في الدنيا والآخرة، لأن رسول الله ﷺ  
قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وإن أباك يزعم أن الولد لغير الفراش، ولا  
يضير العاهر ويلحق به ولده كما يلحق ولد البغي الرشيد، ولقد أمات أبوك السنة  
جهلاً، وأحى الأحداث المضلة عمداً.

ومهما أنس من الأشياء فلست أنس تسييرك حسيناً من حرم رسول الله ﷺ  
إلى حرم الله، وتسييرك إليه الرجال، وإدساسك إليهم أن هو نذر بكم فعاجلوه،  
فما زلت بذلك وكذلك، حتى أخرجه من مكة إلى أرض الكوفة، تزار إليه  
خيلك وجنودك زئير الأسد، عداوة مثلك لله ولرسوله ولأهل بيته، ثم كتبت إلى  
ابن مرجانة يستقبله بالخيال والرجال والأسنة والسيوف، ثم كتبت إليه بمعاجلته  
وترك مطاولته، حتى قتلته ومن معه من فتيان بني عبد المطلب أهل البيت الذين  
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

نحن أولئك لا كأبائك الأجلاف الجفاة أكباد الحمير، ولقد علمت أنه كان  
أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزّه بها حديثاً لو ثوى بالحرمين مقاما،  
واستحلّ بها قتالا، ولكنه كره أن يكون هو الذي يستحل حرم رسول الله ﷺ  
وحرمة البيت الحرام، فطلب الموادة، وسألكم الرجعة، فأغتمتم قلة أنصاره  
واستصم أهل بيته، كأنكم تقتلون أهل بيت من الترك أو كابل.

وكيف تحدوني على ذلك وتطلب نصري، وقد قتلت بني أبي، وسيفك  
يقطر من دمي، وأنت أحد ثاري، فإن يشأ الله لا يطلّ لديك دمي، ولا تسبني

بثاري، وإن تسبقنا به، فقبلنا ما قُتلت النيون وآل النبيين، فطلت دماؤهم في الدنيا، وكان الموعد الله، وكفى بالله للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتصماً.

والعجب كل العجب وما عشت يريك الدهر العجب، حملك بنات عبد المطلب وحملك أبناءهم أغيلمة صفاراً إليك بالشام، تُري الناس أنك قد قهرتنا، وأنتك تذلتنا، وبهم والله وبهي من الله عليك وعلى أهلك وأهلك من السباء.

وأيم الله إنك لتصبح وتمسي آمناً لجراح يدي، وليعظمن جرحك بلساني وبناني، ونقضني وإبرامي فلا يستعزتك<sup>(١)</sup> الجذل، فلن يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله ﷺ إلا قليلاً، حتى يأخذك الله أخذاً أليماً، ويخرجك من الدنيا آثماً مذموماً، فعش لا أبأ لك ما شئت فقد أرداك عند الله ما أقرفت.

فلما قرأ يزيد الرسالة قال: لقد كان ابن عباس مضياً<sup>(٢)</sup> على الشر.

ولقد ذكر هذا الكتاب غير واحد من المؤرخين والمحدثين، وبين رواياتهم تفاوت في الألفاظ فمن شاء مزيد الأطلاع فليرجع إلى المصادر التالية:

- ١- المعرفة والتاريخ للفسوي (ت ٢٧٧): ٥٣١/١ ط الأوقاف ببغداد.
- ٢- أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٣٠٥/٤ تح احسان عباس وذكر شرطاً من الكتاب.

٣- تاريخ اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢): ٢٢٠/٢ مط الغري بالنجف الأشرف.

٤- المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠): ٢٤١/١٠ ط الثانية بالموصل.

(١) في جملة من المصادر تصحيحه والصواب ما اثبتناه ومعناه لا يغلب عليه يقال استعز به الحال أي غلب عليه.

(٢) في جملة من المصادر تصحيحه والصواب ما اثبتناه ومعناه أخفى غلبه في قلبه وامسكه.

٥- مقتل الحسين للخوارزمي (ت ٥٦٨): ٧٧/٢ ط الزهراء في التجف الأشرف.

٦- تاريخ ابن الأثير (ت ٦٣٠): ٥٤/٤ ط بولاق.

٧- تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤): ١٥٥ ط حجرية و ٢٧٤ ط منشورات الشريف الرضي.

٨- مجمع الزوائد للهيتمي (ت ٨٠٧): ٢٥٠/٧ ط القدسي.

٩- تظهير الجنان لابن حجر الهيتمي - بالتاء المثناة - (ت ٩٧٤): ١٣٥/ بهامش الصواعق المحرقة.

١٠- بحار الأنوار للمجلسي (ت ١١١١): ٣٢٣/٤٥.

فهذه عشرة كاملة وحسي بها، فضلاً عن مصادر ثانوية كثيرة كالدرجات الرفيعة وأعيان الشيعة والمجالس السنية واقناع اللاتم ومشكوة الأدب وناسخ التواريخ (فارسي) وغيرها. وقد ورد في جملة من المصادر الأولية أن يزيد لما وصلت إليه رسالة ابن عباس غضب غضباً شديداً وهم بقتل ابن عباس، ولكن الله شغله بأمر ابن الزبير ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر، فمات السكران بحوارين.

وقد جاءت الرسالة في بلاغتها كأنها مستقاة من نهج إمامه وابن عمه سيد البلغاء في نهج البلاغة، في قوة الحجج وبلغ الكلام.

كما أنها تعتبر وثيقة تاريخية تدين يزيد بجرائمه، وتدمع الذين برؤوه من جريمة القتل وأدانوا بها ابن زياد، وأخيراً فقد كانت آخر ما عُرف عن ابن عباس من موقف سياسي مع يزيد، ولم يكد جور السلطة الأموية ينتهي بموته، فإنه سيأتي لابن عباس مع عبد الملك بن مروان ما سنذكره، ولقد أعجبت الرسالة بعضهم فقال:

نصرت ابن عباس حسين بن فاطم      بحدّ لسان ما عن السيف ينقص  
دعتك إليه شمية هاشمية      لعمرك أنت الهاشمي المخّص<sup>(١)</sup>  
غداة ابن هند أسلس القول طامعاً      بودّك حاشا الله ودك ينكص  
فلقّيته صعباً شديداً مراسه      فتى ثار أهليه به يترّص  
وتالله لولا حكمة الله لانتنت      لكم غارة منها السماء تقلّص<sup>(٢)</sup>

ويبقى هذا الكتاب خير شاهد على تفجّر غيظه جُملاً حمماً، تطاير حرقها فصكّ بها وجه يزيد حتى همّ بقتله، لولا أنه سُفل بأمر ابن الزبير. وهو في وضعه المؤثّر المعبر عن عظم المأساة وشدة النكبة التي مُتي بها المسلمون، لم يتعدّ عن الواقع يومئذ، كما أنه في كتابه استبان عظيم حزنه المتصل، فهو في حداد مستمر وبكاء دائم، وهذا حال بقية الهاشمين والهاشميات حتى لقد روي عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنه قال: «ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت، ولا روي في دار هاشمي دخان خمس سنين، حتى قتل عبيد الله بن زياد»<sup>(٣)</sup>.

ويبقى كتاب ابن عباس يعطي المسلمين صورة واضحة عن مدى ما وصلت إليه الأمور من الشدة، والمشاعر من التوتر بالنسبة لأكثر الناس حكمة، وأوفرهم علماً، وأرجحهم عقلاً مثل ابن عباس، فكيف بمن هو دونه من عامة الناس.

ويبقى ابن عباس في موقفه الراض والناقم على بني أمية، فقد جاءه رجل منهم فقال: أريد أن أسألك عن سؤال، فقال له: سل عمّا تريد، فقال: يا عبد الله ما

(١) الدرجات الرفيعة / ١٤٥ ط الحيدرية.

(٢) زيادة في مجموع المرحوم السيّد جعفر الخرسان بخطه (عندي).

(٣) اصدق الأخبار للسيّد الأمين / ٩١ ط صيدا.

تقول في دم البعوضة هل ينقض الوضوء أم لا؟ وهل هو طاهر أم نجس؟ فقال له: ثكلتك أمك يا عديم الرأي تسأل عن دم البعوضة؟ فلم لا سألت عن دم الحسين ابن بنت رسول الله، فكيف سفكتم دمه وقطعتم لحمه وكسرتم عظمه، وقتلتم أولاده وأطفاله وأنصاره، وسيبتم حريمه، ومنعتموه من شرب الماء، ألا لعنة الله على الظالمين.

ثم التفت عبد الله إلى جلسائه وقال: أنظروا إلى هذا اللعين كيف يسألني عن دم البعوضة ولا يخاف الله يسأله عن دم الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال لأصحابه: والله إنني سمعت بها بهاتي أذني من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول مراراً كثيرة: الحسن والحسين (عليهما السلام) ريحائتاي من الدنيا، وهما مني وأنا منهما، أحب الله من أحبهما، وأبغض الله من أبغضهما، وأذى الله من آذاهما، ووصل الله من وصلهما، وقطع الله من قطعهما، فإنهما ابناي وسبطاي وقرتا عيني وسيدا شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين.

قال ابن عباس: فقلت: يا رسول الله أي أهل بيتك أحب إليك؟ فقال: الحسن والحسين أحب الناس إلي<sup>(١)</sup>.

(١) المنتخب للطريحي / ١١٩ ط الثانية بالبيروت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م.



## الفصل الثالث:

حبر الأمة

أيام ابن الزبير والمروانيين





أخرج أحمد والترمذي وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال: (أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبلى المرء على حسب دينه، فإن كان في دينه صلماً اشتد بلاءؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي وما عليه خطيئة)<sup>(١)</sup>.

ولمّا كان أهل البيت ﷺ ومن كان منهم ومعهم حسباً ونسباً هم أهل البلاء والاصطفاء ارتضاهم الله سبحانه لمرضاته بتزول بلائه، لأنهم أصدق الناس إيماناً وأرسخهم يقيناً، فلا بدع لو اكتفتهم البأساء والضراء، فهم أولى الناس بمواقف الشرف والإياء، والبطولة والفداء.

وكان ابن عباس من أولئك الصفوة الذين توالى عليهم البلاء، فكان صبوراً لم يجزع عند المحنة ولم يخنع من قلة أو ذلّة. ومن يقرأ التاريخ في أيام ابن الزبير وحكومة المروانيين، يقرأ تاريخاً مليئاً بالأسى والآلام، طافحاً بجرائم الآثام، بما حلّ بالمسلمين من تشردم في الأهواء وسفك للدماء.

ولابدّ لنا أن نذكر بعض ما قاساه ابن عباس من مرارة الحياة في تلك الفترة العصيبة، وما أصابه من طغاة الحكام وجورهم، حيث لم يخضع لواحدٍ منهم سواء ابن الزبير أو المروانيين.

أحداث متتابعة:

في فتنه ابن الزبير بمكة المكرمة، حدثت لابن عباس مع ابن الزبير أحداث متتابعة، عاش محتثاً بقية السنين السبع العجاف من بعد مقتل سيّد الشهداء الحسين بن عليّ ﷺ.

(١) مسند أحمد ١/١٧٢، سنن الترمذي ٤/٢٨.

حياة ضنك وضيق، مليئة بالتحديات والاعتداءات، وأشدّها المعاناة النفسية ممّا كان يحسّه من شماتة ابن الزبير فقد كابد أذاه وقد خلا له الجوّ، كما كان يتوقّعه من قبل حين مرّ به يوم خرج الحسين عليه السلام إلى العراق، فمرّ به وضربه على كتفه وتمثل برجز طرفة بن العبد:

يا لك من قبيرة بمعمر      خلالك الجو فيضي واصفري  
ونقرّي ما شئت أن تنقري

ثمّ أردفه بقوله: هذا حسين خارج فاستبشري. وقد صدقت نبوءته حين نصب ابن الزبير نفسه، ودعا الناس إلى مبايعته، بعد أن كان يختدع الناس ويخادعهم بأنّه زاهد في الحياة الدنيا، مردداً أكذوبته بقوله: «إنّما بطني شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا، وأنا العائد بالبيت، والمستجير بالرب»<sup>(١)</sup> فسَمّي العائد والمستجير.

ولكنه لمّا بدت بوادر انهيار الحكم الأموي بعد مقتل الحسين عليه السلام وأكثر الناس في ثلب الأمويين وذكر معائبهم، استغل ابن الزبير ذلك الظرف، وراه موatiaً فأغض برأسه متطلباً الحكم. فاستجاب له كثيرون لا رغبة فيه بل مقتاً لبني أمية، حتى الخوارج تصافوا معه على بني أمية برهة من الزمان، لكنهم فارقوه حين ظهرت منه حسيكة النفاق وسمل منه جلباب الدين، وظهر حبّه للدنيا وتهالكه في سبيلها. فمقتوه وفارقوه بعد ما ناصروه في حربه مع جيش الأمويين بمكة المكرمة، مستحلين جميعاً حرمة البلد الحرام.

ويدت بوادر الاشمزاز منه تتامى وتظهر، والناس يسمعون من رجالات بعض الصحابة عن ذم المستحل للبيت الحرام أحاديث مرفوعة عن النبي صلى الله عليه وآله، ويرون منهم مواقف شائنة وشائنة لابن الزبير.

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٤٥/٢٠ ط محققة.

وأولئك أرجح ميزاناً وأعلى شأنًا من ابن الزبير، فأين هو من ابن عباس أو ابن عمر أو عبد الله بن عمرو بن العاص أو أبي برزة الأسلمي وغيرهم، ممن كانوا يتحدثون بما سمعوه من النبي ﷺ في المستحل لحرمة البيت فابن عباس يسمي ابن الزبير وبني أمية بالمستحلين لحرم الله، ويتمنى لو فسح له عن بصره لكان له مع ابن الزبير وبني أمية شأن كما سيأتي بيان ذلك. وكان يخجل ابن الزبير ويكته على بخله، وستأتي شواهد ذلك أيضاً. وكان يغض منه على رؤوس الملأ المسلمين غير هَيَّاب له، ويضع من كبرياته حين يراه يشمخ ويستعلي على الناس بكلامه.

فقد روى الإمام يحيى بن الحسين المرشد بالله - أحد أئمة الزيدية - في كتابه الأمالي الخميسية بسنده عن الشعبي: ((أن عبد الله بن عباس دخل المسجد الحرام وقد سار الحسين بن عليؑ إلى العراق، فإذا هو بعبد الله بن الزبير في جماعة من قريش وقد استعلاهم بالكلام، فجاء ابن عباس حتى ضرب بيده على عضد ابن الزبير فقال: أصبحت والله كما قال الأول:

يا لك من قنبرة بمعمر      خللك الجو فيضفي واصفري

ونقرري ما شئت أن تنقرري

خلت والله يا بن الزبير الحجاز من الحسين بن عليؑ، فأقبلت تهدر في جوانبها.

فغضب ابن الزبير وقال: والله يا بن عباس إنك لترى أنك أحق بهذا الأمر مني. فقال ابن عباس: يا بن الزبير إنما يرى من كان في شك، وأنا من ذلك على يقين.

قال ابن الزبير: بأي شيء استحق عندك أنكم أحق بهذا الشأن مني؟

فقال ابن عباس: لأننا أحق بحق من تدلي بحقه. وبأي شيء استحقّ عندك أنك أحق بهذا من سائر العرب إلا بنا؟  
قال ابن الزبير: استحقّ عندي أنني أحق بها منهم لشرفي عليهم قديماً وحديثاً لا ينكرون ذلك.

قال ابن عباس: فأنت أشرف أو من شرفت به؟  
فقال ابن الزبير: من شرفت به زادني شرفاً إلى شرف قد كان لي قديماً.  
قال ابن عباس: يا بن الزبير فالزيادة أشرف أم المزيد عليه؟ والزيادة مني أو منك؟

فأطرق ثم قال: منك ولم أبعده.  
قال: صدقت يا بن الزبير.  
قال ابن الزبير: دعني من لسانك يا بن عباس هذا الذي تقلبه كيف شئت، والله لا تحبوننا يا بني هاشم أبداً.

فقال ابن عباس: صدقت نحن أهل بيت مع الله لا نحب من أبغضه الله أبداً.  
وكان مع ابن الزبير ابن أخيه فنازع ابن عباس، فأخذ ابن الزبير نعله فعلا به رأس ابن أخيه وقال: ما أنت والكلام لا أم لك، ألا ابن عباس تنازع؟  
فقال ابن عباس: لم يستحق الضرب من صدق، وإنما يستحقه من مرق ومزق.

فقال ابن الزبير: يا بن عباس أما ينبغي أن تصفح عن كلمة، كأنك قد أعددت لها جواباً.

فقال ابن عباس: إنما الصفح ممن أقر، وأما ممن هرّ فلا.

فقال ابن الزبير: فأين الفضل؟

قال ابن عباس: عندنا أهل البيت لا تصرفه عن أهله فتظلم، ولا تضعه في غيرهم فتندم.

قال ابن الزبير: بلى إن نبذت الحسد، ولزمت الجدد، ثم تفرقا<sup>(١)</sup>.  
وفي رواية ابن أبي الحديد: ((واعترض بينهما رجال من قريش فأسكتوهما)).

وهذه المحاورة أخرجها البيهقي (كان حياً قبل ٣٢٠)<sup>(٢)</sup>، وابن أبي الحديد<sup>(٣)</sup>، والسيد المدني الشيرازي<sup>(٤)</sup>، وأشار إليها قرهاد ميرزا<sup>(٥)</sup>.

وستأتي أمثال هذه المحاورة بين ابن عباس وبين ابن الزبير، تصل في عنفها إلى حد المنافرة، وكلها كانت بمثابة تنبيه للناس بحقيقة ابن الزبير. وساعده عن غير قصد مواقف صحابة آخرين، كانوا يرون زيف دعوى ابن الزبير.

فمنهم ابن عمر الذي يصفه لزوجته صفية بنت أبي عبيد بأن ابن الزبير يقاتل على البغلات الشهب التي كان يركبها معاوية. وسيأتي حديثه.

وعبد الله بن عمرو بن العاص يحذره أن يكون الملحد في البيت الذي ذكره النبي ﷺ، وأبو برزة يقول عن بني أمية وعن ابن الزبير إنما يقاتلون على الدنيا، وسيأتي حديثه.

فهذه الأحاديث كانت بمثابة توعية لمن اختدعهم ابن الزبير بزهده مرئياً، سرعان ما انفض من حوله الخوارج بعد أن قاتلوا جيش يزيد معه، لما ظهر منه من تهالك على حب الدنيا، والخوارج كانوا قوة لا يستهان بها، فقاطعوه واعتزلوه

(١) الأمامي الخميمية ١٨٩/١ ط عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبى بالقاهرة.

(٢) المحاسن والماواي ٦٦/١ ط النمساوي بمصر سنة ١٣٢٥ هـ.

(٣) شرح النهج ٤٩١/٤ ط دار الكتب العربية بمصر.

(٤) الدرجات الرفيعة / ١٣٠ ط الحيدرية و / ١٣٨ مخطوطة الشيخ السماوي رحمه الله.

(٥) قمقام (فارسي) / ٣٧٩.

وصاروا يراجعون في أحكامهم ابن عباس، فكان نجدة بن عامر رئيس النجدات يكاثره في مسأله، وكان هو ونافع بن الأزرق - رئيس الأزارقة - يأتون إليه بمكة فيسألونه، ومسائل نافع بن الأزرق في غريب القرآن مشهورة وهي مسائل حظيت بالجمع والشرح من بعض الدارسين وستأتي في الحلقة الثالثة ان شاء الله تعالى.

ومن الطبيعي أن تثير تلك المراجعة حفيظة ابن الزبير وتزيد من حنقه على ابن عباس، مضافاً إلى عوامل أخرى أوجبّت في نفسه نار البغضاء، سنأتي على ذكرها. فصار يخشى الثورة عليه من جانب ابن عباس لو أراد ذلك، فتجسس عليه وتحسس رأيه على لسان ابن أبي مليكة قاضيه ومؤذنه - كما سيأتي حديثه، وهكذا بقي ابن الزبير يترقب الفرصة للوقعة بابن عباس، وقد وافته في أخريات أيام ابن عباس، وسيأتي خبر ما جرى بمخضيل.

والآن إلى بيان ما أشرنا إليه من الأحداث المتتابعة:

آراء صحابية في تفسير صحابي:

لقد أسرف كثيرون في القول كثيراً حين قالوا بعاصمية الصحبة لكل الصحابة، كما أفرط آخرون فقالوا بعكس ذلك، والوسط خير من جميع ذلك، فالصحابية أناس من البشر يجري منهم وبينهم كما يجري من وبين سائر الناس من حب وبغض، وطاعة ومعصية، وأحاديث الحوض التي رواها الشيخان البخاري ومسلم في أكثر من مكان في صحيحهما، تكفي في إدانة من يقول بعصمة الصحابة أجمعين. فبعد هذا لا غرابة إذا ما قرأنا عن الصحابة ابن عباس وابن عمر وعبيد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة ما يفسق ابن الزبير المعدود من الصحابة، وأنهم جميعاً على حججهم الواضحة في ذلك التجريح، فقد وصفوه بالمستحل لحرم الله تعالى، وحسبنا ما رواه الحاكم بإسناده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: (سنة لعنتهم ولعنتهم الله وكل نبيّ مجاب: المكذّب بقدر الله،

والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجبروت ليدل ما أعز الله ويعز ما أذل الله، والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرّم، والتارك لستي). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»<sup>(١)</sup>.

فماذا قال ابن عباس في ابن الزبير؟

أ- روى البلاذري في أنسابه عن المدائني بسنده عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: «إن هذا الأمر بدأ بنوة ورحمة وخلافة، وأتته اليوم ملك عقيم، فمن سمع مقاتلي فليهرب من بني أمية وآل الزبير فإنهم يدعون إلى النار»<sup>(٢)</sup>.

ب- وروى أخطب خوارزم الحنفي: «إن ابن عباس كان يقول: أيها الناس لو فسح لي عن بصري لكان لي ولابن الزبير وليني أمية شأن، ألا وإن الله ﷻ قد حرّم هذا الحرم منذ خلق السموات والأرض، وهؤلاء القوم قد أحلّوه، ولكن انظروا متى يقصمهم الله ويغير ما بهم.

فقيل: أتعني ابن الزبير أم الحصين بن نمير السكوني؟ فقال: بل أعيهما وأعني يزيد بن معاوية»<sup>(٣)</sup>.

ج- روى البلاذري في أنسابه بسنده عن أبي حمزة، قال: «قلت لابن عباس إنني بايعت ابن الزبير، فأعطاني وحملني على فرس أفأقاتل معه؟ قال: لا تقاتل معه وردّ عليه ما أعطاك، واشتر بغلاً أو بغلين وغلاماً واغز المشركين، فإن قُتلت على ذلك كنت شهيداً إن شاء الله تعالى.

قال: فرددت على ابن الزبير ما أخذت منه»<sup>(٤)</sup>.

(١) مستدرک الحاكم ٤/٩٠.

(٢) أنساب الأشراف ٥/١٩٥ أهدت المثنى.

(٣) مقتل الحسين ﷺ ٢/٢٥٢ مط الزهراء في النجف الأشراف.

(٤) أنساب الأشراف ٥/١٩٦ مط أهدت المثنى.

## وماذا قال ابن عمر في ابن الزبير؟

أ- روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن الحتف بن السجف قال: ((قلت لابن عمر ما يمنعك من أن تباع هذا الرجل - أعني ابن الزبير - قال: إني والله ما وجدت بيعتهم إلا قفة، أتدري ما قفة؟ أما رأيت الصبي يسلم ثم يضع يده في سلحه فتقول له أمه: قفة))<sup>(١)</sup>.

ب- وروى أيضاً بسنده عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: ((قال ابن عمر: إنما كان مثلنا في هذه الفتنة، كمثل قوم كانوا يسرون على جادة يعرفونها، فيبنا هم كذلك إذ غشيتهم سحابة وظلمة، فأخذ بعضنا يميناً وبعضنا شمالاً فأخطأ الطريق وأقمنا حيث أدركنا ذلك حتى تجلّى عنا ذلك، حتى أبصرنا الطريق الأول، فعرفناه فأخذنا فيه، إنما هؤلاء فتيان قریش يتقاتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا، والله ما أبالي ألا يكون ما يقتل فيه بعضهم بعضاً بنعلي))<sup>(٢)</sup>.

وروى ذلك الذهبي وقال في آخره: ((بنعلي هاتين الجر داوين))<sup>(٣)</sup>.

ج- روى الذهبي عن الزهري عن حمزة بن عبد الله قال: ((أقبل ابن عمر علينا فقال: ما وجدت في نفسي شيئاً من أمر هذه الأمة ما وجدت في نفسي، من أن أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله. قلنا: ومن ترى الفئة الباغية؟ قال: ابن الزبير بغى على هؤلاء القوم، فأخرجهم من ديارهم، ونكث عهدهم))<sup>(٤)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى ٤ ق ١٣٦/١ ط ليدن.

(٢) نفس المصدر ٤ ق ١٣٦/١ ط ليدن.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٣٧١ - ٣٧٢ في ترجمة ابن عمر ط دار الفكر.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٣٦٥ ط دار الفكر.



د- روى أبو الفرج قال: «كانت صفية بنت أبي عبيد بن مسعود الثقفي تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب فمضى ابن الزبير إليها، فذكر لها أن خروجها كان غضباً لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمهاجرين والأنصار من إثرة معاوية وابنه بالقيء، وسألها مسألة زوجها عبد الله ابن عمر أن يبايعه، فلما قدمت له عشاءه ذكرت له امر ابن الزبير وعبادته واجتهاده وأثت عليه وقالت: أنه ليدعو إلى طاعة الله ﷻ وأكثر القول في ذلك.

فقال لها: ويحك! أما رأيت البغلات الشهب<sup>(١)</sup> التي كان يحج معاوية عليها وتقدم إلينا من الشام؟ قالت: بلى قال: والله ما يريد ابن الزبير بعبادته غيرهن»<sup>(٢)</sup>.

(١) لقد روى ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/٤٢٠ بتحد أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري من هشام بن عروة قال قال عبد الله بن عباس للجائز به جئني خشية ابن الزبير فلم يشعر ليلة حتى عثر فيها فقال، ما هذا؟ فقال خشية ابن الزبير، فوقف ودعا له وقال، لئن علمت، رجلاك لطانما وقفت عليها في صلاتك. ثم قال لأصحابه، أما والله ما عرفته إلا صواماً قواماً. ولكنني ما زلت أخاف عليه منذ رأيتَه (أن) تجمجه بفلات معاوية الشهب قال، وكان معاوية قد حج فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الأرجوان فيها الجواري عليهم الجلابيب والمعصفرات، ففتن الناس.

أقول: لقد نبه المحققون في الهامش رقم ١/ إلى اختلاف الأصول في كلمة للجائز به أو (للجائزة) وكان الواجب عليهم هذا فحسبه فهذا منهم أمر حسن، ولكن كان الواجب عليهم والأحسن أن يتنبهوا إلى كذب الخبر فينبهوا عليه لأن وفاة ابن عباس قبل مقتل ابن الزبير بأربع سنين أو بخمس فقد مات سنة ٦٨/ بالطائف وقد أخرج ابن الزبير إليه كما سيأتي تفصيلاً ذلك، ومقتل ابن الزبير كان سنة ٧٢/ - ٧٣ فكيف يصح الخبر؟ وحسبه على نحو خبر ابن أبي مليكة الآتي فيه تزيد كثيراً لا يخفى على الناقد البصير، والذي أراه صحيحاً من خبر هشام بن عروة هو تعريض ابن عباس بابن الزبير وما كان يريده بقهادته هو البغلات الشهب على نحو ما قاله ابن عمر. ولا يفوتني التنبيه على أن المحقق محمد سعيد العمريان حقق أيضاً العقد الفريد في طبعة أخرى ولم يتنبه هو الآخر لثبته على كذب الخبر.

(٢) الأغاني ١/ ٢٢- ٢٣، ط دار الكتب.

هـ - روى أبو القاسم الكهمي للبلخي في كتابه قبول الأخبار سنده عن عمير ابن هاني قال: «كنت أسمع ابن عمر يقول: لعبد الملك بن مروان ولابن الزبير ذِيان النار...»<sup>(١)</sup>.

و- أخرج نعيم بن حماد في كتاب الفتن بسنده عن ابن عمر قال لرجل يسأله عن القتال مع الحجاج أو ابن الزبير فقال له ابن عمر: «مع أي الفريقين قاتلت؟ فقتلت: ففي لظى»<sup>(٢)</sup>.

ز- وأخرج أيضاً (بسند صحيح كما في الهامش) عن عمير بن هاني قال: «رأيت ابن عمر (رض) يقول ابن الزبير ونجله والحجاج يتهافون في النار تهافت الذبان في المرق، فإذا سمع المنادي أسرع إليه»<sup>(٣)</sup>.

وماذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص في ابن الزبير؟

روى أحمد في مسنده بسنده عن سعيد بن عمرو قال: «أتى عبد الله بن عمرو ابن الزبير وهو جالس في الحجر فقال: يا بن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله، فإنني أشهد كسمعت رسول الله ﷺ يقول: يُحَلِّها وَيَحُلُّ به رجل من قریش، لو وُزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها، قال: فانتظر أن لا تكون هو يا بن عمرو، فإنك قد قرأت الكتب وصحبت الرسول ﷺ، قال: فإنني أشهدك أن هذا وجهي إلى الشام مجاهداً»<sup>(٤)</sup>.

وهذا الخبر رواه أحمد أيضاً في مسند ابن عمر غير أن محقق الكتاب رجح أنه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال في الهامش: اسناده

(١) قبول الأخبار ومعرفة الرجال ١/٣٢٤ نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) الفتن / ١٣٦ برقم ٤٢٤.

(٣) نفس المصدر / ١٤٥ برقم ٤٦٩ بسند صحيح كما في الهامش.

(٤) مسند أحمد ٩/١٢ برقم ٧٠٤٣ تصحاح أحمد محمد شاكر.

صحيح، وذكره الهيثمي<sup>(١)</sup> وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، وذكره الألباني في الصحيحة برقم ٢٤٦٢.

وماذا قال أبو برزة الأسلمي في ابن الزبير؟

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي المنهال قال: «لَمَّا كَانَ ابْنُ زِيَادٍ وَمُرْوَانَ بِالشَّامِ وَوَثِبَ ابْنُ الزَّبِيرِ بِمَكَّةَ، وَوَثِبَ الْقُرَاءُ بِالْبَصْرَةِ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي إِلَى أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَيْهِ فِي دَارِهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ عِلْيَةَ لَهُ مِنْ قَهْبٍ، فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَأَتَانَا أَبِي يَسْتَعِظِمُهُ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَرَزَةَ أَلَا تَرَى مَا وَقَعَ فِيهِ النَّاسُ؟ فَأُولَ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ تَكَلِّمُ بِهِ: إِنِّي احْتَسِبْتُ عِنْدَ اللَّهِ إِنِّي أَصْبَحْتُ سَاخِطًا عَلَى أَحْيَاءٍ قَرِيشٍ، إِنَّكُمْ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ كُنْتُمْ عَلَى الْحَالِ الَّذِي عَلِمْتُمْ مِنَ الذَّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالضَّلَالَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْقَذَكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى بَلَغَ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ، وَهَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَفْسَدَتْ بَيْنَكُمْ، إِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِالشَّامِ وَاللَّهُ إِنْ يِقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا. وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ وَاللَّهُ إِنْ يِقَاتِلُونَ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا. وَإِنَّ ذَاكَ الَّذِي بِمَكَّةَ وَاللَّهُ إِنْ يِقَاتِلُ إِلَّا عَلَى الدُّنْيَا»<sup>(٢)</sup>.

هذه أقوال بعض الصحابة ممن لهم مكانة مرموقة عند المسلمين، ولم نذكرهم إلا للتدليل على انحراف ابن الزبير عن جادة الصواب، ومع ذلك نجد الذهبي وابن كثير وأضرابهما يصفونه بأمر المؤمنين ١٩!

(١) مجمع الزوائد ٣/٢٨٤-٢٨٥.

(٢) صحيح البخاري ٥٧/٩ باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم خرج بخلافه وأخرج الحديث أيضاً البخاري في التاريخ الصغير / الأوسط ١٣٨/١ ط دار الوحي مكتبة التراث ونعيم بن حماد في الفتن ١٣٣ (المتوفى ٢٢٩) تحـ أبو عبد الله أيمن محمد محمد معرفة انتشارات المكتبة الحيدرية وأخرجه أحمد في المسند ٤/٢٤٤ ط مؤسسة قرطبة بمصر، وأبو يعلى في مسنده ٦/٣٢٣ ط دار المأمون للتراث دمشق سنة ١٤٠٤، والرويان في مسنده ٢/٣٤١ مؤسسة قرطبة بمصر سنة ١٤١٦ وفيها تسمية عبد الملك بالشام وابن الزبير بمكة وذكر دافع بن الأزرق رأس الأثرية من الخوارج.

ولسنا في مقام الردّ عليهما، يكفينا بيان عدم أهليته للخلافة قول ابن عبد البر في ترجمته في الاستيعاب قال: «... إلا أنه كانت في ابن الزبير خلال لا تصلح معها الخلافة، لأنه كان بخيلاً ضيق العطن سيء الخلق حسوداً كثير الخلاف أخرج محمد بن الحنفية ونفى عبد الله بن عباس إلى الطائف»<sup>(١)</sup>.

والأنكى من ذلك أنه كان يتطلب الخلافة في مبايعته بني هاشم له، ويتطلب بيعه ابن عباس وابن الحنفية بشتى وسائل التهيب مع ما يكنه لهما من بغض وحقد دفين منذ يوم الجمل، وهو بذلك الهوى والهوس صار يتعرض لهم بالأذى، وقد مرّت بنا مطالبته ابن عباس بالبيعة فامتنع عليه، وبلغ ذلك يزيد بن معاوية فكتب إلى ابن عباس يستميله ويخادعه، فأجابه بكتابه الذي ذكرناه آنفاً، ومع ذلك الحال فقد كان ابن عباس يدفع عنه شرّ الأمويين ما استطاع بقدر ما يسمح له الدين حفاظاً على حرمة البيت الحرام.

فقد روى البلاذري في أنسابه: «ان عمرو بن سعيد الأشدق قدم المدينة والياً عليها وحج في تلك السنة في جماعة من مواليه وهو خائف من ابن الزبير، وكان يزيد قد ولاء الموسم، فأتاه ابن الزبير فسكن لذلك. وأتى عمرو ابن عباس فشكا ابن الزبير، فقال: عليكم بالرفق، فإن له قرابة وحقاً»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج الطبري في تفسيره بسنده عن عطاء قال: «أخذ ابن الزبير سعداً مولى معاوية - وكان في قلعة بالطائف - فأرسل إلى ابن عباس من يشاوره فيه فإنهم لنا عين - عدو - فأرسل إليه ابن عباس: لو وجدت قاتل أبي لم أعرض له.

(١) الاستيعاب ٩٠٦/٣ تحه البجاوي، وطه حيدرآباد ١/٣٥٣.

(٢) أنساب الأشراف ١ ق ٣٠٩/٤ تحه احسان عباس.

قال: فأرسل إليه ابن الزبير: ألا نخرجهم من الحرم؟ قال: فأرسل إليه ابن عباس، أفلا قيل أن تدخلهم الحرم؟

قال الطبري: أبو السائب - أحد شيوخه - في حديثه: فأخرجهم فصلبهم، ولم يصغ إلى قول ابن عباس<sup>(١)</sup>.

وروى الأزرقى أخبار مكة بسنده عن عطاء: ((انكر ابن عباس قتل ابن الزبير سعد مولى عتبة وأصحابه...))<sup>(٢)</sup>.

ولكن الذي خُت لا يخرج إلا نكدا، فإنه اشتد على بني هاشم بالرغم من مبايعة بعضهم له فقد روى المداثني بسنده أن عبيد الله بن علي بن أبي طالب بايعه... وبايعه عبد الله ابن جعفر، وأراد ابن الحنفية على البيعة فلم يبايع<sup>(٣)</sup>.

وكان ذلك كله بعد موت يزيد واضطراب أمر بني أمية فيما بينهم، حيث استغل ذلك الظرف، فبسط عماله في الحجاز والعراق، وصار يحمل الناس على البيعة له بالإكراه فمقته - كما مر - الخوارج وكثير من الناس، وأخذ بالعنف والشدة والاكراه من لم يبايعه، ونال بأذى بني هاشم عموماً، وابن عباس ومحمد ابن الحنفية خاصة لأن كثيراً من المسلمين انحازوا إليهما، خصوصاً الخوارج الذين صار بعضهم يأخذون العلم من ابن عباس.

هدم ابن الزبير للكعبة وموقف ابن عباس منه:

قال اليعقوبي: ((وهدم ابن الزبير الكعبة في جمادى الآخرة سنة ٦٤ حتى ألصقها بالأرض، وذلك أن الحصين بن نمير لما أراد ابن الزبير هدمها امتنع

(١) تفسير الطبري ١٢/٤ ط مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٣ و ٣١/٧ بتح محمد محمود شاكر وأخيه أحمد.

(٢) أخبار مكة ١١١/٢.

(٣) انساب الأشراف ١ ق ٣٥٢/٤.

وامتنع الناس من الهدم، فعلا عبد الله بن الزبير على البيت فهدم، فلمّا رآه الناس يهدم هدموا، فلمّا ألصقتها بالأرض خرج ابن عباس من مكة - إلى الطائف - إعظماً للمقام بها وقد هدمت الكعبة وقال له: اضرب حوالي الكعبة الخشب لا تبق الناس بغير قبلة»<sup>(١)</sup>.

وقال الأزرقعي في أخبار مكة: ((دعا ابن الزبير وجوه الناس وأشرافهم وشاورهم في هدم الكعبة فأشار عليه ناس غير كثير بهدمها، وأبى أكثر الناس هدمها، وكان أشدهم عليه إباءً عبد الله بن عباس وقال له: دعها على ما أقرها عليه رسول الله ﷺ، فإنني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى، فيتهاون الناس في حرقها ولكن أرقعها))<sup>(٢)</sup>.

وقال: ((ولم يقرب ابن عباس مكة حين هدمت الكعبة حتى فرغ منها، وأرسل إلى ابن الزبير: لا تدع الناس بغير قبلة وأنصب لهم حول الكعبة الخشب واجعل عليها الستور، حتى يطوف الناس من ورائها ويصلون إليها، ففعل ذلك ابن الزبير))<sup>(٣)</sup>.

وقال الفاسي في شفاء الغرام: ((رأى ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها فوافقته على ذلك نفر قليل وكره ذلك نفر كثير منهم ابن عباس رضي الله عنه. وكان هدم ابن الزبير لها يوم السبت في النصف من جمادى الآخرة سنة ٦٤...))<sup>(٤)</sup>.

وقال: ((فقال له ابن عباس رضي الله عنه: إني أرى أن تصلح ما وهى منها، وتدع بيتاً أسلم الناس عليه، وحجارة أسلم الناس عليها وبعث عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم...))<sup>(٥)</sup>.

(١) تاريخ اليعقوبي ٦/٣ ط الفرعي.

(٢) أخبار مكة ١ ط الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٢.

(٣) نفس المصدر/ ١٣٤، وراجع نفس المصدر/ ١٤٢-١٤٣ فتمة نحو ذلك بأسانيد أخرى.

(٤) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٩٧/١ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٦.

(٥) نفس المصدر/ ٩٨، وقارن تفسير ابن كثير ١/١٨٣ ط دار الفكر بيروت.

أقول: ولا يبعد أن يكون نظر ابن عباس إلى كون دره المفاصد أولى من جلب المصالح، وهي قاعدة مشهورة ومعتمدة، ولمّا خالفه ابن الزبير فهدمها فقد خرج إلى الطائف، وهذه المخرجة هي أول مرة خرج فيها أيام ابن الزبير، وكان خروجه باختياره إعظاماً لهدم الكعبة، بخلاف المرة الثانية فإنها كانت تحت ضغط ابن الزبير المتعسف، فخرج هو ومحمد بن الحنفية ومن معهما بحماية جند المختار الذين أرسلهم بقيادة أبي عبد الله الجدلي. ثم عاد منها إلى مكة.

كما أنّ المرة الثالثة هي التي أخرج ابن الزبير إخراجاً قبيحاً - كما يقول اليعقوبي في تاريخه<sup>(١)</sup> وهي بعد مقتل المختار فأقام بها حتى مات كما سيأتي الحديث عنها.

وفيما أحسب أنّ ما رواه الشعرائي من استنكار تركه مكة وسكناه الطائف، قد كان في المرة الأولى لما في جوابه ولو كان بضغط ابن الزبير لذكره، لكنه ذكر في كتابه لوائح الأنوار القدسية: «وقالوا لابن عباس لما سكن الطائف لم لا تقيم بمكة؟ فقال: لا أقدر على حفظ خاطري من إرادة ظلمي للناس، أو ظلمي لنفسي، فكيف لو وقعت في الفعل؟ فإن الله تعالى لم يتوعد أحداً على مجرد إرادته السوء دون الفعل له إلا بمكة»<sup>(٢)</sup>.

أقول: يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمْ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد روي نحو هذا عن ابن مسعود وابن عمر والضحاك وابن

(١) تاريخ اليعقوبي ٩/٣.

(٢) لوائح الأنوار القدسية للشعراني / ٥٩ ط الأولى نشر البابي الحلبي سنة ١٣٨٠.

(٣) الحج / ٢٥.

زيد، فقد قالوا ان هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لم يعمله<sup>(١)</sup>.

ولهم في ذلك حجة شرعية من الكتاب المجيد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلْمٍ يُدْفَعُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ فقد جعل إرادة الفعل سبباً للعذاب. كما أن قوله تعالى في سورة القلم (١٧-٢٠) دالة على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتَوْنَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾.

فقد عوقبوا بمجرد العزم على أن يفعلوا وهم بعد لم يفعلوا، وسيأتي مزيد بيان حول ذلك في الحلقة الثالثة في تفسيره إن شاء الله تعالى. فابن عباس إنما خرج من مكة خشية أن يرى من ابن الزبير مزيداً من التهاون بأمر الكعبة، فهو لا يقدر على حفظ خاطره من إرادة ظلمه للناس أو ظلمه لنفسه، فكيف لو وقع في الفعل من مشادة ابن الزبير وكثير من الناس يرون رأيه، فربما أدى ذلك الجدل إلى الجلال، وهذا ما حمل ابن عباس إلى سكنى الطائف تلك الفترة. وبقي هناك كما يبدو من نص في كتاب المناسك وأماكن طريق الحج جاء فيه: «عن مجاهد قال ابن عباس: أفرغوا منها؟ - يعني الكعبة - قلت: نعم، قال: كأنني أنظر إليها كرجل أبيض، أما إنهم لو تركوها كما كانت على عهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان خيراً»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع تفسير القرطبي ٣٥/١٢ ط دار احياء التراث العربي.

(٢) المناسك وأماكن طريق الحج ومعالم الجزيرة / ٤٩٠ تح حمد الجاسر ط دار اليمامة - الرياض.



وإذا عرفنا أن الراوي هو مجاهد وهو من المكيين وكان من تلامذة ابن عباس المبرزين، فكان يأتي الطائف لزيارة استاذه فيسأله هو عن بناء الكعبة، وأحسبه رجع إلى مكة بعد هذا الحديث.

وقد استغل عبد الملك بن مروان الموقف بالشام، فمنع أهل الشام من الحج وذلك ان ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضجّ الناس وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا.

فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: (لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس)، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروي أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة وعلّق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام أهل الشام يأتون بذلك أيام بني أمية<sup>(١)</sup>.

مواقف ابن الزبير العدائية لبني هاشم:

لقد مرّ بنا قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للزبير حين تواقفا في يوم الجمل: ((قد كنّا نعدّك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرّق بيننا وبينك))<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ٧/٣ - ٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢٠٤/٥ حوادث ٣٦ ط الحسينية بمصر.

واشتهر عنه عليه السلام قوله: «ما زال الزبير منا حتى نشأ ابنه المشؤم عبد الله»<sup>(١)</sup>.  
وقال أيضاً فيه: «خببٌ ضببٌ يرومُ أمراً لا يدركه، نصب حباله الدين  
لاصطياد الدنيا، وهو بعدُ مصلوب قریش»<sup>(٢)</sup>.

وهذا من بعض ما كان يخبر به قبل وقوعه من الحوادث، وهو مما علمه  
رسول الله ﷺ من لدن عليم حكيم.

روى الذهبي عن الواقدي قال: «حدثنا ربيعة بن عثمان وابن أبي سبرة  
وغيرهما قالوا: جاء نعي يزيد في ربيع الآخر سنة أربع وستين فقام ابن الزبير فدعا  
إلى نفسه، وبايعه الناس، فدعا ابن عباس وابن الحنفية إلى بيعته، فامتعا، وقال:  
حتى يجتمع لك الناس، فداراهما ستين ثم أنه أغلظ لهما ودعاهما فأبيا»<sup>(٣)</sup>.

وقد ذكر المؤرخون له مواقف عدائية تتم عن كامنٍ حقدٍ ونصبٍ بغيضٍ.

وإلى القارئ بعض ما ذكره فقد روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن  
عطية العوفي قال: «فلما جاء نعي يزيد بن معاوية وباع ابن الزبير لنفسه ودعا  
الناس إليه، دعا ابن عباس ومحمد بن الحنفية إلى البيعة فأبيا يبايعان له، وقال  
حتى يجتمع لك البلاد ويتسق لك الناس، فأقاما على ذلك ما أقاما، فمرة

(١) شرح النهج للممتمزلي ٤/٤٨٠ ط الأولى بمصر، وشرح النهج محمد عبده ٣/٢٦٠ حكمة  
٣٥٤ ط الاستقامة وقد روى أبو عمر في الاستيعاب هذه الكلمة في ترجمة ابن الزبير  
بدون لفظ المشؤم وأحسب أنها نقلت عليه فحذفها.

ورواها ابن الأثير في أسد الغابة ٣/١٦٢ في ترجمة ابن الزبير. كما ذكرها ابن عبد ربه في  
المقد الفريد ٥/٧٢ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، وفي ٢/٩٦ طبعة أخرى، وذكرها  
المفيد في الجمل ١٩٢/١٩٢، وهي في نهج البلاغة نسخة جديدة محققة وموثقة بتحقيق  
وتوثيق دكتور صبري إبراهيم السيد، جامعة عين شمس وجامعة قطر.

(٢) انظر سفينة البحار ٣/٣٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/٤٦٥ ط دار الفكر، مختصر تاريخ دمشق ١٢/١٩٠ هامش المصدر.

يكاشرهما ومرة يلين لهما، ومرة يباذيهما، ثم غلظ عليهما، فوقع بينهما كلام وشر، فلم يزل الأمر يغلظ حتى خافا منه خوفاً شديداً، ومعهما النساء والذرية، فأساء جوارهم وحصرهم وآذاهم، وقصد لمحمد بن الحنفية فأظهر شتمه وعييه، وأمره وبني هاشم أن يلزموا شعبهم بمكة، وجعل عليهم الرقباء، وقال لهم فيما يقول: لتبايئن أو لأحرقنكم بالنار، فخافوا على أنفسهم<sup>(١)</sup>.

وروى ذلك أيضاً وفيه: «حتى إذا كانت سنة ست وستين غلظ عليهما ودعاهما إلى البيعة فأبيا»<sup>(٢)</sup>. وسيأتي خبر عطية بأوسع مما ذكرنا في حبس ابن الزبير لبني هاشم.

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي: «قطع عبد الله بن الزبير في الخطبة ذكر رسول الله ﷺ جمعاً كثيرة، فاستعظم الناس ذلك فقال: إني لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم، فانا أحب أن أكتبهم. وقال: لما كاشف عبد الله بن الزبير بني هاشم وأظهر بغضهم وعابهم، وهم بما هم به في أمرهم، ولم يذكر رسول الله ﷺ في خطبته، لا يوم الجمعة ولا غيرها، عاتبه على ذلك قوم من خاصته، وتشاموا بذلك منه، وخافوا عاقبته، فقال: والله ما تركت ذلك علانية إلا وأنا أقوله سرّاً وأكثر منه، لكنني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا واحمرت ألواتهم، وطالت رقابهم، والله ما كنت لأتني لهم سروراً وأنا أقدر عليه، والله لقد هممت أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم ناراً، فيأتي لا أقتل منهم إلا آثماً كفاراً سخاراً، لا أنماهم الله ولا يبارك عليهم، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر. والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً، استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس.

(١) الطبقات ٧٤٧٣/٥ ط افست ليدن.

(٢) نفس المصدر ١٨٤/ ط السلمي ط الطائف.

فقام إليه محمد بن سعد بن أبي وقاص فقال: وقلك الله يا أمير المؤمنين أنا أول من أعانك في أمرهم. فقام عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي فقال: والله ما قلت صواباً، ولا هممت يرشد، أرهط رسول الله ﷺ تعيب إياهم تقتل إياهم والعرب من حولك، والله لو قتلت عدتهم أهل البيت من الترك مسلمين ما سوّخه الله لك، والله لو لم ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره.

فقال: أجلس أبا صفوان فقلت بناموس<sup>(١)</sup> ((٢)).

هذا بعض من مواقفه التي أصحح فيها بعداوته من على المنبر في المسجد الحرام. ولا يفوتني تنبيه القارئ إلى أن الذي بادر فأعلن مناصرته هو أخ عمر بن سعد بن أبي وقاص قاتل الحسين عليه السلام فلا غرابة بالخبث إذا خرج من معدنه، ولم ينكر عليه في ذلك الموقف العدائي سوى عبد الله بن صفوان الجمحي، وهذا الرجل فيما يقول الذهبي: «وكان سيد أهل مكة في زمانه لحطمه وسخائه وعقله»<sup>(٣)</sup>. غير أن ابن الزبير وصفه بما لا يليق به فقال له: «فقلت بناموس» أي لست الحاذق المطلع على بواطن الأمور ولا صاحب السرّ، ومع هذه الإهانة، فقد بقي معه حتى قتل وهو متعلق بأستار الكعبة، وقد حملوا رأسه مع رأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن مطيع إلى المدينة المنورة<sup>(٤)</sup> وسيأتي له حديث آخر مع ابن الزبير ممّا يتعلق بابني العباس عبد الله جبر الأمة وأخيه عبيد الله حين رأى الناس عكوفاً عليهما هذا للفقّه وهذا لبذل الطعام، فأساء القول كلّ منهما في الآخر مع أنّه من أصحابه حتى أنّه قتل معه، لكن الرجل لم يمنعه ذلك من قول كلمة حقّ

(١) الناموس، الحاذق وصاحب السرّ المطلع على بواطن الامور.

(٢) شرح النهج ٤٨٩/٤ ط الأولى بمصر ١٢٧/٢ تح محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٧/٥ ط دار الفكر.

(٤) نفس المصدر.

عند سلطان جائر، وإن لم ينفعه ذلك إذ لم يغيّر شيئاً من طبع ابن الزبير، لأنه لا يرعوي لنصح، وأتى له أن يقبل كلمة النصيحة وهو قد اشتمل في مكنونه على حقد دفين يغلي مرجه في صدره باعترافه منذ أربعين سنة، لذلك نصب العداوة لأهل البيت، وقد اعترف هو بذلك مصحراً أمام حاضريه حين دخل عليه ابن عباس فقال بكل وقاحة وصلف: (إني لأكتم بغضكم منذ أربعين سنة).

روى المسعودي في مروج الذهب فقال: ((وذكر سعيد بن جبير أن عبد الله ابن عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابن الزبير: أنت الذي تؤنّبني وتبخلني؟ قال ابن عباس: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ليس المسلم الذي يشيع ويجوع جاره.

فقال ابن الزبير: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة، وجرى بينهما خطب طويل، فخرج ابن عباس من مكة خوفاً على نفسه، فنزل الطائف فتوفى هنالك)).

ثم قال المسعودي: ((ذكر هذا الخبر عمر بن شبة النميري عن سويد بن سعيد يرفعه إلى سعيد بن جبير، فيما حدثنا به المهراني بمصر، والكلابي بالبصرة وغيرهما عن عمر بن شبة))<sup>(١)</sup>.

أقول: لبت المسعودي ذكر لنا تمام ما جرى بينهما من الخطب الطويل (لبت وهل تنفع شيئاً لبت؟).

وهذا الخبر رواه الجاحظ في رسالة الحاسد والمحسود فقال: ((حدثنا عن علي بن مسهر عن الأعمش عن طلح بن حباب عن سعيد بن جبير أنه قال: قادت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير فقال له ابن الزبير: أنت الذي تؤنّبني؟ قال:

(١) مروج الذهب ١٠٢/٢ ط مصر ٨٩/٣ تح محمد محي الدين عبد الحميد بمصر.

نعم لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم يقول: ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره طاو، فقال له ابن الزبير: قلت ذلك وأتبعه بقول يدل على حسد كان ابن عباس من شره معصوماً، وكان ذلك بما في قلبه لبني هاشم مهزوماً، وكانت وخزة ثقيلة فلم يبدها له وفروع بني هاشم حول الحرم باسقة، وعروق دوحاتهم بين أطباقها راسية، ومجالس بني هاشم من أعاليها غامرة (غامرة ظ)، وبحورها بأرزاق العباد زاخرة، وأنجمها بالهدى زاخرة، فلما تجلت (تخلت ظ) البطحاء من صنائدها استقبله بما أكن في نفسه، والحاسد لا يغفل عن فرصته، إلى أن يأتي الموت على رمته، وما استقبل ابن عباس بذلك إلا لما رأى عمر قدمه على أهل القدم، ونظر إليه وقد أطاف به الحرم، فأوسعهم حكماً، وتعقبوا منه رأياً وفهماً، وأشبعهم علماً ولحماً.

ويروي عن ابن سيرين أنه قال: ما رأيت أكثر علماً ولحماً من منزل ابن عباس<sup>(١)</sup>.

ويؤيد ما قاله الجاحظ ما قاله صاحب مشكاة الأدب: ((إن ابن عباس أوّل من وضع موائد الطعام في الطرقات للناس، ولم يكن يعود إلى رفمه. وأنه كان ما يصرفه في اليوم خمسمائة دينار، وهذا ما ذكره الوطواط في غرر الخصائص أيضاً<sup>(٢)</sup>).

وفي محاضرات الراغب: ((كان يسمى معلّم الجود لسخائه، وحجّه على ذلك قولاً وفعلًا<sup>(٣)</sup>).

(١) انظر مجموعة رسائل الجاحظ ٧ - ٨ ط، نشر المناسي بمصر بمطبعة التقدم.

(٢) مشكاة الأدب / ٩١٥.

(٣) محاضرات الراغب ١ / ٣٧٨.

فهذه الأقوال مهما شككنا في صحتها فإنها لم تنشأ من فراغ، بل فيما سيأتي من الشواهد على بواعث حسد ابن الزبير ما يدل على صحتها، وحسبنا منها أن نقرأ الأوّل والثاني والثالث منها. وفيها وفي غيرها ما يؤجج نيران الحسد والحقد في نفس ابن الزبير البخيل ويسرّ بغضهم، وهو يقرّ بذلك معترفاً على نفسه.

قال ابن عبد ربه: «ولمّا تولد لابن الزبير أمره وملك الحرمين والعراقين، أظهر بعض بني هاشم الطعن عليه، وذلك بعد موت الحسن والحسين، فدعا عبد الله بن عباس ومحمّد بن الحنفية وجماعة من بني هاشم إلى بيعته، فأبوا عليه، فجعل يشتمهم ويتاولهم على المنبر، وأسقط ذكر النبي ﷺ من خطبته، فعوتب على ذلك فقال: والله ما يمنعني أنّي لا أذكره علانية من ذكره سرّاً وأصلي عليه، ولكن رأيت هذا الحيّ من بني هاشم إذا سمعوا ذكره أشرأبت أعناقهم، وأبغض الأشياء إليّ ما يسرهم»<sup>(١)</sup>.

ألا ترون من حقّ ابن عباس أن يثار لنفسه ولقومه فيجاببه راداً عليه افتراءه، بما يزيد حنقه وبغضاه. لذلك كان يتمثل بأبيات عترة بن الأخرس المعنيّ من طيء:

أطل حمل الشنّاء لي وبغضي      بجهدك وانظرن من ذا تفسير  
فما بيديك خير أرتجيه      وغير صدودك الخطب الكبير  
إذا أبصرتني أعرضت عني      كأن الشمس من قبلي تدور<sup>(٢)</sup>

(١) العقد الفرید ٤١٣/٤ تح. أحمد أمين ورفيقه.

(٢) الأبيات من أريمة في شرح حماسة أبي تمام للتبريزي ٢١٩/١ مطبعة حجازي بالقاهرة تح. محمد محي الدين عبد الحميد، ومن خمسة أبيات في المؤلف والمختلف للامدي ٢٢٥/ بتحقيق عبد الستار أحمد فراج.

وقد تحاشى كثير من المحدثين والمؤرخين ذكر كلمة ابن الزبير ((إني لأكنم بغضكم منذ أربعين سنة)) !! ومن الطبيعي أن لا يذكروها لأنها تكشف عن سوء طويّة أنفوا منها، وأحسبهم على أحسن تقدير أنهم استفظعوا وقع الكلمة، فاستعظمو ذكرها لفظاعتها، فألقوها في سلة المهملات في غيابة الجب، ولا ضير ما دام الجاحظ قد نمّ بها على استحياء، وذكرها المسعودي بدون خفاء، ونقلها أيضاً ابن أبي الحديد في شرح النهج، والسيد عليّ خان المدني الشيرازي في الدرجات الرفيعة وغيرهما، وأخال هؤلاء نقلوها عن المسعودي الذي هو أيضاً تكتّم على ما جرى بين ابن عباس وابن الزبير من خطب طويل. ولكنه لم يسعه كتمان تلك الكلمة التي كبرت أن تخرج من أفواههم، والتي هي حائقة الإيمان.

فإن رسول الله ﷺ قال في خطبة له رواها جابر بن عبد الله: ((أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً)، قال جابر: قفلت: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟ قال: (وإن صام وصلّى وزعم أنه مسلم، احتجر بذلك من سفك دمه، وأن يؤذى الجزية عن يد وهم صاغرون...))<sup>(١)</sup>.

وفي حديث ثان رواه ابن عباس قال: ((قال رسول الله ﷺ: (... فلو أن رجلاً صنف - أي وقف - بين الركن والمقام وصلّى وصام ثم مات وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار))<sup>(٢)</sup>.

(١) مجمع الزوائد ١٧٢/٩ من الطبراني في الأوسط.

(٢) نفس المصدر ١٧١/٩، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ٦٤٢/٢ برقم ١٥٤٦ ط المكتب

الإسلامي تح الألباني وفيه تصحيف كلمة (يبغض) بـ (ينقص) والحاكم في المستدرک

١٤٩/ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.



وفي حديث ثالث رواه أبو سعيد الخدري عنه رضي الله عنه: ((قال: (والذي نفسي بيده لا يبغيضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار)))<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي جعلت بغض بني هاشم من الكفر<sup>(٢)</sup>. لك الله يا بن عباس ماذا لقيت من حسد ابن الزبير وحقده، وعتت بني أمية وبغضهم، وما ذلك إلا أنك بلغت دونهم الدرى في مجدك، وسموت إلى العلياء في محتكك، وقديماً قالوا:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه      فالقوم أصداء له وخصوم  
كضرائر الحسناء قلن لوجهها      حسداً وبغياً إنه لدميم  
ولأنت كما قال الآخر:

ان يحسدوك على علاك فإنما      متسافل الدرجات يحسد من علا

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلَ يَبْدِ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقفه تحقيق لا ترفاً ولا سرفاً:

لقد قرأنا رواية المسعودي التي وثقها بسماعه لها بمصر من المهراني وبالبرصة من الكلابي وغيرهما، وهي بدالاتها الواضحة الصريحة دلت على مدى الانقسام والتنافر بين ابن عباس وبين ابن الزبير، كما كشفت عن نصب مستحکم

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم ٢٢٤٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١١/ ١١٨، ومجمع الزوائد ٩/ ١٧٢.

(٣) النساء / ٥٤.

(٤) آل عمران / ٧٣ - ٧٤.

في نفس ابن الزبير لأهل البيت أقرب به على نفسه. وعرفنا منها أيضاً شدة وصرامة ابن عباس في قوله الحقّ ودحر الباطل.

كما قرأنا مقالة الجاحظ وهو على عثمانيته لم يستغ في المقام الإغضاء عن ابن الزبير وكلمته، ولكنه قصر في صراحته إلا أنه لم يتخل عن أدبه الجاحظي حين كنى، والكتابة أبلغ من التصريح، فأشار بابن عم الكلام عما يقتضيه المقام، فنمّ على كلمة ابن الزبير النابية ((إنني لأكتم بفضكم)) على استحياء، بعكس المسعودي الذي ذكرها بدون خشية أو خفاء. وقد وردت الكلمة عند أصحاب مصادر متأخرين عن الجاحظ والمسعودي، وكلهم أدوا أمانة النقل فلا تثريب عليهم. لكن هلمّ الخطب فيمن تولوا كبر حذفها وهم على أحسن تقدير استفظموها فاستعظموها ذكرها لفظاعتها فألقوها في سلة المهملات وفي غيابة الجب، ولكني لم أدر لماذا تماذلوا عن ذكر كلمة ابن الزبير الأخرى التي واجه بها ابن عباس حين دخل عليه فقال له: ((أنت الذي تؤنّبني وتبخلي))؟! وما بالهم سرت عدوى دأبهم إلى خير آخر صنو ما سبق؟ رواه عبد الله بن مساور قال: ((سمعت ابن عباس (وهو يبخل ابن الزبير)) فحذف الجملة (بعضهم) وصحفها آخرون تصحيفاً سخيفاً فلا بد إذن من وقفة تحقيق دقيق تحذيراً للقارئ من مغبة الاغترار ببهرجة القاب المحدثين الذين جعلوا الحديث عسرين، آمنوا ببعض وكفروا ببعض - كما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ)<sup>(١)</sup>.

وبين يدي ذلك عرضاً بأصحاب المصادر التي روت كلمة عبد الله بن مساور أو ما في معناها:

١- الحافظ عبد بن حُميد (ت ٢٤٩هـ) روى الحديث في مسنده بسنده عن عبد الله بن مساور: «سمعت ابن عباس ذكر ابن الزبير فيخُله...»<sup>(١)</sup> ثم ساق الحديث إلى آخره، وأحسبه أول محدث ذكر الكلمة بمعناها.

٢- البخاري (ت ٢٥٦هـ) في تاريخه قال: «قال عبد الله بن مساور: إن ابن عباس يخُل ابن الزبير وقال: ليس المؤمن الذي يأكل وجاره جائع، قاله أبو نعيم ومعاوية بن هشام...»<sup>(٢)</sup> ثم ساق ثلاثة أسانيد لهذا الخبر جاء في ثالثها عبد الله بن أبي مساور.

٣- أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي (ت ٢٩٤هـ) روى في كتابه تعظيم قدر الصلاة بسنده عن سعيد بن جبير قال: «دخل ابن عباس على ابن الزبير فقال له ابن الزبير: أنت الذي تؤنّبني وتبخّلني؟ قال ابن عباس: نعم، إن رسول الله ﷺ قال: (إن المسلم الذي يشج ويحجج جاره ليس بمؤمن...)». ثم ذكر بعده بسند آخر عن عبد الله بن المساور: «أنه سمع ابن عباس وهو يخُل ابن الزبير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس المسلم من شج وجاره جائع إلى جنبه...)»<sup>(٣)</sup>.

٤- ابن أبي الدنيا القرشي (ت ٢٨١هـ) روى في كتابه مكارم الأخلاق نشر مكتبة الفرات بالقاهرة سنة ١٤١١ بسنده حديث ابن المساور وفيه: «سمعت ابن عباس (وهو يخُل) ابن الزبير يقول سمعت رسول الله ﷺ: (ليس المؤمن...))»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر منتخب مسند ابن حميد تح صبحي البدري السامرائي ومحمود خليل الصمدي نشر مكتبة السنة القاهرة سنة ١٤١١.

(٢) التاريخ الكبير (ترجمة عبد الله بن مساور) ٣ ق ١٩٥/١ ط المكتبة الإسلامية ديار بكر تركيا وكذا في ط دار الفكر بيروت هي ترجمة عبد الله بن مساور.

(٣) تعظيم قدر الصلاة ٥٩٣/٢ ط الأولى نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

(٤) مكارم الأخلاق نشر مكتبة الفرات بالقاهرة سنة ١٤١١.

- ٥- الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) روى الحديث كسابقه في المستدرک على الصحيحين وقال: «هذا حديث صحيح الاستناد ولم يخرجاه»<sup>(١)</sup>.
- ٦- البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) روى في سننه الخبر كما في سابقه<sup>(٢)</sup>.
- ٧- الخطيب البغدادي (ت ٤٦١ هـ) روى الحديث في تاريخ بغداد في ترجمة عبد الملك بن أبي بشير كسابقه<sup>(٣)</sup>.
- ٨- الحافظ المزني (ت ٧٤٢ هـ) روى الحديث في تهذيب الكمال في ترجمة عبد الله بن المساور وقال: «في أصل القطان: ابن أبي المساور قال: سمعت ابن عباس (وهو يبخل ابن الزبير)»<sup>(٤)</sup>.
- ٩- الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) روى الحديث في تلخيص المستدرک على الصحيحين للحاكم، ووافق على تصحيح الحاكم، كما رواه أيضاً في سير أعلام النبلاء فقال: «عيب ابن الزبير بشع فروى الثوري - ثم ساق السند إلى عبد الله بن مساور - سمع ابن عباس يعاتب ابن الزبير في البخل ويقول: قال رسول الله ﷺ: (ليس المؤمن الذي يبيت شعبان وجاره جاتع) - ثم قال: - وروى عبيد الله بن عمر عن ليث قال: كان ابن عباس يكثر أن يعنف ابن الزبير بالبخل فقال: كم تعيرني؟»<sup>(٥)</sup>.
- ١٠- الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) روى الحديث في تاريخه<sup>(٦)</sup>، وكأنه استقل الكلمة فصنع كما صنع الذهبي في سير أعلام النبلاء وقال كقوله.

(١) المستدرک على الصحيحين ١٦٧/٤.

(٢) السنن الكبرى ٣/١٠ ط مكتبة دار الباز بمكة المكرمة سنة ١٤١٤.

(٣) تاريخ بغداد ٣٩١/١٠.

(٤) تهذيب الكمال (ترجمة عبد الله بن المساور) ١٢٠/١٦ تح. بشار عواد ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٠ هـ.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣٧٤/٣ - ٣٧٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤١٣.

(٦) البداية والنهاية ٣٣٩/٨ ط السعادة بمصر.

١١- الطحاوي ذكر الخبر بسنده عن عبد الله بن المساور - او ابن أبي المساور - ((قال سمعت ابن عباس يعاتب ابن الزبير في البخل ويقول: ليس المؤمن الذي يبست شبعان وجاره إلى جنبه جائع)). ثم قال الطحاوي: ((فلم يرد بذلك أنه ليس بمؤمن إيماناً خرج بتركه إياه إلى الكفر، ولكنه أراد به أنه ليس في أعلى مراتب الإيمان))<sup>(١)</sup>.

١٢- ناصر الدين الألباني في الأحاديث الصحيحة<sup>(٢)</sup>، وقد أفاض القول بذكر مصادر الحديث النبوي وعقب عليها بما اقتضاه المقام وختم كلامه منذراً بالبخلاء الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله. فهؤلاء اثنا عشر حافظاً من مشاهير الحفاظ من المحدّثين كلّهم ذكروا جملة (وهو يبخّل ابن الزبير) أو ما في معناها كما مر عن عبد بن حميد والبخاري والذهبي وابن كثير والطحاوي ولا تريب عليهم. إنّما التريب بل والتريب على أولئك الذين لم يستمرؤا الحقّ فعافوه وحذفوا الكلمة نصاً ومعنى، وهم:

١- هناد ابن السري الكوفي (ت ٢٤٣هـ) في كتابه الزهد<sup>(٣)</sup>، وأخاله أول من تولى كبر ذلك.

٢- الحافظ أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) روى الحديث في مسنده<sup>(٤)</sup>، ولم يذكر الكلمة.

(١) شرح معاني الآثار ٢٨/١ ط بيروت دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩ بتحم محمد زهري النجار.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٢٩/١ برقم ١٤٩ ط ١٤ نشر المكتبة الإسلامي سنة ١٤٠٥.

(٣) الزهد ٥٠٧/٢ ط الأولى نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت.

(٤) مسند أبي يعلى ٥٤٩/٢ نشر دار الكتب العلمية.

٣- ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) في كتابه العلل، فقد ساق الحديث بدون كلمة ابن المساور سمعت ابن عباس (وهو ييخل ابن الزبير)، ثم أبدى اهتماماً بالغاً بتفاوت النقلة في اسم (المساور) أو (المسور) أو (أبي المساور) فقال: «سئل أبو زرعة عن حديث رواه قبيصة وثابت بن محمد ووكيع وأبو نعيم عن الثوري فاختلفوا. فقال قبيصة عن الثوري عن عبد الملك بن أبي بشير عن عبد الله بن أبي المساور عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: (ليس المؤمن الذي يشيع وجاره جائع إلى جنبه).

وقال ثابت عن الثوري عن عبد الملك عن عبد الله المسور عن ابن عباس...  
وقال وكيع عن سفيان عن عبد الملك عن عبد الله بن مساور عن ابن عباس...

قال أبو زرعة: وَهَمَّ ثابت فيما قال، وأبو نعيم أثبت في هذا الحديث من وكيع كأنه حكم لأبي نعيم<sup>(١)</sup>.  
أقول: لبت بعض هذا الإهتمام بتحقيق أبي المساور - المسور - مساور - كان من أبي حاتم لتحقيق المتن.  
ومن الطريف قوله وكأنه حكم لأبي نعيم مع أنه لم يذكر سنداً لأبي نعيم فلاحظ!

٤- تمام بن محمد الرازي (ت ٤١٤هـ) في كتابه الفوائد<sup>(٢)</sup>.

٥- البيهقي الشافعي (ت ٤٥٨هـ) في شعب الإيمان، مع أنه ذكر الكلمة في سننه الكبرى صحيحة، ووردت في شعب الإيمان مصحفة<sup>(٣)</sup> كما سيأتي.

(١) علل الحديث ٣٢٩/٢ ط السلفية بمصر.

(٢) الفوائد ١٠٥/٢ تم حمدي عبد المجيد السلفي ط مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤١٢هـ.

(٣) الترهيب والترهيب ٢٤٣/٣ نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٧ و ٤٢/٥ ط السعادة

بمصر سنة ١٣٨١ بتعم محمد محي الدين عبد الحميد.

٦- المنذري (ت ٦٥٦هـ) في كتابه الترغيب والترهيب<sup>(١)</sup>.  
 ٧- ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في القول المسدد، نقلاً عن البخاري  
 في تاريخه والطبراني وأبي يعلى<sup>(٢)</sup>، وقد مرت بنا الإشارة إلى ما في تاريخ  
 البخاري وفيه التصريح بأن ابن عباس بخّل ابن الزبير فلاحظ.  
 فهؤلاء الذين لم يدكروا تخيل ابن عباس لابن الزبير، ولعلمهم حفاظاً على  
 كرامة الأصحاب؟!  
 أما الذين وردت الكلمة محرقة أو مصحفة في تصانيفهم تحريفاً مهيناً أو  
 تصحيفاً مشيناً فهم:

١- البخاري في كتابه الأدب المفرد فقد ذكر الخبر بسنده إلى عبد الله بن  
 مساور قال: ((سمعت ابن عباس (بخير) ابن الزبير يقول سمعت النبي ﷺ...)).  
 فظننت لأول وهلة أن ذلك غلط مطبعي فات مصحح الكتاب تصحيحه،  
 لكنني تبقت أنه تحريف متعمد جرى لكلمة (بخّل) حيث ورد كذلك في  
 طبعين من الكتاب<sup>(٣)</sup>، وأكد صحة يقيني وروده كذلك في شرح كتاب الأدب  
 المفرد<sup>(٤)</sup>. وهذا تحريف مهين فمن تولى كبر ذلك من النساخ أو الرواة عن  
 البخاري، لأن البخاري روى معنى كلمة عبد الله بن مساور بلفظ: ((إن ابن عباس

(١) الترغيب والترهيب ٢٤٣/٣ نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٧ و ٤٢/٥ ط السعادة  
 بمصر سنة ١٣٨١ بتح محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) القول المسدد في الذب عن مسند أحمد / ٢١ ط مكتبة ابن تيمية بالقاهرة سنة ١٤٠١.

(٣) وهما طبعة إسلامبول سنة ١٣٠٩ ص ٢٥ وطبعة مصرية محققة بتح محمد فؤاد عبد  
 الباقي فراجع ص ٣٩ ط السلفية سنة ١٣٧٥.

(٤) الأدب المفرد المسمى بفضل الله الصمد لفضل الله الجبلاني ٢٠١/١ ط السلفية سنة

بخَل ابن الزبير)) وقد مرَّ ذكره في النمط الأول برقم ٢، فراجع تجده ذكر ذلك في التاريخ الكبير.

٢- الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ذكر الخبر في معجمه بسنده إلى عبد الله بن المساور، قال: ((سمعت ابن عباس (وهو ينحل) ابن الزبير...))<sup>(١)</sup>.

فظننت أنه تصحيف غير متعمد، وأنه غلط مطبعي، فراجعت الطبعة الثانية من الكتاب وقد كسب عليها مزيدة ومنقحة<sup>(٢)</sup> فوجدتها كذلك، وازدادت حيرتي من محقق الكتاب الذي نعت طبعته الثانية بمزيدة ومنقحة وهو لم يزد في المقام شيئاً ولم يتفح تلك الكلمة !! بل زاد الأمر إبهاماً وإبهاماً حيث ذكر في الهامش مصادر ذكر الخبر فقال: ((ورواه البخاري في الأدب المفرد/١١٢، والحاكم ١٦٧/٤ وصححه، ووافقه الذهبي وابن أبي شعبة في كتاب الإيمان والخطيب في تاريخ بغداد، وابن عساكر ٢/١٣٦/٩، والفضياء في المختارة ١/١٩٢/٦٢، وأبو يعلى ٢/١٣٦ قال في المجمع ١٦٧/٨ ورجاله ثقات، وله شواهد أنظر سلسلة الصحيحة (برقم ١٤٨) لشيخنا محمّد ناصر الدين الألباني)). انتهى ما ذكره السلفي.

وعندما راجعت سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، وجدت السلفي قد أخطأ في ذكر الرقم وصوابه (١٤٩)<sup>(٣)</sup>، ووجدته قد أخذ المصادر حتى الضياء المختارة عن الألباني نقل المسطرة - كما يقولون - وليته ذكر بقية ما ذكره الألباني من كلام وتعقيب فهو قد ذكر الخبر عن الضياء المختارة

(١) المجمع الكبير ١٢/ ط الأولى بمطبعة الوطن العربي.

(٢) المجمع الكبير ١٢/١١٩ ط الثالثة مطبعة الزهراء الموصل.

(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٢٢٩ ط الرابعة ط المكتب الإسلامي.



(وفيه قال: سمعت ابن عباس ذكر ابن الزبير فبخّله ثم قال سمعت رسول الله ﷺ) فذكر الحديث.

ولست بمتجنّ على السلفي في ذلك السطو على جهد الألباني، لأنه لو كان قد راجع بنفسه تلك المصادر التي ذكرها لوجد الحاكم والذهبي والمخطيب قد ذكروا كلمة (وهو يبخل) فزه بهكذا تحقيق ١١

٣- البيهقي ذكر الخبر في سننه - كما مر - وفيه (وهو يبخل) لكن في كتابه شعب الإيمان اختلفت روايته، ففي الجزء الثالث لم يذكر الكلمة<sup>(١)</sup>، وفي الجزء الخامس: ((قال لابن الزبير (وهو يخبر) (وهو ينحار)))<sup>(٢)</sup>، وفي الجزء السابع (وهو ينحل)<sup>(٣)</sup>، فأبي هاتيك هو الصحيح؟

ومن الطرافة ما ذكره في الجزء الخامس من تحقيق حول لفظي (وهو يخبر) (وهو ينحار): فالأولى بسنده عن الدارمي والثانية بسنده عن القريابي<sup>(٤)</sup>، فمن كان محتاطاً إلى هذا الحد في النقل في الفرق بين الروایتين، لماذا لم يحقق لنا معنى (وهو ينحار) التي ذكرها؟

ثم ما باله ذكر الخبر هنا بسنده عن عبد الله بن المساور، وفي الجزء السابع صار عبد الله بن أبي المساور؟<sup>(٥)</sup>

وما باله ذكر هناك كلمة (وهو ينحل) ؟ وما هو معناها؟ كل ذلك التحريف والتصحيح من التحريف، وسرت عدواه إلى الخبر الذي رواه بعد الخبر

(١) شعب الإيمان ٢/٢٢٥-٢٢٦ محمد المصيد بسبوني زفلول نشر دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) نفس المصدر ٣١/٥.

(٣) نفس المصدر ٧٦/٧.

(٤) نفس المصدر ٣١/٥.

(٥) نفس المصدر ٧٦/٧.

المذكور بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنه دخل على ابن الزبير وأنا معه، فقال ابن الزبير: أنت الذي تنحطني وتلدتني فقال ابن عباس: نعم إن رسول الله ﷺ... فما هو معنى تنحطني وتلدتني؟

هل تنحطني من النحلة بمعنى العطية؟ أو من تنحله ادعاه لنفسه وهو لغيره؟  
أو من نحله القول نسبة إليه؟

وهل تدنني من الدنو بمعنى القرب؟ أو من الدناوة بمعنى القرابة؟ أو من الدناءة بمعنى الحقارة؟ ومن الدني كغني الساقط الضعيف؟ أو من دني في الأمور تدنية تتبع صغيرها وكبيرها؟ كل ذلك لم يفصح عنه رواه.

مع أن خبر سعيد بن جبير الذي رواه المسعودي وقد مرّ آنفاً وفيه قول ابن الزبير (أنت الذي تؤنّبني وتبخّلني) صريح صحيح، وقد رواه محمد بن نصر المروزي مسنداً في كتابه تعظيم قدر الصلاة<sup>(١)</sup>. فبعد هذا التصريح لا معنى للتحريف والتصحيح، بل يعد ذلك من التريف والتخريف.

٤- نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧) ذكر الخبر في مجمع الزوائد، وقال:  
(رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات)<sup>(٢)</sup>.

وهذا الرجل أكبر همه النظر في رجال الأسانيد - شأن قومه - دون إعارة المتون قليلاً من الإلتفات، فما دام الرواة عنده ثقات، فعلينا التسليم بما رووه وإن كان من الترهات؟

ويبدو من المصنفين أنهم تبعوا من قبلهم في التعميم على ما يخدش كرامة أحد الصحابة مثل ابن الزبير المعير بالبخل، وإن تم ذلك على إهدار

(١) راجع رقم ٣/.

(٢) مجمع الزوائد ١٦٧/٨ ط القدسي سنة ١٣٥٣.

حقّ صحابي آخر له حقّ القرابة والصحابي مثل ابن عباس، لتأنيبه ابن الزبير على بخله.

وعندي أنّ هؤلاء أشدّ بخلًا من ابن الزبير الذي ضمنَ بمال المسلمين عليهم، فإنّهم بخلوا حتى برواية الحقيقة وكنموا الحقّ. قاله أولى بهم ﴿قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ آيْدِيَهُمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم تكن هذه الوقفة الطويلة والجولة العريضة في تفتيش المصادر المعنيّة عن كلمة عبد الله بن المساور - أبي المساور - إنّهُ سمع ابن عباس وهو يبخل ابن الزبير، لاثبات بخل ابن الزبير، فذلك معروف ومشهور لا مناقشة فيه، وإنّما أردت تنوير القارئ عمّا يتخلل الكتب الحديثية من تحريف وتخريف، كئنا نود أن لا نجد عليه شاهداً واحداً، ولكننا وجدنا منها عليها شواهد، وقد مرّت بنا الحقائق مكشوفة الغطاء، تنبئ عن النصب والعداء، أعمت بصائر الرواة وأبصار النساخين والمصنّفين، عن ذكر حقيقة بخل ابن الزبير، وكانهم يفعلهم هذا محو سيئة بخل ابن الزبير من صحيفته، وهم يفعلهم هذا سيلقون آثاماً.

وبالتالي تحذير القراء من اللهاث وراء أولئك الحفاظ الذين أكبر همهم ذكر الاسناد وتصحيحه بتوثيق رجاله، دون الالتفات إلى صحة ما يروونه ويروونه، ولا يُخدعوا ببهرجة الألقاب التي منحوها لهم بغير حساب.

بواعث حسد ابن الزبير لابن عباس:

يقول علماء الأخلاق: إنّ دواعي الحسد سبعة:

الأول: خبث النفس وشحها بالخير والعياذ بالله

الثاني: العداوة والبغضاء وهي أشد أسبابه.

الثالث: حب الرأسة وطلب المال والجاه والتفرد بالثناء.

الرابع: الخوف من فوت المقاصد، وهو يختص بالمتراحمين المتنافسين في بلوغ غاية واحدة.

الخامس: الإغترز بأن يتقل عليه أن يترفع عليه بعض أقرانه.

السادس: التكبر على الناس لأن طبعه يميل إلى الترفع على بعض الناس فإذا أصابت النعمة ذلك البعض حسده.

السابع: التعجب بأن يكون المحسود في نظر الحاسد أقل شأناً منه، فإذا علا نجمه حسده وتعجب من فوزه كحسد الأمم لانيانهم.

وقد تجتمع كل هذه الأسباب أو أكثرها في شخص واحد، فيعظم لذلك حسده ويمكن إرجاع بعض هذه الأسباب وتداخلها مع بعضها فيكون أهمها ثلاثة:

الأول: بغض المحسود فيأسى عليه الحاسد بفضيلة تظهر أو منقبة تشكر، فيثير حسداً قد خامر بغضاً، وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرها، لأنه ليس يبغض كل الناس.

الثاني: أن تتجدد له نعمة أو يوفق لعمل يكسبه حمداً يتسوق به على الأقران، فيثير ذلك حسد الحاسدين، ولولا ما تجدد له لم يصبه الحسد، وهذا أخص مما سبق إذ لا يكون إلا فيما بين الأقران.

الثالث: وهو أخبثها أن يكون الحاسد بخيلاً بما في يديه، بل يشح حتى بالفضائل والنعم التي أنعم الله بها على عباده، فهو ساخط على الله تعالى وعدو نعمه، وهذا أشد أنواع البخل وأخبث أنواع الحسد، لأن البخيل يمنعك ما في

يده وأما هذا فيريد منعك ما في يد الله تعالى. وفي هذا النمط ورد قوله ﷺ: (إن لنعم الله أعداءً فقيل: ومن هم؟ قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله).

فإن صادف الحاسد قدرة نزع إلى الشر والوقعة بالمحسود، وإن صادف عجزاً كان في حرب نفسية داخلية لا تهدأ ثورتها ولا تسكن حرارتها حتى يحل البوار بمحسوده، أو يبقى هو حرضاً أو يكون من الهالكين.

وإذا رجعنا نتصفح مواقف ابن الزبير العدائية السيئة مع بني هاشم عموماً وابن عباس خاصة، نجدته تلمص الدواعي الثلاث في حسده فهو يراهم تفوقاً عليه شرفاً في الجاهلية والإسلام، ولم ينل ما ناله إلا بهم، وهذا هو الداعي الأول من بواعث حسده، وسيأتي في بعض محاورات ابن عباس معه ما يشير إلى هذا. ثم هو يرى نعم الله سبحانه تتوالى عليهم كل حين فلم يخل بيتهم من رجال قصر عنهم شأوه، فلا يسهه أن يطاولهم في منكب أو موكب، وهذا هو الداعي الثاني من بواعث حسده أيضاً.

وثالثة الأثافي يراهم قد سبقوا بفضائلهم علماً وحنماً وكرماً وجوداً شأواً بعيداً يقصر عن بلوغ مداه بخله وجهله، فهو يريد الوقعة بهم حتى هم بإحراقهم، وهذا هو الثالث من أهم بواعث حسده أيضاً وأضرها عليه.

ولابد لنا من ذكر بعض الشواهد على تلك الدواعي تبيين منها ما لحق بابن عباس من أذاه لأنه المحسود الأول من بني هاشم.

#### الشاهد الأول:

رحم الله أبا تمام حيث يقول:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت      ما كان يعرف طيب عرف العود  
لولا التخوف للعواقب لم يزل      للحاسد النعمى على المحسود

قال مؤرِّج السدوسي المتوفى سنة ١٩٥ في كتابه حذف - أي قطع من طرفه - من نسب قريش نشرة صلاح الدين المنجد: «وكان منادٍ يتأدي بمكة: من يريد العلم واللحم فليأت منزل عبد الله بن عباس...»<sup>(١)</sup>.

ولقد روى ابن عبد البر في الاستيعاب<sup>(٢)</sup>، والبري التلمساني في الجوهرة<sup>(٣)</sup>، والخراطي في مكارم الأخلاق<sup>(٤)</sup>، وابن عساكر<sup>(٥)</sup>، وأبو الفرج في الأغانى<sup>(٦)</sup> وغيرهم. قالوا:

«إن عبد الله بن صفوان بن أمية - وهو من أخص أصحاب ابن الزبير - مرَّ يوماً بدار عبد الله بن عباس رضي الله عنه فرأى فيها جماعة من طالبي الفقه، ومرَّ بدار أخيه فرأى فيها جماعة يتناولونها للطعام، فدخل على ابن الزبير فغيره وقال له: أصبحت والله كما قال الشاعر:

فإن تصبك من الأيام قارعة      لم نيك منك على دنيا ولا دين<sup>(٧)</sup>

فتميز غيظاً وغضباً وقال: وما ذاك يا أعرج؟

(١) نسب قريش ٨/ نشرة صلاح الدين المنجد.

(٢) الاستيعاب ١/٣٧٣ ط حيدرآباد و٢/٣٤٧ بهامش الإصابة ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٨.

(٣) الجوهرة ٢/١٩.

(٤) مكارم الأخلاق ٥٨/ السلفية بمصر سنة ١٣٥٠.

(٥) انظر تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ٧/٢٠٢.

(٦) الأغانى ١٥/١٥١ - ١٥٢ ط دار الكتب المصرية.

(٧) البيت لذي الأصبغ العدواني وقصيدته مشهورة في المفضليات.

قال: هذان ابنا عباس عبد الله يفقه الناس، وعبيد الله أخوه يطعم الناس، فما أبقيا لك مكرمة.

فدعا صاحب شرطته عبد الله بن مطيع العدوي وقال له انطلق إلى ابني عباس فقل لهما: أعمدتما إلى راية ترابية<sup>(١)</sup> قد وضعها الله فنصبتهاها، بددا عني جمعكما، واخرجا عني ومن انضوى إليكما من ضلال أهل العراق، وإلا فعلتُ وفعلتُ. فجاء ابن مطيع فبلغ. فقال له عبد الله بن عباس: قل لابن الزبير يقول لك ابن عباس شكلك أملك، والله ما يأتينا من الناس غير رجلين: رجل يطلب فقهاً ورجل يطلب فضلاً فأَي هذين تمنع؟

وكان بالحضرة أبو الطفيل عامر بن واثلة الكتاني فجعل يقول:

لا در درُ الليالي كيف تضحكتنا	منها خطوبٌ أعاجيبٌ وتبكيننا
ومثل ما تحدث الأيام من غير	في ابن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيء ابن عباس فيسمعنا	فقطاً ويكسبنا أجراً ويهدينا
ولا يسزال عبيد الله مترعةً	جفاته مطعماً ضيفاً ومسكيننا
فالبر والدين والدنيا بدارهما	ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هو النور الذي كسطت	به عمايات ما ضينا وياقينا
ورمطه عصمة في ديننا ولهم	فضل علينا وحق واجب فينا
فقيم تمنعنا منهم وتمنعهم	عنا وتؤذيهم فينا وتؤذينا؟
ولست فاعلم بأولاهم به رجماً	يا بن الزبير ولا أولى به دينا
لن يؤتني الله إنساناً يبغضهم	في الدين عزاً ولا في الأرض تمكيننا»

(١) منسوبة إلى أبي تراب وهي كنية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومن أحب كناه إليه لأن النبي صلى الله عليه وآله كناه بها.

## الشاهد الثاني:

روى أبو الفرج في الأغاني بسنده عن العتبي، قال: ((قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير فأنزله دار الضيفان وكان يتزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان، فأقام يومه لم يطعم شيئاً حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بتيس هرم هزبل فقال: كلوا من هذا، وهم نيف وسبعون رجلاً، فغضب معن وخرج من عنده فأتى عبد الله بن العباس فقراه وحمله وكساه، ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه، وأقام عنده ثلاثاً حتى رحل، فقال يهجو ابن الزبير ويمدح ابن جعفر وابن عباس رضي الله عنهم:

ظللنا بمتن الرياح غدية	إلى أن تعالي اليوم في شرّ مخضر
لدى ابن الزبير حابسين بمنزل	من الخير والمعروف والرفد مقفر
رمانا أبو بكر وقد طال يومنا	بتيس من الشاه الحجازي أعفر
وقال اطعموا منه ونحن ثلاثة	وسبعون إنساناً فيا لؤم مخبر
فقلنا له لا تقرّباً فأماننا	جفان ابن عباس الملا وابن جعفر
وكن آمناً وارفق بتيسك فإته	له أعنزٌ ينزو عليها وأبشر <sup>(١)</sup>

ولمعن بن أوس حديث مكارم من ابن عباس أنعم عليه فمدحه فيها. فقد روى أبو الفرج بسنده عن عبد الله بن علي بن منجوف، قال: ((مرّ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بمعن بن أوس المزني وقد كفّ بصره فقال له يا معن كيف حالك؟ فقال له: ضعف بصري وكثر عيالي وغلبني الدين، قال: وكم

(١) الأغاني ١٥٧/١٠ ط السامسي.



دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه، ثم مرَّ به من الغد فقال له كيف أصبحت يا معن؟ فقال:

أخذت بعين المال لما نهكته      وبالدين حتى ما أكاد أدان  
وحتى سألت القرض عند ذوي الغنى      وردة فلان حاجتي وفلان

فقال له عبد الله: الله المستعان، إننا بعثنا إليك بالأمس لقمة فما لكتها حتى انتزعت من يدك، فأى شيء للأهل والقراية والجيران؟ وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى فقال معن يمدحه:

إنك فرع من قريش وإنما      تمج الندى منها البحور الفوارع<sup>(١)</sup>  
ثووا قادة للناس بطحاء مكة      لهم وسقايات الحجيج الدوافع  
فلما دعوا للموت لم تبك منهم      على حادث الدهر العميون الدوامع<sup>(٢)</sup>

#### الشاهد الثالث:

روى المقرئ في كتابه المقفى عن ابن جريج - وهو عبد الملك قاضي مكة - قال: ((قال لي ابن أبي مليكة - وهو عبد الله بن عبيد الله قاضي ابن الزبير ومؤذنه - جاء ابن الزبير مال أول ما جاءه، فانطلق ابن عباس إليه، وهو في قيقعان - جبل بمكة - فقال: انك قد دعوت الناس إلى ما قد علمت، وقد جاءك مال وبالناس حاجة، فقال ابن الزبير: وما أنت وهذا؟ إنك أعمى، أعمى الله قلبك. فقال ابن عباس: بل أعمى الله قلبك.

(١) قوله: إنك فرع... الخ هو مخروم وروى وانك بالواو فلا حرم والفرع مستعار من فروع الشجرة وهي أغصانها، والفوارع جمع فارع وهو العالي... ١ هـ من خزنة الأدب.

(٢) الأثاني ١٠/١٥٧ ط الساسي.

فقال ابن الزبير: والله ما أنت بفقير.  
قال ابن عباس: والله لأننا أوقفه منك ومن أهلك.  
فلما خرج قال لقائده: من عنده؟ قال: ابنته وامراته.  
قال: فهلاً أخبرتني؟ فوالله لو علمت ما أسمعتها شتمه.  
قال - ابن أبي مليكة - ثم أرسل إليه ابن الزبير أبا قيس الزرقى بأننا لسنا أول  
ابني عم استبأ، فاكفف عني وأكف عنك.  
قال ابن عباس: إن كَفَّ كَفَفْتُ، وإن أذاع أذعت...»<sup>(١)</sup>.

ويدو أن ابن الزبير لم يكفَّ أذاه عن ابن عباس بل وعن سائر بني هاشم، بل  
كان يتناول لتصبه فينال حتى من مقام الرسول ﷺ بما لا يليق بأي مسلم أن ينال ذلك.  
وقد مرت بنا كلمة ابن الزبير: (إني لأكتم بفضلكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة)  
﴿وَالَّذِي خَبْتُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾<sup>(٢)</sup> لذلك كان ابن عباس يرد عليه.

وفي الشاهد التالي ما يدلنا على مدى التزام ابن عباس بالكفِّ عن ابن  
الزبير ما وسعه ذلك، إلا أن ابن الزبير كان يثير الفتنة ويستثير ابن عباس، فيجيبه  
بما يسمه على الخرطوم حتى أمام أهله وصحبه، فلنقرأ:

#### الشاهد الرابع:

ذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج<sup>(٣)</sup>، وابن حجة الحموي في ثمرات  
الأوراق<sup>(٤)</sup>، والسيد علي خان المدني في الدرجات الرفيعة فقال: ((وروي ان عبد

(١) المقضى الكبير ٥٠٤/٤ ط دار الفريد الإسلامي.

(٢) الأصراف / ٥٨.

(٣) شرح النهج ٥٠١/٢ ط مصر الأولى.

(٤) ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ١٣٥/١.

الله بن الزبير تزوج امرأة من فزارة يقال لها أم عمرو بنت منظور فلما دخل بها وخلا بها قال لها: أتدريين من معك في حجلك؟ قالت: نعم عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد، قال: ليس هذا أردت، قالت: فأي شيء تريد؟ فقال: معك في حجلك من أصبح الغداة في قريش بمنزلة الرأس في الجسد، لا بل العينين من الرأس. فقالت: أما والله لو أن بعض الهاشميين حضرك لكان خليقاً أن لا يقر لك بذلك.

فقال لها: إن الطعام والشراب عليّ حرام حتى أحضرك الهاشميين وغيرهم ممن لا يستطيع لذلك انكاراً.

قالت: إن أعطتني فلا تفعل، وأنت أعلم بشأنك.

فخرج ابن الزبير إلى المسجد فإذا بطلقة فيها جماعة من قريش، وفيها من بني هاشم عبد الله بن عباس وعبد الله بن نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب، فقال لهم: أحبباً ان تنطلقوا معي إلى منزلي في حاجة عرضت، فقام القوم بأجمعهم حتى قاموا على باب منزله، فقال ابن الزبير: يا هذه اطرحي عليك سترك، وأذني للقوم يدخلوا، ففعلت، فلما أخذوا مجلسهم دعا ابن الزبير بالمائدة، فأكل القوم جميعاً، فلما فرغوا من الغداء، قال لهم: إنما جمعتكم لحديث أوردته على صاحبة هذا الستر، فزعمت أن لو كان بعض الهاشميين حضرنى ما أقرّ لي به، وقد حضرتم أيها الملاء جميعاً، وأنت يا بن عباس ما تقول؟ أخبرتني أن معها في خدرها من أصبح الغداة في قريش بمنزلة الرأس من الجسد، لا بل العينين من الرأس، فردت عليّ ما قلت.

فقال له ابن عباس: أراك قصدت قصدي، فإن شئت أن أقول قلت، وإن شئت أن أكف كفت؟

فقال ابن الزبير: لا بل قل، وما عسيت أن تقول، ألسنت تعلم أن أبي حوارى رسول الله ﷺ، وأن أمي أسماء بنت صديق رسول الله ﷺ، وأن خديجة سيدة نساء رسول الله ﷺ، وأن عمتي، وأن صغية عمه رسول الله ﷺ جدتي، وأن عائشة أم المؤمنين خالتي، فهل تستطيع لهذا اتكاراً يا ابن عباس؟ فإن قدرت أن تتكر ذلك فافعل.

فقال ابن عباس: لقد ذكرت شرفاً شريفاً، وفخراً فاخراً، غير أنك بنا نلت هذا كله، وأدركت سنامه وعلوه، فأنت تفاخر من يفخره فخرت، وتسامي من يفضله سموت.

فقال ابن الزبير: هلم أنافرك قبل أن يبعث محمد ﷺ.

فقال ابن عباس: قد أنصف القارة من رامها، أسألکم يا معشر الحضور أعبد المطلب كان أضخم في قريش أم خويلد؟ فقالوا: اللهم بل عبد المطلب.

فقال: أسألکم بالله أهاشم كان أضخم في قريش أم أسد؟

فقالوا: اللهم بل هاشم.

فقال: أسألکم بالله أعبد مناف كان أضخم في قريش أم عبد العزی؟

قالوا: اللهم بل عبد مناف.

فأنشأ ابن عباس يقول:

تتافرنى يا بن الزبير وقد قضى عليك رسول الله لا قول هازل

فلو غيرنا يا بن الزبير فخرتنا ولكنما فاخرت شمس الأصائل

قضى عليك رسول الله ﷺ بقوله: ما افتقرت فرقتان إلا كنت في خيرهما، فقد فارقتنا من لدن قصي بن كلاب فنحن في فرقة الخير، فإن قلت: لا، كفرت، وإن قلت: نعم، قهرت، فضحك بعض القوم.

فقال ابن الزبير: أما والله يا بن عباس لولا تحرمك بطعامنا وكراهة الإخساس بالذين معك لأعرت جبينك قبل أن تقوم من مجلسك هذا.

فقال ابن عباس: ولم؟ أفيالباطل، فبالباطل لا يغلب الحق، أم بالحق فالحق لا يخس بالذين معي، ولا يعنيه علي ولا عليك من معي.

فقالت المرأة من خلف الستر: أما والله لقد نهيتك يا بن عباس عن هذا المجلس فأبى إلا ما ترى.

فقال ابن عباس: أيتها المرأة اقنعي ببعلك، فما أعظم الخطر وأكرم الخير. ثم أخذ القوم بيد ابن عباس عليه السلام وقالوا: انهض أيها الرجل لقد فضحتك في منزله غير مرة. فنهض ابن عباس عليه السلام وهو يقول شعراً:

ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا      فلو ترك القطا ليلاً لنا

فقال ابن الزبير: يا صاحب القطا ارجع واقبل علي، أما والله ما كنت لتدعني حتى أقول، وأيم الله لقد عرف القوم أنني سابق غير مسبوق، وإبي حوارى وصديق، يتبجح في الشرف الأنيق غير طليق ولا ابن طليق.

فقال ابن عباس: هذا الكلام مردود من امرئ حصور فإن كنت سابقاً فبمن سبقت؟ وإن كنت فآخرأ فبمن فخرت؟ فإن كنت أدركت هذا الفخر بأسرتك دون أسرتنا فالفخر لك علينا، وإن كنت أدركته بأسرتنا فالفخر لي عليك، والكثكث في فمك ويديك.

وأما ما ذكرت من الطليق، فوالله لقد ابتلي فصير، وأنعم عليه فشكر، وإن كان لوقيتاً كريماً غير ناقض ببيعة بعد توكيدها، ولا مسلم كتيبة بعد التأمر عليها، ولا بفرار جبان.

فقال: أتعبير الزبير بالجبن، والله انك لتعلم منه خلاف تلك.

فقال ابن عباس: والله إنني لا أعلم إلا أنه قد فرّ وما كره، وحارب فما قرء، ويبيع فما برّ، وأنكر الفضل، ورام ما ليس له بأهل. وأنشأ ابن عباس رضي الله عنه يقول:  
وما كان إلا كالهجين أمامه      عناق فجاراه العناق فأجهدا  
فأدرك منها بعض ما كان يرتجي      وقصر عن جري الكرام مبلدا

فقال عبد الله بن نوفل بن الحرث: ويلك يا بن الزبير أقمناه عنك فتأبى إلا منازعته، فوالله لو نازعته من ساعتك هذه إلى انقضاء عمرك ما كنت إلا كالمزداد من الريح، فقل إن شئت أو فدع.

فقال ابن الزبير: والله يا بني هاشم ما بقي إلا المحاربة والمضاربة بالسيف.  
فقال عبد الله بن نوفل بن الحرث: أما والله لقد جرّبت ذلك فوجدت عتي وخيماً، فإن شئت فعد حتى نعود.

وانصرف القوم واقتضح ابن الزبير<sup>(١)</sup>.

الشاهد الخامس:

قال ابن أبي الحديد بعد ما سبق ذكره من مكاشفة ابن الزبير لبني هاشم بالعداوة وناصره على ذلك محمد بن سعد بن أبي وقاص، وأنكر عليه عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي قال:

(١) الدرجات الرفيعة / ١٣٢ ط الحيدرية.

((بلغ الخبر عبد الله بن العباس، فخرج مغضباً ومعه ابنه حتى أتى المسجد فقصد قصد المنبر، فحمد الله وأتى عليه، وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله ﷺ ولا آخر فيا عجباً كل العجب لافترائه ولكذبها والله إن أول من أخذ الإيلاف وحى عيران قريش لهاشم وإن أول من سقى بمكة عذبا وجعل باب الكعبة ذمياً كعبد المطلب.

والله لقد نشأت ناشتتا مع ناشئة قريش وإن كنا لقاتلهم إذا قالوا، وخطباءهم إذا خطبوا، وما عتد مجده كمجد أولنا، ولا كان في قريش مجداً لغيرنا، لأنها في كفر ماحق، ودين فاسق، وضلالة، في عشواء عمياء، حتى اختار الله تعالى لها نوراً، وبعث لها سراجاً، فاتتجه طيياً من طيين، لا يسبه بمسبة، ولا يبغى غائلة فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا، ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا، ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحداً بعد واحد.

ثم إننا لخير الناس بعده وأكرمهم أدباً، وأشرفهم حساباً، وأقربهم منه رحماً. واعجباً كل العجب لابن الزبير! يعيب بني هاشم، وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم، أما والله إنّه لمصلوب قريش، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفة بنت عبد المطلب؟؟

قيل للبغل: من أبوك يا بغل؟ فقال: خالي الفرس. ثم نزل<sup>(١)</sup>.

وذكر المبرد في الكامل آخر الخطبة فقال: ((وقال عبد الله بن العباس في كلام يعجب به ابن الزبير: والله إنّه لمصلوب قريش<sup>(٢)</sup> ومتى كان عوام بن

(١) شرح النهج ٤/٤٨٩ ط مصر الأولى و٢٠/١٢٨ ط محققة.

(٢) ان هذه الكلمة سبق أن قالها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ابن الزبير كما مر ذكرها في مواقف ابن الزبير المدالية فلا شرابة لوقالها ابن عباس وهو قد سمعها من ابن عمه باب مدينة العلم وقد يستغريها من لا معرفة له بان الإمام كان عنده سبعون شهيداً من

عَوَامٍ يَطْمَعُ فِي صَفِيَّةِ بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ؟ مِنْ أَبُوكَ يَا بَغْلُ؟ فَقَالَ: خَالِي  
الْفَرَسِ»<sup>(١)</sup>

وأحسب وهماً وقع في (عوام بن عوام)، والصواب (العوام بن خويلد) كما  
مر في رواية ابن أبي الحديد.

الشاهد السادس:

روى المسعودي في مروج الذهب، فقال: ((حدثنا ابن عمّار عن عليّ بن  
محمد بن سليمان النوفلي قال: حدثني ابن عائشة والعتبي جميعاً عن أبيهما  
وألفاظهما متقاربة قالاً: خطب ابن الزبير فقال: ما بال أقوام يفتنون في المتعة  
ويستقصون حوارِيَّ الرسول وأم المؤمنين عائشة؟ ما بالهم أعمى الله قلوبهم كما  
أعمى أبصارهم، يعرض بابن عباس. فقال ابن عباس: يا غلام أصعدني صمده<sup>(٢)</sup>  
فقال: يا بن الزبير:

قد أنصف القارة من رامها      إنا إذا ما فئدة نلقاها

نرد أولاهها على أخراها

أما قولك في المتعة فسل أمك تخبرك، فإن أول متعة سطم مجمرها لمجمر  
سطم بين أمك وأبيك، - يريد متعة الحج - وأما قولك: أم المؤمنين فبنا سُميت أم  
المؤمنين، وبنا ضُرب عليها الحجاب، وأما قولك: حوارِيَّ رسول الله ﷺ، فقد  
لقيتُ أباك في الزحف وأنا مع إمام هدى، فإن يكن علي ما أقول فقد كفر بقتالنا،

النبوي ﷺ لم يعهدا إلى أحد غيره كما يقول ابن عباس، وكان ابن عباس عنده دقائق  
علم يفضيها عن غير أهلها وسيأتي المزيد في ذلك في الحلقة الثانية إن شاء الله تعالى.

(١) الكامل لابن الأثير ١٣٦/٢ ط مكتبة نهضة مصر.

(٢) أي الصمدني قصده ووجهني نحوه.



وإن يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنا، فانقطع ابن الزبير، ودخل على أمه أسماء فأخبرها فقالت: صدق)).

قال المسعودي: ((وفي هذا الخبر زيادات من ذكر البردة والعوسجة وقد أتينا على الخبر بتمامه... في كتابنا المترجم بكتاب (الاستبصار) وفي كتاب (الصفوة) وفي كتابنا المترجم بالكتاب (الواجب في الفروض اللوازم)...))<sup>(١)</sup>.

أقول: لقد أخرج الخبر مسلم بسنده عن ابن شهاب - وهو الزهري - قال: ((أخبرني عروة ابن الزبير أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة - يعرض برجل فناده فقال: إنك لجلفٌ جاف، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - يريد رسول الله ﷺ -

فقال ابن الزبير: فجرّب بنفسك، فوالله لئن فعلتها لأرجمك بأحجارك. قال ابن شهاب: فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله أنه بينا هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري مهلاً، قال ما هي والله لقد فعلت في عهد امام المتقين...))<sup>(٢)</sup>.

أقول: لقد ذكر مسلم هذا الخبر وكنتى عن اسم المفتي بالمتعة (رجل)، ولم يذكر بقية المسائل التي نقد فيها ابن الزبير ذلك الرجل، وقد علق شراح صحيحه وغيرهم على ذلك وأبأنوا أن المراد برجل هو ابن عباس حتى قال ابن الهمام الحنفى في شرح الفتح: ((ولا تردد عندنا في ان ابن عباس هو

(١) مروج الذهب ١٠٣/٢ ط مصطفى محمد و٨٩/٣ تح. محمد محي الدين عبد الحميد.

(٢) صحيح مسلم ١٣٣/٤ ط محمد علي صبيح.

الرجل المعرّض به، وكان قد كفّ بصره فلذا قال ابن الزبير كما أعمى أبصارهم<sup>(١)</sup>.

وقد روى الحادثة أيضاً النسائي وغيره من أصحاب الحديث والفقهاء وسيأتي مزيد بحث عن ذلك في الحلقة الثانية حيث احتجاجاته على ابن الزبير، وفي الحلقة الثالثة حيث تذكره فقهه وفتاواه الفقهية، وفي الحلقة الرابعة (ابن عباس في الميزان) مع ذكر بقية المصادر التاريخية والأدبية التي روت الخبر بصورة أوفى، وحسبنا الآن بهذا وكفى، أن نذكر آيات ايمن بن خريم في ذلك:

يا بن الزبير لقد لاقيت بائقة <sup>(٢)</sup>	من البوائق فالطف لطف محتال
لاقيته هاشمياً طاب منبته	في مغرسه كريم العم والخال
ما زال يفرح منك العظم مقتدراً	على الجواب بصوت مسمع عال
حتى رأيتك مثل الكلب منحجراً	خلف الفيض <sup>(٣)</sup> وكنت الباذخ العالي
إن ابن عباس المعروف حكمته	خير الأنام له حال من الحال
غيرته المتعة المتبوع سنتها	وبالقتال وقد عيّرت بالمال
لما رماك على رسل بأسهمه	جرت عليك كسوف الحال والبال
فاحتزّ مقولك الأعلى بشفرته	حزاً وحياً <sup>(٤)</sup> بلا قيل ولا قال
واعلم بأنك إن عاودت غيبته	عادت عليك مخازر ذات أذيال <sup>(٥)</sup>

(١) شرح الفتح ٢/٢٨٦.

(٢) البائقة: النازلة وهي الداهية والشر الشديد، وبأقت الداهية إذا نزلت والجمع بوائق.

(٣) الفيض: الرّحل يشد عليه الهودج.

(٤) الوحي: السريع.

(٥) شرح النهج للمعتزلي ٤/٤٩٠ ط دار الكتب العربية بمصر.

تصاعد حمى العداء عند ابن الزبير:

لقد تصاعدت حمى الخلاف والعداء بين ابن الزبير وبين بني هاشم حين لم يبايعه منهم أحد إلا عبيد الله بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر فقد بايعاه كما رواه البلاذري، ولم يتركهم ابن الزبير بمعزل عنه، إذ لم يقنعه أنهم لم يبايعوا عبد الملك بن مروان، وازداد حنقاً وغيظاً حين هتف المختار بالكوفة باسم محمّد بن الحنفية، فصار يصب جام غضبه على ابن عباس وعلى ابن الحنفية، لأنهما الرأسان المنظوران يومئذ.

وليس من شك في معرفة الناس بامتناعهما عن مبايعته وتلك المعرفة تفسد عليه ما يرومه من تولي خلافة المسلمين ليدعى بأمر المؤمنين، فصار يشتد عليهما، ويشهر بهما على المنبر بحضورهما وفي غيابهما، وكان نصيب ابن عباس أوفى، وقد مرّت بنا بعض الشواهد على ذلك، ولأنه عكفت عليه الناس يمتارون من علمه، فهو الوحيد الذي كان يرد الناس منه على وادٍ رحب في شتى فنون المعارف، وحتى الخوارج فقد كانوا يسألونه ويكاتبونه في معرفة الأحكام، وستأتي في الحلقة الثالثة مسائل نافع بن الأزرق الخارجي في غريب القرآن كما ستأتي أيضاً مكاتبات نجدة بن عويمر - عامر - الخارجي في معرفة أحكام الخمس وأطفال المشركين وسهم النساء والماليك في غنائم الحرب، ولما كان للخوارج قوة يخشاها ابن الزبير إذ كانوا معه في أيام يزيد بن معاوية ثم نبذوه لما رأوا حرصه على الإمارة، فهو يخشى أن يدعوه ابن عباس يوماً إلى الثورة عليه، كما كان يخشى من محمّد بن الحنفية أن تتسع دعوة المختار إلى إمامته فينهض لقتاله، وغاب عنه

أنهما أتقى لله منه، فلا يستحلان حرمة البلد الحرام والبيت الحرام، وتحت وطأة ذلك الهاجس صار يتحسّن من التغاف الناس حولهما ويتوجّس منهما خيفة، فيزداد في تنمّره كلما بلغه التقاء بعض عناصر المعارضة معهما حيث كان يتجسّس عليهما، وما حديث ابن أبي مليكة في صحيح البخاري مع ابن عباس إلا بعض ذلك التجسس والتوجّس، وللهذهي رأي في ذلك المنع مقارباً مع ما قلناه قال: ولأبي الطفيل الكتاني حين منع ابن الزبير عبد الله بن عباس من الاجتماع بالناس كان يخافه.

وإنما أخّر الناس عن بيعة ابن عباس - أن لو شاء الخلافة - ذهاب بصره<sup>(١)</sup>.

ثمّ ذكر أبيات أبي الطفيل وقد ذكرناها في الشاهد الأوّل.

فهذا الهاجس والتوجّس أقضاً مضجع ابن الزبير، فاتخذ إجراءاته الصارمة ضدّ ابن عباس وابن الحنفية وبنّي هاشم بوحشية وعنّف، ممّا ذكر المؤرخون بعض جوانبه، ولم تخف على أحد، ومع ذلك نجد البخاري في صحيحه قد ذكر أربعة أخبار ثلاثة منها برواية ابن أبي مليكة تتعلق بابن عباس وابن الزبير ومساعيه المشبوهة في ذلك فلنقرأ:

ماذا عند البخاري؟

لقد عودنا البخاري على إيراد بعض الأحاديث في أبواب تغاير عناوينها فلا تمت لها بصلة أو تمت على نحو ضعيف، كالخيوط الشمسية أو نسج العنكبوت. ولست بصدد بيانها وما لا يستساغ معها إيرادها في أبواب لا تشملها، لكنني في المقام أرى لزاماً عليّ ذكر ما أخرجه البخاري في صحيحه (كتاب التفسير باب

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٥ ط دار الفكر بيروت.

(١٢٥) في تفسير قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمُزُنْ إِنَّا لِلَّهِ مَعْتَصِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وشرح فتح الباري لابن حجر<sup>(٢)</sup>، وشرح إرشاد الساري للقسطلاني<sup>(٣)</sup>، فقد روى في هذا الباب أربعة أحاديث<sup>(٤)</sup>، ثلاث منها هي على الصحيح أخبار وليست بأحاديث لأنها ليست مرفوعة نسوقها إلى القاريء كما هي قال:

١- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حبان حدثنا همام حدثنا ثابت حدثنا أنس قال: حدثني أبو بكر<sup>رضي الله عنه</sup> قال: كنت مع النبي<sup>صلى الله عليه وسلم</sup> في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

٢- حدثنا عبد الله بن محمد<sup>(٥)</sup> حدثنا ابن عينة عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس<sup>رضي الله عنهما</sup> أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير، قلت أبوه الزبير وأمه أسماء وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفية. فقلت لسفيان إسناداه؟ فقال: حدثنا، فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج<sup>(٦)</sup>.

(١) التوبة / ٤٠.

(٢) فتح الباري ٣٩٥/٩ - ٣٩٩ ط مصطفى محمد وأولاده بمصر سنة ١٣٧٨ هـ.

(٣) إرشاد الساري ١٤٩/٧ - ١٥٠ ط أفست دار الكتاب العربي بيروت.

(٤) صحيح البخاري (كتاب التفسير ٥٨ باب ١٢٥) ٦٧. ٦٦/٦ ط بولاق.

(٥) كان يحيى بن معين سميء الراي فيه هدى الساري ١٨١/٢.

(٦) لقد روى خبر ابن أبي مليكة مسلم في صحيحه كما في هدى الساري لابن حجر ٧٠/٢ ط مصطفى البوابي الحلبي والمقرئ في كتابه المقفى (٤/٤٠٤ - ٤٠٥ ط دار الضرب الإسلامي) كما رواه غيره وجميعهم عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة. ولم يحدث بذلك غيره وكأنه لم يسمعه غيره من ابن عباس إذ لم يحضره من أولاده ومواليه وولديه أحد ؟ وكأنه كان معه في خلوة خاصة بابن أبي مليكة فهل يعقل ذلك ؟ إن هذا إلا اختلاق.

٣- حدثني عبد الله بن محمد قال حدثني يحيى بن معين حدثنا حجاج<sup>(١)</sup> قال ابن جريج قال ابن أبي مليكة: وكان بينهما شيء فغدوت على ابن عباس فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل حرم الله؟ فقال: معاذ الله، إن الله كتب ابن الزبير وني أمية من المحلّين، وإنّي والله لا أحله أبداً. قال: قال الناس بايع لابن الزبير فقلت: وأين بهذا الأمر عنه؟ أمّا أبوه فحواري النبي ﷺ يريد الزبير، وأمّا جده فصاحب الغار يريد أبا بكر، وأمّه فذات النطاق يريد أسماء، وأمّا خالته فأُم المؤمنين يريد عائشة، وأمّا عمته فزوج النبي ﷺ يريد خديجة، وأمّا عمّة النبي ﷺ فجدته يريد صفية، ثمّ عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن، والله إن وصلوني وصلوني من قريب، وإن رتبوني رتبني أكفأ كرام، فأثر التوثيات والأسمات والحميدات - يريد أبناً من بني أسد بني تويت وني أسامة وني أسد - إن ابن أبي العاص برز يمشي القدميه - يعني عبد الملك بن مروان - وإنه لوى ذنبه - يعني ابن الزبير -

٤- حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون<sup>(٢)</sup> حدثنا عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد قال أخبرني ابن أبي مليكة دخلنا على ابن عباس فقال: ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا فقلت: لأحاسين نفسي له ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر، ولهما كانا أولى بكل خير منه. وقلت: ابن عمّة النبي ﷺ، وابن الزبير وابن أبي

(١) ذكره ابن حجر في هدى الساري ١٥٧/٢ ضمن الذين تكلموا فيهم بجرح من رجال البخاري وقال، ذكره أبو العرب الصقلي في الضعفاء بسبب أنه تغير في آخر عمره واختلط لكن ما ضره الاختلاط فان إبراهيم الحربي حكى أن يحيى معين منع ابنه أن يدخل عليه بعد اختلاطه أحداً.

(٢) من شيوخ أحمد بن حنبل قال، أنه كان صدوقاً ولكن يعلى أخوه اثبت منه وقال في رواية أخرى: كان يخطئ ويصيب. وهذا على ما يختار أحمد يكون ساقط الحديث... (هدى الساري ٢ / ٢٠٩).

بكر وابن اخي خديجة وابن اخت عائشة، فإذا هو يتعلّى عني ولا يريد ذلك فقلت: ما كنت أظن أنني أعرض هذا من نفسي فبدعه، وما أراه يريد خيراً، وإن كان لا بدّ لأن يُرثني بنو عمي أحبّ إليّ من أن يُرثني غيرهم.

وحيث انتهينا من إيراد ما رواه البخاري فيما يتعلق بابن عباس مع ابن الزبير، لا بدّ وأن أدرك القارئ معنى ما سبق أن قلته من أنّ البخاري يورد أحاديث ليس بينها وبين عنوان الباب صلة أو بصلة ضعيفة، وفي المقام فجميع ما أورده ليس فيه شيء من تفسير الآية الكريمة التي جعلها عنواناً للباب، ومع غرض النظر عن هذا، فليس فيها ما يمكن حمله ولو على بُعدٍ على آية الغار سوى الأوّل منها، أمّا الثلاثة التالية فهي أجنبية - بتمام معنى الكلمة - عن تفسير الآية الكريمة. ولو تنزلنا عن ذلك أيضاً فليس فيها ذكر للغار إلا في ثانيهما في وصف أبي بكر، وأين هذا من تفسير الآية الكريمة؟ ويبدو لي أنّ البخاري إنّما عقد الباب باسم الآية الكريمة إيهاماً للقارئ واستدراجاً له، والحال إنّما حشر أخباراً مكذوبة على ابن عباس - على أسوء تقدير - أو مزيد فيها على أحسن تقدير، لأنّ راوي الأخبار الثلاثة هو ابن أبي مليكة، وهو متهمٌ في روايته في هذا المقام، لأنّه كان مؤذناً لابن الزبير وقاضياً عنده، وخبره بأسانيد البخاري إنّما هي بمثابة انتزاع شهادة من ابن عباس بحق ابن الزبير وأهليته للخلافة، وجعل من مؤهلاته أنّ أبا بكر صاحب الغار جدّه، وما أدري كيف استساغ البخاري إيراد الخبر بأسانيد فحمله ثلاثة أخبار، مع أنّها تستظهر البطلان سنداً كما تستبطن الكذب متناً. وحسبنا ما ذكر في أولهما من مطالبة الراوي عن ابن عيينة له بالاسناد، ولا عجب فإنّ ابن عيينة كان

من المدلسين<sup>(١)</sup> وقد اختلط في سنة ١٩٧ بشهادة القطان وقال: اشهدوا ان سفيان بن عيينة اختلط سنة ١٩٧ فمن سمع منه في هذه السنة وبعدها فسماعه لا شيء<sup>(٢)</sup> فما يدرينا أن يكون الخبر سُمع منه في فترة الاختلاط؟

وأما استبطانها الكذب فإن جميع ما رواه لابن أبي مليكة على لسان ابن عباس من المؤهلات فقد كانت موجودة فيه وفي محمد بن الحنفية بصورة أتم وأكمل وأعلى وأجل، فلماذا لم يدع الناس إلى نفسه أو إلى ابن عمه محمد بن الحنفية؟ ما دامت المؤهلات لدى ابن الزبير هي شرف الانتساب إلى النبي ﷺ عن طريق الرجال والنساء بينما كان ابن عباس ومحمد بن الحنفية أقرب قرابي وأشد لصوقاً بالنبي ﷺ لأنهم من آله الذين حرمت عليهم الصدقة، ومن أهله الذين وجبت على الناس مودتهم، وهما في غنى عن نسبة الرجال والنساء المذكورين في خبر ابن أبي مليكة. وقد مرّت بنا شواهد قال فيها ابن عباس لابن الزبير أقوالاً تكذب خبر ابن أبي مليكة، فقد تافره مرة أمام أهله وقد مر ذكر المنافرة في الشاهد الرابع، وكذلك ما مرّ في بقية الشواهد وابن عباس في جميعها يقدح في ابن الزبير ويجرّده من كل شرف وفضيلة، إلا شرف وفضيلة خولتهم لأبيه الزبير، وقد سخر منه حين ضرب فيه المثل: قيل للبقل من أبوك فقال: خالي الفرس.

فكيف يمكن تصديق ابن أبي مليكة في زعمه أنه سمع ابن عباس قال في ابن الزبير تلك المؤهلات؟ ونحن نعلم يقيناً رأي ابن عباس في مسألة

(١) انظر طبقات المدلسين. وهي قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم الكعبي ٢/٢٩٨ ذكر الكرابيسي أنه مدلس وفي الهامش حكى قول الذهبي فيه؛ أنه كان مشهوراً بالتدليس عمد إلى احاديث رفعت إليه من حديث الزهري فيحذف اسم من حديثه ويُدلسها، إلا أنه لا يدلس إلا عن ثقة.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر ٤/ ١٢٠ ترجمة سفيان بن عيينة.



الخلافة، وأنها بالنص، وليست بالمؤهلات الواهية التي ساقها ابن أبي مليكة. وذلك معلوم وثابت عنه منذ عهد عمر، وقد مرّت بنا في الجزء الثاني بعض المحاورات بينه وبين عمر حول الخلافة، حيث كان ابن عباس يرى النص وعمر يرى الاختيار فراجع. وإذا أردنا أن لا نجشّم القارئ معاناة الرجوع إلى الجزء الثاني، فنستخلص له الطريق ونبقى في المقام، ونطلب منه إعادة قراءة صدر الخبر الثاني من اخبار ابن أبي مليكة، وهو الثالث من أخبار البخاري، فسيجد ابن عباس بمصنف ابن الزبير وبني أمية من المحلّين لحرمة البيت الحرام، فكيف يكون قارئ القرآن محلاً لحرمة البيت الحرام أو ليس ذلك من التناقض الذي لا يخفى على أحد؟

ثمّ ما بال ابن أبي مليكة لم يُحسن كذبته في حبيكه حتى افتضح بحقيقته، حين ذكر بزعمه وصف ابن عباس لابن الزبير بقوله: «عفيف في الإسلام قارئ للقرآن»، ثمّ أردف بلا فصل قوله: «(والله إن وصلوني وصلوني من قرب)». من هم هؤلاء الذين عناهم ابن عباس؟ والقارئ لا يجد الربط بين الوصف وما بعده، إذ لم يتقدم ذكرهم ليصح إرجاع الضمائر إليهم.

وهذا ما أريك شراح الصحيح، فذهبت بهم المذاهب مشرقين ومغربين فقال ابن حجر في فتح الباري: «وظاهر هذا أن مراد ابن عباس بالمدكورين بنو أسد وهط ابن الزبير، وكلام أبي مخنف الإخباري يدل على أنه أراد بني أمية... فالأول مجرد احتمال، والثاني من دون استدلال»<sup>(١)</sup>.

أمّا القسطلاني فهو أنه في المقام حيث قال بعد قوله: قارئ القرآن: «(زاد ابن أبي خيثمة في تاريخه هنا: وتركت بني عمي بني أمية (والله إن وصلوني

(١) فتح الباري ٢٤٧/٨ ط دار المعرفة بيروت.

وصلوني من قريب))، ثم ذكر القريبى النسبية المنافية نسبتهم إلى عبد مناف، ثم قال: ((وهذا شكر من ابن عباس لبني أمية وعتب على ابن الزبير))<sup>(١)</sup>.

وهكذا بقي بقية شراح البخاري في دوامة لتوجيه ما رواه لهم البخاري بأسانيد من ابن أبي مليكة، وكأنهم جميعاً جننوا أو لم يمر بيالهم أن يقولوا ولو لمرة واحدة كلمة حقّ واحدة، فإما أن يدينوا ابن عباس لأنه لم يبايع لابن الزبير مع ما رواه عنه ابن أبي مليكة من دعوته الناس إلى مبايعة ابن الزبير، أو يدينوا ابن أبي مليكة لأنه روى لهم ما هو كذب ومتناقض، ولكنهم أتى لهم التناوش لا من قريب ولا من بعيد، بل أحسبهم جميعاً على خلاف أهل الكهف رقاد وهم أيقاظ، ولكنهم إنما عرضوا رعاية لمقام الصحبة، وحفاظاً على مقامات الصحابة سواء المصلح منهم والمفسد وبالتالي حفاظاً على كتاب البخاري الذي هو عندهم أصح كتاب بعد كتاب الله؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فبعد هذا كله كيف نصدق ابن أبي مليكة على ابن عباس الذي لم يكن يرى لابن الزبير أيّ أهلية للحكم بل لا يرى له فضلاً، ثم هو يقسم أنه سيحاسب له نفسه كما حاسبها لأبي بكر وعمر و(؟) إن هذا إلا اختلاق، وقد مرّ بنا بعض حديث عطية العوفي في مواقف ابن الزبير العدائية، وسيأتي بشماته، وهو يدفع صدق خبر ابن أبي مليكة، مضافاً إلى ذلك ما رواه ابن سعد في الطبقات<sup>(٢)</sup> عن سليم أبي عامر قال: فرأيت محمد بن الحنفية محبوساً في زمزم والناس يمنعون من الدخول عليه، فقلت والله لأدخلنّ عليه فدخلت فقلت: ما بالك وهذا الرجل؟ فقال: دعاني إلى البيعة فقلت: إنما أنا من المسلمين فإذا اجتمعوا عليك فانا

(١) إرشاد الساري ١٥٠/٧.

(٢) الطبقات الكبرى (ترجمة محمد بن الحنفية) ٧٤/٥ ط لندن.

كأحدهم، فلم يرض بهذا مني، فاذهب إلى ابن عباس فأقرته مني السلام وقل: يقول لك ابن عمك ما ترى.

قال سليم: فدخلت على ابن عباس وهو ذاهب البصر، فقال: من أنت؟ فقلت: أنصاري، فقال: رب أنصاري هو أشد علينا من عدونا، فقلت: لا تخف أنا ممن لك كله، قال: هات فأخبرته بقول ابن الحنفية، فقال: قل له لا تطعه ولا نعمة عين إلا ما قلت لا تزده عليه، فرجعت إلى ابن الحنفية فأبلغته ما قال ابن عباس، فهم ابن الحنفية أن يقدم إلى الكوفة.

وأخال أن ما رواه البلاذري من كلام ابن عباس مع ابن الزبير في إخراجهم محمّد بن الحنفية ومن معه من مكة كان بعد حبسهم الأول في قبة زمزم وان ذكره البلاذري في تسييرهم إلى الطائف. ولتقرأ عن موقف ابن عباس مع ابن الزبير في حبسه لبني هاشم:

حبس ابن الزبير لبني هاشم:

قال ابن خلدون في تاريخه: «وقيل أنّ ابن الزبير بعث إلى ابن عباس وابن الحنفية في البيعة (فأبيا وقالاً)<sup>(١)</sup> حتى يجتمع الناس على إمام، فإن هذه فتنة، فحبس ابن الحنفية في زمزم، وضيق على ابن عباس في منزله، وأراد احراقهما، فأرسل المختار جيشه كما تقدم ونفس عنهما، ولما قتل المختار قوي ابن الزبير عليهما، فخرجا إلى الطائف...»<sup>(٢)</sup>.

وهذا من ابن خلدون نحو اقتضاب سار عليه غيره من المؤرخين أيضاً، ولا حاجة بنا إلى مزيد من البحث فيه، بعد أن عرفنا أنّ ابن الزبير حبس محمداً في

(١) سقط في المطبوعة يقتضيه المقام ويدل عليه ما في رواية ابن سعد التالية له.

(٢) تاريخ ابن خلدون ٦٤/٣ - ٦٥، ط دار الكتاب اللبناني.

قبة زمزم، أما ابن عباس فقد ضيق عليه في منزله، وهذا هو الحبس الأول وكان في سنة ٦٤.

أما الحبس الثاني فكان سنة ٦٧ وكان ابن عباس في جملة المحبوسين من بني هاشم، فقال ابن أبي الحديد: «جمع عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلاً من بني هاشم منهم الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وحصرهم في شعب بمكة يعرف بشعب عارم وقال: لا تمضي الجمعة حتى تبايعوا إلي أو أضرب أعناقكم وأحرقكم بالنار، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار، فالتزمه ابن مسور بن مخزوم الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بفسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبس وتحنط، لا يشك في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف، فلما نزلوا ذات عرق، تعجل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة، ينادون يا محمد يا محمد ا وقد شهروا السلاح حتى وافوا شعب عارم فاستخلصوا محمد بن الحنفية ومن كان معه، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن ينادي: من كان يرى أن الله عليه حقاً فليشم سيفه، فلا حاجة لي بأمر الناس، إن أعطيتها عفواً قبلتها، وإن كرهوا لم نبتهم أمرهم.

وفي شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن:

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من منى	من الناس يعلم أنه غير ظالم
سني النبي المصطفى وابن عمه	وحمال أثقال وفكّاك غارم
تخبر من لا قيت أنك عائداً	بل العائد المحبوس في سجن عارم <sup>(١)</sup>

(١) شرح النهج ١٣٣/٢٠ تح محمد أبو الفضل إبراهيم.

وروى ابن سعد بسنده عن عطية العوفي قال: «لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، ارْتَحَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ بِأَوْلَادِهِمَا وَنَسَائِهِمَا حَتَّى نَزَلُوا مَكَّةَ، فَبِعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهِمَا تَبَايَعَانَ فَأَيُّمَا وَقَالَا: أَنْتَ وَشَأْنُكَ لَا نَعْرُضُ لَكَ وَلَا لِفَيْرِكَ، فَأَبَى وَأَلْحَ عَلَيْهِمَا إِلْحَاحاً شَدِيداً وَقَالَ لَهُمَا فِيمَا يَقُولُ: وَاللَّهِ لِنُبَايَعَنَّ أَوْ لَأَحْرَقَنَّكُمَا بِالنَّارِ، فَبِعَثَ أَبُو الطَّفِيلِ عَامِرُ بْنُ وَائِلَةَ إِلَى شَيْعَتِهِمْ بِالْكُوفَةِ وَقَالَا: إِنَّا لَا نَأْمَنُ هَذَا الرَّجُلَ، فَمَشُوا فِي النَّاسِ، فَاتْتَدَبَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَحَمَلُوا السَّلَاحَ حَتَّى دَخَلُوا مَكَّةَ فَكَبَّرُوا تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ مَكَّةَ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ فِي الْمَسْجِدِ فَانْطَلَقَ هَارِباً حَتَّى دَخَلَ دَارَ النَّدْوَةِ، وَيُقَالُ: تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَقَالَ: أَنَا عَائِدُ اللَّهِ.

قال: ثمّ ملنا إلى ابن عباس وابن الحنفية وأصحابهما وهم في دور قريب من المسجد قد جمع الحطب فأحاط بهم حتى بلغ رؤوس الجدر، لو أنّ ناراً تقع فيه ما روي منهم أحد حتى تقوم الساعة، فأخبرناه عن الأبواب، وقلنا لابن عباس: ذرنا نريح الناس منه، فقال: لا هذا بلد حرام، حرّمه الله ما أحطه لأحد إلاّ للنبي ﷺ ساعة، فأمعنونا وأجبرونا، قال: فتحملوا وإنّ منادياً ينادي في الجبل: ما غنمت سرية بعد نبئها ما غنمت هذه السرية، وإنّ السرايا تغنم الذهب والفضة، وإنّما غنمتم دماءنا، فخرجوا بهم حتى أنزلوهم منى فأقاموا ما شاء الله، ثمّ خرجوا بهم إلى الطائف»<sup>(١)</sup>.

وعندي هذا الإخراج هو الثاني، وفيه كان كلام ابن عباس مع ابن الزبير فيما أرى، فقد روى البلاذري في الأنساب: «قالوا: ولَمَّا أُخْرِجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ عَنْ مَكَّةَ أَغْلَظَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ لَهُ: أَمْ تَخْرُجُ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنْ حَرَمِ اللَّهِ وَهُمْ أَحَقُّ بِكَ مِنْكَ؟ فَقَالَ: وَأَنْتَ أَيْضاً فَالْحَقُّ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى (ترجمة ابن عباس) ١٨٧/ تحملي.

(٢) أنساب الأشراف (ترجمة ابن عباس) برقم ١٢٢.

وقال ابن الأثير في تاريخه: «فلما استولى المختار على الكوفة وصارت الشيعة تدعو لابن الحنفية خاف ابن الزبير أن يتداعى الناس إلى الرضاه، فألح عليه وعلى أصحابه في البيعة له، فحبسهم بزمزم وتوعدهم بالقتل والاحراق وإعطاء الله عهداً إن لم يبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار يعلمه حالهم، فكتب إلى المختار بذلك وطلب منه النجدة، فقرأ المختار الكتاب على الناس وقال: إن هذا مهديكم وصريخ أهل بيت نبيكم، قد تركوه ومن معه محصوراً عليهم، كما يحصر على الغنم، ينتظرون القتل والتحريق في الليل والنهار، لست أبا اسحق إن لم أنصبرهم نصراً مؤزراً، وإن لم أسرب الخيل في إثر الخيل كالسيل يتلوه السيل: حتى يحل بابن الكاهلية الويل - يعني ابن الزبير وذلك إن أم خويلد أبي العوام زهرة بنت عمرو من بني كاهل بن اسد بن خزيمة - فبكى الناس، وقالوا سرحنا إليه وعجل، فوجه أبا عبد الله الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوة، ووجه ظيان بن عمارة أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وبعث معه لابن الحنفية أربعمائة ألف درهم، وسير أبا المعمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين، فوصل أبو عبد الله الجدلي إلى ذات عرق فأقام بها حتى أتاه عمير ويونس في ثمانين راكباً، فبلغوا مائة وخمسين رجلاً فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يا ثارات الحسين، حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعد ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد بقي من الأجل يومان، فكسروا الباب ودخلوا على ابن الحنفية فقالوا: خل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير، فقال لهم اني لا أستحل القتال في الحرم.

فقال ابن الزبير: واعجباً لهذه الخشية ينعون الحسين كأنني أنا قتله، والله لو قدرت على قتله لقتلتهم - وإنما قيل لهم خشية لأنهم دخلوا مكة وبأيديهم الخشب كراهة إشهار السيوف في الحرم، وقيل: لأنهم أخذوا الحطب الذي أعدّه ابن الزبير -

وقال ابن الزبير: أتحبسون أنني أخطي سيئهم دون أن يبأح ويباعون؟ فقال الجدلي: أي ورب الركن والمقام لتخطين سيئله أو لتجاذبتك بأسياقتنا جدالاً لا يرتاب منه المبطلون، فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة، ثم قدم باقي الجند ومعهم المال حتى دخلوا المسجد الحرام، فكبروا وقالوا يا لثارات الحسين، فخافهم ابن الزبير، وخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب عليّ وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه، فأبى عليهم، فاجتمع مع محمد في الشعب أربعة آلاف رجل فقسم بينهم المال وعزّوا وامتنعوا، فلما قتل المختار تضرعوا واحتاجوا، ثم إن البلاد استوثقت لابن الزبير بعد قتل المختار، فأرسل إلى ابن الحنفية أدخل في بيعتي وإلا نابذتك، وكان رسوله عروة بن الزبير، فقال ابن الحنفية: يؤساً لأخيك ما ألجّه فيما أسخط الله، وأغفله عن ذات الله، وقال لأصحابه: إن ابن الزبير يريد أن يثور بنا، وقد أذنت لمن أحب الإنصراف عنا فإنه لا ذمام عليه منا ولا لوم، فإني مقيم حتى يفتح الله بيني وبين ابن الزبير وهو خير الفاتحين.

فقام إليه أبو عبد الله الجدلي وغيره فأعلموه أنهم غير مفارقيه، وبلغ خبره عبد الملك بن مروان فكتب إليه يعلمه أنه إن قدم عليه أحسن إليه، وإته ينزل إلى الشام إن أراد حتى يستقيم أمر الناس، فخرج ابن الحنفية وأصحابه إلى الشام، وخرج معه كثير عزة وهو يقول شعراً:

أنت الذي نرضى به ونرتجي هديت يا مهدينا ابن المهدي  
 أنت إمام الحق لسنا نمسري أنت ابن خير الناس من بعد النبي  
 يا بن عليّ سرّو من مثل عليّ

فلما وصل مدين بلغه غدر عبد الملك بعمر بن سعيد فندم على إتيانه  
 وخافه، فنزل أيلة، وتحدث الناس بفضل محمد وكثرة عبادته وزهده وحسن  
 هديه، فلما بلغ عبد الملك ندم على إذنه له في قدومه بلده، فكتب إليه أنه لا  
 يكون في سلطاني من لم يبايعني.

فارتحل إلى مكة ونزل شعب أبي طالب، فأرسل إليه ابن الزبير يأمره  
 بالرحيل عنه، وكتب إلى أخيه مصعب بن الزبير يأمره أن يسير نساء من مع ابن  
 الحنفية، فسير نساءً منهن امرأة أبي الطفيل عامر بن واثلة، فجاءت حتى قدمت  
 عليه فقال أبو الطفيل:

إن يسك سيرها مصعباً فإني إلى مصعب متعب  
 أقود الكتيبة مستلثماً كأني أخو عزة أحرب  
 وهي عدة أيات.

وألح ابن الزبير على ابن الحنفية بالانتقال إلى مكة، فاستأذنه أصحابه في  
 قتال ابن الزبير فلم يأذن لهم وقال: اللهم ألبس ابن الزبير لباس الدل والخوف،  
 وسلط عليه وعلى أشياعه من يسومهم الذي يسوم الناس، ثم سار إلى الطائف.

فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا  
 ذكره (٩) وخرج ابن عباس أيضاً فلحق بالطائف...<sup>(١٠)</sup>

وهذا هو الخروج الثاني إلى الطائف.

(١) الكامل في التاريخ ١٠٥/٤ ط بولاق.



كأسان أحلاهما مر:

لقد مرّ بنا (أولاً) ذكر خروج محمّد بن الحنفية إلى الشام بدعوة من عبد الملك بن مروان. وأنه لما وصل مدين وبلغه خبر عبد الملك بعمر بن سعيد ندم على إتيانه وخافه، فنزل أيلة... وقد ذكر جمال الدين بن يوسف الشامي من أعلام القرن السابع في كتابه (الدر النظيم) صورة كتاب من ابن عباس إلى عبد الملك بن مروان يوصيه بمحمّد بن الحنفية ورعاية حقه، فقال:

((كتب عبد الله بن عباس إلى عبد الملك بن مروان لما عزم محمّد بن

الحنفية على التوجه إلى بلاد الشام:

أما بعد فإنه توجه إلى بلادك رجل منا، لا يبدأ بالسوء، ولا يكافيء على الظلم، ولا يعجول ولا بجهول، سميع إلى الحق أصم عن الباطل، ينوي العدل، ويعاف الحيف، ومعه نفر من أهل بيته وعدة رجال من شيعته، لا يدخلون داراً إلا بإذن، ولا يأكلون شيئاً إلا بثمن، رهان الليل ليوث بالنهار، فاحفظنا فيهم رحمك الله، فإن ابن الزبير قد نابذنا بالعداوة ونابذناه والسلام.

فأجابه عبد الملك بكتاب يقول فيه:

أما بعد فقد أتاني كتابك توصيني فيه بمن توجه إلى ما قبلي من أهل بيتك، فما أسرتني بصلة رحمك، وحفظ وصيتك وكلما هويت من ذلك فمفعول ومتبع، فأنزل بي حوائجك رحمك الله كيف أحببت، فلن أخرج حاجة عرضت لك قبلي، فإنك قد أصبحت عظيم الحق عليّ، مكيناً لديّ، وفقنا الله وإياك لأفضل الأمور، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته<sup>(١)</sup>.

(١) الدر النظيم في مناقب الأئمة الهاميم ج ٦ (مخطوط بمكتبة السماوي).

فهذا الكتاب يكشف لنا عن عظيم بلوى ابن عباس ومحمد بن الحنفية في تلك المحنة أيام ابن الزبير، حتى استساغا على مضض وفضلاً تجرع مرارة المصافاة مع عبد الملك على مجافاة ابن الزبير وهما كأسان أحلاهما مرّ. ومرّ بنا (ثانياً) قول البلاذري في روايته: ((ولمّا أخرج عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية عن مكة أغلظ له ابن عباس وقال له: أتخرج بني عبد المطلب عن حرم الله وهم أحقّ به منك...)).

وزاد ابن الأثير في روايته على ذلك التعتيم بما يثير التساؤل، فقال: ((فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره)) (٩).

فليت شعري ما الذي جرى من كلام استعظم ابن الأثير فكره ذكره (٩) إنّه التضييب والتعتيم لإخفاء الحقائق، وهذا ليس بمستساغ ولا بمقبول من مؤرخ ينبغي أن يستعمل عقله فيضمه فوق قلبه، ويدرك عظم الأمانة التي تحمّل وزرها، ألا ساء ما يفعلون وما يزرّون وما يحكمون. ومهما كانت غلظة الكلام فلن تبلغ ما قرأناه وما سنقرؤه من محاورات جرت بينهما هي بالمحاورات الكلامية أشبه، فثمة عتاب هو أفسى من عقاب، وثمة جواب هو أفضح من سباب، فلماذا الكراهة، إنّها البلاهة!

ألم يقل ابن عباس لابن مطيع وقد أتاه من قبل ابن الزبير برسالة فيها تهديد ووعيد فقال له ابن عباس: ((قل لابن الزبير يقول لك ابن عباس ثكلتك أمك...))؟ وقد مرّ ذلك في الشاهد الأوّل فراجع.

ألم يقل لابن الزبير - كما في الشاهد الثالث وقد مرّ - بعد أن عبره بالعمى فقال له: ((بل أعمى الله قلبك، وقال له: والله لأنّا أقمه منك ومن أهلك))؟

ألم يشبهه بالبغل حين ردّ على ابن الزبير ما قاله في رسول الله ﷺ وأهل بيته؟ راجع الشاهد الخامس.

ألم يقل لابن أبي مليكة - وهو قاضي ابن الزبير ومؤذنه - «إن الله كتب بني أمية وابن الزبير محطين»؟ وقد مرّ ذكر الخبر في ذلك.

ألم يقل لمن قال له: «إن ابن الزبير يتنصّبك فقال: ذبي حجل<sup>(١)</sup> لو ذات سوار لطمتي<sup>(٢)</sup> أما والله إنني لأعرف دخلاً ودُخيلًا<sup>(٣)</sup>».

فأيّ كلام أغلظ من هذا فكره ابن الأثير ذكره؟ ولن يبق الجواب مقبوراً في الصدور إلى يوم النشور، ما دمنا نقرأ حواراً جرى بين ابن الزبير وبين ابن عباس بعد مقتل المختار.

فقد رواه البلاذري في أنسابه وياقنصاب: قالوا: «وقال عبد الله بن الزبير لابن عباس وأخبره بأمر المختار، فرأى منه توجماً وإكباراً لقطه، أتوجع لابن أبي عبيد، تكره أن تسميه كذاباً؟ فقال له: ما جزاؤه ذلك منا، قتل قتلنا وطلب بدمائنا وشفى غليل صدورنا»<sup>(٤)</sup>.

وإلى القارئ ما جرى بتفصيل أوفى - وهو الذي أشار إليه ابن الأثير بقوله: «فدخل ابن عباس على ابن الزبير وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره» فلئن كره هو ذكره، فإن الخوارزمي الحنفي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ لم يكره ذلك فقد أورده بنصه وقصه -

(١) اللبي، المشي رويداً والحجل هو نزو الغراب في مشيته يعني ان ابن الزبير نزا في مشيته نحو الخلافة.

(٢) مثل يضربه الكريم يظلمه ذبيّه لئيم فلا يقدر على احتمال ظلمه. ويعني أنه لو ظلمني من هو كشؤ لي نهان عليّ ولكن ظلمني من هو دولي وديني.

(٣) أنساب الأشراف (ترجمة ابن عباس) بخطي برقم ٧٩.

(٤) أنساب الأشراف ٣٦٥/٥ ط افست المثنى ببغداد وقارن ابن الأثير ١١٧/٤ ط بولاق.

ابن الزبير يشند على بني هاشم بعد مقتل المختار:

قال الخوارزمي في مقتل الحسين: «ثم بعث مصعب برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير، فأمر عبد الله برأس المختار فنصب بالأبطح، وكان قبل ذلك أبي أن ينصب محمد بن الحنفية رأس ابن زياد خارج الحرم. ثم أرسل عبد الله ابن الزبير إلى ابن عباس فقال له: يا ابن عباس ان الله قد قتل المختار الكذاب. فقال ابن عباس: رحم الله المختار، فقال: كأنك لا تحب أن يقال الكذاب؟ قال: فإن المختار كان محباً لنا عارفاً بحقنا، وإنما خرج بسيفه طالباً لدمائنا، وليس جزاؤه منا أن نشتمه ونسميه كذاباً».

وقال: «وبقي عبد الله بن الزبير يجلد في مناوأة محمد بن الحنفية وابن عباس وبقية أهل البيت حتى حبسهما إذ لم يجيأه إلى البيعة، وكان قبل ذلك حبس محمد ابن الحنفية في قبة الشراب، فعلم المختار بذلك فأرسل إليه أبا عبد الله الجدلي في جيش عظيم فمخلصه، وتوعد ابن الزبير إن أخافه، فأمسك ابن الزبير إلى ان قتل المختار، فعاد إلى ما كان عليه من العداوة، حتى قال يوماً لابن عباس: أنه قد قتل المختار الكذاب الذي كنتم تمدون أعينكم إلى نصرته.

فقال ابن عباس: دع عنك المختار، فإنه قد بقيت لك عقبة تأتيك من الشام، فإذا قطعها فأنت أنت، وإلا فأنت أهون من كلب في درب الجامع. فغضب وقال: إني لم أعجب منك، ولكن أعجب مني إذ أدعك تتكلم بين يدي بملء فمك، فتبسم ابن عباس وقال: تكلمت والله بين يدي رسول الله ﷺ، وعند أبي بكر غلاماً، وعند عمر وعثمان وعليّ رجلاً، وكانوا يرونني أحق من نطق، يسمعون رأيي، ويقبلون مشورتني، وهؤلاء الذين ذكرتهم بعد رسول الله خير منك ومن

أيك، فازداد غضبه وقال له: لقد علمت أنك ما زلت لي ولأهل بيتي مبغضاً، ولا زلت لكم يا بني هاشم منذ نشأت مبغضاً، ولقد كنتُ بفضكم أربعين سنة.

فقال ابن عباس له: فازدد في بغضنا فوالله ما نبالي أحببتنا أم أبغضتنا.

فقال ابن الزبير: أخرج عني فلا أراك بعد هذا تقربني.

فقال ابن عباس: أنا زاهد فيك من أن تراني عندك.

ثم عاد ابن الزبير فقال: دع عنك هذا وارجع إلى ابن عمك - يعني محمّد ابن علي عليه السلام - وقل له فليخرج من جوارِي، لا يترصق فإني لا أظنه سالمًا مني أو يصيبه ظفر.

فقال ابن عباس: مهلاً يا بن الزبير فإنّ مع اليوم غداً.

فقال ابن الزبير: صدقت مع اليوم غد، وليس يجب عليك أن تكلمني في رجل ضعيف سخيف، ليس له قدم ولا أثر محمود.

قال فتمتمّر (فتميز ظ) ابن عباس غضباً وقال: ليس على هذا صبر يا بن الزبير، والله إن أباه لخير من أيك، وإن أسرته لخير من أسرته، وإنه في نفسه لخير منك، وبعد فرماه الله بك إن كان شرّاً منك في الدنيا والدين.

ثم نهض مغضباً وخرج وهو يقول: لأتملة من محمّد بن الحنفية أحبّ إليّ من ابن الزبير وآل الزبير، إنّه والله لأوفر منهم عقلاً، وأفضل ديناً، وأصدق حياءً، وأشدّ ورعاً).

قال الخوارزمي: ((ثمّ خرج ابن الزبير في عدة من أصحابه، وقام في الناس خطيباً فقال: أيها الناس إن فيكم رجلاً أعصى الله بصره، يزري على عائشة أم المؤمنين، ويعيب طلحة والزبير حواري رسول الله - يريد بذلك ابن عباس - وكان ابن عباس حاضراً في المسجد، فلمّا سمعه وثب قائماً وقال: يا بن الزبير أما ما

ذكرت من أم المؤمنين عائشة، فإن أول من هتك حجابها أنت وأبوك وخالك طلحة، وقد أمرها الله أن تقرّ في بيتها فلم تفعل، فتجاوز الله عنها ورحمها، وأما أنت وأبوك وخالك فقد لقيناكم يوم الجمل فإن كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم المؤمنين، وإن كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم من الزحف<sup>(١)</sup>.

فقال ابن الزبير: أخرج عني ولا تجاورني.

فقال ابن عباس: نعم والله لأخرجن خروج من يقلاك ويلذمك.

ثم قال ابن عباس: اللهم إنك قادر على خلقك، قائم على كل نفس بما كسبت، اللهم إن هذا الرجل قد أبدى لنا العداوة والبغضاء، اللهم فارمه منك بحاصب، وسلط عليه من لا يرحمه<sup>(٢)</sup>.

فمن هذا النص الذي رواه لنا الخوارزمي الحنفي يمكننا معرفة ما أعرض ابن الأثير وغيره عن ذكره واكتفى بالقول: ((وأغلظ له فجرى بينهما كلام كرهنا ذكره))، ومن هذا النص أيضاً عرفنا مبلغ الحقد المتأصل في نفسية ابن الزبير على ابن عباس والمتخوف من لذع لسانه، وحجة بيانه، حيث خرج في عدة من أصحابه ولم يخرج وحده، فقام في الناس خطيباً فذكر ابن عباس بما يهيج عليه العامة، وتشويه صفحته لديهم، كردة فعل غاضبة، ناتجة عما أسمعه ابن عباس من قوارص كلمه وقوارع حججه، ولكنه باء بالفشل حتى لم يستطع ابن الزبير أن يردّ عليه حججه، فقال له اخرج عني ولا تجاورني.

(١) وقد لقن نافع بن الأزرق الخارجي هذه الحجة من ابن عباس فنذكرها في كتابه إلى ابن الزبير، وقد ذكره ابن عبد ربه في المقصد الفريد ٢/٣٩٥ تح. أحمد أمين، وإن القول عليك وفيهما لكما قال ابن عباس عليه...

(٢) مقتل الحسين عليه السلام ٢/٢٥٠-٢٥١ مطب الزهراء في النجف الأشرف .

فأجابه ابن عباس بما أسكت به نامته، وطأطأ به هامته، فقال له: ((نعم والله لأخرجنَّ خروج من يفلاك ويذمك)).  
ما تقول يا عرية؟

لقد بقي ابن عباس في أخريات حياته بمكة يكابد - مع تقدّم سنّه وفقدانه بصره - معاناة عداوة آل الزبير، وتلك المعاناة أورثته حزناً مقيماً وكمداً دائماً، لأنّ عدوّه لدود معلنٌ بنصبه العداة لبني هاشم، ولا يرعى فيهم إلا ولا ذمة، ولا يخشى من الله سبحانه أن يستحلّ قتلهم وحرقتهم في البلد الحرام، بينما ابن عباس لا يستحلّ ذلك منه، وهو لا يمتلك من قوّة يمكنه استعمالها، سوى قوّة البيان وحجة البرهان. فحين يشهّر به ابن الزبير بفتياه في المتعة وحمله مال البصرة ومقاتلته عائشة، يسمعه ابن عباس من الجواب ما يدحض به دعاواه، لكن هل الخطب في عروة بن الزبير الذي تناسى إحسان ابن عباس إليه يوم وفد عليه في البصرة وهو حدثٌ فقال له:

أمت بأرحام إليكم قريبة ولا قرب للأرحام ما لم تقرّب

فقال له ابن عباس: أتدري من قاله؟ قال عروة: أبو أحمد بن جحش.

فقال: فهل تدري ما قال له رسول الله؟ قال: لا، قال: قال له: صدقت<sup>(١)</sup>.

فأحسن إليه مع سابق إساءة أبيه وأخيه إلى ابن عباس في الأمس القريب بمحاربتهم له وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل.

لكن عروة بقي على ما ورثه من العداوة والمناوأة لابن عباس وبني هاشم، فقد روى الذهبي في ذيل ترجمة محمّد بن عبد الملك بن أيمن بن فرج عن

(١) ربيع الأبرار ١٨١/٢ نسخة الشيخ السماوي بخطه، و ٥٧٨/٣ ط الأوقاف ببغداد.

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «تمتع رسول الله ﷺ، فقال عروة: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: ما تقول يا عروة؟ قال: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة فقال - ابن عباس - أراهم سيهلكون! أقول: قال رسول الله ﷺ ويقولون: قال أبو بكر وعمر.

قال ابن حزم: إنها لعظيمة ما رضي بها قط أبو بكر وعمر...»<sup>(١)</sup>.

وازداد عروة عتواً حين جرت الرياح لصالح أخيه وتعدي في سلطانه على بني هاشم حتى أراد إحراقهم، فأنجاهم الله تعالى من كيدته بإغاثة المختار لهم بجيش أرسله مع أبي عبد الله الجدلي - كما مرّ ذكر ذلك - وصار الناس ينقدون ابن الزبير على فعله ذلك، وخشية انفضاض من معه عنه.

((كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم، وحصره إياهم في الشعب، وجمعه الحطب لتحريضهم ويقول: إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار))<sup>(٢)</sup>. قال المسعودي في مروج الذهب بعد ذكره هذا الخبر

(١) تذكرة الحفاظ ٣/٨٣٧ ط حيدرآباد.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي ١٤٧/٢٠ بتح محمد أبو الفضل إبراهيم. نقلاً عن المسعودي وندى الرجوع إلى المطبوع من مروج الذهب نجد الاختلاف في الطبقات القديمة والحديثة وحسبنا أن ننقل لكم ما في طبعة بولاق سنة ١٢٨٣، ٧٩/٢ وطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢ وبهامشها روضة الناظر لابن الشحنة ٧٢/٢. وطبعة مصرية ثلاثة بهامش تاريخ ابن الأثير ١٦٠/٦ - ١٦١ وطبعة المامرة البهية سنة ١٣٤٦ ففيها: كان عروة بن الزبير يعذر أخاه إذا جرى ذكر بني هاشم وحصره إياهم في الشعب وجمعه الحطب لتحريضهم ويقول: إنما أراد بذلك إرهابهم ليدخلوا في طامته كما أربب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم إذ هم أبوا البيعة فيما سلف...

أما في الطبقات الحديثة بمصر وبيروت فثمة حذف متعمد، سترأ على السلف، واليكم نص ما في طبعة مصر بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد سنة ١٣٦٧ مطبعة



باقتضاب: «وهذا خير لا يحتمل ذكره هنا، وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب أهل البيت وأخبارهم المترجم بكتاب (حدايق الأذهان)».

أقول: وهذا الكتاب من آثاره المفقودة فيما أعلم.

وأما الخير الذي أشار إليه ولم يحتمل ذكره في المقام، فهو من الأخبار الثابتة تاريخياً، ولا مجال لإنكارها أو كتمانها لاستنكارها، فقد رواه من المؤرخين من غير الشيعة من لا يتهم في نقله:

١- أبو بكر الجوهري في كتاب السقيفة وعنه ابن أبي الحديد في شرح النهج<sup>(١)</sup>.

٢- ابن قتيبة في الإمامة والسياسة<sup>(٢)</sup>.

٣- البلاذري في أنساب الأشراف<sup>(٣)</sup>.

٤- النظام وأقره الشهرستاني في الملل والنحل<sup>(٤)</sup> وبهامش الفصل لابن حزم<sup>(٥)</sup>.

المساعدة وايضاً الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧ وقد كتب عليها مزيدة ومنقحة في ٨٦/٣، وطبعة بيروت دار الفكر وكذلك طبعة دار الأندلس فجميعها حذف منها جملة ((كما أربب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم إذ هم أبوا البيعة فيما سلف)) وقد عمي المحققون لهذه الطبعات عمياً ثم به السارق على نفسه بإثباته جملة ((لا هم أبوا البيعة فيما سلف)) فهي لا تتفق ولا تتسق إلا مع الجملة المحذوفة ((كما أربب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم)) فكيف استماغوا تمرير العبارة مع وضوح الإشارة ؟ أما شارل بلا في تحقيقه لمرج الذهب منشورات الشريف الرضي ٣/٢٧٦ برقم ١٩٣٤ فقد ذكر ذلك في الهامش عن نسخة م.

(١) شرح النهج ١/١٣٢ ط مصر الأولى.

(٢) الإمامة والسياسة ١/١٢ ط مصطفى محمد.

(٣) أنساب الأشراف ١/٥٨٦ دار المعارف بتح الدكتور محمد حميد الله.

(٤) الملل والنحل ١/٥٧ ط بيروت.

(٥) هامش الفصل لابن حزم ١/٦٥ ط محمد علي صبيح.

- ٥- ابن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد<sup>(١)</sup>.  
 ٦- ابن أبي شيبة<sup>(٢)</sup>.  
 ٧- ابن الشحنة في تاريخه<sup>(٣)</sup>.  
 ٨- أبو الفداء في تاريخ المختصر في أخبار البشر<sup>(٤)</sup>.  
 ٩- المتقي الهندي في كنز العمال نقلاً عن ابن أبي شيبة كما مر<sup>(٥)</sup>.  
 ١٠- حافظ إبراهيم شاعر النيل في قصيدته العمريه كما في ديوانه المطبوع بمصر حيث قال:

وقولة لعليّ قالها عمر      أكرم بسامعها أعظم بملقيها  
 حرقت دارك لا أبقي عليك بها      إن لم تباع وبت المصطفى فيها  
 ما كان غير أبي حفص يفوه بها      أمام فارس عدنان وحاميتها

فهذا ما احتج به عروة تعذيراً لأخيه في عزمه على تحريق بني هاشم، لولا أن أنجاهم الله من كيدته على يد جيش المختار بقيادة أبي عبد الله الجدلي كما مر.

وهذا ما أعرض عنه المسعودي فلم يروه في مروجه، وذكره غيره ولكلّ وجهة هو موليا بين مشرق ومغرب، وهكذا تضيغ الحقائق.

ولنعم ما فعل الشاطبي (ت ٧٩٠) في كتابه الاعتصام حين ساق الشواهد على مخالفة الناس للسنة ومؤالفتهم للبدعة فقال: ((إذ ما من بدعة تحدث إلا

(١) العقد الفريد ٢٥٩/٤ - ٢٦٠ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري.

(٢) انظر كنز العمال ١٤٠/٣ ط حيدرآباد الأولى و ٢٨١/٥ ط حيدرآباد الثانية.

(٣) روضة الناظر بهامش تاريخ ابن الأثير ١١٣/١١ ط ذات التحرير بمصر سنة ١٣٠٢ هـ.

(٤) تاريخ المختصر في أخبار البشر ١٥٦/١ ط أمست بيروت من الطبعة المصرية.

(٥) كنز العمال ٢٨١/٥ ط حيدرآباد الثانية.

ويموت من السنة ما هو في مقابلتها حسبما جاء عن السلف في ذلك، فعن ابن عباس قال: ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتى تحيي البدعة وتموت السنن<sup>(١)</sup>.

وكان فعل عمر وقوله في التحريق لبيت علي وفاطمة عليهما السلام صار سنة يقتدى بها، أما وقوف النبي صلى الله عليه وسلم على باب ذلك البيت وتلاوته (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)<sup>(٢)</sup> طيلة تسعة أشهر، فيعرض عنه، مع أن فعله صلى الله عليه وسلم وقوله حجة ملزمة للمسلمين، وسنة تفرض المودة والولاء، لكن المسلمين أعرضوا عن تلك السنة، والتموا سنة عمر عملياً واحتجوا بها كما فعل أبناء الزبير.

ورحم الله ابن عباس الذي وقف مجاهداً في سبيل إحياء السنة وإماتة البدعة بشتى الوسائل المتاحة له يومئذ. فهو لم يبرح يحدث الناس في ذلك فتارة يقول: (من أحدث رأياً ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله عز وجل)<sup>(٣)</sup>.

وأخرى يقول لهم: (إنما هو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قال بعد ذلك رآه فلا أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته)<sup>(٤)</sup>.

وثالثة ينكر على من يعارض ما بلغه من السنة بقوله قال أبو بكر وعمر، ويقول: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبو بكر وعمر)<sup>(٥)</sup>.

(١) الاعتصام ١/٢١٣.

(٢) الأحزاب/٣٣.

(٣) أعلام الموقعين ١/٤٨، ط المنيرية.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر ٢/١٧١.

ورابعة يقول: «كيف لاتخافون أن يخسف بكم أو تعذبون، وأنتم تقولون: قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلّم وقال فلان»<sup>(١)</sup>.

الطائف دار الهجرة الآخرة إلى الآخرة:

لقد كان ابن عباس يرى في إقامته بمكة فضلاً لا يدركه في أي مكان آخر، كما أن أهل مكة كانوا يفتخرون على بقية الأقطار بعبد الله بن عباس.

وفي النجوم الزاهرة: «وكان ابن عباس يقول: ما أعلم على وجه الأرض بلدة تدفع فيها بالحسنة مائة إلا مكة، ولا أعلم على وجه الأرض بلدة يكتب لمن صلى فيها ركعة بمائة ركعة غير مكة، ولا أعلم على وجه الأرض بلدة يتصدق فيها بدرهم فيكتب له ألف درهم إلا مكة، ولا أعلم على وجه الأرض بلدة هي مأوى الأبرار ومصلى الأخيار غير مكة، ولا أعلم على وجه الأرض بلدة ما مس منها شيء إلا وفيه تكفير للخطايا إلا مكة، ولا أعلم بلدة يحشر فيها الأنبياء غير مكة، ولا أعلم على وجه الأرض بلدة ينزل فيها كل يوم من روح الجنة ما ينزل بمكة...»<sup>(٢)</sup>.

ولشدة المعاناة التي لاقاها من ابن الزبير وأصحابه صار يتمنى الخروج إلى أي مكان وليس فيه سلطان للظالمين وهو القائل: «لولا مخافة الوسواس لرحلت إلى بلاد لا أنيس فيها وأقمت فيها إلى أن ألقى الله تعالى، فما يفسد الناس إلا الناس»<sup>(٣)</sup>.

ولم يهاجر ابن عباس إلى الطائف في هذه المرة وهي الثالثة، إلا مرضماً ومراغماً من ابن الزبير، فقد قاسى منه الأمرين مكابداً ومكايئداً حتى تفتت من

(١) تاريخ جرجان للمهمي / ٤٧٧ ط اهست من طبعة اوريا.

(٢) النجوم الزاهرة / ١٩٧/١.

(٣) الحكمة الخالدة لأبي علي بن مسكويه / ١٧٢ تح عبد الرحمن بدوي ط مصر سنة ١٩٥٢.

أذاه كبده كما أخبر عن نفسه، فقد روى الشيخ يوسف البحراني: «أن بقرة ذبحت فوجد كبدها قد تفتت فقال له ابنه عليّ يخبره: أما ترى كبد هذه البقرة يا أبت قد تفتت، فقال له: يا بني هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك»<sup>(١)</sup>.

وقال المسعودي في المروج: «فخرج ابن عباس من مكة خوفاً على نفسه فنزل الطائف»<sup>(٢)</sup>.

وقال اليعقوبي في تاريخه: «ولمّا لم يكن بابن الزبير قوة على بني هاشم وعجز عمّا دبره فيهم أخرجهم عن مكة، وأخرج محمد بن الحنفية إلى ناحية رضوى، وأخرج عبد الله بن عباس إلى الطائف إخراجاً قبيحاً»<sup>(٣)</sup>.

ومهما تكن كيفية الخروج أو الأخراج فقد نزل ابن عباس وهو في طريقه إلى الطائف بنعمان - وهو بلد بين مكة والطائف غزاه النبي ﷺ - وقيل واد لهذيل بين أدناه ومكة نصف ليلة<sup>(٤)</sup> - فنزل وصلى ركعتين ثم رفع يديه يدعو فقال: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن بلد أحب إليّ من أن أعبدك فيه من البلد الحرام، وإنني لا أحب أن تقبض روحي إلا فيه، وإن ابن الزبير أخرجني منه ليكون الأقوى في سلطانه، اللهم فأوهن كيده، واجعل دائرة السوء عليه»<sup>(٥)</sup>.

وبلغ أهل الطائف خبر مجيئه فخرجوا لاستقباله يهرعون فتلقوه بالترحاب وقالوا له: مرحباً يا بن عم رسول الله ﷺ، أنت والله أحب إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك، هذه منازلنا تخيرها فانزل منها حيث أحببت. فنزل الطائف وحلّ بين

(١) الكشكول ١٣/٢ ط النجف.

(٢) مروج الذهب ٨٩/٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٩/٣ ط الغري.

(٤) معجم البلدان (نعمان).

(٥) شرح نهج البلاغة للممتازي ٢٠/ ١٢٤ ط محققة.

ظهرا نبيهم، وشاع خبر إخراج ابن الزبير له عن مكة فعظم ذلك على المسلمين، وورد إليه كتاب تسليية من محمد بن الحنفية - الذي كان يرضوى فيما أخال، وربما كان بعد في طريقه إياباً أو ذهاباً إلى الشام - جاء فيه:

أما بعد فقد بلغني أن ابن الكاهلية - ابن الجاهلية - سيرك إلى الطائف، فرجع الله ﷻ اسمه بذلك لك ذكراً، وأعظم لك أجراً، وخطب به عنك وزراً، يا بن عم إنما يتلى الصالحون، وإنما تهدي الكرامة للأبرار، ولو لم توجر إلا فيما نحب وتحب إذا قلّ الأجر، فاصبر فإن الله تعالى قد وعد الصابرين قال الله ﷻ ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup> وهذا ما لست أشك أنه خير لك عند بارتك، وعظم الله لك الصبر على البلوى والشكر في النعماء أنه على كل شيء قدير.

فكتب إليه ابن عباس مجيباً عن ذلك:

(أما بعد فقد أتاني كتابك تعزني فيه على تسيري، وتسال ربك جلّ اسمه ان يرفع لي به ذكراً، وهو تعالى قادر على تضييف الأجر، والعائدة بالفضل، والزيادة من الإحسان، ما أحب أن الذي ركب مني ابن الزبير كان ركب مني أعدى خلق الله لي، احتساباً، وذلك في حسناتي ولما أرجو أن أنال به رضوان ربي، يا أخي الدنيا قد وكت وإن الآخرة قد أظلمت، فاعمل صالحاً تجز صالحاً. جعلنا الله وإياك ممن يخافه بالغيب، ويعمل لرضوانه في السرّ والعلاية، إنه على كل شيء قدير)<sup>(٢)</sup>.

(١) البقرة / ٢١٦.

(٢) لقد روى الكتاب والجواب الشيخ المفيد في أماليه / ١٨٦ ط الحيدرية سنة ١٣٦٧ وضمه رواه الشيخ الطوسي في أماليه أيضاً / ١١٩/١ - ١٢٠ وبين الكتابين تفاوت لفظي يسير ليس بشيء إلا أن الحسن بن شماعة الحراني - من القرن الرابع الهجري - روى في كتابه تحف العقول / ٥٨ ط حجرية سنة ١٢٩٩ ص ٢٥٠ طبعة كتابفروهي إسلامية هذا الكتاب بزيادة

نشاط ابن عباس في الطائف:

قال أبو عبد الله النقاش فأجاد:

إذا وجد الشيخ من نفسه      نشاطاً فذلك موت خفي  
الست ترى أن ضوء السراج      له لهب قبل أن ينطفئ<sup>(١)</sup>

وهكذا لقد نشط ابن عباس وهو بذلك السن وقد جاوز السبعين من العمر، نشاطاً ملحوظاً في تثقيف أهل الطائف وإن كان نشاطه كنور ذبالة السراج قبل إنطفائها وقد نقد زيتها، فهو يؤدي بذلك رسالته الإصلاحية التي تحملها. فكان يجلس لأهل الطائف الذين يتوافدون عليه مغتربين بحلوله عندهم، يستفتونه فيفتيهم، ويتطلبون المزيد من حديثه فيحدثهم، ينهلون من نعيم علومه ما وسعهم، وهو على ما به من تقدم السن وفقدان البصر وضعف الحال، لم يترك أداء رسالته التي أخذ الله على العلماء أن يؤدوها، وأن (لا يقاروا على كفة ظالم ولا سغب مظلوم) كما قال إمامه وابن عمه ومرتباه أمير المؤمنين عليه السلام في آخر شقشقتها التي وعاهها ابن عباس عنه دراية، فأذاها إلى الأمة رواية، فمن هو أولى بها رعاية وحماية، فاتخذها نهجاً يخاطب في أهل الطائف ويبلغهم - خير هيب ولا خائف -

في آخره، ولا أهتم بنا ولا بك صدواً حاسداً أبداً والسلام. ونعسبه إلى الحسين عليه السلام فقد رواه فيما روي من الحسين فقال، وكتب إلى عبد الله بن عباس حين سيره عبد الله بن الزبير إلى اليمن وذكر الكتاب. ولما كان التباعد من ابن الزبير أيام حكمته وهي بعد شهادة الحسين عليه السلام فلا يعقل أن يكون الكتاب من عليه السلام واحتمال أنه من علي بن الحسين بعيد، لأن ابن عباس خاطب المكتوب إليه ب (يا أخي) مما يكشف أنه من أقرانه سنّاً، وعلي بن الحسين ليس كذلك في سنه. فاحتمال وهم المؤلف أو من روى عنهم وارد ويؤكد أن مرسل الكتاب هو محمد بن الحنفية رواية يعقوبي له في تاريخه ٩/٣ ط الغري فقد ذكره مرسلًا من دون ذكر الجواب.

(١) الخريدة ق ٥٠/١٣

ما وصى وحوى من العلم النافع، وكثر عكوف الناس عليه، فصار يخطب فيهم مندداً بابن الزبير من غير أن يسميه، ويكنّي عنه كناية أبلغ من التصريح، وبلغ خبره ابن الزبير فغاضه ذلك.

وقد حدثت المدائني عن جانب من ذلك فقال: ((كان يحمد الله ويذكر النبي ﷺ والخلفاء بعده ويقول: ذهبوا فلم يدعوا أمثالهم ولا أشباههم ولا من يدانيهم، ولكن بقي أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة، ويلبسون جلود الضأن تحتها قلوب الذئاب والنمور، ليظن الناس أنهم من الزاهدين في الدنيا، ويرأون الناس بأعمالهم، ويسخطون الله بسرائرهم، فادعوا الله أن يقضي لهذه الأمة بالخير والإحسان، فيوكي أمرها خيارها وأبرارها، ويهلك فجّارها وأشرارها. ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسلوه ذلك))<sup>(١)</sup>، فيفعل ذلك أهل الطائف ذلك ويؤمنون على دعائه.

وتطأيرت الأخبار إلى ابن الزبير بواسطة رجاله عن نشاط ابن عباس في الطائف وحاله، ومدى تأثيره في الناس واستجابتهم لمقاله، فأقلقه ذلك وتميّز غيظاً وغيظاً، فكتب إليه كتاباً يفيض بالحق والشنآن والإحن والأضغان يقول فيه: ((أما بعد فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصريين، فتفتيهم بالجهل، وتعيب أهل العقل والعلم، وإن حلمي عليك، واستدامتي فيك جرأك عليّ، فاكفف لا أباً لغيرك من غربك، واربع على ضلمك، واعقل إن كان لك معقول، وأكرم نفسك، فإنك إن تهنها تجدها على الناس أعظم هواناً، ألم تسمع قول الشاعر:

ففسك أكرمها فإنك إن تهن      عليك فلن تلق لها الدهر مكرما



وإني أقسم بالله لئن لم تنته عما بلغني عنك لتجدن جانبي خشناً، وتجدنني إلى ما يردعك عني عجلاً، فأني أشقى بك شقاؤك على الردي فلا تلم إلا نفسك)). فهذا كتاب فيه تنديد وفيه تهديد ووعيد.

فأجابه ابن عباس: ((أما بعد فقد بلغني كتابك قلت إني أفتي الناس بالجهل، وإنما يفتي بالجهل من لم يعرف من العلم شيئاً، وقد أتاني الله من العلم ما لم يؤتك، وذكرت أن حلمك عني واستدامتك فيني جرأني عليك، ثم قلت اكف من غربك، واربع على ظلمك، وضربت لي الأمثال، أحاديث الضبع، متى رأيتني لمرامك هائباً، ومن حدك ناكلاً، وقلت: لئن لم تكف لتجدن جانبي خشناً، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرحى إليك إن أرحيت، فوالله لا أنتهي عن قول الحق، وصفة أهل العدل والفضل، وذم الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والسلام))<sup>(١)</sup>.

وهذا جواب فيه تبريع وزرابة، وفيه إهانة واستهانة نافقت على الغاية. وأي غاية بعد قوله: ((فلا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرحى إليك إن أرحيت))؟ ولعل ابن عباس إنما أجابه على كتابه لأنه كان يقول: ((إني لأرى ردّ جواب الكتاب حقاً عليّ كردّ السلام))<sup>(٢)</sup> ولثلا يظن به الجبن والانتهزمية أمام تهديد ووعيد ابن الزبير، وهو هو لا يزال في صلابة موقفه المتماسك، وقوة شخصيته المتعالية.

روى البلاذري في أنسابه خبر ذلك بسنده عن أبي مخنف قال: ((لما نزل ابن عباس الطائف حين نافر ابن الزبير، كان صلحاء الطائف يجتمعون إليه،

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠/١٢٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٦٦/ تمهيد السلمى.

ويأتيه أبناء السبيل يسألونه ويستفتونه، فكان يتكلم في كل يوم بكلام لا يدعه وهو: (الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وعلمنا القرآن، وأكرمنا بمحمد ﷺ فانتشنا به من الهلكة، وانتقدنا به من الضلالة، فأفضل الأئمة أحسنها لستته أتباعاً، وأعلمهم بما في كتاب الله احتساباً، وقد عمل بكتاب الله ربكم وسنة نبيكم قوم صالحون، على الله جزاؤهم، وهلكوا فلم يدعوا بعدهم أمثالهم، ولا موازياً لهم، وبقي قوم يريغون الدنيا بعمل الآخرة، يلبسون جلود الضأن لتحسبهم من الزاهدين، يرضونكم بظواهرهم، ويسخطون الله بسرائرهم، إذا عاهدوا لم يوفوا، وإذا حكموا لم يعدلوا، يرون الغدر حزماً، ونقض العهد مكيدة، ويمنعون الحقوق أهلها، فنسأل الله أن يهلك شرار هذه الأمة ويولي أمورها خيارها).

فبلغ ذلك ابن الزبير فكتب إليه: (إِنَّكَ تَجْلِسُ الْعَصْرِينَ فَتُضَيِّبُ بِالْجَهْلِ، وَتُعَيِّبُ أَهْلَ الْبِرِّ وَالْفَضْلِ، وَأُظَنُّ حَلْمِي عَنْكَ وَاسْتِدَامَتِي إِيَّاكَ جَرْمًاكَ عَلَيَّ، فَاكْفَفْ عَنِّي مِنْ غُرْبِكَ، وَارْبِعْ عَلَيَّ ظِلْمَكَ، وَارْبِعْ عَلَيَّ نَفْسَكَ).

فكتب إليه ابن عباس: (فهمت كتابك، وإنما يفتي بالجهل من لم يؤت من العلم شيئاً، وقد أتاني الله منه ما لم يؤته إياك، وزعمت أن حلمك عني جرأتي عليك، فهذه أحاديث الضيع أستها، متى كنت لعرامك هائباً، وعن حدك ناكلأ ثم تقول: إني إن لم أنته وجدت جانبك خشناً، وجدتني إلى مكروهي عاجلاً، فما أكثر ما طرت إلي بشقة من الجهل، وتعهديتني بفاقرة من المكروه، فلم تضرر إلا نفسك، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت، ولا أرحى إن رحيت، فوالله لا انتهيت عن ارضاء الله بإسقاطك<sup>(١)</sup>).

(١) انساب الأشراف (في ترجمة ابن عباس) بخطي.

معطيات ابن عباس في الطائف:

أما أن معطياته لكثيرة وكبيرة إذا ما تدبرنا ما جاء في كتاب ابن الزبير ما يعرب عن قلق، يخشى أن يستمر العطاء ففقلت منه الوكاه لذلك هذد وتوعد، ولكن ابن عباس كما قرأنا جوابه قد أقسم بالله أن لا ينتهي عن قوله الحق وصفة أهل العدل والفضل، وذم الأخرين أعمالاً... وقد أبرّ قسمه ولم يحث، بل وفي وأوفى، وقد وردت أخبار متفرقة في معانيها، مجتمعة في مبادئها، دلت على ما كان يبذله من عطاء مثمر ومستمر حتى آخر أيامه، بل وحتى ساعة موته.

فلنقرأ ما وصل إلينا من تلك الأخبار:

١- روى السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) في فلاح السائل قال: ((ورواية أخرى في أسرار الأذان مروية عن ابن عباس رضوان الله عليه، وهو تلميذ مولانا علي عليه السلام ورواياته في مثل هذا إنما إلى النبي صلى الله عليه وآله، وأما إلى مولانا علي عليه السلام قال السعيد أبو جعفر ابن بابويه<sup>(١)</sup>: حدثني أبو الحسن محمد بن عمرو بن علي بن عبد الله البصري، قال: حدثنا أبو محمد خلف بن محمد البلخي بها عن أبيه محمد بن أحمد قال: حدثنا عياش بن الضحاك عن مكّي بن إبراهيم عن ابن جريج عن عطاء قال: كنا عند ابن عباس بالطائف أنا وأبو العالية وسعيد بن جبيرة وعكرمة، فجاء المؤذن فقال الله أكبر الله أكبر - واسم المؤذن قثم بن عبد الرحمان الثقفي - قال فقال ابن عباس: أتدرون ما قال المؤذن؟ فسأله أبو العالية وقال: أخبرنا بتفسيره.

قال ابن عباس: إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر يقول: يا مشاغيل الأرض قد وجبت الصلاة فضرّغوا لها.

(١) معاني الأخبار/ ٢٨ ط الحيدرية بتقديمي سنة ١٣٩١ .

وإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله يقول: يقوم يوم القيامة ويشهد لي ما في السموات وما في الأرض على أنني أخبرتكم في اليوم خمس مرات.  
 وإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله يقول: يقوم يوم القيامة ومحمد يشهد لي عليكم أن قد أخبرتكم بذلك في اليوم خمس مرات وحجتي عند الله قائمة.  
 وإذا قال: حي على الصلاة يقول: ديناً قيمياً فأقيموه.  
 وإذا قال: حي على الفلاح يقول: هلموا إلى طاعة الله وخذوا سهمكم من رحمة الله - يعني الجماعة -

وإذا قال العبد: الله أكبر يقول: حرمت الأعمال.  
 وإذا قال: لا إله إلا الله يقول: أمانة سبع سماوات وسبع أرضين والجبال والبحار وضعت على أعناقكم، إن شتم فأقبلوا، وإن شتم فأدبروا<sup>(١)</sup>.  
 وفي هذا النص إيماءة إلى أن ابن عباس كان يصلي بهم جماعة، وتلك الإيماءة هي قول عطاء: «فجاء المؤذن فقال... لماذا جاء وأذن؟ أليس للصلاة؟»  
 فمن ذا يكون الإمام إذا لم يكن هو ابن عباس، ولو كان غيره لذكر لنا عطاء اسمه كما ذكر اسم المؤذن. هذا ما أراه وفوق كل ذي علم عليم.

٢- أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن عبد الله بن مليك العجلي: «قال سمعت ابن عباس ~~يقول~~ قبل موته بثلاث يقول: اللهم إني أتوب إليك مما كنت أفتي الناس في الصرف».

ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد وهو من أجل مناقب عبد الله ابن عباس، إنه رجع عن فتوى لم يتقم عليه في شيء غيرها<sup>(٢)</sup>. وواقفه الذهبي<sup>(٣)</sup>.

(١) فلاح السائل / ١٣٧ ط الحيدرية بتقديمي سنة ١٣٨٥ -

(٢) المستدرک ٣ / ٥٤٢ -

(٣) التلخيص / ٥٤٣ بهامش المستدرک على التصحيح.

وأشار إلى ذلك ابن أبي الحديد في شرحه، فقال: «وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصرف وسفّهوا رأيه حتى قيل إنه تاب من ذلك عند موته»<sup>(١)</sup>.

أقول: لقد روى ابن حزم عدم رجوعه عن سعيد بن جبير وهو من المختصين به. ومهما يكن فسوف يأتي البحث حول هذه الفتيا التي أثارته عليه نقد الصحابة في الحلقة الثالثة في فقهاء. ومما ينبغي الإشارة إليه أنه لم يكن وحده يرى ذلك، فقد كان ابن الزبير وأسامة بن زيد وزيد بن أرقم يرون مثل رأيه أيضاً كما في الخلاف للشيخ الطوسي<sup>(٢)</sup> والمغني<sup>(٣)</sup>.

٣- أخرج الخزاز في كفاية الأثر بسنده عن عطاء قال: «دخلنا على ابن عباس وهو عليل بالطائف في العلة التي توفي فيها - ونحن رهط ثلاثين رجلاً من شيوخ الطائف - وقد ضعف، فسألنا عليه وجلسنا، فقال لي: يا عطاء من القوم؟ قلت: يا سيدي هم شيوخ هذا البلد منهم عبد الله بن سلمة الحضرمي الطائفي وعمارة بن الأجلح وثابت بن مالك فما زلت أعد له واحداً بعد واحد، ثم تقدموا إليه فقالوا: يا بن عم رسول الله ﷺ وسمعت منه ما سمعت، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأمة، فقوم قد قدموا علينا على غيره، وقوم جعلوه بعد ثلاثة؟

قال - عطاء - فتنفس ابن عباس وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ، وهو الإمام والخليفة من بعدي، فمن تمسك به فاز ونجا، ومن تخلف عنه ضلّ وغوى، يلي تكفيني وتغسبلي، ويقضي ديني، وأبو سبطيني

(١) شرح النهج ٤/٤٥٩.

(٢) الخلاف ٤٢/٣ - ٤٣ ط جماعة المدرسين بقم.

(٣) المغني لابن قدامة الحنبلي المقدسي ١/٤ ط دار المنار.

الحسن والحسين، ومن صلب الحسين تخرج الأئمة التسعة، ومنا مهدي هذه الأمة) فقال له عبد الله بن سلمة الحضرمي: يا بن عم رسول الله فهلاً كنت تعرفنا قبل هذا؟

فقال: قد والله أذيت ما سمعت، ونصحت لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين. ثم قال:

أتقوا الله عباد الله تقاةً من اعتبر بهذا، واتقى في وجل، وكمش في مهل، ورغب في طلب، ورهب في هرب، واعملوا لآخرتكم قبل حلول آجالكم، وتمسكوا بالعروة الوثقى من عترة نبيكم، فإنني سمعته ﷺ يقول: (من تمسك بعترتي كان من الفائزين).

ثم بكى بكاءً شديداً، فقال له القوم: أتبكي ومكانك من رسول الله ﷺ مكانك؟

فقال لي: يا عطاء إنما أبكي لخصلتين: هول المطلع وفراق الأحبة. ثم تفرق القوم...<sup>(١)</sup>

٤- روى الذهبي عن عكرمة: ((إن الناس من أهل الطائف ومعهم علم من علمه أو قال كتب من كتبه، فجعلوا يستقرؤونه، وجعل يقدم ويؤخر، فلما رأى ذلك قال: إني قد تلهت من مصيبي هذه، فمن كان عنده علم من علمي، فليقرأ علي، فإن إقراره لي كقراءتي عليه. قال: فقرأوا عليه<sup>(٢)</sup>)).

تلهت: تحيرت، والأصل: ولهت كما قيل في وجاه تجاه.

(١) كفاية الأثر (باب ما جاء عن عبد الله بن عباس) ط حجرية ٢٠ ط محققة إيران.

(٢) أنساب الأشراف ترجمة ابن عباس بخطي برقم ٥٣، سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٤ ط دار الفكر.

تلهت: تحيرت والأصل: ولهت كما قيل في وجاه تجاه.

ورواه المقرئ في كتابه المقفى الكبير<sup>(١)</sup>.

٥- أخرج الكشي في معرفة الناقلين، قال: «حمدويه وإبراهيم قالوا: حدثنا أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن عاصم بن حميد عن سلام بن سعيد عن عبد الله بن عبد ياليل (ثاليل/خ) - رجل من أهل الطائف - قال: أتينا ابن عباس (رحمة الله عليهما) نعوذه في مرضه الذي مات فيه، قال: فأغمي عليه في البيت فأخرج إلى صحن الدار. قال: فأفاق فقال: إن خليلي رسول الله ﷺ قال: إني سأهجر هجرتين، وإني سأخرج من هجرتي، فهاجرت هجرة مع رسول الله ﷺ، وهجرة مع علي ﷺ، وإني سأعمى فعميت، وإني سأغرق، فأصابني حكة فطحني أهل في البحر فغفلوا عني ففرقت ثم استخرجوني بعد.

وأمرني أن أبرأ من خمسة من الناكثين وهم أصحاب الجمل، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام، ومن الخوارج وهم أهل النهروان، ومن القدرية وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم فقالوا: لا قدر، ومن المرجئة الذين ضاهوا اليهود في دينهم فقالوا: الله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وسأتي عنه بعض الأخبار الغيبية مما قد يرتاب فيها المبطلون، لكننا لا نشك في أنها من عين صافية وهو صادق أمين، وفي هذا الخبر الآنف الذكر دليل على صحة ما نراه.

٦- إن بداية هجرته الأخيرة إلى الطائف كانت فيما أحسب بعد مقتل المختار الذي هو في ١٤ رمضان سنة ٦٧ هـ وقد مر بنا شماتة ابن الزبير به حين

(١) المقفى الكبير ٥٠١/٤ ط دار الغرب الإسلامي بيروت.

(٢) معرفة الناقلين كما في اختياره للشيخ الطوسي ٢٨/ ط بمبئى و ٥٦ بتحـ حسن المصطفوي ط دار مشكاة مشهد.

أخبره بقتل المختار وجوابه اللاذع البارع حتى استهان به، أهون من كلب في درب الجامع على حدّ تعبيره، أمّا نهايتها فكانت سنة ٦٨، ومن المؤسف حقاً أن لا يذكر لنا رواة وفاته الذين حضروها وشاركوا في تجهيزه والصلاة عليه، وحتى ذكروا ما قيل في تأيينه ساعة دفنه، فلم يذكروا لنا تاريخ موته يوماً وشهراً، وحتى السنة التي ذكروها، قد خالفهم من ذكر أنها كانت في غير سنة ٦٨ كما سيأتي تحقيق ذلك.

ماذا عنه في مرض موته ؟

لقد ذكر ابن سعد في طبقاته من حديث عطية بن سعد العوفي، قال: ((مرض عبد الله بن عباس، فبينما نحن عنده إذ قال في مرضه: إني أموت في خير عصابة على وجه الأرض، أحبهم إلى الله، وأكرمهم عليه، وأقربهم إلى الله زلفى، فإن متّ فيكم فأنتم هم. فما لبث إلا ثماني ليال بعد هذا القول حتى توفي رحمه الله...))<sup>(١)</sup>. وحكى ذلك أيضاً ابن الأثير<sup>(٢)</sup>.

ونحن أزاء هذا الخير لا نستبعد أن يكون ابن عباس قد تلقى ذلك إما من ابن عمه النبي ﷺ، وإما من ابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام ولا أحسب أنه قاله من عنده لأنه من الغيبات المبشرة، وهو مع سموّ مكانته العلمية، فلم يكن من أهل الغيبات من عنده، كيف وهو يتلو ويفسر قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إلا من ارتضى من رسولٍ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى (ترجمة ابن عباس) / ١٨٨ بتحقيق المسلمي.

(٢) أسد الغابة ٣/ ١٩٥، مع أقست الإسلامية.

(٣) الجن / ٢٦ - ٢٧.



فقد حكى السيوطي في الدر المنثور عن ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ عَنِّيهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ قَالَ: أعلم الله الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه فيما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله فإنه لا يعلم ذلك غيره<sup>(١)</sup>.

وإذا أردنا أن نتعامل مع النص السابق كوثيقة تاريخية أمكننا أن نعرف أن مدة مرضه كانت أكثر من التي حددها عطية بن سعد بشماني ليال، فإنها الليالي التي عاشها بعد قوله القول، ولو أن عطية ذكر لنا تاريخ المرض أو تاريخ الوفاة لأفاد كثيراً.

وصاياها لابنه علي:

ومهما يكن فإن لابن عباس وصية أوصى بها ولده علياً لعلها كانت في تلك الفترة التي ذكرها عطية.

فقد ورد في مختصر تاريخ الخلفاء: ((إنه لما دنا موت عبد الله أوصى إلى ابنه علي فقال له: إن أفضل ما أوصيك به تقوى الله الذي هو دعامة الأمر، وبه يقوم الدين والدنيا، ومن بعد ذلك فاعلم يا بني إن الناس قد أصبحوا - إلا قليلاً - في عمى من أمرهم، يضرب بعضهم بعضاً على دنيا فانية قد نعاها الله إليهم، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لجذك: هذا الأمر كائن في ولدك عند زواله عن بني أمية، فمن منهم ولي أمر الأمة فليثق الله وليعمل بالحق، وليقتد برسول الله، فإن أحق الناس باتباع أثره أمسهم به رحماً، وليست الحجاز لكم بدار بعدي، فإذا أنت واريثني، فالمم شعث أهلك

(١) الدر المنثور ٦/٢٧٥.

والحق بالشام، فإن لبني أمية أكلاً لا بد أن يستوفوه، وهم وإن كانوا على ضلالتهم وعتوهم أراف بك وبأهلك من آل الزبير، للرحم التي بينك وبينهم، وتوق حركات بني عمك علي بن أبي طالب عليه السلام وأوص بذلك ولدك، فإن لهم حركات يُقتل الشاخص فيها»<sup>(١)</sup>.

وقيل: إنه قال له: الحق بابن عمك عبد الملك فإنه أقرب وأخلق بالإمارة، ودع ابن الزبير، فأني رأيت لا يعرف صديقه من عدوه، ومن يكون كذلك لم يتم أمره ولم يصف له، إن عبد الملك مشى اليقدمية، وابن الزبير مشى القهقري وتمثل:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد

ثم قال له: يا بني إن أتيت الشام وخيرك عبد الملك المنازل فانزل بالشرارة فإن الملك إذا تحول من بني أمية تحول إلى رجل من أهل الشراة من أكثر أهل بيت في الناس، وأنتم أولئك ...

ولا شك أن ابن عباس لم يكن ليقول ذلك من عنده، إنما تلقاه من لدن مدينة العلم، أو من بابها، وقد حدثت هند بنت المهلب أن عكرمة أخبرها - وكان يدخل عليها كثيراً ويحدثها - قال قال ابن عباس: لا يزال هذا الأمر في بني أمية ما لم يختلف بينهم ومحان، فإذا اختلفوا خرجت منهم إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>. وله نحو هذا عدة أقوال.

(١) مختصر تاريخ الخلفاء ط، موسكو / ورقة ٢٤٢ ب.

(٢) كتاب الفتن لتميم بن حماد (نسخة مصورة - ميكروفلم - من مكتبة المتحف البريطاني في لندن بمكتبتي) والملاحم والفتن للسيد ابن طاووس / ١٣ نقلاً عن الفتن لتميم بن حماد ومنه في كنز العمال ٨٧/١٤.

منها ما رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن، قال: «عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم ذكروا عنده اثني عشر خليفة ثم الأمير فقال ابن عباس: والله إن منّا بعد ذلك السفاح والمنصور والمهدي يدفعها إلى عيسى بن مريم»<sup>(١)</sup>.

ومنها: ما رواه نعيم أيضاً بسنده عن أبي هريرة يقول: «كنت في بيت ابن عباس فقال: اخلقوا الباب، ثم قال: هاهنا من غيرنا أحد؟ قالوا: لا، وكنت في ناحية من القوم فقال ابن عباس: إذا رأيتم الرايات السود تجيء من قبل المشرق فأكرموا الفرس، فإنّ دولتنا فيهم.

قال أبو هريرة: فقلت لابن عباس: أفلا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: وإنك لهاهنا؟ قلت: نعم، قال: حدث، فقلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إذا خرجت الرايات السود فإنّ أولها فتنة وأوسطها ضلالة وآخرها كفر»<sup>(٢)</sup>.

ولابن عباس وصايا لابنه عليّ، غير ما تقدم:

منها: ما رواه أبو نعيم في تاريخه: «قال لابنه يا بني عليك بالاعتبار فإنّه يذهب بالإخترار، وعليك بتقصير الأمل وتقريب الأجل، فإنّه يذهب بالكسل ويحض على العمل»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما رواه الشيخ المفيد في أماليه وعنه الشيخ الطوسي في أماليه<sup>(٤)</sup> وعنهما المجلسي في البحار<sup>(٥)</sup>، واللفظ للأول بسنده عن عكرمة قال: «سمعت

(١) الفتن ٩٦/١، وصه في كنز العمال ٢٤٦/١١ ط مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٩ بيروت.

(٢) الفتن ٢٠٢/١ و٢٠٣ و٥٥١ ط القاهرة سنة ١٤١٢ تم سمير ابن أمين الزهري.

(٣) تاريخ اصبهان ٣٥٦/١ ط أوروبا.

(٤) أمالي الطوسي ١/ ١١٠ ط النعمان.

(٥) بحار الأنوار ١٧/ ٣٣٥ ط حجرية.

عبد الله بن عباس يقول لابنه علي بن عبد الله: ليكن كنتك الذي تدخره العلم،  
كن به أشد اغتباطاً منك بكتز الذهب الأحمر، فأني مودعك كلاماً إن أنت وعيته  
اجتمع لك به خير أمر الدنيا والآخرة:

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويؤخر التوبة لطول الأمل، ويقول في  
الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراضين، إن أعطى منها لم يشبع، وإن منع منها  
لم يقنع، يعجز عن شكر ما أوتي، ويتنفي الزيادة فيما بقي، ويأمر بما لا يأتي، يحب  
الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض الجاهلين - الفجار - وهو أحدهم، ويقول لم  
أعمل فأتيتي، ولا أجلس فأتيتي، فهو يتمنى الغفرة وقد دثب في المعصية، قد عمر ما  
يتذكر فيه من تذكر، يقول فيما ذهب لو كنت عملت ونصبت كان ذخراً لي، ويعصي  
ربه - تعالى - عزاً اسمه فيما بقي، غير مكترث، إن سقم ندم على العمل، وإن صح أمن  
واغترّ وأخر العمل، معجب بنفسه ما عوفي، وقاطع إذا بشيء ابتلي، إن رغب أشد، وإن  
بسط له هلك، تغلبه نفسه على ما يظن، ولا يظلمها على ما يستيقن، لا يثق من الرزق بما  
قد ضُمن له، ولا يقنع بما قُسم له، لم يرغب قبل أن ينصب، ولا ينصب فيما يرغب، إن  
استغنى بطر، وإن افتقر قنط، فهو يتنفي الزيادة وإن لم يشبع، ويضيع من نفسه ما هو  
أكره، يكره الموت لإساءته، ولا يدع الإساءة في حياته، إن عرضت شهوته واقع  
الخطيئة ثم تمنى التوبة، وإن عرض له عمل الآخرة دافع، يبلغ في الرغبة حين يسأل،  
ويقصر في العمل حين يعمل، فهو بالطول مدلل، وفي العمل مقل، يبادر في الدنيا يعي  
بمرض، فإذا أفاق واقع الخطايا ولم يعوض، يخشى الموت ولا يخاف الفوت، يخاف  
على غيره بأقل من ذنبه، ويرجو لنفسه بدون عمله، وهو على الناس طاعن، ولتفسه  
مداهن، يرى الأمانة ما رضي، ويرى الخيانة إن سخط، إن عوفي ظن أنه قد تاب، وإن  
ابتلي طمع في العافية وعاد، لا يبيت قائماً، ولا يصبح صائماً، يصبح وهمه الغداء،

ويمسي وثيته العشاء وهو مفطر، يتعوذ بالله من فوقه، ولا ينجو بالعود من هو دونه، يهلك في بغضه إذا أبغض، ولا يقصر في حبه إذا أحب، يغضب من اليسير، ويعصي على الكثير، فهو يطاع ويعصي، والله المستعان<sup>(١)</sup>.

أقول: قارن هذه الوصية مع الحكمة (١٥٠) نهج البلاغة بشرح محمد عبده<sup>(٢)</sup>، تجدها مأخوذة منها مع تغيير بعض ألفاظها بما يرادفها، ولا تكاد تفرق بينهما، وتلك الحكمة هي التي قال عنها الشريف الرضي رحمته: «لو لم يكن في الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة، وحكمة بالغة، وبصيرة لمبصر، وعبرة لناظر مفكر»<sup>(٣)</sup>.

وهي بحق كذلك، ولا غرابة فقد وصفها حبر الأمة لابنه أبلغ وصف حين قال له: «إني مودعك كلاماً إن وعيته اجتمع لك به خير الدنيا والآخرة.

وأخرج الطبراني في المعجم بسنده عن زاذان قال: «مرض ابن عباس مرضة ثقل منها فجمع إليه بنيه وأهله، فقال لهم: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله) وسلم يقول: (من حج من مكة ماشياً حتى يرجع إليها فله بكل خطوة سبع مائة حسنة من حسنات الحرم)، فقال بعضهم: وما حسنات الحرم؟ قال: (كل حسنة بها ألف حسنة)»<sup>(٤)</sup>. وأحسب أن هذا كان منه في الطائف في مرضه الذي توفي فيه رحمته.

وكان ابن عباس رحمته يقول: «آخر شدة يلقاها - ابن آدم - المؤمن الموت»<sup>(٥)</sup>.

(١) أمالي المفيد / ١٧٦ ط الحيدرية سنة ١٣٦٧ هـ.

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده / ١٨٩ حكمة (١٥٠).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المعجم الكبير ١٢/٨٢ ط الموصل.

(٥) صفة الصفوة ١/٣١٩.

فها هو الآن يودع الحياة التي قاسى آخر أيامه فيها الشدائد من ظلم ابن الزبير الذي أخرجه عن مكة حرم الله، وكان يود أن يموت فيها كما مر في دعائه بِنِعْمَان، ولكن لله أمر هو بالغه.

وما هي آخر شلة من شدائد الحياة يلقاها بأحسن عدة وخير زاد ليوم المعاد.

ملاك العمل خواتيمه<sup>(١)</sup>:

لقد ورد في الحديث النبوي الشريف: (وإنما الأعمال بخواتيمها)، وهو حديث صحيح لا غبار عليه سنداً ومتناً<sup>(٢)</sup>، وهو ميزان يعرف به تقويم الناس في الحياة الدنيا.

ولما كانت خاتمة ابن عباس في حسننها فريدة في بابها، يحسن بنا أن نذكرها ونقدم عليها ذكر من رواها توثيقاً لها.

فقد رواها أحمد بن حنبل - وهو أقدم من رواها - في كتابه فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((حدثنا الحسن بن عليّ البصري قال حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا أبي قال حدثنا الحاكم بن ظهيرة عن السدي عن أبي صالح...))<sup>(٣)</sup> الخبر.

وروى الخبر بهذا السند أيضاً أبو جعفر محمد بن أبي القاسم عليّ بن محمد بن عليّ الطبري - من علماء الإمامية في القرن السادس - في كتابه بشارة المصطفى<sup>(٤)</sup>، وأحسبه أخذه من كتاب أحمد.

(١) حديث نبوي شريف رواه عن ابن عباس أنظر كنز العمال ١٨٧/٢٠ ط حيدرآباد الثانية.  
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق وأحمد في مسنده ٣٣٥/٥ من حديث سهل بن سعد، وغيرهما.

(٣) فضائل الصحابة (الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) ١/١ ورقة ١٠١ نسخة مصورة بمكتبتي.

(٤) بشارة المصطفى لشعبة المرتضى ٣٣٩/ ط الحيدرية سنة ١٣٨٣ هـ.

كما رواه عن أحمد العصامي المكي في سمط النجوم العوالي<sup>(١)</sup>، وكذلك الباعوني في جواهر المطالب<sup>(٢)</sup>.

وروى حسن الخاتمة أيضاً عطاء المكي، وهو من تلامذة ابن عباس المحظيين عنده، وكان معه في الطائف ملازماً له كسعيد بن جبير وأبي العالية وهما من خيرة التابعين.

وحديثه أخرجه الخزاز في كفاية الأثر بسنده في باب ما جاء عن عبد الله ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

وروى حسن الخاتمة أيضاً عبد الله بن عبيد باليل (ثاليل)، وعنه الكشي بسنده في رجاله<sup>(٤)</sup>.

وعنه ميثوثاً في مصادر المتأخرين كالدرجات الرقيقة<sup>(٥)</sup>، وغيرها.

#### حديث الخاتمة:

فلنقرأه أولاً برواية عطاء بن أبي رباح المكي في آخر ما حدث به عن أستاذه حبر الأمة، وقد مرّ في معطيات الطائف صدر الخبر:

((...وتفرّق مَنْ كان عنده من أهل الطائف، ووصيته لهم بتقوى الله والعمل للأخرة والتمسك بالعروة الوثقى من عترة النبي ﷺ لما سمعه منه ﷺ يقول: (من تمسك بعترتي كان من الفائزين).

(١) سمط النجوم العوالي ٢/ ٢٨٤ ط السلفية بمصر.

(٢) جواهر المطالب في آخر الباب الثالث عشر من كتابه ورقة ١٧ ا (نسخة مصورة بمكتبتي).

(٣) كفاية الأثر ط حجرية سنة ١٣٠٥.

(٤) كما في اختياره ٥٦ ط محققة.

(٥) الدرجات الرقيقة / ١٤٠ ط الحيدرية.

قال عطاء: فقال لي: يا عطاء خذ بيدي واحمطني إلى صحن الدار، فأخذنا بيده أنا وسعيد، وحملناه إلى صحن الدار، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِوَلَايَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» فما زال يكررها حتى وقع إلى الأرض، ففصرنا عليه ساعة، ثم أقمناه فإذا هو ميت رحمة الله عليه.

ولنقرأ الخبر ثانية برواية عبد الله بن عبد ياليل (ثاليل) كما في رواية الكشي: «قال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْيَى عَلَى مَا حَيَّي بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَأَمُوتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، ثُمَّ مَاتَ».

ومرة ثالثة برواية أبي صالح كما رواها أحمد بن حنبل قال: «لَمَّا حَضَرَتْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ الْوَفَاةَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ».

هذه ثلاث روايات عن ثلاثة ممن حضروا ساعة الوفاة، وكلهم اتفقوا على رواية تقرّبه إلى الله تعالى بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فأَيَّ خاتمة أحسن من هذه الخاتمة: حبر الأمة يتقرب إلى الله سبحانه بولاية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليثقل بها ميزانه، فهو في آخر رمق من حياته يدعو مبتهلاً إلى الله تعالى أن يجعل الولاية أفضل قرباء إليه، مستودعاً لها عنده لتكون من وسائل فوزه يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولقد مرّ عنه أيضاً عندما بلغه خبر استشهاد الإمام الحسين عليه السلام فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ أَنِّي لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلَوْلَدِهِ وَلِيٍّ، وَمَنْ عَدُوهُ وَعَدُوهُمُ بَرِيءٌ، وَإِنِّي سَلِمٌ لَأَمْرِهِمْ. كَيْفَ لَا وَقَدْ أَوْصَاهُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم»<sup>(١)</sup>، وأوصاه بذلك أبوه العباس<sup>(٢)</sup>.

(١) كما مر في الجزء الأول.

(٢) كما مر في الجزء الأول.



وهو الذي روى عن رسول الله ﷺ قوله: (أيها الناس الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله بؤدنا دخل الجنة بشفاعتنا، فوالذي نفس محمد بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفتنا وولايتنا)<sup>(١)</sup>.

فهو إذن يعيش الولاء ملء إهابه، ولا يفتر عن إعلائه، فهو ذكره المفضل لديه، عاش وناضل دونه، وها هو اليوم مات عليه.

- اللهم وأنا عبيدك المذنبون نتقرب إليك أيضاً بما تقرب به إليك ابن عباس حبر الأمة من ولاية أمير المؤمنين ﷺ ولتجعلنا من الفائزين بقربه والناجين بحبه إنك سميع الدعاء قريب مجيد.

فقد روى أحمد بن حنبل بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: (طلبني رسول الله ﷺ في حائط نائماً فضرمني برجله قال: قم فوالله لأرضينك أنت أخي، وأبو ولدي، تقاتل على مستي، من مات على عهدي فهو في كثر الله، ومن مات على عهدك فقد قضى نجه، ومن مات بحبك بعد موتك ختم له بالأمن والإيمان ما طلعت شمسٌ أو غربت)<sup>(٢)</sup> -

اللهم اختم لنا بالأمن والإيمان.

ماذا بعد موته ؟

لقد ذكر المؤرخون عن الرواة الذين حضروا مراسم تجهيزه أموراً بعضها شرعية، وبعضها ظاهرة غير طبيعية، وجميعها يسترعي الانتباه، ويستوجب الوقوف عندها لبحثها، بدءاً من دخول الطير في أكفانه ثم الصلاة عليه، ومروراً بكيفية إجنانه، وسماعهم تلاوة آية قرآنية تدل على

(١) أمالي المفيد / ٧٥ ط الحيدرية سنة ١٣٦٧.

(٢) فضائل الصحابة (الإمام أمير المؤمنين ﷺ) ورقة ٩٦ / ١.

عظم شأنه، وتسطيح قبره في بنيانه، والسحابة التي أمطرته بوابلها، وأخيراً ضرب الفسطاط على قبره.

فنحن الآن وقد أشرفنا على توديعه في تاريخه، فينبغي لنا أن نودّعه بوقفة تحقيق وتأمل في تلك المرويات التي لم تخل من مناقية ربّما تخيلها البعض أنها وضعت أيام حكومة بني العباس ترفلاً إليهم، لذلك قلت أنها أسترعت الإلتباه فاستوجبت البحث، فنقول:

أولاً: دخول الطائر الأبيض في أكفانه:

رواه غير واحد ممن حضر تجهيز ابن عباس وقالوا: «أن طائراً دخل في أكفانه ودفن معه»؟! وهذا أمر عجيب وغريب، إذ لم يحدث مثله فيما أعلم مع غيره. ولنقرأ بعض الروايات في ذلك:

١- روى ابن سعد<sup>(١)</sup> والفسوي<sup>(٢)</sup> وأحمد<sup>(٣)</sup> وغيرهم عن بجير بن سالم أبي عبيد الطائفي: «أن ابن عباس مات بالطائف فلما أخرج بنعشه جاء طائر أبيض عظيم من قبل وجّ - واد بالطائف - حتى خالط أكفانه لم يُدر أين ذهب».

قال عفان - شيخ ابن سعد - فكانوا يرون أنه عمله - علمه خ ل -

٢- وروى ابن سعد والفسوي<sup>(٤)</sup> وأحمد<sup>(٥)</sup>، واللفظ للأول بسنده عن عبد الله بن ياسين قال: «أخبرني أبي أنه لما مرّ بجنازة ابن عباس بالجيزة - وهو وادٍ لهم - جاء طائر أبيض يقال له الغرنوق فدخل في النعش فلم يُر»<sup>(٦)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى (ترجمة ابن عباس) / ٢٠٧.

(٢) المعرفة والتاريخ / ٣٩١.

(٣) فضائل الصحابة برقم ١٩٤٩.

(٤) المعرفة والتاريخ / ٥٣٩.

(٥) فضائل الصحابة برقم ١٩٠٢ و ١٩٠٧.

(٦) الطبقات الكبرى (ترجمة ابن عباس) / ٢٠٦.

- ٣- وروى ابن سعد بسنده عن شعيب بن يسار قال: ((لَمَّا مات ابن عباس رضي الله عنه وأدرج في كفته دخل فيه طائر أبيض فما رؤي حتى الساعة))<sup>(١)</sup>.
- ٤- وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن ميمون بن مهران قال: ((شهدت جنازة عبد الله بن عباس رضي الله عنه بالطائف، فلَمَّا وُضِع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه، فالتمس فلم يوجد))<sup>(٢)</sup>. ورواه الذهبي مختصراً<sup>(٣)</sup>.
- ٥- وروى الحاكم في المستدرک بسنده عن أبي الزبير - المكي - قال: ((شهدت جنازة عبد الله بن عباس رضي الله عنه بالطائف فرأيت طيراً أبيض جاء حتى دخل في أكفانه تمت الثوب فلم يزحزح به))<sup>(٤)</sup>.
- ٦- خيلان بن عمر بن أبي سويد قال: ((شهدت جنازة ابن عباس بالطائف فلَمَّا حملناه جاء طائر أبيض فدخل في أكفانه ولم نره خرج)). وقد رواه المحب الطبري في الذخائر عن معجم البغوي<sup>(٥)</sup>.
- ٧- وروى الحاكم<sup>(٦)</sup> والطبراني<sup>(٧)</sup> والذهبي<sup>(٨)</sup> بلفظه وسنده عن سعيد بن جبيرة قال: ((مات ابن عباس بالطائف فجاء طائر لم يُر على خلقته فدخل نعشه، ثم لم يُر خارجاً منه))<sup>(٩)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى/٢٠٦.

(٢) حلية الأولياء/١/٣٢٩.

(٣) سير أعلام النبلاء/٤/٤٥٦.

(٤) المستدرک/٣/٥٤٣. هكذا في مطبوع مكتب المطبوعات الإسلامية بالأفست من طيبة حيدرآباد، وهي آخر الخبر تصحيف لم ينبه عليه إلا الصواب (فلم ير خرج بعد) وقد رواه الذهبي في التلخيص وسكت عنه.

(٥) ذخائر العقبى/٣٣٧.

(٦) المستدرک/٣/٥٤٣.

(٧) المعجم الكبير/١٠/٣٣٦.

(٨) سير أعلام النبلاء/٤/٤٥٦.

(٩) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٥/٩ ط القدسي نقلاً عن الطبراني فقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

فهذه سبع روايات عن سبعة من التابعين كلهم ادعوا المشاهدة لظاهرة غريبة لم يسبق لها مثيل، وهؤلاء أربعة منهم - وهم الثلاثة الأوائل والسادس كانوا من أهل الطائف، والثلاثة الآخرون كانوا من تلاميذ ابن عباس، واحتمال توأمتهم على الكذب في ذلك مستبعد جداً، لأنهم جميعاً فوق مستوى الشبهة، بل لو كان ذلك عن توأمو لما اختلفت رواياتهم في وصف الطائر بعد اتفاقهم على أنه طير أبيض، فوصفه الأول بأنه عظيم، وقال الثاني: يقال له الغرنوق، وقال السادس لم يُر على خلقته، وهذا التفاوت في النقل يوحي باطمئنان رؤيتهم على نحو الكشف، وهو أمر ممكن الوقوع، ولا استحالة عقلية فيه، بل اتفاق من ذكرنا من المحدثين والمؤرخين على روايته من دون تعقيب بما يوحي بالريب والتشكيك، يعني إخبارهم بصحته، وأما تعقيب عفان - شيخ ابن سعد - على الرواية الأولى بقوله: فكانوا يرون أنه علمه - عمله خ ل - فهو يؤيد الوقوع بناء على القول بتجسيد الأعمال كما هو الصحيح، وقد ورد في أحاديث البرزخ والقيامة ما يدفع معرّة الإنكار.

وحسبنا في المقام دليلاً على تجسم العمل قبل القيامة حديث الرسول الكريم مع قيس بن عاصم النقرى سيد أهل الوبر وقد وفد مع بني تميم، فقد طلب من النبي ﷺ موعظته، فوعظه موعظة حسنة جاء فيها: (وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يُدفن معك وهو حي وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لثيماً أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك ولا تحشر إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه وهو فلك الخير<sup>(١)</sup>).

(١) انظر بحار الأنوار ٢٥٧/٣ ط الكمباني حجرية و ٢٢٨/٧ ط الإسلامية نقلًا عن الشيخ البهائي القائل بتجسم الأعمال.

فقال قيس بن عاصم: ((أحب أن يكون هذا الكلام آياتاً من الشعر نفتخر به على من يلينا وندخرها، فأمر من يأتيه بحسّان فقال الصلصال - ابن الدلهمس وكان حاضراً - يا رسول الله قد حضرتني آيات أحسبها توافق ما أراد قيس، فقال: هاتها، فقال:

تخيّر خليطاً من فعالك إنما	قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولابد الموت من أن تعدّه	ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولاً بشيء فلا تكن	بغير الذي يرضى به الله تُشغل
ولن يصحب الإنسان من قبل موته	ومن بعده إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الإنسان ضيف لأهله	يقيم قليلاً بينهم ثم يرحل <sup>(١)</sup>

وقد روى الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبد الله قال: ((إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر يطلّ عليه ويتحنى الصبر ناحية، وإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءته، قال الصبر للصلاة والزكاة دونكما صاحبكما، فإن عجزتم عنه فأنا دونه<sup>(٢)</sup>). وفي فتح الباري<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة بنحو ذلك.

فمسألة تجسم الأعمال ثابتة بأدلتها ومن شاء الإستزادة فعليه بمراجعتها في مظانها من كتب الفريقين<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر الإصابة ١٨٦/٢ - ١٨٧ ط مصطفى محمد سنة ١٣٥٨ هـ أمالي الصدوق ٢/، والخصال ١١٠/١، ومعاني الأخبار ٢٢١/ جميعها ط الحيدرية بتقديم، وبحار الأنوار ١٧٥/٧٧ ط الإسلامية.

(٢) الكافي (الضروع) ٢٤٠/٣ ط دار الكتب الإسلامية.

(٣) فتح الباري ٤٨٠/٣ ط مصطفى محمد.

(٤) التذكرة للقرطبي ١٠٧/ - ١٠٨ ط دار المنار سنة ١٤١٨، ومنازل الأخرى للقمي والمرآة الناظرة للهمداني وإرشاد القلوب للديلمي وغيرها.

إذن لا مانع من تصديق أولئك الرواة الذين رأوا دخول الطائر في أكفانه.  
نعم يبقى التنبيه على أن الكشي كما في اختيار رجاله للطوسي روى بسنده  
عن أبي عبد الله - الصادق - عليه السلام: ((إن ابن عباس لما مات وأخرج، خرج من  
كفنه طير أبيض يطير، ينظرون إليه يطير نحو السماء حتى غاب عنهم...))<sup>(١)</sup>.  
فمضمون هذا الخبر مروى أيضاً مرسلًا في ذخائر العقبى قال: ((ويروى أن طائراً  
أبيض خرج من قبره فتألوله علمه خرج إلى الناس))<sup>(٢)</sup>.

وقال الصفدي في النكت: ((وروي أن طائراً أبيض خرج من قبره، فتألوله  
علمه خرج إلى الناس ويقال: يل دخل قبره طائر أبيض، فقيل إنه بصره بالتأويل.  
وقيل جاء طائر أبيض فدخل نعشه حين حمل فما رؤي خارجاً منه))<sup>(٣)</sup>، وقال  
الذهبي بعد ذكره أخبار الرواة لقصة الطائر: ((فهذه قصة متواترة))<sup>(٤)</sup>.

ومهما يكن أمر التأويل فلا مانع من التصديق بأمر الطائر، ما دام تجسد  
العمل قد ثبت كتاباً وسنة. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ  
يَنْهَدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إن العمل الصالح يذهب إلى الجنة فيمهد  
لصاحبه كما يبعث الرجل غلامه فيفرش له، ثم قرأ الآية)<sup>(٦)</sup>.

ولولا تجسد الأعمال يوم القيامة لما نُصبت الموازين يوم القيامة، والله  
سبحانه تعالى يقول: ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) اختيار معرفة الرجال ٥٧/١ تح المصطفوي.

(٢) ذخائر العقبى للمحب الطبري / ٣٣٧ ط القدسي.

(٣) نكت الهميان / ١٨٢ ط الجمالية بمصر سنة ١٣٢١ هـ.

(٤) سير اعلام النبلاء ٤/٤٥٦ ط دار الفكر.

(٥) الروم / ٤٤.

(٦) أمالي المفيد / ١٠٤ ط الحيدرية ١٧١.

(٧) الأنبياء / ٤٧.

وفي الحلية لأبي نعيم عن وهب بن منبه قال: «إنما يوزن من الأعمال خواتيمها، وإذا أراد الله بعبد خيراً ختم له بخير، وإذا أراد الله به شراً ختم له بشر عمله»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿مَنْ تَقَلَّتْ مُوَاظِنَةُ قَاوَلِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مُوَاظِنَةُ قَاوَلِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

وقد روي عن ابن عباس: «أن الله تعالى يقلب الأعراس أجساماً فيزنها يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: مسألة الصلاة عليه:

لقد جاء في ذخائر العقبى عن أبي حمزة: «لما مات ابن عباس وليه ابن الحنفية»<sup>(٤)</sup>.

وهذا الذي رآه أبو حمزة فرواه أمر طبيعي، ينبغي أن يكون كذلك ولا سواء، لأن العلاقة بين ابن عباس وابن الحنفية، ليست وفقاً على النسب فحسب، بل هما شريكان في الرأي والعمل والنضال والقتال منذ أيام أمير المؤمنين عليه السلام وقد شاركوا معاً في الحروب الثلاث الجمل وصفين والنهروان، ومواقفهما فيها متشابهة ومتشابهة، وتنامت تلك العلاقة قوة وشدة في أيام الإمام الحسن عليه السلام ثم امتدت تتنامى قوتها أيام الحسين عليه السلام وبلغت ذروتها بعد شهادته حيث واجها عدواً مشتركاً يتربص بهما الدوائر، وقد استهدفهما بالأذى حتى أراد تحريقهما ومن معهما، وذلك هو ابن الزبير وقد مرّ الحديث عنه.

(١) حلية الأولياء ٣٣/٤.

(٢) المؤمنون ١٠٢/ - ١٠٣.

(٣) التنذرة للقرطبي ٢٨٧.

(٤) أنظر ذخائر العقبى ٣٣٧ ط القدسي.

فلا غرابة في الأمر لو تولى ابن الحنفية أمر ابن عباس وتجهيزه بعد موته، ومن هو أولى منه بذلك شرعاً سوى أبناء عبد الله بن عباس لأنهم الأقرب نسباً، لأن أولى الناس بالميت أولاهم بميراثه. ولا مانع من أن يكونوا هم الذين فوضوا الأمر إلى زعيم الهاشميين وقد حضر عندهم، أو أن ابن عباس أوصى إليه بذلك.

وروى أبو حمزة<sup>(١)</sup> وعمران بن أبي عطاء<sup>(٢)</sup> كلّ يقول: «شهدت ابن الحنفية صلى على ابن عباس فكبر عليه أربعاً».

ولمّا كانت الصلاة على الجنائز هي خمس تكبيرات كما عليه اجماع الشيعة سلفاً وخلفاً تبعاً لإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه الأئمة الطاهرين، وبه قال من الصحابة زيد بن أرقم<sup>(٣)</sup> وحذيفة<sup>(٤)</sup>، وبه قالت الظاهرية<sup>(٥)</sup> إلا أن أصحاب المذاهب الأخرى قالوا: إن التكبيرات أربع، وذكروا أن عمر هو الذي جمع

(١) طبقات ابن سعد ترجمة ابن عباس / ٢٠٥، مستدرک الحاكم ٥٤٤/٣، المعرفة والتاريخ ٥١٨/١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٣٤/١٠.

(٣) صحيح مسلم ٥٦/٣ ط محمد علي صبيح، والسنن الكبرى للبيهقي ٣٦/٤، والاستذكار لابن عبد البر ٣١/٣ ط دار الكتب العلمية.

(٤) الانتصار للمرئسي ٥٩ ط الحيدرية، والاستذكار ٣١/٣.

(٥) المحلى لابن حزم ١٢٥/٤ - ١٢٦، وقال في ١٢٧ بعد مناقشته لمن ادعى الإجماع على ان التكبير أربعاً قال أبو محمد: أف لكل إجماع يخرج منه عليّ بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس والصحابة بالشام رضي الله عنهم ثم التابعون بالشام وابن سيرين وجابر بن يزيد وغيرهم بأسانيد في غاية الصحة ويُدعى الإجماع بخلاف هؤلاء بأسانيد واهية فمن أجهل ممن هذا سبيله؟ فمن أخسر صفقة ممن يدخل في عقله أن إجماعاً عرفه أبو حنيفة ومالك والشافعي، وخفي علمه عليّ وابن مسعود وزيد بن أرقم وأنس بن مالك وابن عباس حتى خالفوا الإجماع؟ حاشا لله من هذا؟



الناس عليها<sup>(١)</sup>، فلا يبعد - إن صححت الرواية - أن يكون ابن الحنفية صلى تقيه بأربع تكبيرات ظاهرة برفع الأيدي عند كل تكبيرة ثم كبر خفية بخامسة للإلتصاف، فلم يشعر الراويان بذلك، ويكون في ذلك قد اقتدى بأبيه أمير المؤمنين عليه السلام حيث صلى على يزيد بن الكفيف فكبر عليه أربعاً - وقالوا - وسلم واحدة<sup>(٢)</sup>، فهذه الواحدة التي ظننها الرواة تسليمية هي التكبيرة الخامسة للإلتصاف، خصوصاً وأنها خفية كما في حديث مجاهد عن ابن عباس أنه كان سلم في الجنازة تسليمية خفية<sup>(٣)</sup>.

وحكى ابن عبد البر في الاستدكار ذلك عن عليّ وابن عباس وأبي امامة ابن سهل بن حنيف وسعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>.

وفي المغني: ((وكان أصحاب معاذ يكبرون خمساً على الجنائز))<sup>(٥)</sup>.

ولمّا كانت صلاة الجنازة ليس فيها دعاء موقت وليس فيها تسليم<sup>(٦)</sup> فتخيل الرواة التكبيرة الخامسة وهي خفية أنها تسليم. على أن في أحاديث الفريقين أن النبي صلى الله عليه وآله صلى على حمزة سيّد الشهداء سبعين مرة، وصلى أمير المؤمنين عليه السلام على سهل بن حنيف خمس مرات بخمس وعشرين

(١) روى البيهقي في السنن الكبرى ٣٧/٤ بسنده عن أبي وائل قال، كانوا يكبرون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله سبعاً وخمساً وستاً أو قال أربعاً، فجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبر كل رجل بما رأى فجمعهم عمر رضي الله عنه على أربع تكبيرات كأطول الصلاة.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ٤٣/٤، وكنز العمال ٢١٥/٢٠ ط حيدرآباد الثانية.

(٣) السنن الكبرى ٤٣/٤.

(٤) الاستدكار ٥١/٣.

(٥) المغني ٥١٤/٢.

(٦) الكافي (الضروع) ١٨٥/٣ ط دار الكتب الإسلامية طهران.

تكبيرة<sup>(١)</sup>، وفي خبر رواه البيهقي بسنده عن عبد خير عن علي<sup>عليه السلام</sup>: «أنه كان يكبر على أهل بدر ستاً، وعلى أصحاب محمد<sup>عليه السلام</sup> خمساً، وعلى سائر الناس أربعاً»<sup>(٢)</sup>، فليس من المعقول ولا المقبول أن لا يعلم ذلك محمد بن الحنفية، كما أنه ليس من المعقول ولا المقبول أن يعلمه ثم هو لا يفعله، فيكبر على ابن عباس وهو من الصحابة - أربعاً، (وإن من يشابهه أبه فما ظلم) كيف وهو قد تبعه في فعل سنة مستحبة وهي:

### ثالثاً: مسألة الدفن:

أ- روى الراويان السابقان أبو حمزة وعمران: أن ابن الحنفية أخذهُ وأدخله في قبره من قبل القبلة معترضاً.

أقول: وهذه سنة شرعية يستحب فعلها، فقد روي في ذلك فعل أمير المؤمنين<sup>عليه السلام</sup> مع يزيد بن المكنف، قال ابن حزم في المحلى: «وقد صحح عن علي<sup>عليه السلام</sup> أنه أدخل يزيد بن المكنف من قبل القبلة، وعن ابن الحنفية أنه أدخل ابن عباس من قبل القبلة، وروى ذلك عن إبراهيم مرسلًا - أنه<sup>عليه السلام</sup> - يعني النبي<sup>صلى الله عليه وآله وسلم</sup> - أدخل من قبل القبلة»<sup>(٣)</sup>.

وحكى ابن قدامة عن إبراهيم النخعي، قال: «حدثني من رأى أهل المدينة في الزمن الأوّل يدخلون موتاهم من قبل القبلة، وأنّ السلّ شيء أحدثه أهل المدينة»<sup>(٤)</sup>.

(١) نفس المصدر / ١٨٦.

(٢) السنن الكبرى / ٣٧/٤.

(٣) المغني لابن قدامة ٥٠٥/٢ ط دار المنار بمصر.

(٤) نفس المصدر / ٢ / ٤٩٦ - ٤٩٧.

ب- قال الواقدي: ((فتزل في قبره وتولى دفنه علي بن عبد الله ومحمد بن الحنفية (والعباس بن محمد بن عبد الله بن عباس) وصفوان وكريب وعكرمة وأبو معبد مواليه...)).

وفي هذا النص الذي رواه لنا المقرئ في كتابه المقفى<sup>(١)</sup> وهم من غلط النساخ لم يتبه له محقق الكتاب محمد اليعلاوي جعلته بين القوسين والصواب (والعباس ومحمد ابني عبد الله بن عباس) وعلى هذا يكون الذين تولوا دفنه وإجناته ثمانية أشخاص أربعة من ذويه وهم محمد بن الحنفية وثلاثة من أولاده وهو بحسب أسانئهم العباس وهو أكبرهم ومحمد وعلي وهو أصغرهم سنًا وأكبرهم شأنًا، وأربعة من مواليه وهم: صفوان وكريب وعكرمة وأبو معبد.

ج- أخرج الحسن بن عرفة في جزئه<sup>(٢)</sup>، والخطيب في تاريخه<sup>(٣)</sup> في ترجمة مروان بن شجاع، وأحمد بن حنبل في فضائله<sup>(٤)</sup> باسناد حسن، والطبراني في المعجم<sup>(٥)</sup> وعنه الهيثمي في المجمع<sup>(٦)</sup> وقال رجاله رجال الصحيح، والحاكم في المستدرک<sup>(٧)</sup>، والذهبي في التلخيص بهامشه، كلهم بأسانئهم عن سعيد بن جبیر، وأخرجه أبو نعيم في الحلية باسناده عن ميمون بن مهران قال: ((شهدت جنازة عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه بالطائف، فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل كفته فالتمس فلم يوجد، فلما سوي عليه سمعنا صوتاً نسمع صوته ولا

(١) المقفى الكبير ٢٢/٤ ط دار الفريب الإسلامي بيروت.

(٢) جزء ابن عرفة / ٧١.

(٣) تاريخ بغداد (ترجمة مروان بن شجاع) ١٣ / ١٤٧.

(٤) فضائل الصحابة / برقم ١٨٧٩.

(٥) المعجم الكبير ١٠ / ٢٣٦ ط الثانية بالموصل.

(٦) مجمع الزوائد / ٩ / ٢٨٥.

(٧) المستدرک ٣ / ٥٤٢.

نرى شخصه ﴿وَمَا آتَيْنَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ﴾ ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾<sup>(١)</sup>، وقد رواه الطبري في ذيل تاريخه والذهبي في سير أعلام النبلاء والمحب الطبري في ذخائر العقبى في ترجمة ابن عباس. فاتفق المؤرخين على روايته يكاد يلحقه بالتواتر.

رابعاً: غيبت السحابة قد بلّ ترابه:

أ- أخرج الحاكم في المستدرک بسنده عن مجاهد روى آياتاً ليزيد بن عتبة بن أبي لهب في رثاء ابن عباس ويذكر السحابة التي سقت قبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال:

صَبَّتْ ثَلَاثَ سَمَاةٍ اللَّهُ رَحْمَتَهَا	بِالْمَاءِ مَرَّتْ عَلَىٰ قَبْرِ ابْنِ عَبَّاسٍ
قَدْ كَانَ يَخْبِرُنَا هَذَا وَنَعْلَمُهُ	عِلْمَ الْبَاقِينَ فَمَنْ وَاَعَ وَمَنْ نَاسِي
إِنَّ السَّمَاءَ يَرُوي الْقَبْرَ رَحْمَتَهُ	هَذَا لِعَمْرِي أَمْرٌ فِي يَدِ النَّاسِ
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ رَأْيٌ يَعْصَمُونَ بِهِ	عِنْدَ الْخَطُوبِ رَمَوْكُم بِابْنِ عَبَّاسٍ
لَهُ دَرُ أَبِيهِ أَيُّمَارِجُلٍ	هَلْ مِثْلُهُ عِنْدَ فَصْلِ الْخُطْبِ فِي النَّاسِ
لَكِن رَمَوْكُم بِشَيْخٍ مِنْ ذَوِي يَمَنِ	لَمْ يَدْرَ مَا ضَرَبَ أَخْمَاسَ بِأَسَدَاسٍ <sup>(٢)</sup>

أقول: لقد رواها الحاكم ولم يعقب عليها بشيء كما ان الذهبي لم يذكرها في تلخيصه، ومن الغريب منهما ذلك مع ان فيها أكثر من ملاحظة، أظهرها الخطط بين آيات يزيد اللهبي وهي الثلاثة الأولى وبين آيات لايمان بن خريم قالها في مسألة التحكيم وقد مرت، فراجع.

(١) الفجر/ ٣٧ - ٣٠.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٣٢٩.

(٣) المستدرک ٣/ ٥٤٤.

ومنها قوله صبت ثلاث والصواب (ثلاثاً) ومنها تذكير السماء الخ وهي مؤنثة قال الله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ب- روى ابن سعد في طبقاته عن أبي سلمة الحضرمي قال: «رأيت ابن الحنفية قائماً على قبر ابن عباس يأمر به أن يسطح»<sup>(٢)</sup>.

أقول: وهذه سنة شرعية أخرى أمر بها ابن الحنفية تبع فيها رسول الله ﷺ سطح قبر ابنه إبراهيم عليه السلام.

قال الشافعي: «تسطيحه أفضل وقال: بلغنا أن رسول الله ﷺ إذ سطح قبر ابنه إبراهيم»<sup>(٣)</sup>.

ومن الطريف أن أصحاب المذاهب الإسلامية السنة والشيعة كادوا أن يجمعوا على أن التسطيح هو السنة، لكن أهل السنة قالوا: لما صار شعار الرافضة كان الأولى مخالفتهم إلى التسنيم؟<sup>(٤)</sup>.

#### خامساً: تأيين:

أخرج ابن سعد في طبقاته بسنده عن أبي كلثوم قال: «رأيت ابن الحنفية يوم دفن ابن عباس قال: اليوم مات ربّاني هذه الأمة»<sup>(٥)</sup>.

(١) الذاريات ٤٧.

(٢) الطبقات الكبرى (ترجمة ابن عباس) / ٢٠٦.

(٣) المغني لابن قدامة ٥٠٥/٢ ط دار المنار بمصر.

(٤) قال ابن أبي هريرة: إن الأفضل الآن العدول من التسطيح إلى التسنيم لأن التسطيح صار شعاراً للرافضة، فالأولى مخالفتهم وصيانة الميت وأمله عن الاتهام باليدعة (فتح الميزان شرح الوجيز للرافضي ٥٥/٥).

أقول: ويلزمهم على ذلك ترك سنن كثيرة والله المستعان على إغواء الشيطان.

(٥) الطبقات الكبرى (ترجمة ابن عباس) / ٢١٠ تمه السلمي، ورواه أحمد في فضائل الصحابة مكرراً برقم ١٨٤٢، ورقم ١٨٥٥، ورقم ١٨٩٧، كما رواه الضموي في المعرفة والتاريخ

وأخرج ابن سعد أيضاً بسنده عن مجاهد قال: «لقد مات ابن عباس وإنه لخبير هذه الأمة، وما رأيت مثله قط. أو قال: ما سمعت إلا أن يقول رجل: قال رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وأخرج ابن سعد أيضاً بسنده: «إن جابر بن عبد الله حين بلغته وفاة ابن عباس صفق إحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به الأمة مصيبة لا تترق»<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن سعد أيضاً بسنده عن رافع بن خديج قال: «حين أنخبر بوفاة ابن عباس -: مات والله من بين الشرق والغرب ومن بينهما يحتاجون إلى علمه»<sup>(٣)</sup>. وقد روى ذلك كثير من المؤرخين ومنهم ابن كثير<sup>(٤)</sup>.

ثم هو قد انفرد فيما أعلم بخبر ذكره الواقدي بسنده عن عكرمة قال سمعت معاوية يقول: مات والله أققه من مات ومن عاش. وهذا كذب صريح ولم أدر كيف أدرجه ابن كثير في كتابه فإن معاوية مات سنة ٦٠هـ وابن عباس مات ٦٨هـ فكيف سمع عكرمة معاوية يقول في ابن عباس: مات والله أققه من مات ومن عاش؟

٥١٧/١، وأبو نعيم في الحلية ٣١٦/١، والخطيب في تاريخه ١٧٥/١، والباقوي في معجمه كما في ذخائر المتقي ٣٣٧، والصفدي في نكت الهميان ١٨٠ ط الجمالية سنة ١٣٢٩، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٥٥/٤، والبلاذري في انساب الأشراف في ترجمة ابن عباس برقم ١٢٧ نسخة مخطوطة بقلمه وغيرهم وغيرهم.

(١) طبقات ابن سعد ٣٤٧/٦ ط الخانجي.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٢٠/٢ ط الخانجي انساب الأشراف برقمي / ٣٠ نسخة بقلمه والإرشاد لأبي يعلى القزويني ١٨٥/١ تح محمد سعيد عمر ادريس ط مكتبة الرشد - الرياض ١٣٠٩، والاستبصار والإصابة ولسان الغاية في ترجمة ابن عباس.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٢١/٢ ط الخانجي انساب الأشراف برقم ١٣١ نسخة مخطوطة بقلمه.

(٤) البداية والنهاية ٣٠٠/٨ - ٣٠١.

وأحسب تحريفاً في ذلك والصحيح ما ذكره ابن سعد في الطبقات بسنده عن عكرمة قال: «سمعت معاوية بن أبي سفيان يقول: مولاك والله أفقه من مات ومن عاش. وليس يعني ذلك قاله بعد موته»<sup>(١)</sup>.

سادساً: ضرب ابن الحنفية فسطاط على قبره:

لقد ذكر غير واحد من المحدثين والمؤرخين<sup>(٢)</sup> أن محمد بن الحنفية أمر بضرب فسطاط على قبر ابن عباس ثلاثة أيام. وهو لم يكن بدعاً في ذلك، فقد صنعه من قبل عمر بن الخطاب فقد مرّ على حفارين يحفرون قبر زينب في يوم صائف فقال: لو اتني ضربت عليهم فسطاطاً، وكان أول فسطاط ضرب على قبر بالقيح، وقد صار ذلك سنة لمن بعده، فعمله عثمان مع عمه الحكم وكان رسول الله ﷺ قد لعنه وطرده إلى الطائف فأعاد عثمان أيام خلافته، ولما مات صلى عليه وضرب على قبره فسطاطاً<sup>(٣)</sup>.

وصنعتة عائشة مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر، فإنها قدمت ذي طوى حين رفعوا أيديهم عن عبد الرحمن بن أبي بكر، فأمرت بفسطاط فضرب على قبره، ووكلت به إنساناً وارتحلت<sup>(٤)</sup>. وقد ذكره البخاري في صحيحه في الجنائز<sup>(٥)</sup> وأريك ذلك شراح صحيحه في تلمس المناسبة بينه وبين الباب.

(١) الطبقات الكبرى ٣١٩/٢ تحد. علي محمد صهر ط ١ الفخاني بمصر:

(٢) راجع طبقات ابن سعد ومصنف عبد الرزاق والمعجم الكبير للطبراني والاستيعاب ونسب الأشراف وذخائر المقبي في ترجمة ابن عباس. وقانون الإرهاد لأبي يعلى

القزويني ١٨٥/١ تحد محمد سعيد عمر دريس ط الرياض وغيرها.

(٣) الهداية والإرهاد في معرفة أهل الثقة والسداد للكلايادي ٧١٥/٢ ط دار المعرفة في ترجمة مروان.

(٤) فتح الباري ٤٦٦/٣ ط مصطفى محمد.

(٥) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ٨١/ باب الجريد.

كما صنعته فاطمة بنت الحسين عليه السلام مع زوجها الحسن بن الحسن بن عليّ ابن أبي طالب فقد ضربت على قبره فسطاقاً سنة كاملة<sup>(١)</sup>. وهذا ذكره البخاري أيضاً في صحيحه في الجنائز<sup>(٢)</sup>، وتلمس له ابن حجر في فتح الباري المناسبة بينه وبين عنوان الباب<sup>(٣)</sup>.

ومهما يكن فقد كان ضرب الفسطاق على القبر معروفاً ومألوفاً، ولم ينقل انكاره الا عن ابن عمر أنكر ضربه على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر وقال للغلام انزعه فإنما يظله عمله، ولعل انكاره ذلك لحاجة في نفسه لم ييدها لهم، وإلا لماذا لم ينكر ذلك يوم ضرب عثمان فسطاقاً على قبر الحكم الطريد اللعين؟ وقد نهى أبو سعيد الخدري أن يضربوا على قبره فسطاقاً<sup>(٤)</sup>.

كما روى أحمد في المسند<sup>(٥)</sup> والبيهقي في سننه<sup>(٦)</sup>: ((انّ أبا هريرة قال حين حضرتة الوفاة: لا تضربوا على قبري فسطاقاً)).

وهذا يدل أيضاً على أنّ ضرب الفسطاق من السنن العرفية، فما رواه ابن حجر في اعتذاره عن إيراد البخاري لخبر الفسطاق الذي ضربته فاطمة بنت الحسين تلو عنوان (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) غير وجيه، فقد

(١) مستدرك الحاكم ٦٥١/٣ ط دار الكتب العلمية تح مصطفى عبد القادر والسنن الكبرى للبيهقي ٤/٤.

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ٦١ (ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور).

(٣) فتح الباري ٤٤٣/٣، وذكره ابن حجر أيضاً في كتابه تعليق التعليق ٤٨٢/٢ ط الأردن عمان سنة ١٤٠٥ وابن أبي الدنيا في كتاب الهوائف ٩٢/٢ تح مصطفى عبد القادر عطا مؤسسة الكتب الثقافية بيروت سنة ١٤١٣ هـ.

(٤) المستدرك للحاكم ٦٥١ / ٣ ط دار الكتب العلمية تح مصطفى عبد القادر والسنن الكبرى للبيهقي ٤ / ٤.

(٥) مسند أحمد ٣٩/١٥ تح محمد شاكر.

(٦) السنن الكبرى ٢١/٤.



قال: «ومناسبة هذا الأثر لحديث الباب أن المقيم في الفسطاط لا يخلو من الصلاة هناك فيلزم اتخاذ المسجد عند القبر، وقد يكون القبر في جهة القبلة فترداد الكراهة»<sup>(١)</sup>. ومهما يكن تعليقه العليل، فلا شك في أن الميت ينتفع بوجود من يبقى عند قبره لما يتلوه من قرآن ودعاء وحتى الصلاة، كما يستدعي توافد الناس على المصاب للتعازي والسلوان. وفي ذلك إغزاز للميت وتخفيف من ألم فقده على أهله.

سابعاً: أخطاء يجب التنبيه عليها:

لئن ظلم ابن عباس في حياته بتجاهل قدره من قبل أعدائه الأمويين والزييريين، فقد لاحقه الظلم بعد وفاته من قبل الرواة والمؤرخين، فقد نحمل تبعات ما أسماه بالظلم الرواة أكثر مما نحمله على المؤرخين، خاصة أولئك الرواة الذين أدركوا ابن عباس فشاهدوه، ثم هم رَووا لنا تاريخ حياته. فقد ذكروه وأطروه علماً وفهماً وسيرة وسلوكاً، ثم هم سكتوا عمداً أو غير عمد عملاً له مزيد أثر في ضبط تاريخه، فجرى المؤرخون على نحو ما رواه الراوندي ومن ذلك على سبيل المثال الاختلاف في سنة ولادته كما مرت الإشارة إليه في الجزء الأول، والآن وجدنا الاختلاف في سنة وفاته يتبع بعضه ما تقدم وبعضه الآخر حدث جديداً. ومن ذلك أيضاً الاختلاف في مكان وفاته. وكأن الاختلاف في ضبط ولادة ووفيات الأعلام سنة جارية، فمن راجع تاريخ الرسول الكريم ﷺ يجد ذلك في ولادته وهجرته ووفاته. وكذلك في تواريخ الإمام أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسين عليهم السلام، وحتى في أبي بكر وعمر وعثمان نجد نحو ذلك الاختلاف. فلا بدع لو أخذ تاريخ ابن عباس نصيبه من ذلك الاختلاف.

(١) فتح الباري ٣/٤٤٣.

والآن إلى نماذج من تلك الأخطاء نتيجة ذلك الاختلاف:  
أولاً- في سنة الوفاة.

لقد ذكر ابن سعد في طبقاته في ترجمته وأحمد بن حنبل والواقدي والطبري في تاريخه والحاكم في المستدرک وابن عساکر وابن كثير وغيرهم: أن وفاته كانت سنة ٦٨، وهذا هو المشهور عند الحفاظ كما يقول ابن كثير.

غير أن ثمة أقوال شاذة وغريبة ذكرها مترجموه منها، وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: سنة سبع وستين، وقيل: تسع وستين، وقيل: سنة سبعين. وأضرب منها جميعاً ما رواه الحاكم بسنده عن شعبة مولى ابن عباس قال: ((وتوفي ابن عباس سنة ثمان وسبعين وهو ابن احدى وثمانين سنة))<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير في تاريخه: ((والأول أصح، وهذه الأقوال كلها شاذة وغريبة ومردودة والله سبحانه وتعالى أعلم))<sup>(٢)</sup>.

وليت الرواة الذين ذكروا ذلك ذكروا لنا اليوم والشهر مما لم ترد عنهما أي إشارة في كتاب، بالرغم من كثرة فحصي الكثير عن ذلك. نعم يمكن أن نستفيد من آخر نص قد أورده الذهبي في ترجمة محمد بن الحنفية في كتابه سير أعلام النبلاء نقلاً عن الواقدي جاء فيه: ((...ثم خرجوا إلى الطائف، وبها توفي ابن عباس وصلى عليه محمد، فبقينا معه فلما كان الحج وافى محمد بأصحابه فوقف، ووقف نجدة بن عامر الحنفي في الخوارج ناحية، وحجت بنو أمية على لواء))<sup>(٣)</sup>. فمن هذا النص عرفنا أن موت ابن عباس كان قبل أيام الحج من سنة ٦٨ هـ.

(١) المستدرک على الصحيحين ٥٤٤/٣.

(٢) تاريخ ابن كثير ٣٠٨/٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤٤/٥.

ثانياً- في مكان الوفاة:

ما كنت أحسب أن يشد أحد في تعيين مكان الوفاة، لشهرة موته بالطائف ودفنه بوادي وج بالطائف وشاهد قبره قائم إلى سنة ١٢١٧هـ حيث هدمه الوهايون، غير أن أبا بكر بن أبي عاصم ذكر أن ابن عباس مات بمكة، حكاه عنه غير واحد، قال المحب الطبري في الذخائر: ((خرجه ابن الضحاك))<sup>(١)</sup>، وأغرب منه ابن الطقطقي. أورد اسم عيد الله بدل عبد الله<sup>(٢)</sup>. وكيفما كان الصحيح في الاسم، فإن ذلك من غرائب الأوهام أن يقول ابن الطقطقي: فإن عبد الله - عيد الله - تولى إمارة سمرقند وبها مات وفيها قبره ١٢٠

وقد وقع في نفس الخطأ عبد الرزاق الحصان<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: قبره مزار شريف:

لقد بنى خلفاء بني العباس على قبره مسجداً كبيراً رآه الرحالة ناصر خسرو وقد ذكره في رحلته وقال: ((ويجوارها - الطائف - قبر عبد الله بن العباس، وبني خلفاء بغداد هناك مسجداً كبيراً يقع القبر في زاويته على يمين المحراب والمنبر، وبني الناس هناك بيوتاً كثيرة...))<sup>(٤)</sup>.

قال تقي الدين الحسيني الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ في العقد الثمين في أواخر ترجمة ابن عباس بعد ذكر ما مر من صلاة وتأين محمد بن الحنفية ودخول الطائر الأبيض في أكفائه وسماع المشيعين صوت قارئ لا يرون

(١) ذخائر المقبي/٢٣٧.

(٢) الفخري/٥٣ ط مصر الأولى وفي/٧٣ ط صادر.

(٣) كتاب الحسبة/٣٤ ط التقيض الأهلية ببغداد.

(٤) رحلة ناصر خسرو/٨٨ سفرنامه ناصر خسرو.

شخصه يقرأ الآية المباركة ﴿رَبَّنَا آتِنَا النَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ﴾<sup>(١)</sup> الآية، قال: «وقبره مشهور بالطائف في مسجد كبير بُني في زمن الناصر لدين الله العباسي ثم قال: وأخبرني غير واحد أنه يشم من قبره رائحة المسك...»<sup>(٢)</sup>.

أقول: وإذ علمنا أن التقى الفاسي هو حسني النسب وكان من أهل القرن التاسع، فلا يتهم بملاة العباسيين لأنهم قد انقرضوا قبل عصره بقرنين من الزمان تقريباً، وحسنيته النسبية تبعده عن التهمة بالملاة، لما هو معروف من عداوة بين الحسينيين والعباسيين، وأول ثورة كانت على العباسيين هي ثورة بني الحسن بقيادة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم احمر العينين في أيام المنصور الدوانيقي.

فما رواه لنا الفاسي الحسني أنه أخبره غير واحد أنه يشم من قبره - ابن عباس - رائحة المسك لا استبعاد فيه.

وذكر الفاسي أيضاً في كتابه شفاء الغرام: (ومنها - الآثار النبوية بالطائف مسجد ينسب للنبي صلى الله عليه وآله) وسلم في مؤخر المسجد الذي فيه قبر السيد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، لأن في جداره القبلي من خارجه حجراً مكتوباً فيه: أمرت السيدة أم جعفر بنت أبي الفضل أم ولاة عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف، وفيه أن ذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة. والمسجد الذي فيه قبر ابن عباس رضي الله عنهما أظن أن المستعين العباسي عمره مع ضريح ابن عباس رضي الله عنهما بسبب عمارته لها)<sup>(٣)</sup>.

(١) الفجر / ٢٧.

(٢) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ١٩٢/٥ تح. فؤاد سيّد ط القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ.

(٣) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٨٩/١ - ٩٠ ط دار إحياء الكتب العربية.

وذكر السهمودي في وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى في حديثه عن مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف فقال: ((قال المطري: وهو جامع كبير فيه منبر عالٍ عمل في أيام الناصر أحمد بن المستضيء. وفي ركنه الأيمن القبلي قبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب في قبة عالية...))

قلت - والقائل هو السهمودي - قال التقي الفاسي: إن المسجد الذي ينسب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هناك في مؤخر المسجد الذي فيه قبر عبد الله ابن عباس، لأن في جداره القبلي من خارجه حجراً فيه: أمرت أم جعفر...<sup>(١)</sup>

ومهما يكن فقد بقي قبره مشيداً معموراً مقصوداً بالزيارة، فقد زاره هياج الفقيه<sup>(٢)</sup> مفتي مكة في القرن الخامس الهجري، وأرخ زيارته ابن الجوزي في المتظم وابن القيسراني في الأنساب المتفقة<sup>(٣)</sup>.

ويقي مزاراً يترك به ويتوسل إلى الله تعالى بصاحبه في قضاء الحوائج، حتى أن الشيخ يوسف بن عبد الكريم الأنصاري المدني الحنفي المتوفى سنة ١١٧٧ هـ والمترجم في سلك الدرر، زاره وتوسل به فاستجيب دعوته وقضيت حاجته فقال ممتدحاً له:

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٨٥/٢ ط مصر سنة ١٣٢٧ هـ.

(٢) قال ابن القيسراني في الأنساب المتفقة ٤٣/ - ٤٤ الفقيه الزاهد أبو محمد هياج بن عبيد الحطيني المقيم بالحرم سمع من أبي الفرج النحوي ببيت المقدس وجماعة من مشايخ الشام ومصر والعراق وانتخب له أبو القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي. وكان هياج أوحده عصره في الزهد والورع، كان يصوم ويفطر بعد ثلاث ويعتمر كل يوم ثلاث عمر، ويديرس عدة من الدروس، ولم يكن يدخر شيئاً ولا يملك غير ثوب واحد، وكان قد نيف على الثمانين يزور رسول الله ﷺ في كل سنة ماشياً حافياً، ويזור كذلك عبد الله بن عباس بالطائف وكان يأكل بمكة أكلة وبالطائف أخرى. استشهد بمكة في وقعة وقعت بين أهل السنة والرافضة فحمله أميرها محمد بن أبي هاشم. وضربه ضرباً شديداً على كبر السن، ثم حمل إلى منزله بمكة فمات وذلك سنة ٤٧٢.

(٣) الأنساب المتفقة ٤٤/.

بالحبر لذ وبيابه المعروف	بالحبر لذ وبيابه المعروف
عجلاء مذهبة لكل مخوف	تلقاك منه كرامة فورية
فيما مضى بجنابه الموصوف	فلطالما والله أنقذ لائسداً
حامي الذمار وملجأ الملهوف	رحب الفناء أبي علي ذي التقى
بين الوري من حادث وصروف	يحمي ويمنع جاره ونزيله
بعد الممات بحاله المألوف	مد كان أيام الحياة وهكذا
وأبيه عم نبيك الغطريف	يا رب بلغنا المرام بجاهه
يا من نوالك ليس بالمكفوف	فلقد مددنا للنوال أكفنا
عنا فإن القلب في تخويف	أمنن علينا بالسماح والرضا
للعالمين وخص بالتشريف	ثم الصلاة على الموافي رحمة
من الصلاة نخصهم بألوف	والآل والأصحاب أقمار الدجي
بالحبر لذ وبيابه المعروف <sup>(١)</sup>	ما أنشد الوجل المجرب قائلاً

وزاره العلامة السيد عليخان المدني الشيرازي المتوفى سنة ١١٢٠ مراراً فقد قال في أواخر ترجمته لابن عباس في كتابه الدرجات الرفيعة قال المؤلف عفي عنه: ((زرت قبر عبد الله بن العباس مراراً بالطائف، وهو معظم بتلك الديار، وعليه قبة عظيمة يقصده الناس للزيارة من الأطراف، وينذرون له التدوير، ويمتقدون فيه اعتقاداً عظيماً، وهو أهل لذلك رحمه الله تعالى))<sup>(٢)</sup>.

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمراي ٢٤٨/٤ ط أهدت مكتبة المثنى ببغداد.

(٢) الدرجات الرفيعة / ١٤١.

ورأيت بهامش نسخة مخطوطة من كتابه الدرجات الرفيعة بمكتبة الإمام كاشف الغطاء برقم ٤٦ تراجم، أنه أقام عشرة أيام في زيارته وذلك سنة ١٣٠٤هـ (كذا في النسخة والصواب ١١٠٤هـ)<sup>(١)</sup>.

أقول: ولا يتقضي أسفي أنني تشرفت في حج البيت الحرام للمرة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ عن طريق الطائف ومكثت فيها سويعات ولم أتشرف بزيارته، وحاولت بعدها مراراً فلم يتيسر لي ذلك، عسى الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لزيارته والاستشفاع إليه به إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير. ومن المؤسف حقاً أن الوهابيين هدموا قبته لما أغاروا على الحجاز سنة ١٢١٧ هـ قال الجبرتي: ((وهدم المضايقي قبة ابن عباس بالطائف الغربية الشكل والوصف))<sup>(٢)</sup>.

وإلى هنا فلنختم الفصل الثالث من تاريخ حياته في أيام حكومة ابن الزبير والأمويين.

وهو هنا قد فارق الحياة بأحسن خاتمة يفيط عليها، ولم يتقل التاريخ مثلها عن غيره، وهي تقربه إلى الله ﷻ بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فمات ولسانه رطب بذكرها، وهي آخر ما سَمِع منه رضوان الله تعالى عليه، لما كان يعلمه من النبي ﷺ في أمرها، وأنها شرط قبول الأعمال، وقد أثبتها النبي ﷺ لعلي، وإن المرء المسلم مسؤول عنها يوم القيامة<sup>(٣)</sup>، وقد روى الحاكم

(١) كتبت النسخة سنة ١٣٢١ هـ في رمضان في كربلاء في محلة العباسية.

(٢) كشف الأرتباب للسيد الأمين نك ١٨/ وجاء في ٥٩/ منه، لما دخل الوهابيون إلى الطائف هدموا قبة ابن عباس كما فعلوه في المرة الأولى.

(٣) انظر مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ٤١/١، وفرائد السمطين للحموي الشافعي

الحسكاني<sup>(١)</sup> والحموي<sup>(٢)</sup> عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله ﷺ: «وَقَفَّوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُورُونَ»<sup>(٣)</sup> قال: (عن ولاية علي بن أبي طالب).

وحكى الحموي عن الواحدي قوله: «والمعنى أنهم يُسألون هل والوه حقّ الموالة كما أوصاهم به رسول الله ﷺ. وتلك وصية رسول الله ﷺ إلى أمته كما روى عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، من تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولّى الله ﷻ، ومن أحبّه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله تعالى، ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله ﷻ»<sup>(٤)</sup>.

وقال أنس بن مالك: «والله الذي لا إله إلا هو لسمعت رسول الله ﷺ يقول: (عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب)»<sup>(٥)</sup>.

فهنيئاً لك أبا العباس على حسن تلك الخاتمة التي تميّزت بها عن سائر شيعة الإمام أمير المؤمنين ﷺ، فقد حفظت وصية النبي ﷺ في ابن عمه أمير المؤمنين ﷺ وتوليته حتى الممات.

(١) شواهد التنزيل ١٠٦/٢.

(٢) فرائد السمطين ٧٩/١.

(٣) الصافات/٢٤.

(٤) رواه الطبراني وصنه في مجمع الزوائد ١٠٨ / ٩ - ١٠٩ وقال الهيثمي: رواه الطبراني باسنادين احسب فيهما جماعة ضعفاء وقد وثقوا كما رواه الحموي في فرائد السمطين ٥٥/١.

(٥) تاريخ بغداد ٤١٠/٤، والجامع الصغير للسيوطي ١٨٢/٢ ط دار الفكر، كنز العمال ٦٠١/١١ ط مؤسسة الرسالة، فيض القدير للشوكاني ٤٨١/٤ ط دار الكتب العلمية، ينابيع المودة ٢٧٢/١ و ٢٧٦ ط دار الاسوة ببيروت و ٧٨/٢ و ٩٧ و ٣٣٠ و ٤٠١، ومناقب ابن المغازلي ٢٤٣/١ ط المكتبة الإسلامية، وتاريخ ابن عساكر كما في منتخبه ٤٥٤/١، ولعمان الميزان ٤٧١/٤، وذيل اللغالي للسيوطي ٦٣/١.



وهنيئاً لك أبا العباس على الكرامة التي رآها الناس، فتحدثوا بها عن الطائر  
وجثمانك الطاهر.

وهنيئاً لك على ما سمعه المشيعون من تلاوة هاتف لا يرون شخصه يتلو  
الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢﴾  
فَاذْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٤﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ولئن كانت السحابة تهمني فوق قبرك ثلاثة أيام - كما مر - من محض  
الصدفة - كما ربما يقال - فليس الطائر وتلاوة الآية كذلك.  
فسلام عليك يوم ولدت ويوم قبضت ويوم تبعث حياً



## الفصل الرابع:

في بقية تاريخ حياته

بامتداد أبنائه وأسماء زوجاته



لقد ذكر المؤرخون والنسابون لابن عباس ذراري ذكوراً وإناثاً أنهامم بعضهم إلى عشرة، سبعة منهم ذكور والباقي إناث. وهم على النحو التالي:

الأبناء الذكور:

١- العباس وهو أكبر ولده، وبه كان يكنى، وأحسب أنه سُمّاه باسم أبيه إحياء لذكوره، وكان يلقب بالأعتق. وأمّه وأم إخوته محمّد والفضل وعبيد الله وعليّ زرعة بنت مشرح الكنديّة. ولم يعرف عنه شيء من العلم وإن ذكره ابن سعد في الطبقات فقال: «وقد روي عن العباس بن عبد الله بن عباس، بل وحتى تاريخ حياته ليس فيه ما يذكر، نعم ورد أنه اشترك في تجهيز أبيه ونزل مع أخويه مع محمّد بن الحنفية في قبره، وورد أيضاً أنه لمّا توفي أبوه لحق بمصعب بن الزبير، ولا شك أن هذا على خلاف سيرة أبيه، اللهم إلا أن تكون الظروف القاهرة وراء ذلك، وقد ذكر ابن سعد وغيره أنه لمّا توفي أبوه لحق بمصعب بن الزبير بالعراق، ولما انتهى أخوه عليّ إلى عبد الملك - حسب وصية أبيه إليه في ذلك - فسأله عن أخيه العباس فقال: أتى العراق لحاجة له. فقال: لا بل اختار مصعباً، أمّا إنّي إن ظفرت به عرقت حقه، ووصلت قرابته. ولم اعتد عليه بذلك»<sup>(١)</sup>، وقال ابن الكلبي في جمهرة النسب: «لا عقب له»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن سعد: «وقد انقرض ولد العباس... فلم يبق منهم أحد».

(١) الطبقات الكبرى ١١١/٥ تح. المسلمي، وأخبار الدولة العباسية ١٣١/ ونسب قريش لمصعب الزبيرى / ٢٨ و ٣١.

(٢) جمهرة النسب / ١٣٨ تح. عبد الستار أحمد فراج طه الكويت.

٢- محمّد بن عبد الله أمه زرعة بنت مشرح الكندية ذكره ابن سعد في الطبقات في ترجمة أبيه كما ذكره ابن الكلبي في جمهرته<sup>(١)</sup>، وأحسب أنه سمّاه تيمناً باسم النبي ﷺ، وإحياء لذكره لأنه ولد بعد وفاته ﷺ، قال النيسابوري: ((ولا بقية له وقد توفي سنة ١٢٤))<sup>(٢)</sup>.

٣- الفضل بن عبد الله أمه أم أخوته زرعة بنت مشرح، ذكره ابن سعد في الطبقات في ترجمة أبيه، وابن الكلبي في جمهرته<sup>(٣)</sup>، وابن حزم في جمهرته<sup>(٤)</sup> وغيرهم وهذا لا بقية له.

٤- عبيد الله بن عبد الله ذكره ابن الكلبي في جمهرته<sup>(٥)</sup>، والبُرّي في كتابه الجوهرة<sup>(٦)</sup>، ولا عقب له، وأمّه أم أخوته زرعة بنت مشرح الكندية، وقد تزوج بابنة عمه أم محمّد بنت عبيد الله بن العباس<sup>(٧)</sup>.

٥- عبد الرحمن بن عبد الله ذكره في تاريخ الخلفاء<sup>(٨)</sup>، وابن حزم في الجمهرة<sup>(٩)</sup>، ولا بقية له، وذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار عنه قال: ((رأيت ابن عباس في وليمة فأكل وألقى للخبّاز ودرهماً))<sup>(١٠)</sup>.

(١) نفس المصدر/١٤٩.

(٢) أنظر المحبر/٣٠ ط حيدرآباد.

(٣) جمهرة النسب / ١٤٠.

(٤) جمهرة أنساب العرب / ١٩.

(٥) جمهرة النسب / ١٣٩.

(٦) الجوهرة ٢٢/٢ نشر دار الرفاعي.

(٧) أنظر المحبر لمحمّد بن حبيب الهاشمي ط حيدرآباد.

(٨) تاريخ الخلفاء ط موسكو سنة ١٩٦٧ في ورقة ٢٤١/ب.

(٩) جمهرة أنساب العرب / ١٩.

(١٠) عيون الأخبار ٣/٣٣٤.

٦- علي بن عبد الله وهو أصغر أخوته سناً وأكبرهم شأنًا وأمه أم أخوته زرعة بنت مشرح الكندي، وقد مرّ بنا خبر ولادته في الكوفة وأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أتى أباه عبد الله بن عباس فهتأ به، وهو الذي سمّاه علياً وكناه أبا الحسن حين أخذه وتقل في فيه وحنكه بتمرّة لاكلها وقال لأبيه خذ إليك أبا الأملاك، كما مرّ خبر معاوية مع أبيه لا أجمع لك بين الاسم والكنية قد كنيته أبا محمّد فجرت عليه<sup>(١)</sup> ويبدو أن الكنية عادت كما كانت بعد موت معاوية، لكن في أيام عبد الملك بن مروان جرى التغيير مرة ثانية أيضاً.

فقد ذكر ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل المدينة ذلك فقال: ((ولد ليلة قتل علي في شهر رمضان سنة ٤٠ فسمي باسمه وكني بكنيته أبي الحسن فقال له عبد الملك بن مروان: لا والله لا أحتمل لك الأسم والكنية جميعاً فغيّر أحدهما فغيّر كنيته فصيرها أبا محمّد))<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن سعد أيضاً: ((وكان أصغر ولد أبيه سناً، وكان أجمل قرشي علي وجه الأرض وأوسمه، وأكثره صلاة، وكان يقال له السجاد لعبادته وفضله، وقال: وكان ثقة قليل الحديث))<sup>(٣)</sup>.

وحكى عن الواقدي أنه توفي سنة ١١٨هـ وقال أبو معشر وغيره توفي بالشام سنة ١١٧هـ وقال أبو حسان الزبدي توفي باللقاء من أرض الشام في الحميمة سنة ١١٩هـ.

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: ((وقد حكى ابن حبان الأقوال في وفاته وجزم بما عليه الأكثر إنها سنة ١١٨ هـ وكان أبوه يأمره وغلّامه عكرمة بالذهاب

(١) الكامل للمبرد ٢ / ٢١٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٥ / ٢٢٩.

(٣) نفس المصدر / ٣٣٠.

إلى أبي سعيد - الخدري - لسماع الحديث منه، فأتياه وكان في حائط له فلما رأهما جاء وأخذ رداءه ثم قعد فأنشأ يحدثهما حتى أتى على ذكر بناء المسجد النبوي الشريف<sup>(١)</sup>.

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار: ((دخل أبو الأملak ﷺ على أبي الذبّان<sup>(٢)</sup> في يوم قر وهو على فراش كاد يُغيب فيها، فقال: يا بن عباس إني لأحسب اليوم أصبح بارداً؟ قال: أجل وان ابن هند عاش في مثل ما ترى أربعين سنة عشرين أميراً وعشرين خليفة، ثم هو ذاك على قبره ثمامة نابتة<sup>(٣)</sup>).

وقد ذكر ابن سعد في ترجمة معاوية من طبقاته هذه القصة بتفاوت ولفظه: ((دخل عليّ بن عبد الله بن عباس على عبد الملك ابن مروان في يوم بارد وبين يديه وقود قد ألقى عليه عود وقد دُخن).

فقال عبد الملك: ها هنا إليّ يا أبا محمّد فأجلسه معه، فقال عليّ: أحمد الله يا أمير المؤمنين فيما أنت فيه من الإدفاء والناس فيما هم فيه من شدة البرد، فقال: يا أبا محمّد أبعث ابن هند بالشام أربعين سنة أميراً وخليفة، أمس تهتز على قبره ينبتة؟ ثم دعا بالغداء فتغديا جميعاً<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب التهذيب ٣٩٨/٧.

(٢) كنية عبد الملك بن مروان لأنه كان أبخر فيجتمع الذباب على فمه قال في تاج المروس (ذب) وأبخر من أبي الذباب وكذا أبو الذبان وهما الأبخر وقد غلبا على عبد الملك بن مروان لفساد كان في فمه قال الشاعر:

لعلي ان مالت بي الريح ميلاً      على ابن أبي الذبان ان يتندما  
يعني هشام بن عبد الملك... أ هـ.

وذكر الزمخشري في الفائق ٤/١٢٠ بيتاً لعمرو بن سعيد في عبد الملك حين نأهه:

أهرايا الذبان هيشة ممشر      هذئوه في جمر من النار جاحم

(٣) ربيع الأبرار ١/٥٧٠.

(٤) الطبقات الكبرى ٦/٣٤ ط الخالجي بمصر.



وقال المبرّد في الكامل: «بعد أن ذكر ولادته وتهنئة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام أباه به وتسميته وكنيته وتغيير معاوية لها قال: وكان عليّ سيّداً شريفاً بليغاً، وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كلّ يوم إلى كلّ أصل ركعتين فكان يدعى ذا الثغفات».

ثمّ قال: «وضرب بالسوط مرتين، كلتاها ضربه الوليد، احدهما في تزوجه لبابة<sup>(١)</sup> بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فعضّ تفاحة ثمّ رمى بها إليها - وكان أبخر - فدعت بسكين فقال: ما تصنعين به؟ قالت: أميط عنها الأذى، فطلقها فتزوجها عليّ بن عبد الله فضربه الوليد، وقال: إنما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منها، لأن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه. فقال عليّ بن عبد الله: إنّما أرادت الخروج من هذه البلدة، وأنا ابن عمها فتزوجتها لأكون لها مخرجاً (محرمّاً ط)<sup>(٢)</sup>».

وأما ضربه إياه في المرة الثانية فإننا نرويّه من غير وجه، ومن أتمّ ذلك ما حدّثنيّه أبو عبد الله محمّد بن شجاع البلخي في اسناد له متصل لست أحفظه يقول في آخر ذلك الإسناد: «رأيت عليّاً مضروباً بالسوط يُدار به على بعير، ووجهه ممّا يلي ذنب البعير وصائح يصيح عليه: هذا عليّ بن عبد الله الكذاب. قال فأتيته فقلت: ما هذا الذي نسبك فيه إلى الكذب؟ قال: بلغهم قولي: إن هذا

(١) سماها ابن قتيبة في المعارف / ٢٠٧ ( أم أبيها ) وذكرها كانت عند عبد الملك بن مروان فطلقها ثمّ تزوجها عليّ بن عبد الله بن عباس فهلكت عنده وكان سبب طلاقها أنّه عض تفاحة ثمّ رمى بها إليها - وكان بعبد الملك بخر - فدعت بمديّة فقال: ما تصنعين ؟ قالت: أميط عنها الأذى فخارقها.

(٢) الكامل ٢/ ٢١٧.

الأمر سيكون في ولدي، والله ليكوننّ فيهم حتى يملكهم عبيدهم الصغار العيون،  
العراض الوجوه، الذين كأنّ وجوههم المجان المطرقة»<sup>(١)</sup>.

وقال المبرد أيضاً: «إنّ عليّ بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه  
ابنا ابنه أبو العباس وأبو جعفر - قال أبو العباس - يعني المبرد - وهذا غلط لما ذكره  
لك، إنّما ينبغي أن يكون دخل على هشام - فأوسع له على سريره وسأله حاجته فقال:  
ثلاثون ألف درهم عليّ تدين، فأمر بقضائها، قال له: وتستوصي بابنيّ هذين خيراً  
فقبل فشكره وقال وصلتك رحم، فلما وليّ عليّ قال الخليفة لأصحابه: ان هذا الشيخ  
قد اختل وأسنّ وخطط فصار يقول: ان هذا الأمر سيتقل إلى ولده فسمع ذلك عليّ  
فالتفت إليه فقال: والله ليكوننّ ذاك وليملكنّ هذان»<sup>(٢)</sup>.

وذكر أيضاً عن جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال: «حضر عليّ عبد  
الملك وقد أهدي له من خراسان جارية وفصّ وسيف فقال يا أبا محمّد إنّ  
حاضر الهدية شريك فيها، فاختر من الثلاثة واحداً، فاختر الجارية وكانت تسمى  
سعدى وهي من سبي الصفد من رهط عجيف بن عنيسة، فأولدها سليمان  
وصالحاً ابنيّ عليّ... وكان عليّ يقول: أكره أن أوصي إلى محمّد - وكان سيّد  
ولده - خوفاً من أن أشيته بالوصية. فأوصي إلى سليمان فلما دفن عليّ، جاء  
محمّد إلى سعدى ليلاً فقال لها أخرجي إليّ وصية أبيّ فقالت: إنّ أباك أجلّ من  
أن تخرج وصيته ليلاً ولكنها تأتيك غداً، فلما أصبح غداً بها عليه سليمان فقال:  
يا أبيّ ويا أخي هذه وصية أباك فقال محمّد: جزاك الله من ابن وأخ خيراً، ما  
كنت لأثرّب على أبيّ بعد موته كما لم أثرّب عليه في حياته»<sup>(٣)</sup>.

(١) مأخوذ من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: راجع نهج البلاغة ١٤/٢ بشرح محمّد عبده ط  
الاستقامة.

(٢) الكامل ٢/٢١٧.

(٣) الكامل ٢/٢٢٠.

ونقل الجاحظ في البيان والتبيين بعض كلام علي بن عبد الله بن عباس ممّا دلّ على حصافة رأي وبلغ منطق، فقد ذكر أنه قال: «من لم يجد مسّ الجهل في عقله، وذلّ المعصية في قلبه، ولم يستين موضع الخلة في لسانه عند كلال حدّه عن حدّ خصمه، فليس ممّن ينزع عن ريبة، ولا يرغب عن حالٍ معجزة، ولا يكثر لفصل ما بين حجة وشبهة»<sup>(١)</sup>.

ولعلمي أخبار غير ذلك ربّما تزيدها أو بعضها الرواة تركفاً إلى أبنائه خلفاء، بني العباس، أعرضنا عن ذكرها.

٧- سليط، وهذا ذكره ابن حزم في الجمهرة وقال: «نفاه عبد الله بن العباس ثمّ استلحقه ثمّ اتهم أخوه عليّ بقتله، فجلده الوليد بن عبد الملك لذلك مائة سوط، وادعى أبو مسلم أنه عبد الرحمن بن سليط هذا ابن عبد الله بن عباس ولا عقب لسليط»<sup>(٢)</sup>.

لكن ابن الطقطقي في كتابه الفخري في الأداب لم يذكر استلحاق ابن عباس لسليط، فقد قال: «ولسليط هذا خير هذا موضع شرحه على سبيل الاختصار. كان لعبد الله بن عباس جارية فوقع عليها مرة من المرات ثمّ اعترلها مدة، فاستكحها عبداً فوطئها فولدت منه غلاماً سمته سليطاً، ثمّ ألصقته بعبد الله بن العباس وأنكره عبد الله ولم يعترف به، ونشأ سليط وهو أكره الخلق إلى عبد الله بن عباس، فلما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه، وأعجب ذلك بني أمية ليغضوا من عليّ بن عبد الله بن عباس، فأعانوه وأوصوا قاضي دمشق في الباطن، فمال إليه في الحكم وحكم له بالميراث، وجرت في ذلك خطوب ليس هذا موضع لشرحها، فادّعى أبو مسلم حين قويت شوكة أنه من ولد سليط هذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) البيان والتبيين ١/٨٥.

(٢) جمهرة أنصاب العرب / ١٩.

(٣) الفخري في الأداب السلطانية في الدول الإسلامية / ١٣٩/ دار صادر بيروت.

وأحسب أن الخير الذي أشار إليه ابن الطقطقي هو ما رواه ابن الكلبي في مثالب العرب، قال: «هشام عن أبي عمرو قال: حدثني إسحاق بن الفضل قال: كانت تحت عبد الملك بن مروان امرأة من ولد عبد الله بن جعفر فرأى منها عبد الملك جفوة فخلّى سبيلها، وكان عبد الملك قد أكرم عليّ بن عبد الله بن عباس وقدم به معه من الحجاز إلى دمشق فأنزله في قصره، ومات عبد الملك باكرام عليّ وحفظه، ثم إن المرأة الجعفرية أرادت الخروج إلى أهلها فقالت لعليّ بن عبد الله: ليس هاهنا قريب غيرك فأنا أريد أن أخرج معك إلى الحجاز، فقال لها: أنت ابنة عمي ولست منك ذا محرم، فأنا أتزوجك فتزوجها. فبلغ ذلك الوليد فغضب وقال: امرأة كانت تحت أمير المؤمنين تتزوجها بغير إذني. قال: هي ابنة عمي، فسكت وجفاه. وكان سليط الذي نفاه عبد الله وأمه مع عليّ بالشام، وكانت أمه بذيته سليطة تؤذي عليّاً وتخاصمه، فدرس الوليد إلى سليط من قتله ودفنه في بستان عليّ بن عبد الله، فجاءت أمه حين فقدته إلى الوليد، فأرسل ففتشوا البستان فوجدوه فيه قال: فأخبرني رجل من أهل الشام بواسط، قال: كنت في حرس الوليد فأتني بعليّ فجلبده أربعمائة سوط وحلق رأسه ولحيته وأمر بحبسه في الحجر فأصابته وحشة»<sup>(١)</sup>، وقد مرّ عن ابن حزم في ذكر سليط الإشارة إلى هذا.

فهؤلاء الأبناء الذكور الذين وقفت على أسمائهم، ولقد روى مسلم في صحيحه<sup>(٢)</sup>، وأبو داود في سننه<sup>(٣)</sup>، وأحمد في مسنده واللفظ له بسنده عن كريب مولى ابن عباس قال: «مات لابن عباس ابن بقديد أو عسفان - موضعان قرب مكة - فقال: يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس، قال: فخرجت فإذا أناس قد

(١) مثالب العرب نسخة السماوي المخطوطة / ٥١.

(٢) صحيح مسلم ١/٣٦٠.

(٣) سنن أبي داود ٣/١٧٥ - ١٧٦.

اجتمعوا له فأخبرته قال: يقول: هم أربعون؟ قال: نعم قال: أخرجه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه<sup>(١)</sup>.

أقول: ولعل هذا الإبن هو أحد الثلاثة: عبيد الله أو الفضل أو عبد الرحمن، وإنما أحتمل ذلك، لأن الأربعة الباقرن العباس ومحمد وعلي وسليط لهم ذكر بعد موت ابن عباس، كما يحتمل أن يكون غيرهم، ولعله الذي مات صغيراً فعزاه به أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الشيخ الجليل الحسن ابن شعبة الحراني - من علماء القرن الرابع الهجري - في كتابه تحف العقول تلك التعزية فقال: ((وعزى - أمير المؤمنين عليه السلام - عبد الله بن عباس عن مولود صغير مات له فقال عليه السلام لمصيبة في غيرك لك أجرها أحب إلي من مصيبة فيك لغيرك ثوابها، فكان لك الأجر لا بك، وحسن لك العزاء لا عنك، وعوضك الله عنه مثل الذي عوضه منك<sup>(٢)</sup>)).

البنات:

ذكر النسابون أسمى بتين له هما:

١- لبابة: سماها بأسم أمه لبابة بنت الحارث، فذكرها ابن سعد في طبقاته في ترجمة أبيها، كما ذكرها مصعب الزبيري في نسب قريش<sup>(٣)</sup>، وقد وقع المحقق في خطأ فاضح لم ينتبه له، وذلك أن مصعب الزبيري قال في كتابه: ((كانت لبابة بنت عبد الله عند علي بن عبد الله بن جعفر فولدت له، ثم خلف

(١) مسند أحمد ١٧٤/٤.

(٢) تحف العقول / ٢٠٩ ط المكتبة الإسلامية.

(٣) نسب قريش / ٢٩ ط دار المعارف بمصر تح بروهنسال.

عليها إسماعيل بن طلحة بن عبيد الله فولدت له يعقوب ثم فارقها فتزوجها محمد ابن عبد الله بن العباس...أه) هكذا في النسخة المطبوعة، وهنا فاضح الخطأ إذ كيف يصح (فتزوجها محمد بن عبد الله بن العباس) وهي تكون أخته؟

ولم يتنبه لذلك المحقق، وجرى على خطئه من أتى بعده وأخذ عن كتابه من المحدثين<sup>(١)</sup>. مع أن الصواب: (خلف عليها محمد بن عبيد الله بن العباس). وهذا هو ابن عمها<sup>(٢)</sup>. وهي شقيقة العباس وأخوته وأمها زرعة بنت مشرح الكندية، وقد تزوجها علي بن عبد الله بن جعفر - المعروف بالزنيبي لأن أمه زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - وقد أولدها ولده محمد، وهذا كان يدخل على جده عبد الله بن عباس وقد سمع منه وحدث عنه كما في طبقات ابن سعد في ترجمة عبد الله بن عباس والسيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ مِّنْ خَلْقِنَا بِعَدْرِ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- أسماء ذكرها ابن سعد في ترجمة أبيها وقال: ((كانت عند عبد الله بن عبيد الله بن العباس ابن عبد المطلب بن هاشم، فولدت له حسناً وحسيناً الفقيه، وأمها أم ولد))<sup>(٤)</sup>. كما ذكرها مصعب في نسب قريش<sup>(٥)</sup> إلا أن ابن الكلبي وابن حزم لم يذكرها ولا أختها لبابة فراجع الجمهرة لكل منهما.

(١) انظر شدو الريابة الصحابة والصحابة خليل عبد الكريم ط سينا للنشر.

(٢) كما في المحيّر لمحمد بن حبيب الهاشمي/ ٤٤٠ ط حيدرآباد.

(٣) القمر/ ٤٨ - ٤٩.

(٤) الطبقات الكبرى/ ١١٣ ط المسمي.

(٥) نسب قريش/ ٢٩٦.

٣- وله بنت نُعَيْت وهو في السفر فاسترجع ثم قال: عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر ساقه الله. وأحسبها غير المتقدمتين الأتفتي الذكر<sup>(١)</sup>.

ولقد كان حريصاً على تربيتهم تربية صالحة، حتى هذبهم على أخلاقه، ولقنهم من علومه، فكلّ منهم أخذ على قدر استعداده، ومن نماذج تربيته ما مرّ بنا أنه كان يرسل بولده عليّاً مع غلامه عكرمة يسما الحديث من أبي سعيد الخدري.

ومن الكذب الفظيخ القاضح ما رواه ابن عبد ربه في العقد الفريد عن العتبي قال: «كان عند الوليد بن عبد الملك أربع عقائل: لبابة بنت عبد الله بن عباس، وفاطمة بنت يزيد بن معاوية وزينب بنت سعيد بن العاص، وأم جحش بنت عبد الرحمن ابن الحارث، فكان يجتمعن على مائدته، ويفترقن فيفخرن. فاجتمعن يوماً فقالت لبابة: أما والله إنك لتسويني بهن، وإنك تعرف فضلي عليهن.

وقالت بنت سعيد: ما كنت أرى أن للفخر عليّ مجازاً، وأنا ابنة ذي العمامة إذ لا عمامة غيرها. وقالت بنت عبد الرحمن بن الحارث: ما أحب بأبي بدلاً، ولو شئت لقلت فصدقت وصدقت. وكانت بنت يزيد بن معاوية جارية حديثة السن فلم تتكلم، فتكلم عنها الوليد، فقال: نطق من احتاج إلى نفسه، وسكت من اكتفى بغيره، أما والله لو شاءت لقاتلت: أنا ابنة قادتكم في الجاهلية وخلفائكم في الإسلام. فظهر الحديث حتى تحدّث به في مجلس ابن عباس فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته»<sup>(٢)</sup>.

هذه الكذبة الشنعاء والقرية الصلعاء يرويها العتبي ويذكرها عنه ابن عبد ربه، وكلاهما عندي في هذا المقام يستغفلان عقول الناس بمثل هذه الأكاذيب

(١) انظر العقد الفريد ١٩٦/٣ تح. أحمد أمين ورفيقه.

(٢) نفس المصدر ١٠٤/٦.

ولا غرابة منهما فكلاهما أموي الهوى، ولكن وهلم الخطب في الأساتذة الثلاثة المحققين للكتاب وهم أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، كيف انطلت عليهم هذه الأكذوبة، فلم يخطئوا، إن لبابة بنت عبد الله بن عباس لم تكن زوجة الوليد، بل كانت زوجة علي بن عبد الله بن جعفر كما مرّ، وإن ابن عباس لم يكن حياً أيام الوليد بن عبد الملك بل كان متوفياً، لأنه توفي سنة ٦٨ كما مرّ، والوليد بن عبد الملك إنما ولي الأمر في سنة ٨٦ بعد موت ابن عباس بثماني عشرة سنة؟

ثم إن في الخبر فجوات وهنات غير ذلك، فمنها أنه لم يكن ليزيد ابنة اسمها فاطمة بل ولم يذكر له ابن عبد ربه أي بنت أخرى في ذكر أولاده - كما ستأتي الإشارة إلى ذلك - فمن أين أتى بها العتبي وذكرها ابن عبد ربه؟ ولابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد من أعاجيب الأكاذيب ما يضحك منها صبيان الكتاتيب. فمن ذلك ما ذكره في أولاد يزيد فقال: «معاوية وخالد وابو سفيان وأمهم فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، وعبد الله وعمر وأمهما أم كلثوم بنت عبد الله بن عباس...»<sup>(١)</sup>. وهذا أيضاً من فاضح الكذب إذ لم يكن لابن عباس بنت اسمها أم كلثوم وإنما له لبابة وأسماء وقد ذكرناهما وأزواجهما وذرائعهما. وهذا أيضاً لم ينتبه له المحققون، فزه بهكذا محققين، وتعلق الكنانة حافر الحمار عليها لثلاث تصيها عين اللامة والهامة من الحاسدين لها على هؤلاء المحققين وأمثالهم ممن بسقوا بالقابهم، ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل<sup>(٢)</sup> بل أحشفاً وسوء كيلة<sup>(٣)</sup>.

(١) نفس المصدر/٤/٣٧٥.

(٢) الدخل العيب الباطن مثل يضرب لذي المنظر لاخبر عنده (مجمع الأمثال).

(٣) الحشف أربا التمر ويضرب المثل لمن يجمع بين خصلتين ومكرهتين.



زوجاته:

- ١- زرعة بنت مشرح الكندية.
- ٢- صعبة بنت عبد الرحمن بن عوف، كما في المحبر<sup>(١)</sup>.
- ٣- شملة بنت ازبهر.
- ٤- أم ولد أم سليط الذي نفاه ثم تبناه وقد مر ذكره.
- ٥- أم ولد أم ابنته أسماء التي تزوجها ابن عمها عبد الله بن عبيد الله بن عباس كما مر.

(١) المحبر لمحمد حبيب الهاشمي / ٦٨ ط حيدرآباد .



## الفصل الخامس:

في أشتات مجموعة من أدوار

حياته في أخلاقه وعاداته



هذه باقة تعبق بالشذى مقتطفة من رياض حياة ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، تضم أشثاتاً مجموعة من أخباره في أدوار حياته، تحكي لنا غرّ صفاته، وجميل عاداته، ولم نجمع معها ما يدل على معارفه وعلومه وسائر قدراته، فإنّ ذلك سيأتي بعون الله تعالى في الحلقتين التاليتين: الثانية والثالثة.

أمّا أشثات هذه الباقة ففي أزهارها ما يعبق عوده بجوده وسخائه، ومنها ما يعبق بأدابه وأخلاقه، ومنها ما يعبق بورعه وتقواه، إلى غير ذلك من أزاهير رياضه الفواحة، فلتسنم منها ما عطر الساحة.

الجود والعطاء :

لَمَّا كان الجود جميلةً نفسية من غرائز النفس في الإنسان، فقد تعدم عند الغني وتوجد عند الفقير.

والجواد محبّب بصفاته حتى إلى أصدقاءه، كما أنّ البخيل مبغوض حتى إلى أولاده.

والجواد هي السخي بما له وعنده يتكرم قبل السؤال. أمّا إذا كان بعد السؤال فهو العطاء ثمناً لماء الوجه.

وقد حبّب الإسلام الكرم ودعا إليه، وقد ورد في الحديث الشريف:

(السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار)، و  
(البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار).

ولا تزال الأمة العربية تفخر بأجوادها، وتذكر المستجاد من فعلاتهم، وحسبك شهرة حاتم الطائي الذي صار مضرب المثل فقالوا في المبالغة (الكرم الحاتمي).

أما أجواد الإسلام المعدودين من بعد المعصومين عليهم السلام فقد كان ابن عباس في رأس قائمة المعدودين كما ذكره السيوطي في كتابه الكنز المدفون<sup>(١)</sup>، وكان يسمّى لقرط سخائه (معلم الجود). وليس في ذلك من مبالغة ما دام هو أول من وضع موائد الطعام في الطرقات للناس، ولم يكن يعمد إلى رفعه<sup>(٢)</sup>، وكان ما يصرفه على الناس في كل يوم عطاءً وغذاءً خمسمائة دينار<sup>(٣)</sup>. ولما كان أخوه عبيد الله كذلك سخياً فقد قالوا: وكان ينحر كل يوم جزوراً في مجزرته فيقسمها، وبه سميت مجزرة ابن عباس، فغلت الجُزر حتى بلغت خمسة عشر ديناراً وعشرين ديناراً<sup>(٤)</sup>، فقد اختلطت أخبارهما على الرواة، وفي تشابه الإسمين خطأ ما يساعد على ذلك، فلهذا سنقف على بعض أخبار عبد الله في الجود منسوبة إلى أخيه عبيد الله ونشير في الهامش إلى ذلك.

ولا أجنب الصواب إذا ما قلت إن شهرة ابن عباس العلمية هي أيضاً غطت على بقية صفاته ومكارم أخلاقه، فلم يخلص إلينا منها إلا القليل، أو ليس هو القائل: ((سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء)).

(١) الكنز المدفون / ١٢٢.

(٢) المستطرف للأبشيبي ١/١٨٢، وذكر ابن عبد ربه ذلك ونسبه إلى أخيه عبيد الله راجع

العقد الفريد ١/١٤٨، وزهر الربيع / ٣٣٦ ط بمبئ سنة ١٣٤٢ هـ.

(٣) انظر مشكوة الأدب للناصرى / ٩٥.

(٤) الطبقات الكبرى ٦/٤٦٩ ط الخالجي بمصر.

أقول: وهذا منسوب إلى النبي ﷺ كما في محاضرات الراغب، وليس من شك أن علم ابن عباس كان منه ﷺ ومن ابن عمه أمير المؤمنين، فعنهم أخذ ومن بحرهم اغترف وارتوى فأفاض على الناس من نميره.

وقد يتخيل البعض أن أحاديث سخائه مما نمقته الأقلام أيام حكومة العباسيين تزلفاً إلى أبنائه، ولكن إذا قرأنا جملة من أخباره نجد الشواهد تثبت بيقين أريحيته التي كان عليها يستروح للندى على سعة من خلقه، كما كان بحرأ في علمه الذي طما على باقي صفاته.

فإلى بعض الشواهد:

١- ذكر القاضي التنوخي في كتابه المستجد من فعلات الأجواد: ((أن رجلاً أراد أن يؤذي عبد الله بن عباس بمضارته، فأتى وجوه البلد وهم جلوس في فضاء الكعبة وقال: يقول لكم ابن عباس: تغدوا اليوم عندي، فلما صار وقت الغداء أتوه فملأوا الدار فقال: ما هذا؟ فأخبروه الخبر، فرحب بهم وتباشر بذلك وعظم سروره، فأمر قوماً من مواليه أن تشتري الفواكه في الوقت، وأمر قوماً بالخبز والطبخ وقوماً لتهيئة الطعام، فأصلح القرى وقدم الفاكهة لهم، فما فرغوا من أكلها حتى قدمت الموائد فأكلوا وانصرفوا، ولما فرغ قال لو كلاته: أموجود هذا كل يوم إذا أردناه؟ قالوا: نعم، قال: فليغد هؤلاء كلهم كل يوم عندنا))<sup>(١)</sup>.

٢- ذكر الأبهيهي في المستظرف ومثله في أسرار البلاغة بهامش المخلاة: ((أن رجلاً من الأنصار أتاه وقال له: يا بن عم رسول الله أنه ولد لي في هذه الليلة

(١) المستجد من فعلات الأجواد / ١٦- تحم محمد كرد علي ط الترقي بدمشق سنة ١٣٦٥، ويذكر ذلك الرهيد الطواط في ضرر الخصائص / ٧٣، والطرمطوسي في سراج الملوك / ١٧٨، والناصرى في مشكوة الأدب / ٩١٤.

مولود وإني سميت باسمك تبركاً بك وإن أمه ماتت، فقال له ابن عباس: بارك الله في الهبة، وأجزل لك الأجر على المصيبة، ثم دعا وكيله وقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع للرجل مائتي دينار للنفقة على تربته، ثم قال للأصاري: عُذ إلينا بعد قليل، فإنك جئتنا وفي العيش يس وفي النفقة قلة. فقال الأصاري: جعلت فداك والله لو سبقت حاتماً بيوم لم تذكره العرب، ولكنه سبقك فصرت له تالياً، وأنا أشهد أنّ عفو جودك أكثر من مجهوده، وطلّ كرمك أغزر من وابله<sup>(١)</sup>.

٣- ذكر أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني: ((أن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب مرّ بمعن بن أوس المزني، وقد كفّ بصره، فقال له: يا معن كيف حالك؟ فقال له: ضعف بصري وكثر عيالي وغلبنى الدين، قال: وكم دينك؟ قال: عشرة آلاف درهم، فبعث بها إليه. ثم مرّ به من الغد فقال له: كيف أصبحت يا معن؟ فقال:

أخذت بعين المال لما نهكته      وبالدين حتى ما أكاد أدان  
وحتى سألت القرض عند ذوي الغنى      وردّ فلان حاجتسي وفلان

فقال له عبد الله: الله المستعان، إننا بعثنا إليك بالأمس لقمة فما لكتها حتى انتزعت من يدك، فأني شيء للأهل والقراة والجيران؟ ثم مضى وبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى، فقال معن يمدحه:

إنك فرع من قريش وإنما      تمجّ الندى منها البحور الفوارع

(١) المستظرف ١/١٦٠.

وذكر هذه القصة كل من ابن عبد ربه في العقد الفريد ١/٣٤٣ ط أحمد أمين ورفيقه  
والغزالي في إحياء العلوم ٣/٢١٣ ونسبها إلى أخيه عبید الله بن عباس.



ثوروا قادة للناس بطسحاء مكة لهم وسقايات الحجاج الدوافع  
فلما دعوا للموت لم تبتك منهم على حادث الدهر العيون اللوامع<sup>(١)</sup>

٤- ذكر الملك السعيد في العقد الفريد<sup>(٢)</sup> والقلوبوي في نوادره<sup>(٣)</sup> وأحمد جاد المولى في قصص العرب<sup>(٤)</sup> ونحوه في الخلق الكامل<sup>(٥)</sup> عن تميم اليربوعي قال:  
((كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق، فسألته في بعض الأيام وقلت له: بماذا يتم عقل الرجل؟ فقال: إذا صنع المعروف مبتدأ به، وجاد بما هو محتاج إليه، وتجاوز عن الزلة - الذلة - وجازى على المكرمة، وتجنب مواطن الاعتذار فقد تم عقله.

قال تميم: فحفظت ذلك منه وأصغته بقلبي، ثم بعد أيام نزلنا منزلاً فطلبنا طعاماً فلم نجده ولا قدرنا عليه. فإن زياداً كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة في جمع كثير، فأتوا على ما كان فيه من الطعام، فقال عبد الله لوكيله: أخرج إلى هذه البرية فلعلك تجد بها راعياً معه طعام.

فمضى الوكيل ومعه غلمان، فأطالوا التوقف، فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء فأمّوه، فوجدوا فيه عجوزاً، فقالوا لها: هل عندك طعام نباته منك؟ فقالت: أنا طعام بيع فلا، ولكن عندي أكلة، وبأولادي إليها أمس حاجة، قالوا: وأين أولادك؟ قالت: في رعيهم وهذا وقت عودتهم...

(١) الأغاني ١٠/١٥٧.

(٢) العقد الفريد ١٣/ نسخة الشيخ السماوي.

(٣) نوادر القلوبوي ٨٢/ ط مصر.

(٤) قصص العرب ٢/٩٣.

(٥) الخلق الكامل ٤/٤٠.

وذكر القصة الخرافة في مكارم الأخلاق ٦٢/ ونسبها إلى أخيه صبيد الله بن العباس.

قالوا: فما أعددت لهم؟ قالت: خبزة تحت مئتها انتظر بها أن يجيئوا، قالوا لها فجودي لنا بنصفها؟

قالت: لا ولكن بها كلها، قالوا: ولم منعت النصف وجدت بها كلها، ولا خبز عندك غيرها؟

قالت: إن إعطاء الشطر من خبزة نقيصة، فأنا أمنع ما ينقصني وأجود بما يرفعني.

فأخذ الوكيل والغلمان والخبزة لفرط حاجتهم إليها وانصرفوا، ولم تسأل من هم ولا من أين جاؤا؟

فلما أتوا عبد الله وأخبروه خبير العجوز عجب من ذلك، وقال: ارجعوا إليها فاحملوها في دعة وأحضروها.

فرجعوا إليها وقالوا لها: إن صاحبنا أحب أن يراك، قالت: ومن صاحبكم؟ قالوا: عبد الله بن العباس.

قالت: ما أعرف هذا الاسم، قالوا: العباس بن عبد المطلب وهو عم النبي ﷺ.

قالت: والله هذا الشرف العالي وذروته الرفيعة، وماذا يريد مني؟

قالوا: يريد أن يكافئك على ما كان منك.

قالت: لقد أفسد الهاشمي ما أثل له ابن عمه ﷺ والله لو كان ما فعلت معروفًا ما أخذت عليه ثواباً، وإنما هو شيء يجب على كل إنسان أن يفعله.

قالوا: فإنه يحب أن يراك ويسمع كلامك.

قالت: أصير إليه، لأنني أحب أن أرى رجلاً من جناح النبي ﷺ وعضواً من

أعضائه.

فلما سارت إليه رَحِبَ بها وأدنى مجلسها وقال: مَنَ أنت؟ قالت: من كلب، قال: كيف حالك؟ قالت: لم يبق من الدنيا ما يفرح إلا وقد بلغت، وأنا الآن أعيش بالقناعة، وأصون القرابة، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحاً ومساءً. فقال لها: أخبريني ماذا أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخيزة؟ فقالت: أعددت لهم قول العربي: حتى أنال به كريم المأكَل ولقد آيت على الطوى وأظله فأعجب بها ثم قال لبعض غلمته: انطلق إلى خباتها فإذا أقبل بنوها فجيء بهم.

فقالت العجوز للغلام: انطلق فكن بفناء البيت، فإنهم ثلاثة فإذا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض عليه شعار الوقار، فإذا تكلم أفصح، وإذا طلب أنجح، والآخر حديد النظر كثير الحذر إذا وعد فعل، وإن ظلم قتل، والآخر كأنه شعلة نار، وكأنه يطلب بئار، فذاك الموت المائت والداء الكابت، فإذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عني: لا تجلسوا حتى تأتوني. فانطلق الغلام فأخبرهم، فما بُدَّ أمدته حتى جاؤا فأدناهم ابن عباس وقال: إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلا لأصلح من أمركم، واصنع ما يجب لكم.

فقالوا: هذا لا يكون إلا عن مسألة أو مكافأة فعل جميل تقدم، ولم يصدر منا واحدة منهما، فإن كنت أردت التكرم مبتدأ فمعرفة فك مشكور وبرك مقبول مبرور.

فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشر من النوق، فقالت العجوز لأولادها، ليقل كل واحد بيتاً من قوله:

فقال الأكبر: شهدت عليك بحسن المقال وصدق الفعال وطيب الخبر وقال الأوسط: تبرعت بالبذل قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر وقال الأصغر: وحق لمن كان ذا فعله أن يسترق رقباب البشر وقالت العجوز: فعمّرك الله من ماجد ووقيت ما عشت شرّ القدر قال تميم اليربوعي: فالتفت إليّ ابن عباس وقال: يا تميم وددت لو وجدتُ مزيداً في ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيتها، وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده في ذلك.

قللت له: لقد أحسنت وأرجحت، وقد شهد فضلك بما سبق من قولك، فأتت أتمّ الناس عقلاً وأكملهم مرؤة)).

٥- ذكر القاضي التنوخي في كتابه المستجاد، والغزالي في إحياء العلوم: ((أنه اجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس - وهو عامل بالبصرة - فقالوا لنا جازاً صوام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله، وقد زوج ابنة له من ابن أخيه وهو فقير، وليس عنده ما يجهّزها به.

فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم فأدخلهم داره، ففتح صندوقاً فأخرج منه ست بُدْر، ثم قال: احمّلوا فحمّلوا، فقال ابن عباس: ما أنصفناه أعطيناها ما يشغله عن صيامه وقيامه، ارجعوا نكن أعوانه على تجهيزها، فليس للدنيا من القدر ما يشغل به مؤمناً عن عبادة ربه تعالى، وما بنا من التكبر ما لا نخدم معه أولياء الله تعالى، ففعل وفعلوا))<sup>(١)</sup>.

(١) المستجاد من فعلات الأجواد / ٣٤، إحياء العلوم ٢١٥/٣.

وقارن المحجة البيضاء للفيض الكاشاني ٦٧/٦ وكتاب محمد وصحبه لعبد الحفيظ أبو السعود ط دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٦٧.

٦- روى الخوارزمي في فضائله فقال: «افتخر رجل من بني هاشم ورجل من بني أمية، فقال الأموي للهاشمي اذهب فسل أهلك واذهب فأسأل أهلي. فأتى الأموي عشيرته فسأل عشرة منهم فأمروا له بمائة ألف درهم، وأتى الهاشمي عبد الله بن عباس فأمر له بمائة ألف درهم، ثم أتى الحسن عليه السلام فأمر له بمائة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى الحسين فأمر له بمائة وعشرين ألف درهم وقال: لا أساوي أخي بالفضل، فجاء الأموي بما أعطاه أهله وكذا الهاشمي، فغضب الأموي فردّها على أصحابها قبلوها، وردّها الهاشمي على أصحابها فلم يقبلوها، فكانت الأخيرة أشدّ على الأموي من الأولى»<sup>(١)</sup>.

٧- ذكر الإبيهي في المستطرف قال: «قدم ابن عباس على معاوية، فأهدى إليه من هدايا النوروز حلاً كثيرة ومسكاً وآنية من ذهب وفضة ووجهها إليه مع حاجبه، فلما وضعها بين يديه نظر ابن عباس إلى الحاجب وهو ينظر إليها، فقال: هل في نفسك منها شيء؟ قال: نعم والله في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليه السلام.

فضحك عبد الله بن عباس وقال: خذها فهي لك. قال: جعلت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيحقد عليّ، قال: فاختمها بخاتمك وسلّمها إلى الخازن، فإذا كان وقت خروجنا حملناها إليك ليلاً، فقال الحاجب: والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم»<sup>(٢)</sup>.

(١) شرح شافية أبي فراس ٢٤٩/ ط حجرية في إيران.

(٢) المستطرف للإبيهي ١٥٩/١، وذكر القصة ابن عبد ربه في العقد ٣٤٢/١ تح أحمد أمين ورفيقه ونسبها إلى عبید الله وزاد في آخرها ولويدت أني لا أموت حتى أراك مكانه - يعني معاوية - فظنّ عبید الله أنها مكيدة منه قال: دع عنك هذا الكلام فإننا قوم نفي بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا.

٨- ذكر الإبيهي في المستطرف: ((إن معاوية حبس عن الحسين بن عليّ صلّاته، فقبل له لو وجهت إلى ابن عمك عبد الله بن عباس فإنّه قدم بنحو ألف ألف، فقال الحسين: وأنى تقع ألف ألف من عبد الله، فإلهو أجود من الريح إذا عصف، وأسخرى من البحر إذا زخر، ثمّ وجّه إليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلّاته عنه وضيق حاله، وانه يحتاج إلى مائة ألف درهم، فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال: ويلك يا معاوية أصبحت لين المهادر رفيع العماد، والحسين يشكو ضيق المال وكثرة العيال ثمّ قال لو كيله: احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره أنّي شاطرته فان كفاه وإلا فاحمل إليه النصف الثاني.

فلما أتاه الرسول قال: إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، ثقلت والله على ابن عمي، وما حسبت أنّه يسمح لنا بهذا كلّه))<sup>(١)</sup>.

٩- ذكر الشيخ المقبلي اليمني (ت ١١٠٨) في كتابه العَلَمُ الشامخ، قال: ((ويحكى ان عبد الله بن عباس رضي الله عنه - وكان يعد من الأجواد - آوى في بعض أسفاره إلى جنب بعض أهل البادية ولم يكن للبدوي غير شاة وهو لا يعرف ابن عباس، وذبح له الشاة، فلما ارتحل قال لخازنه أعطه بقية ما عندك قال إنّها خمسمائة دينار، قال أعطه إياها، قال: يكفيك أن تضاعف له قيمة شاته، قال: هو أجود منا أعطانا كلّ ما يملك، وأعطيناها بعض ما نملك، قال: أنّه لا يدري من أنت، قال أنا ابن عباس لكنني أدري من أنا))<sup>(٢)</sup>.

(١) نفس المصدر ٦٠/١، وقارن زهر الربيع ٣٣٦ ط بميز سنة ١٣٤٢ هـ ويذكر ابن عبد ربه في المقدم الفريد ٣٤١/١ - أحمد أمين ورفيقه أن القصة كانت مع عبید الله بن عباس وهذا من التصحيف غير المتعمد لتضابه الإسمين في الخط.

(٢) العَلَمُ الشامخ في إثبات الحق على الأبياء والمشايخ / ٥٧٧ ط مصر سنة ١٣٢٨ هـ وروى أبو هلال العسكري في كتابه الكرماء مع الشورى بالفجالة بمصر سنة ١٣٢٦ هـ هذه القصة

والها مع عبید الله بن عباس لكنه وهم فيما أراه لأنه قد رواها بسنده عن مقسم مولى عبد الله بن عباس وعن غيره وفي هذا ما يصحح نقل المقلبي كما في المتن. خصوصاً وفي الخبر حضور مقسم الحادثة وهو إنما يكون عادة مع مولاة عبد الله وروايته: قالوا - مقسم وغيره - وقد عبید الله بن العباس على معاوية فلماً كان بعض الطريق أصابته السماء فأم أبياتاً من الشعر، وإذا أمرابي قد قام إليه - فلماً رأى هيئته وبهائه - وكان من أحسن الناس شارة وأحسنهم هيئة - قال الأمرابي لأمراته: إن كان هذا من قريش فهو من بني هاشم. وإن كان من اليمن فهو من بني أكل المرار - فأنزله وذلك في الليل فقام الأمرابي إلى منيرة له يتبعها - فجاذبته امرأته وقالت: أكل الدهر مالك وشره ولم يبق لك ولبنائك إلا هذه المنيرة تضع درتها كمخة عرقوبه ثم تريد أن تفجمن بها. قال: والله لأبجحنها. فقالت: والله إن لا يتركك بنائك. قال: والله له الموت خير من اللوم ثم قال: - وعبید الله يسمع -

قريضة لا توقظني بنية  
 إن توقظها تنتحب عليه  
 وتزج الشفرة من يديه  
 أبفض بهذا وبها إليه

ثم ذبح الشاة وجعل يقطع من أطايبها ويلقيه على النار ثم قرأه إلى عبید الله بن العباس ومن معه فجعل عبید الله - كذا - يأكل ويحدثه في خلال ذلك بما يليه ويضحكه حتى إذا أصبح وأنجلت السحابة وهم بالرحيل قال لمقسم: كم مملك من نفقتك؟ قال: خمسمائة دينار. قال: ألقها إلى الشيخ. قال: ما تريد إلا أن تسأل الناس في طريقك إن هذا يرضيه عضر ما سميت وتأتي معاوية ولا تدري سلام توافقه. قال: ويحك إذا نزلنا على هذا وما يملك إلا هذه الشاة فخرج لنا من دنياه كلها. ونحن نعطيها بعض ما نملكه فهو أجود منا. قال: فأنقاهما إليه وأرتحل. فأتى معاوية فحضى حوالجه فلماً المبرف قال لمقسم: انظر ما حال صاحبنا فعذل إليه فإذا ابل وهاء وحال حسنة فلماً بصر الأمرابي بعبید الله أكب على أطرافه يقبلها. ثم قال: بأبي أنت وأمي قد مدحتك ولا أدري والله من أي خلق أنت وأنشد:

توسمته لما رأيت مهاجرة  
 عليه وقلت المرء من آل هاشم  
 ولا فمن آل المرار فإنهم  
 ملسوك وأبناء الملسوك الأكارم

فقال عبید الله أصبت أنا من ولد هاشم وقد ولدتني أكل المرار. فبلغ معاوية ذلك فقال: لله در عبید الله من أي بيضة خرج وفي أي عش درج هذه والله من فعال عبید الله معلّم الجود وهو والله كما قال الحمطبة:

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا  
 وإن كانت التعماء فيهم جزوا بها  
 وإن صاهدوا وهوا وإن مقدوا هدوا  
 وإن أصموا لا كندروها ولا كندوا

١٠- وبعث له معاوية بأربعة آلاف دينار، ففرقتها في بني عبد المطلب، فقالوا: انا لا نقبل الصدقة، فقال: إنها ليست صدقة وإنما هي هدية<sup>(١)</sup>.

١١- روى أبو بكر الخرائطي في مكارم الأخلاق بسنده: ((أن سائلاً أتى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: يا سائل أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، قال: وتصلي الخمس وتصوم رمضان؟ قال: نعم.  
قال: حق علينا أن نصلك، فنزع ابن عباس ثوباً عليه فطرحه عليه، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كسا مسلماً ثوباً كان في حفظ من الله ما دام عليه منه رقعة<sup>(٢)</sup>)).

١٢- قال السمهودي في وفاء الوفاء: ((قال ابن شبة: وتصدق عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما بماله بالصهوة - وهو موضع بين بين وبين حورة على ليلة من المدينة - وتلك الصدقة بيد الخليفة - توكل بها<sup>(٣)</sup>)).

إلى غير ذلك من أخبار جوده وقد قرأنا بعضها في السلوك الشخصي أيام ولايته على البصرة. وحسبنا منها أكرامه وقادة أبي أيوب الأنصاري، وضيافته لركب من بني هلال وهم في منازلهم فكانت الجفان تغلو عليهم وتروح بألوان الطعام.

حتى قال ابن المتتخب الهلالي:

إن ابن عباس وجود يمينه      كفى كل معتلّ قرانا وباخل  
وأرحلنا عنه ولم ينأ خيره      ولا غاله عن برنا أم غائل

(١) ذخائر العقبى / ٣٣٤.

(٢) مكارم الأخلاق / ١٠ ط السلفية بمصر سنة ١٣٥٠ هـ.

(٣) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ٢/٣٣٧ ط مصر سنة ١٣٢٧.



تروح وتغدو كل يوم جفائه بكل سديف النبي للجوع قاتل  
 وقرأنا أيضاً أنه كان يعشي الناس بالبصرة في شهر رمضان ويحدثهم  
 ويفقههم.

وإذا كان ذلك في أيام ولايته ويده بيوت المال، فإن في أيام وفاداته على  
 معاوية وأيام إقامته بمكة والمدينة ما يزيد إيمان المستريد، ألم يقل مجاهد: كان  
 ابن عباس أمدهم قامة، وأعظمهم جفنة، وأوسعهم علماً؟ وقد مر ذلك.  
 ألم يقل عطاء: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر علماً  
 وأعظم جفنة؟ وقد مر ذلك.

ألم يقل الضحاك: ما رأيت بيتاً أكثر خبزاً ولحماً من بيت ابن عباس؟ وقد  
 مر ذلك.

ألم يقل معن بن أوس في ذم ابن الزبير وفي مدح ابن عباس وابن جعفر  
 في أبياته وقد مر حديثه في الشاهد الثاني من شواهد بواعث الحسد عند ابن  
 الزبير ومنها:

فقلنا له لا تقرباً فأماننا جفان ابن عباس الملا وابن جعفر

وذكر السيد نعمة الله الجزائري في زهر الربيع: «إن رجلاً أتاه يوماً فقال: إن  
 لي عندك يداً وقد احتجت إليها، فقال: وما هي؟ قال: رأيتك واقفاً بزمزم  
 وغلارك يملأ لك من مائها فظننت عليك من الشمس حتى شربت. فقال: أجل  
 إنني أذكر ذلك، ثم قال لقلامه ما عندك؟ قال: مائتي دينار وعشرة آلاف درهم،  
 قال: ادفعها إليه، وما أراها تفي بحقه عندنا. فقال الرجل: لو لم يكن لإسماعيل

ولد غيرك لكان فيك كفاية، فكيف وقد ولد سيّد الأولين والآخرين ثمّ شفع بك وبأيك»<sup>(١)</sup>.

وختم القول فهو كان يرى الإنفاق في اعادة بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحبّ إليه من حجة بعد حجة، ويرى هدية طبق بدائق يهديه إلى أخ له في الله أحبّ من دينار ينفقه في سبيل الله ﷺ<sup>(٢)</sup> ألم يرو لنا مؤرّج السدوسي المتوفى سنة ١٩٥ في كتابه حذف من نسب قريش قوله: ((وكان منادٍ ينادي بمكة: من يريد العلم واللحم فليأت منزل عبد الله بن عباس))<sup>(٣)</sup>.

وقد مرت بنا في تاريخه بالبصرة أيام ولايته، وفي أيام ابن الزبير في حكومته شواهد أخرى دالة على جوده وسخائه.

### الأدب الرفيع والخُلق العالي :

لقد وردت شواهد مثورة دالة على تعامله مع الناس على اختلاف مشاربهم ومواهبهم، وأنا إذ نسوقها ذكراً دون تعقيب منا عليها، لوضوح دلالتها على خلقه العالي الرفيع في سعة الصدر لاحتمال الأذى، ومتهى الأدب في تكريم من يستحق التكريم وإن كان من شرائع المجتمع الدون حسب أعراف المجتمع يومئذ، وبذلك السلوك الشخصي فرض احترامه واكتسب الثناء عليه، وفيما ورد شعراً ونثراً من مديح أشى الناس به عليه ما يعبر عن مبلغ إعجابهم وعظيم تقديرهم.

ولعل أهم شرائع المجتمع التي يخشى الناس حصائد ألسنتهم، ويوادر نزواتهم، هم زمرة الشعراء ومنهم الهجاؤون خاصة، ممّن لم تسلم أعراض الناس

(١) زهر الربيع / ٣٢٦ ط، يميئ سنة ١٣٤٢ .

(٢) البيان والتبيين / ١ / ٢٨٤ .

(٣) حذف من نسب قريش / ٨ .

من شتمهم، وهؤلاء لم يكن ابن عباس بمنأى عنهم، ولا كان مجهولاً عندهم، فقد كانوا يأتونه مسترفدين فلا يفسح لهم رحابه، بل ويعاقبهم بالمنع والتأنيب، ولا ننسى خبر الشاعر الهجاء ابن فسوة حين وفد عليه بالبصرة أيام ولايته، فحرمه وحبسه ثم سيره منها، فتناوله بهجائه المقلد، مما جعل الإمام الحسن عليه السلام وعبد الله بن جعفر يعطيانه ليسكت عن ابن عمهما، إلا أن الهجاء الخبيث لم يزل فيما يبدو على سجيته - كالعطينة السوداء في خبث سجايها - فداها عليه ابن عباس فأخرس لسانه، وقد مرّ حديثه فلا حاجة بنا إلى إعادته.

إذن فابن عباس بالرغم مما كان عليه من جود بالمال وسخاء طبع، وقد مرت الشواهد قبل هذا - لم يكن يعطي ويمنع لغرض التمجيد والتكريم ليستمطر المديح والثناء، بل كان يرى في المنع والعطاء ما يسمح له به الشرع، فهو لا يأبه بشاعر إلا بقدر ما يسمح له به دينه، لئلا يكون في إعطائه معونة على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن.

والآن إلى نماذج من سلوكه الشخصي مع الشعراء، ثم مع العلماء، ثم مع سائر الناس.

#### فمع الشعراء:

إنما قدمت ذكرهم على العلماء لأنهم كما قلت شريحة من شرائح المجتمع تخشى بوادهم، وهم بعد (في كَلِّ وَاذِ يَهْمُونَ)<sup>(١)</sup> كما وصفهم القرآن الكريم، وكانوا مع ابن عباس في مكة والمدينة يعيشون في مجتمع واحد ويجدون عنده ضالتهم في تمييز أشعارهم، فقد كانت مدرسته تضم في مناهجها

(١) الشعراء / ٢٢٥.

- ان صح التعبير - منهج النقد الأدبي، وسيأتي في الحلقتين الثانية والثالثة، ما يعزّز ذلك، لذلك فهم حضور عنده إن لم يكونوا بأشخاصهم فبأشعارهم. وهم إن حضروا عنده يستظلون بظلاله الوارف أدهباً وخلقاً. وربما تأثر بعضهم في اتجاهاته. والآن إلى نموذجين فريدين منهم، أولهما عمر بن أبي ربيعة المعروف بشاعر الغزل وثانيهما الحطيئة الشاعر الهجاء الذي لم يسلم من هجائه حتى أبويه بل وحتى نفسه<sup>(١)</sup>.

١- مع ابن أبي ربيعة في المسجد الحرام بمكة المكرمة:

روى أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني بسنده عن عمر الزكاء وهشام ابن الكلبي قالاً: ((بينا ابن عباس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين ممصرين، حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس، فقال له عمر متعني الله بك إن نفسي قد تاقت إلى قول الشعر، ونازعتني إليه، وقد قلت منه شيئاً أحببت أن تسمعه وتستره عليّ. فقال: أنشدني فأنشده:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غدٍ أم رائحٍ فمهجرٌ

حتى أتى على آخرها. فقال ابن عباس: أنت شاعر قتل ما شئت. فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال: الله يا بن عباس إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي

(١) قال الدكتور شوقي ضيف في تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي / ٩٩ ط دار المعارف: وتروى له أهاج في زوج أمه وفي أمه وفي ضيفانه وكلها مزاح حتى لنراه يمزح مع نفسه فيقول:

أرى نبي وجهاً هوّه الله خلقه ففصيح من وجهه وقصيح حامله

البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتناقل عنا، ويأتيك مترف من مترفي قريش  
فينشدك:

رأت رجلاً ما إذا الشمس عارضت فيخزي وإما بالعشي فيخسرُ  
فقال: ليس هكذا قال، قال: فكيف قال؟ فقال قال:

رأت رجلاً ما إذا الشمس عارضت فيضحى وإما بالعشي فيخسرُ  
فقال: ما أراك إلا قد حفظت البيت؟!

فقال: نعم وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتكها؟ قال: فإني أشاء.  
فأنشده إياها حتى أتى على آخرها<sup>(١)</sup>.

- وفي رواية عمر بن شبة: أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها، ثم  
أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة، وما سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً -  
قال الراوي وهذا غاية الذكاء -

فقال له نافع: يا بن عباس أسمعت هذا الشعر قبل اليوم؟ قال: لا ورب هذه  
البنية.

قال: ما رأيت أحفظ منك! قال: لو رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي  
طالب - .

وفي رواية في الأغاني: «أنه قال بعضهم: ما رأيت أذكى منك قط، فقال:  
ولكنني ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، رأيت أحفظ  
مني، كان ليصلي، فيدع الآية ثم يركع ثم يقوم، فإذا قال: ﴿ولا الضالين﴾ رجع  
إلى الموضع الذي ركع فيقرأها وينظم انتظاماً، لا يعلم أحد ممن رآه ما صنع إلا  
حافظ كتاب الله تعالى».

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ٣٢/١ و٣٦ ط بولاق.

قال عمر بن شبة وأبو هفان والزيبر بن بكار وغيرهم: ثمّ انضت ابن عباس إلى ابن أبي ربيعة فقال: أنشدنا، فأنشده: تشط غداً دار جيراننا. وسكت، فقال ابن عباس: وللدار بعد غدٍ أبعد، فقال له عمر: والله كذلك قلت أصلحك الله أسمعته؟ قال: لا، ولكن كذلك ينبغي أن يكون كذلك.

وفي آخر حديث الزبير: إن ابن عباس كان كثيراً ما يقول بعد ذلك: هل أحدث هذا المغيري شيئاً بعدنا؟ ولأما بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة فقال: إنها (أمن آل نعم) يستجيدها<sup>(١)</sup>.

٢- مع الحطينة في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة:

روى أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني بسنده قال: ((بينا ابن عباس جالس في مجلس رسول الله ﷺ بعد ما كفّ بصره، وحوله ناس من قريش، إذ أقبل أعرابي يخطر وعليه مطرفة خزّ وجبة وعمامة خزّ، حتى سلّم على القوم، فردّوا عليه السلام فقال: يا بن عم رسول الله أفتني، قال: فيماذا؟ قال: أتخاف عليّ جناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمته، وقصّرت بي قصّرت به؟ فقال ابن عباس: العفو خير، ومن انتصر فلا جناح عليه.

فقال: يا بن عم رسول الله، أرايت أمراً أتاني فوعدني وغرّني ومَنّاني، ثمّ أخلفني واستخف بحرمتي أيسعني أن أهجوه؟

(١) قارن نهاية الأرب للثوري ١٣٨/٧ ط دار الكتب والعمدة لابن رهيقي ٣١/٢، ويداع البداه لابن ظفر المكي ٣٤/، ولأما استنكر نافع سماع ابن عباس للقصيدة لأنه فيما أرى - انطلاقاً من مبدء الخوارج في التقصّف الجاف لما في القصيدة من تصوير لمتعة ليلية يمسبها عمر بن أبي ربيعة مع فتيات فامر معهن حتى الصباح على غير إثم حرام ؟ ثمّ ينشدها في المسجد الحرام لابن عباس وهو في شرفه وعلوه وسنه، ثمّ ابن عباس يحفظها ويرويها، فذلك ما حدا بنافع بن الأزرق إلى تحوير في مطلعها مستنكراً بما يلائم مبداه. لكن ابن عباس رفض ذلك وصحّح المعلومة ولعله أراد أن يشعره بأنه من اللهو المباح والخيال الذي لا يتعدى عفة النفس وهسق الألسن.

قال: لا يصلح الهجاء، لأنه لا بد لك من أن تهجو غيره من عشيرته، فتظلم من لم يظلمك، وتشت من لم يشتك، وتبغى على من لم يبغ عليك، والبغى مرتع وخيم، وفي الصفع ما قد علمت من الفضل.

قال: صدقت وبررت، فلم ينشب أن أقبل عبد الرحمن بن سيحان المحاربي حليف قريش، فلما رأى الأهرابي أجله وأعظمه وألطف في مسأته، وقال: قرّب الله دارك يا أبا مليكة.

فقال ابن عباس: أجرول؟ - وهو اسم الحطيثة - قال: جرول، فإذا هو الحطيثة.

فقال ابن عباس: لله أنت أي مردي قذائف وذائد عن عشيرته ومن بعارفة توثاها أنت يا أبا مليكة! والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من امر الزبرقان كان خيراً لك، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك وشتمت من لم يشتك.

قال: اني والله بهم يا أبا العباس لعالم. قال: ما أنت بأعلم بهم من غيرك.

قال: بلى والله يرحمك الله، ثم أنشأ يقول:

أنا ابن بجدتهم علماً وتجربة      فسل بسعد تجدني أعلم الناس

سعد بن زيد كثير إن عددتهم      ورأس سعد بن زيد آل شماس

والزبرقان ذناباهم وشرهم      ليس الذنابي أبا العباس كالرأس

فقال ابن عباس: أقسمت عليك أن تقول خيراً. قال: أفعل.

ثم قال ابن عباس يا أبا مليكة من أشعر الناس؟ قال: أمن الماضين أم من

الباقيين؟

قال: من الماضين. قال الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه      يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

وما بدونه الذي يقول:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

ولكن الضراعة أفسدتها كما أفسدت جرولاً - يعني نفسه - والله يا بن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الناس الماضين، فأما الباكون فلا تشكك أني أشعرهم وأصردهم سهماً إذا رميت»<sup>(١)</sup>.

٣- مع زهير:

لقد مرّ بنا في الجزء الثاني في عهد عمر صورة من رجوعه إلى ابن عباس في معرفة أشعر الناس فأجابه وكان ذلك هو زهير بن أبي سلمى، كما مرّ بنا أيضاً في الجزء الرابع صورة لنفس السؤال سأله إياه رجل في شهر رمضان بالبصرة، فلم يجبه وأحال في الجواب على أبي الأسود الدؤلي، وقد رواه أبو الفرج في الأغاني فقال: «قام رجل إلى ابن عباس فقال: أي الناس أشعر؟ فقال ابن عباس: أخيره يا أبا الأسود، فقال: الذي يقول:

وإن خلت أن المتأى عنك واسع فإنك كالليل الذي هو مدركي

وهذا من شعر التابعة الدياني. ولم يرو أن ابن عباس ردّ عليه رأيه أو ناقشه، وقد يتخيل تبدل رأيه فيمن هو أشعر الناس، ولكن فيما أرى ليس كذلك، بل إنما سكت تحرجاً وكراهية الخوض في الشعر في شهر رمضان، لذلك فلم يجب السائل أولاً، ولم يعقب على رأي أبي الأسود ثانياً. إعظماً لحرمة «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ»<sup>(٢)</sup>،<sup>(٣)</sup>.

(١) الأغاني ٥٥/٢ ط بولاق.

(٢) البقرة / ١٨٥.

(٣) الأغاني ٥٥/٢ ط بولاق.



٤- مع حسان:

روى أبو الفرج في الأغانى بسنده عن سعيد بن جبير قال: ((كنا عند ابن عباس فجاه حسان فقالوا قد جاء اللعين، فقال ابن عباس: ما هو بلعين لقد نصر رسول الله ﷺ بلسانه ويده.

وفي رواية ثانية: أنه جاء رجل إلى ابن عباس فقال: قد جاء اللعين حسان من الشام.

فقال ابن عباس: ما هو بلعين لقد جاهد مع رسول الله بلسانه ونفسه))<sup>(١)</sup>. أقول: وفي النفس من هاتين الروايتين شيء يمنع من قبولهما، وذلك هو دفاع ابن عباس عن حسان بأنه نصر أو جاهد بلسانه ويده أو نفسه، إذ لا شك في جهاده ونصرته بلسانه، ولكن جهاده بيده أو نفسه فليس كذلك، إذ لم يذكر في تاريخه مرة واحدة أنه باشر حرباً مع رسول الله ﷺ، ولا أدل على جنبه من قصته يوم الخندق حيث جعله ﷺ مع النساء في الأطم، ولما أتى يهودي محاولاً الصعود إلى من فيه، ندبته صفية بنت عبد المطلب ليتزل إليه فيقتله، امتنع، فنزلت إليه بنفسها وقتلته، ثم صعدت فقالت لحسان في سلبه، فأبى خوفاً وقرعاً كما صرح هو بذلك عن نفسه، والقصة مشهورة إذن، فلا يعقل أن يكون ابن عباس لم يعلم بها فكيف يصفه بأنه جاهد بيده ونفسه؟

٥- من كلام النبوة:

روى ابن قتيبة في عيون الأخبار بسنده عن طاووس عن ابن عباس قال: ((إنها كلمة نبي:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود))<sup>(٢)</sup>

(١) نفع المصدر ١٥٥/٩ ط السامسي.

(٢) عيون الأخبار ٢/١٩١.

أقول: وكلام ابن عباس مأخوذ من النبي ﷺ فقد ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد فقال: «وأنشد النبي ﷺ هذا البيت فقال: هذا من كلام النبوة ولا يعني من جنس كلام النبوة ولا في حكمته، بل هو من كلام النبوة، وقد رد ابن عباس على زعم من قال أنه من قول طرفة بن العبد البكري - (والبيت برقم (١٠٢) من معلقته، كما في ديوانه ٤٤ ط برطرندي في مدينة شالون سنة ١٩٠٠ م بشرح الأعلام الشتمري).

فقد روى أبو نعيم في ذكر أخبار أصبهان بسنده عن ابن عباس قال: ((إن الناس يزعمون أن هذا قول طرفة ما قالها إلا نبيّ  
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُرود<sup>(١)</sup>))<sup>(٢)</sup>

ثم مع سائر الناس:

كان ابن عباس يعدّ في سلوكه مع الآخرين نموذجاً فريداً بين الناس، فهو في صبره واحتماله وجوامع سيرته يتعايش مع الآخرين على حسب مراتبهم في نظره. وهو يعيش الغيرية النبيلة التي لا تعرف الأنانية ولا النفعية.  
قال ميمون بن مهران سمعت ابن عباس يقول: ما بلغني عن أخ لي مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل، إن كان فوق عرف له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فأرض الله واسعة<sup>(٣)</sup> وهذه سيرة مثلي.

وشتمه رجل فقال: إنك لتشتمني وفي ثلاث، إني لأسنع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسنع

(١) ذكر أخبار أصبهان ١٩١/٢ ط السبت ليدن.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢٧١/٥.

(٣) صفوة الصفوة ٢١٧/١ ط حيدرآباد.

بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي بها من سائمة ولا راعية، وأني لآتي على آية من كتاب الله فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم<sup>(١)</sup> وهذه غيرية فاضلة عز نظيرها.

والشواهد على ذلك في أقواله وأفعاله كثيرة، وفي أخباره المثورة وحكمه الماثورة شواهد صدق، نسوق بعضاً من أخباره مع الناس نتعرف فيها خلقه الرفيع في مداراة الناس ومجاراتهم حسب مداركهم العقلية، فلم يمنعه علمه وشرفه عن إجابة السائل عن مسأله وإن تكن في نظر الكثير ليست بذي بال أو تافهة، وفي بعض تلك الشواهد نتعرف على جوانب من جامعته العلمية فضلاً عن قدراته العقلية التي سيأتي الكلام عنها في الحلقتين الثانية والثالثة بعون الله.

وله مع ذلك الخلق الرفيع شجاعة على إنكار المنكر عز نظيرها عند غيره ممن هو في سنه، بل فاق آخرين ممن كانوا أكبر سناً منه، ومرت بنا في تاريخه بعض الآثار والأخبار، عالج فيها إصلاح مواضع اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية عجز عنها غيره، وقد مرت شواهد كثيرة، أهمها ما كانت مع الحاكمين، فلم ترهبه سطوة الحكم ولم يخش بطش الظالمين وكان هو أشد جراً مع من كانوا في نظره من المتطفلين الذين اتخذوا الحديث وسيلة لاقتناص المغفلين من المسلمين، وحسبنا في المقام قوله: «كلما لعق أحدهم من الإسلام لعقة، ذهب يقول: حدثني رسول الله، ووالله ما حدثه رسول الله بشيء، ولا هو ممن يفقهون حديثاً»<sup>(٢)</sup>.

وستأتي بعض الشواهد الأخرى من هذا النمط في الحلقات الآتية إن

شاء الله.

(١) الاصابة ٢/ ٣٣٠، وصفة الصفوة ١/ ٣١٧.

(٢) من أين نبدا ٥٢/ خالد محمد خالد ط الثامنة سنة ١٩٥٤ وقد مرّ بلفظ آخر من مجمع

الزوائد ومجمع الطبراني.

أما الآن فإلى منشور الأخبار:

١- خرّج - ابن وهب - عن الثوري: ((أن رجلاً أتى إلى ابن عباس رضي الله عنه فقال: أنا على هواك فقال له ابن عباس: الهوى كله ضلالة أي شيء أنا على هواك؟))<sup>(١)</sup>

٢- روى أبو الفرج في الأغاني، وتعلب في مجالسه<sup>(٢)</sup>، والنويري في نهاية الأرب<sup>(٣)</sup>، والقيرواني في زهر الآداب<sup>(٤)</sup>، وأبو الطيب الوشاء الدؤلي في كتابه الموشى<sup>(٥)</sup> وغيرهم، والخير بلفظ الأول: بسنده عن أبي صالح قال: ((كنت مع ابن عباس بعرفة فأتاه فتيان يحملون بينهم فتى لم يبق منه إلا خياله، فقالوا له يا بن عم رسول الله ادع له، فقال: وما به؟ فقال الفتى:

بنا من جرى الأحزان في الصدر لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب  
ولكنما أبقى حشاشة مقولٍ على ما به صودٌ هناك صليب

قال: ثم خفت في أيديهم، فإذا هو قد مات.

فقال ابن عباس: هذا قتيل الحب لا عقل ولا قود.

قال أبو صالح: ثم ما رأيت ابن عباس سأل الله ﷻ في عشيته تلك إلا العافية ممّا به ذلك الفتى.

قال: وسألنا عنه فقيل: هذا عروة بن حزام<sup>(٦)</sup>.

(١) الاقتصام ٢٥/٣ ط المنار سنة ١٣٣٢ هـ بمصر.

(٢) مجالس ثعلب / ١١٤.

(٣) نهاية الأرب ١٨٢/٢.

(٤) زهر الآداب ١٣١/٤.

(٥) الموشى في الظرف والظرفاء ٥٨/١.

(٦) الأغاني ١٥٨/٢٠.

٣- روى ابن حجر في الإصابة في ترجمة جندب بن عمرو بن حممة عن ابن دريد بسنده عن الشعبي قال: «كنا عند ابن عباس وهو في صفة زمزم يفتي الناس إذ قام إليه أعرابي فقال: أفتيتهم فأفتنا.  
قال: هات؟ قال: ما معنى قول الشاعر؟

لذي الحكم قبل اليوم ما تفرع العصا وما علم الإنسان إلا يعلمنا

فقال ابن عباس: ذلك عمرو بن حممة الدوسي قضى بين العرب ثلاثمائة سنة فكبر، فألزمه السابع أو التاسع من ولده، فكان إذا غفل قرع له العصا، فلما حضره الموت اجتمع إليه قومه، فأوصاهم بوصية حسنة فيها حَكَمٌ»<sup>(١)</sup>.

٤- ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار والفاثق: «أنه أتى ابن عباس إنسانين من ولد أبي لهب ليصلح بينهما، فوجأ أحدهما الآخر بخنجر، فقال ابن عباس: أما أنا فأشهد أنكما مما كسب»<sup>(٢)</sup>.

وقد روى هذه القضية الحاكم النيسابوري والذهبي في تلخيصه بصورة أخرى عن أبي الطفيل قال: «كنت عند ابن عباس يوماً فجاء بنو أبي لهب يختصمون في شيء بينهم، فقام يصلح بينهم، فدفعه بعضهم فوق على الفراش فغضب ابن عباس وقال: أخرجوا عني الكسب الخبيث، يعني ولد أبي لهب»<sup>(٣)</sup>.

أقول: وهو يشير بذلك إلى ما جاء في القرآن الكريم في ذم أبي لهب في سورة تبت من قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۗ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) الإصابة ٢٤٩/١ ط الأولى بنفقة عبد الحفيظ.

(٢) ربيع الأبرار باب القرابات والأنساب/٣ نسخة الأوقاف المخطوطة ببغداد رقم ٣٨٨، الفائق ١٢٩/٢ ط حيدرآباد.

(٣) مستدرک الحاكم ٥٣٩/٢.

(٤) المسد ١/ ٢.

٥- ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار: «قال رجل من همدان لابن عباس رضي الله عنه: أبا عباس ممن أنا؟ قال: انت رجل من العرب. قال: فمن أنت؟ قال: من سأل عنا أهل البيت فأنا من أهل كوثي<sup>(١)</sup>. الأصل آدم، والكرم والتقوى، والحسب الخلق، إلى هذا انتهت نسبة الناس»<sup>(٢)</sup>.

٦- ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار والسمعاني في أنسابه قال: «مت رجل إلى ابن عباس برحم بعيدة، فالأن له وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بُعد بها إذا وُصلت وإن كانت بعيدة»<sup>(٣)</sup>.

٧- «سمع أعرابي ابن عباس يقرأ قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾<sup>(٤)</sup> قال الأعرابي: والله ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها، فقال ابن عباس: خذوها من غير فقيه»<sup>(٥)</sup>.

٨- ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار: «أن رجلاً تكلم في مجلس ابن عباس فأكثر الخطأ، فالتمت إلى عبد له فأعتقه، فقال الرجل: ما سبب هذا الشكر؟ قال: إذ لم يجعلني الله مثلك»<sup>(٦)</sup>.

(١) كوثي، قرية قرب الكفل من نواحي الكوفة كان فيها مسكن إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٢) ربيع الأبرار (باب القربيات والأنساب) / ٣/ نسخة الأوقاف المخطوطة ببغداد رقم ٢٨٨ و/٢ ١٧٤ نسخة الرضوية.

(٣) ربيع الأبرار (باب القربيات والأنساب) / ٣/ نسخة الأوقاف المخطوطة ببغداد رقم ٢٨٨ و/٢ ١٨١ نسخة الشيخ السماوي.

(٤) آل عمران / ١٠٣.

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة / ١/ ١٣٤، العقد الفرید / ٢/ ٢٩٥، محاضرات الراغب / ٢/ ١٧٦، كشكول البحراني / ١/ ٣٩٤.

(٦) ربيع الأبرار (باب الجهل والنقص) نسخة الرضوية وقارن نوادر الحمقى والمفصلين / ٩.

٩- روى ابن سعد في الطبقات بسنده عن عوف عن يزيد الفارسي قال: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم زمن ابن عباس على البصرة، قال: فقلت لابن عباس إنني قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابن عباس: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: إن الشيطان لا يستطيع أن يشبه بي فمن رأني في النوم فقد رأني، فهل تستطيع أن تتعت هذا الرجل الذي قد رأيت؟ قال: نعم، أنت لك رجلاً بين الرجلين، جسمه ولحمه أسمر إلى البياض، حسن المضحك، أكحل العينين، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته ما لذن هذه إلى هذه - وأشار بيده إلى صدغيه - حتى كادت تملأ نحره.

قال عوف: ولا أدري ما كان مع هذا من التعت.

قال: فقال ابن عباس: لو رأيت في اليقظة ما استطعت أن تتعته فوق هذا))<sup>(١)</sup>.

١٠- ذكر الصفوري في نزهة المجالس: ((أنه كان في زمن ابن عباس رجل كثير المال، فلما مات حفروا قبره فوجدوا فيه ثعباناً عظيماً، فأخبروا ابن عباس بذلك، فقال: احفروا غيره، فحفروا فوجدوا الثعبان فيه حتى حفروا سبعة قبور، فسأل ابن عباس أهله عن حاله، فقالوا: إنه كان يمنع الزكاة، فأمرهم بدفنه معه))<sup>(٢)</sup>.

١١- ذكر الصفوري أيضاً في نزهة المجالس: ((أن رجلاً قال لابن عباس: إنني كثير النسيان، فقال له: عليك بالكندر، اتقعه ليلاً ثم اشربه على الريق فإنه يمنع النسيان))<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى ١٢٥/٢ ط لبنان.

(٢) نزهة المجالس ١١٥/١.

(٣) نفس المصدر ٣٦/١.

١٢- ذكر الراغب الاصبهاني في محاضراته: «أن ابن عباس رأى رجلاً يتظلف عن ذكر السواتين فقال: (ان تصدق الطير نك لميسا) ودخل في الصلاة. يريد أن ذكر ذلك ممّا لا يحرج»<sup>(١)</sup>.

أما ابن قتيبة في عيون الأخبار<sup>(٢)</sup>، وابن منظور في لسان العرب، والزيدي في تاج العروس، وغيرهم ذكروا: أنه كان محرماً فأخذ بذنب ناقة من الركاب وهو يقول:

إن يصدق الطير نك لميسا      وهنّ يمشين بنا هميسا

ف قيل له يا أبا العباس أترفت وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفت ما روجع به النساء.

ف رأى ابن عباس في الرفت الذي نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾<sup>(٣)</sup> هو ما خوطبت به المرأة وقيل عندها عند الملاعبة، وأما غير ذلك فغير داخل في النهي عنه في الحج.

١٣- ذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار: «خطب رجل إلى ابن عباس يتيمة له فقال ابن عباس: لا أرضاها لك، قال: ولم؟ وفي حجرك نشأت؟ قال: لأنها تتشرف»<sup>(٤)</sup> وتنظر، قال: وما هذا فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها»<sup>(٥)</sup>.

١٤- أخرج الصدوق في أماليه بسنده عن عيابة بن رعي قال: «إن شاباً من الأنصار كان يأتي عبد الله بن عباس، وكان عبد الله يكرمه ويدنيه، فقيل

(١) المحاضرات للراغب الاصبهاني ١١٦/٢.

(٢) عيون الأخبار ١/٣٢١ ط دار الكتب.

(٣) البقرة / ١٩٧.

(٤) أي تتطلع.

(٥) عيون الأخبار ٤/١٦.



له: إنك تكرم هذا الشاب وتدنيه، وهو شاب سوء يأتي القبور فينبشها بالليالي فقال عبد الله بن عباس إذا كان ذلك فأعلموني، قال: فخرج الشاب في بعض الليالي يتخلل القبور فأعلم عبد الله بن عباس بذلك، فخرج لينظر ما يكون من أمره، ووقف ناحية ينظر إليه من حيث لا يراه الشاب، قال: فدخل قبراً قد حفر، ثم اضطجع في اللحد ونادى بأعلا صوته: يا ويحي إذا دخلت لحدي وحدي، ونطقت الأرض من تحتي، فقالت: لا مرحباً بك ولا أهلاً، قد كنت أبغضك وأنت على ظهري، فكيف وقد صرت في بطني، بل ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفاً والملائكة صفوفاً، فمن عدلك غداً من يخلصني؟ ومن المظلومين من يستنقذني؟ ومن عذاب النار من يجيرني؟ عصيت من ليس بأهل أن يعصى، عاهدت ربّي مرة بعد أخرى، فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءً، وجعل يردد هذا الكلام ويبكي، فلما خرج من القبر، التزمه ابن عباس وعانقه ثم قال له: نعم النباش نعم النباش، ما أنبشك للذنوب والخطايا، ثم تفرقا<sup>(١)</sup>.

١٥- ذكر التوحيد في البصائر والذخائر: ((إن عبد الله بن عباس أرعى رجلاً من العرب أبلأ له فأسمتها وردّها كأنها قصور أو عذارى حور، فقال: كيف تراها، فقال الراعي تسر الناظر، وتخصب الزائر. قال: فإنها لك ولك أجرك، فيكى الأعرابي، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي ضناً بهذا الوجه أن يعفّر في التراب، فقال ابن عباس: لهذا القول أحسن من قصيدة<sup>(٢)</sup>)).

(١) أمالي الصدوق / ٢٩٤ ط الحيدرية.

(٢) البصائر والذخائر للتوحيد / ٢٠٠.

١٦- روى البيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد: «أن ابن عباس كان يسمي عبيده بأسماء العرب، عكرمة وسميع وكريب، وأنه قال لهم تزوجوا، فإن العبد إذا زنى نزع منه نور الإيمان، رد الله عليه بعد أو أمسكه»<sup>(١)</sup>.

شخصية ابن عباس:

لقد كانت في تاريخه عدة جوانب رئيسية لشخصيته، وقد مررنا منها ما قرأناه عبر تاريخ حياته الطويل، فعرفناه شخصية فذة توحى بلامح رئيسية، رابنة في السلوك والتربية، سياسية في الحزم والحكم، ثقافية في العلم والمعرفة، لكل من تلك الملامح أبعاد وأبعاد، تكشف عن عظيم شخصيته. والآن فلنذكر بعض الشواهد على آثار تلك الملامح في تأثير شخصيته عند الآخرين.

#### ربانيته في السلوك والتربية:

لقد مررت بنا في الجزء الأول شواهد عند الحديث عن نشأته وأخلاقه، وقرأنا فيها بعض ما يشير إلى ملامح رابنة في سلوكياته في نفسه ومع غيره، وثمة الآن بعض الشواهد الأخرى مما لم يتقدم لها ذكر، وهي تمتاز بنقاوة مفاهيمها عنده وإن غايرت المغروس في أذهان بعض الناس عن بعض تلك المفاهيم، فمثلاً عندما تحدث عن زهده وورعه وعن تقواه وإيمانه وعن عبادته وخشوعه لا نريد سوى الحديث عما كان عليه من الأخذ بمبادئ الإسلام النقية في توجيه ذاته، في تهذيب الأنانية حتى نمت عنده الغيرية القائمة على أساس متين من الوظائف العبادية، فعمل على تنمية روح الجماعة في النفس، وأشاع فيضها في التعاطف والتماسك مع الغير، مع الخشية من الله تعالى والتقرب إليه والإيمان به

(١) شعب الإيمان ٢/ ورقة ١١٥ | نسخة مصورة ميكروفلم بمكتبتي.

وحده، وهذا ما لمسناه في صلّاته وصلّاته، وفي أسرته وفي أمته، وذلك هو منهج الإسلام الذي كان هو أحد سدنته، وحاملي رسالته.

ونعود إلى ذكر الشواهد التي ألمحنا إليها وأنها قد تغاير ما يألّفه الناس، فمثلاً عندما نصفه بالزهد، وقد عرف الناس الزاهد من كان معرضاً عن الدنيا ولذائدها وطيبات الحياة، واكتفى بلبس المسوح والصفوف، بينما كان ابن عباس يلبس الرداء وقد اشتراه بألف<sup>(١)</sup>. فأين منه الزهد الذي يعرفه الناس؟ لكننا إذا تأملنا قوله: «لأن أرقع ثوباً فألبسه فيرفعني عند الله أحبّ إليّ من أن ألبس ثياباً تضعني عند الخائق وترفعني عند المخلوقين»<sup>(٢)</sup>. فالميزان عنده ليس هو لبس الثياب، بل هو الرفعة عند الله تعالى لينال بها الثواب، وهنا أدركنا معنى الزهد الحقيقي الذي كان يعمر قلبه.

وتزداد إيماناً بذلك حين نقرأ قوله الآخر: «كلّ ما شئت وألبس ما شئت إذا ما أخطأك اثنتان إسراف ومخيلة»<sup>(٣)</sup>.

وقوله الثالث: «ثلاث من كنّ فيه فقد استحق ولاية الله، حلم أصيل يدفع به سفه السفية، وورع يمنعه عن المعاصي، وحسن خلق يداري به الناس»<sup>(٤)</sup>.

وقوله الرابع: «من لم تكن فيه ثلاث خصال فلا توافه: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يطرد به فحشه، وخلق يعيش به»<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر العقد الفريد ٣٢٨/١، وبيع الأبرار باب اللباس والحلي.

(٢) انظر اللمع في التصوف ١٣٦.

(٣) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٩٦/٣، وبيع الأبرار للزمخشري باب اللباس والحلي، محاضرات الراغب ٣٠٠/١ و ١٥٦/٢.

(٤) انظر نزهة المجالس للصفوري ١٧٥/١ ط مصر.

(٥) انظر المجتبي لابن دريد ٦٤/ ط حيدرآباد.

وهذا جميعه يلقي الضوء على منهجه المستقيم في الحياة.  
وما أبلغ كلمته في الغيرية القائمة على مبادئ الإسلام القيمة حين يقول لرجل وقد سبه: «أتسبني وفي ثلاث خصال» وقد مرت في أول شواهد سلوكه مع الناس، كما أنه ليس دونها قوله: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله. أحب إلي من حجة بعد حجة، ولطبق بدائق أهديه إلى أخ لي في الله أحب إلي من دينار أنفقه في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

ونكتفي بهذه الشواهد للتدليل على سلوكيته في نفسه ومع غيره، وأنها قائمة على مبادئ الإسلام، وأخرى لم نأت عنه بفلسفة جدلية يصعب فهمها، إنما الذي ذكرناه يندر ويصعب وجداته عند الكثير من الناس.

ولو تدبرنا كلمته في أساس الدين، عرفنا مبلغ علمه وكمال عقله وامتته بصيرته في سلوكه، فقد قال: «أساس الدين على العقل، وفرضت الفرائض على العقل، وربنا يعرف بالعقل، ويتوسل إليه بالعقل، والعقل أقرب إلى ربه من جميع المجتهدين بغير عقل، ولتمثال ذرة من بر العاقل أفضل من جهاد الجاهل ألف عام»<sup>(٢)</sup>.

أما إذا أردنا الإمام بملامح دالة على ورعه وتقواه وانحاء عبادته فعلينا أن نقرأ أولاً بعض أقوال معاصريه ومنهم بعض تلامذته الذين هم أكثر الناس إحاطة وخبرة بأحواله في سفره وحضره.

١- عن ابن أبي مليكة قال: «صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن

(١) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٢٨/١ وشفوة الصفوة ٣١٨/١.

(٢) روضة الواعظين للفتال ٩.

يقراً حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك النسيج والنحيب، ويقراً ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيذًا﴾<sup>(١)</sup>، وجاء نحو ذلك عن طاووس كما في التذكار للقرطبي.

٢- قال طاووس اليماني: «ما رأيت أحداً كان أشدَّ تعظيماً لحرمان الله تعالى من ابن عباس، والله لو أشاء إذا ذكرته أن أبكي لبيكت»<sup>(٢)</sup>.

٣- قال أبو رجاء العطاردي: «رأيت ابن عباس وأسفل عينيه مثل الشراك البالي من البكاء»<sup>(٣)</sup>.

وقال مرة: «كان في وجه ابن عباس خطان من أثر الدموع»<sup>(٤)</sup>.

٤- قيل للحسن - البصري - يا أبا سعيد إن قوماً زعموا أنك تدم ابن عباس، فبكى حتى أخضلت لحيته ثم قال: «إن ابن عباس كان من الإسلام بمكان، ان ابن عباس كان من القرآن بمكان، وكان والله له لسان سؤول وقلب عقول، وكان والله مشجاً يسيل غرباً»<sup>(٥)</sup>.

٥- ذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس صلاة التسبيح وقال: «أنه لم يكن يدع هذه الصلاة كل يوم جمعة بعد الزوال وأخير بفضلها ما يجبل عنه الوصف».

(١) ق/ ١٩.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ١/ ورقة ٢٩ أ نسخة مصورة ميكروفيلم بمكتبتي، وسهر اعلام النبلاء ٢٣٦/٣، والتذكار للقرطبي ١٤١.

(٣) المعرفة والتاريخ للفسوي ٥٤٢/١.

(٤) سير اعلام النبلاء ٢٣٦/٣.

(٥) صيون الأخبار لابن قتيبة ٢٩٥/١.

(٦) البيان والتبيين للجاحظ ٨٥/١ تحه هارون، ولسان العرب (شج قروب) وفيه كان من العلم بمكان.

وروي عن عطاء: ((أن رجلاً دخل على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي وقد أتى على هذه الآية إلى آخرها: ﴿قَلَمًا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجِنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ رِئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فقال ابن عباس: قد علمت أن الله أهلك الذين أخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية، وهي حالنا))<sup>(٢)</sup>.

أما الحديث عن أنحاء عباداته فمن نافلة القول الإسهاب فيه، وحسبنا ما مرَّ من عكوفه على التهجد ليلاً بالصلاة وتلاوة القرآن.

ولا ننسى قوله: ((ركعتان مقتصدتان خير من قيام ليلة والقلب ساه))<sup>(٣)</sup>. وفي عوارف السهروردي: ((ركعتان في تفكير خير من قيام ليلة))<sup>(٤)</sup>. وقوله: ((لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام))<sup>(٥)</sup>.

كما لا ننسى قوله في تلاوة القرآن: ((لأن أقرأ البقرة وآل عمران في ليلة أرتلها وأتدبرهما وأتفكر فيهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة)) هكذا ورد اللفظ في ربيع الأبرار<sup>(٦)</sup>، وصفوة الصفوة<sup>(٧)</sup>، وشرح النهج للمعتزلي<sup>(٨)</sup>.

(١) الأعراف / ١٦٥.

(٢) التبيان للطوسي / ١٩/٥.

(٣) روى ابن أبي الدنيا في التفكير نقلاً عن موسوعة آثار الصحابة ٤٨/٣، والغزالي في

الإحياء ٢١٤/٣ و ٣٦٤/٤.

(٤) أتحاف السادة المتقين ٤٤/٣.

(٥) منهاج العابدين للغزالي / ٣٥ ط مصر سنة ١٣٣٧، وطبقات الشعرائي ٢٢/١.

(٦) ربيع الأبرار باب الدين وما يتعلق به (نسخة الرضوية ونسخة السماوي).

(٧) صفوة الصفوة / ٣١٧/١.

(٨) شرح النهج للمعتزلي ٤٧٧/٢.

والمستظرف للأبشيهي<sup>(١)</sup>. إلا أن عبد الرزاق في المصنف بلفظ: «لأن أقرأ البقرة وأرتلها أحب إلي من أن أهد القرآن كله»<sup>(٢)</sup>.

ومهما يكن اللفظ فقد دل على التزام في أدب التلاوة، وترغيب في أدب التعليم للأخريين، وهو في هذا كان نموذجاً فذاً، حيث كان من رأيه على حد قوله: «تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها»، وعقب على هذا القول منه ابن القيم فقال: «وفي مسائل إسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل قوله: تذاكر العلم بعض ليلة الخ أي علم أراد؟

قال: هو العلم الذي يتضح به الناس في أمر دينهم، قلت: في الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحوها؟

قال: نعم. وقال لي إسحاق بن راهويه هو كما قال أحمد»<sup>(٣)</sup>.

وأناه رجل فقال يا بن عباس كيف صومك؟ قال أصوم الإثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيها وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»<sup>(٤)</sup>.

وروى البيهقي في شعب الإيمان خير اعتكافه في المسجد النبوي الشريف وإن رجلاً أتاه في حاجة فخرج معه لقضائها، ثم روى ما دل على فضل قضاء الحاجة على فضل الأعتكاف، وذكر في ذلك حديثاً عن النبي ﷺ ودمعت عيناه عند ذكر النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>. وسوف نذكر الخبر بتمامه في الحلقة الثالثة في فقهه إن شاء الله.

(١) المستظرف للأبشيهي ١٨/١.

(٢) المصنف لعبد الرزاق ٤٨٩/٢.

(٣) اتحاف السادة المتقين للزيدي ١٣٨/١ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٣.

(٥) شعب الإيمان ٢/ورقة ٢٩ نسخة مصورة (ميكروفلم) بمكتبتي.

إلا أنا سندكره الآن برواية أبي نعيم في كتابه ذكر أخبار اصبهان: فقد روى بسنده عن عطاء عن ابن عباس أنه كان معتكفاً ودخل عليه رجل فسلم عليه، فقال له ابن عباس: أراك حزينا كثيراً؟ قال: نعم يا بن عم رسول الله، لفلان عليّ حق، لا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال: أولاً أكلمه لك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتعل ابن عباس وخرج من المسجد، وقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكن سمعت صاحب هذا القبر والعهد به قريب - يقول: (من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان أفضل من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين)<sup>(١)</sup>.

كما روى البيهقي أيضاً في شعب الإيمان عن محمد بن عطاء قال: ((دخل ابن عباس حجرة خالته ميمونة بعد الجمعة فجاء سائل فقام على الباب فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته وصلواته ومغفرته، فقال ابن عباس: انتهوا بالتحية إلى ما قال الله ﷻ: (و) «رَحِمَتُ اللَّهُ وَرَكَاتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال ابن عباس: ما آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أنني لم أحج ماشياً حتى أدركني الكبر، أسمع الله تعالى يقول: «يَأْتُونَكَ رَجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ»<sup>(٣)</sup>،<sup>(٤)</sup>.

وقد أخرج الطبراني في معجمه عنه قوله لبنيه: ((يا بني أخرجوا من مكة حاجين مشاة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن

(١) ذكر أخبار اصبهان لأبي نعيم ٨٩/٢ من أهدت عن نيدن.

(٢) هود / ٧٣.

(٣) الحج / ٢٧.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ورقة ٣٠ / ١.



للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة، والماشي بكل خطوة سبعمائة حسنة))<sup>(١)</sup>.

ما روي عنه من الدعاء وآدابه:

لقد روي عنه في هذا الباب كثيراً مرفوعاً عن النبي ﷺ، ونجد بعض ذلك روي موقوفاً، وفي نظري القاصر أنه في هذا هو أيضاً بحكم الرفع لأنه من أين تلقاه؟ ومن الذي رباه؟ أليس قد مرت بنا في الجزء الأول شواهد اختصاصه بمدينة العلم رسول الله ﷺ ثم من بعد بياب مدينة علمه أمير المؤمنين عليه السلام فعمل عنهما ما وسعه فهمه، ففاض بذلك علمه، إذن لا مشاحة لو رأينا بعض الموقوف في مصدر مرفوعاً في مصدر آخر.

نعم هناك مرويات عنه ظاهرة الوقف نحو قوله في هذا المجال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دعا جعل باطن كفه إلى وجهه»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «إياك والسجع في الدعاء فإني شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لا يفعلون ذلك»<sup>(٣)</sup>.

أو مرفوعة متبوعة منه بقول نحو قوله: «كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نظر في المرأة يقول: (الحمد لله رب العالمين الذي خلقني وسوى خلقي وجعلني بشراً سوياً ولا حول ولا قوة إلا بالله).

قال ابن عباس رضي الله عنه: فما تركتها منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم قال: لا يمسن وجه من قالها سوء أبداً»<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك.

(١) المعجم الكبير ٩/١٢ ط الموصل.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٤٤/١١ ط الموصل.

(٣) نهاية الإرب للنويري ٢٨٥/٥ ط دار الكتب بمصر.

(٤) تضم المصدر ٣١٤/٥.

ومن شواهد ما روي عنه موقوفاً في مصدر كما روي عنه مرفوعاً في مصدر آخر ما ورد في كيفية الدعاء، حيث روي موقوفاً بلفظ عند ابن قتيبة عنه، قال: «الإخلاص هكذا: ويسط يده اليمنى وأشار بإصبعه من يده اليسرى. والدعاء هكذا: وأشار براحتيه إلى السماء.

والإبتهال هكذا: ورفع يديه فوق رأسه ظهورها إلى وجهه»<sup>(١)</sup>.

ورواه ابن عبد ربه أيضاً باستبدال اليمنى باليسرى وبالعكس في المقامين موقوفاً<sup>(٢)</sup> غير أن التويري ذكر ذلك عنه مرفوعاً فقال: «وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: الإخلاص هكذا ورفع اصبعاً واحداً من اليمنى، والدعاء هكذا وجعل بطونهما ممّا يلي السماء، والابتهال هكذا ومدّ يديه شيئاً وجعل ظهر الكف ممّا يلي السماء»<sup>(٣)</sup>.

ومما روي عنه مرفوعاً وموقوفاً الدعاء الذي رواه عنه سعيد بن جبير، وأخرجه الطبراني في معجمه بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطوبك فقل: الله أكبر الله أكبر من خلقه جميعاً، الله أعزّ ممّا أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك السماوات السبع أن تقعن على الأرض إلا بإذنه، من شرّ عبدك - فلان - وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والأنس، إلهي كن لي جاراً من شرهم، جل ثناؤك، وعزّ

(١) عيون الأخبار ٢/٢٨٣ ط دار الكتب بمصر.

(٢) المعقد الضريد ٣/٢٢١ تح أحمد أمين ورفيقه.

(٣) نهاية الأريب ٥/٨٤ ط دار الكتب بمصر، ورويت الكيفية عنه بلفظ آخر في نزهة المجالس للصفوري ١/١٥٢ و ٢/٤٣ (إذا أشار أحدكم بإصبع واحدة فهي الإخلاص في الدعاء، وإذا رفع يديه حدو صدره فهو الدعاء، وإذا رفعهما حتى يجاوز بهما رأسه وظهرهما ممّا يلي وجهه فهو الابتهال).

جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك. ثلاث مرات»<sup>(١)</sup>. وهذا ما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: ((ورجاله رجال الصحيح))<sup>(٢)</sup>.

كما رواه أبو نعيم في حليته بتفاوت يسير<sup>(٣)</sup>. ورواه الشعراني في لوائح الأنوار القدسية<sup>(٤)</sup>، وكل هؤلاء رووه موقوفاً. إلا أن التويري رواه عنه مرفوعاً<sup>(٥)</sup>. ولا ضمير.

ومما روي عنه من الدعاء موقوفاً ما أخرجه الطبراني في معجمه بسنده عن سعيد ابن جبير قال: ((كان ابن عباس يقول: اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض أن تجعلني في حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك))<sup>(٦)</sup>. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: ((رواه الزيار ورجال الصحيح))<sup>(٧)</sup>.

وكان من الدعاء الذي لم يدعه ما سمعه من النبي ﷺ وهو قوله: (اللهم قنني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلف علي كل غائبة لي بخير)<sup>(٨)</sup>.

ومن أدهيته ما رواه السيد ابن طاووس في كتابه التشريف بالمنن نقلاً عن كتاب زكريا بن يحيى بن الحارث البزاز، فقال: ((روى بإسناده عن ابن عباس قال: من نزل به غم أو هم أو كرب، أو خاف من سلطان ظلماً فدها بهذه الدعوات استجيب له، قال: يقول: أسألك بلا إله إلا أنت رب السماوات السبع

(١) المعجم الكبير للطبراني ٢٥٨/١٠ ط الموصل.

(٢) مجمع الزوائد ١٣٧/١٠ ط القدسي.

(٣) الحلية ٣٢٢/١.

(٤) لوائح الأنوار القدسية ٢٨٨/ ط الباجي الحلبي سنة ١٣٨١ هـ.

(٥) نهاية الإرب ٣١٩/٥.

(٦) المعجم الكبير للطبراني ٢٥٩/١٠.

(٧) مجمع الزوائد ١٨٤/١٠.

(٨) تاريخ جرجان السهمي ٦٣/ ط أفتت أوروبا.

وربّ العرش العظيم، وأسألك بلا إله إلا أنت ربّ العرش الكريم، وأسألك بلا إله إلا أنت ربّ السماوات السبع وما فيهن إنك على كل شيء قدير. ثمّ تسأل حاجتك»<sup>(١)</sup>. وهذا أخرجه أحمد في مسنده وفيه: «أته يقول أن نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو بهذه الدعوات عند الكرب»<sup>(٢)</sup>، وقد أخرجه مكرراً مرفوعاً وموقوفاً وفيه تفاوت وفي بعضه (وربّ الأرض)<sup>(٣)</sup>.

ومرّ بنا دعاء علّمه له الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليلة صفين - الهرير - إلى غير ذلك من الأدعية التي رواها عن النبي صلى الله عليه وآله، روى في فضلها الكثير ممّا سمعه، ولعل دعاء التسييح الذي أخرجه السيّد ابن طاووس في مهج الدعوات<sup>(٤)</sup> من مهمات تلك الأدعية، حريّ بأن يُرغب المؤمن في طلبه ولولا طوله لذكرته. كما أن روايته لدعاء الإمام كتبه لليمانى المروى في مهج الدعوات أيضاً وكتابه له ما يشعر بالتزامه به، فليراجع.

وقد مرّ بنا في حياته بالبصرة أيام ولايته (٢٢٧/٣) عن طاووس أنه كان يعلمهم الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن...

وذكر الشيخ النجاشي في رجاله في ترجمة عبد العزيز بن يحيى الجلودي الأزدي البصري، من جملة كتبه ممّا يخص ابن عباس بروايته عنه منها: كتاب قوله - أي ابن عباس - في الدعاء والقوذ وذكر الخير وفضل ثواب الأعمال والطب والنجوم<sup>(٥)</sup>.

(١) التشريف باليمن / ٣٤٩ ط مؤسسة صاحب الأمر (عج).

(٢) مسند أحمد ٨١/٤.

(٣) المصدر نفسه (مسند ابن عباس).

(٤) مهج الدعوات / ٨٢-٨٣.

(٥) رجال النجاشي / ١٦٩ ط بيمع.

وحسبنا بهذا في الحديث عن ملمح ربانيته في السلوك.  
 أما الحديث عن ملامح شخصيته السياسية في الحزم والحكم فقد تقدم عنها ما يفني في تاريخه ج ٣ أيام ولايته على البصرة.  
 وأما عن ملامح شخصيته الثقافية في العلم والمعرفة، فقد مرّ بمض الشواهد عليها ويأتي استيفاء ذلك في الحلقة الثانية والثالثة إن شاء الله تعالى.  
 ولتقف هنا مكثفين بما عرضناه، تاركين لأشئآت من أخباره، ليس في ذكرها كثير إفادة، وإن جمعت منها الكثير ممّا وصلت إليه يءي من صغيرة وكبيرة وشارءة ووارءة، وصبرت طويلاً وكثيراً على معاناة ذلك الجمع، إلا أنني في ذكرها برمتها قد أكون متجاوزاً في ذلك حدود المألوف في مناهج الباحثين، وفيما ورد في أجزاء هذه الحلقة الأولى ما يفني عن ذكر جميع تلك الأخبار، ولا أرى في تركها بأساً ما دامت قناعتي الشخصية رهن إيماني بأني نصرت مظلوماً فيما حَبَّرته في هذه الأجزاء الخمسة من تاريخ جبر الأمة وترجمان القرآن بما فيه الكفاية.

وسوف نستأنف مسيرتنا مع جبر الأمة من خلال الحلقات الثلاث إن شاء

الله.

والحمد لله رب العالمين الءءي هءانا لهذا وما كنا لنهتءي لولا أن هءانا الله والصلاة والسلام على أشرف أنبياء الله، وأوصيائه حجج الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولنختم الحلقة الأولى من موسوعة جبر الأمة وترجمان القرآن، بما جاشت به القريحة، من أبيات تعرب عن نفس جريحة، عاشت الألام حتى من المترءية والنطيحة نسأل المولى جلّ اسمه، أن يفضّل علينا بلطفه لإكمال بقية الحلقات

الثلاث، عسى أن يتضع بها في كشف البهمة عن تاريخ جبر الأمة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم تحريره وتيسفه بيد مؤلفه الفقير إلى ربه الغني، المعترف بالتقصير والعصيان محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان عفي عنه يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع سنة ١٤٢٤ هـ حامداً مصلياً.

### بسمه تعالی شأنه

آيات فضلك :

آيات فضلك كلها عنوان	مهما أنتقيتُ فإنه البرهان
فبليغ نطقك دونه سبحانه	وحدیث زهدك كله إيمان
وعلو كعبك دونه الكيوان	فشذت صفاتك كلها ریحان
من أين أبدأ في حديثي كلما	خايرتها يتميز القرآن



تلك الحقيقة قد بدت مزهوة	كالشمس واضحة لدي عيان
يا حافظاً دون البلوغ لمحکم	ومفسراً فيما أتى التبيان
يا ترجمان الوحي أنت وعيته	حفظاً ومعنى واستبان لسان
يا حبر أمتنا بنعت صادق	هل ينكرن نور الذکا إنسان
يا بحر علم قد أفضت معارفاً	زخرت بطوفان الهدى الوديان
فلائت رباني أمة أحمد	فيما حُببت شهيدك الفرقان

للمرء ذكرٌ ما أنت أزمان  
تُروى ليحيى ذكرها الإنسان  
علماً وحلماً زانك الإيمان  
صوراً صحاحاً دونها البرهان  
أنوار علمك زيتها القرآن  
مني الفخار ومنكم الإحسان



بمدينة وببابها تزدان  
لم تلهك الأسواق والبحران  
فسبقت من سبقت به الأسنان  
ما زال ثراً سيله عُدران  
فتقاصرت عن شأوها الأزمان  
قلبٌ عقولٌ بالسؤال لسان<sup>(١)</sup>  
لو وازنوك لما استوى الميزان



عما كتبتُ فهل به بهتان  
فيما أتى الشيخان أو نكران  
عهد النبي، وبعده من خانوا

يُنفي البلا جسداً ويبقى بعده  
يحيى بذكر الخالدات لدى الورى  
يا راسخاً في العلم زينه التقى  
فاهناً أبا العباس يزجيك الشنا  
أخلاقك الغراء شعت رفعة  
إيهاً أبا العباس هذي مدحتي

يا ناهلاً للعلم من صفو الهدى  
فقت الصحاب بما سمعت وعيته  
فمدينة العلم النبي صحبته  
وحباك من نبع النبوة منهلاً  
ونعمت في بيت النبوة برهة  
لا خرو لو فقت الصحاب رواية  
أنسى يكون السابقون دراية

إيه ابن عباس فدعني سائلاً  
هل صح عندك ما رأيت وما روي  
كيف الموثيق التي قد أهرمت

(١) قال عمر بن الخطاب: عبد الله فتى الكهول له لسان مؤول وقلب عقول. الاستهباب ٣ / ٩٣٥ ومصادر أخرى.

أنهل رأوا في هجرها ومرخصاً  
 إبهأ عصي الدمع حدثنا بما  
 تبكي الرزية حين قالوا ضلة  
 لم ذا التنازع وهو ينشد صحبه  
 ماذا جرى حتى أزقت على الثرى  
 لولاك ما عرف الحديث وشأنه  
 أو ليس في يوم الغدير ولاية  
 حدث أبا العباس فيما قد جرى  
 هل صحت الأخبار حين أتوكم  
 أنهل رأيت عجاجة لم يطفها  
 كشر الحديث وما أتى من نشه



حدث لمن عايشت بعد محمد  
 حتى إذا مات النبي لزمته من  
 صاحبه طفلاً وكهلاً شاخصاً  
 حدث أبا العباس عما قلته  
 فوقفت في صف الإمام تحوطه  
 ونصرت حيث الخالفين تقدموا  
 حاججت في أمر الإمامة عصبه

عن خير من سادت به عدنان  
 هو نفسه وشهيدك القرآن  
 سلماً وحرباً ضمكم تحنان  
 كم نفثة صككت لها الأذان  
 حرفاً وسيفاً ما أقتضى الميدان  
 بمواقف حاجت لها الأحزان  
 جحدث بما قد شاده القرآن

(١) قال أبو سفیان بعد بيعة أبي بكر: أرى عجاجة لا يطفها إلا دم. تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٩.



لكنْ هاشمَ حَظَّها الحرمان  
 فيما يوسوسُ نُشدها الشيطان  
 وخصمته بالحقِّ وهو مدان  
 مَنْ سار سيرهم فهم أهوان  
 قد شدَّ مقولك القويمَ جنان  
 في الخالدين مواقفاً تزدان



عَنَّتَ الحوادثُ إذ يفِيءُ زمان  
 إن يُقتدحَ زند له نيران  
 من بعد غاشية الخنوع فدانوا  
 فعلا النعيقُ وصاتت الغربان  
 طمعٌ وتعلو فوقه الأضغان  
 يرغو رغاءً عسكراً شيطان  
 من محنة طالَّت بها الأزمان  
 سارت فسار بسيرها الركبان  
 في كل ما تخطو لك الإذعان  
 ولطلحة ولمثلهم من خانوا  
 يوم الهياج شهيدك الميدان  
 بضبا جهادك حجةً وسنان  
 تبكي وتبكي عندها النسوان

أخرستَ كلَّ الناعقين بحجة  
 فكعمتَ فاغرةً تلجلج منشداً  
 واه ابن عباس يقول مخاصمٌ  
 كم معشر سبقوا ووافى بعدهم  
 ما كنتَ يوماً ناكصاً عن موقف  
 حقاً إذا ما عشتَ تبقى مائلاً

يا خير من عاش الزمان مكابداً  
 صلب العقيدة في المواقف كلها  
 خيبر عن الأمر الذي قد جاء كم  
 ثارت شقاشقُ فاستثارت عصبةً  
 وتحزبتَ فرق الضلال يسوقها  
 وعلا نعيقُ بالشثام يجيبه  
 حدث لنا عن ذي الحروب وما بها  
 هبَّت ظعينة أحمد في هودج  
 مرَّحَى أبا العباس كنت موقفاً  
 كم مرة جثت الزبير مناصحاً  
 فلقد نصحتَ الناكثين ومد أبوا  
 ونهضتَ في تلك الضروس مجاهداً  
 يكفيك من ناءت بحجتك البكا

أبدت لك الأضغان من مكتونها      الله ماذا تفعل الأضغان



إيها أبا العباس حدث ما جرى  
حيث الطليق مع اللصيق تناظما  
كم أشعلوها في القديم بليّة  
حتى إذا الإسلام طنب ضارباً  
جاءت إلى الإسلام تبغي مكسباً  
عصبت علياً بالدماء أراقها  
وأتى ابن هند كافراً بقتاله  
يا حبريا من يستلذ لسامع  
نازلت عمرواً والوليد وغيره  
وبفتنة الحكمين ساء مسازها  
وتجاويت أصداء كل مرنة  
كنت المرشح والمفضل عندهم

في حرب صفين ومن ذا كانوا  
في حربكم مذ تعبد الأوثان  
طالت وعمت واستعز كيان<sup>(١)</sup>  
تلك الرؤوس فساقها الإذعان  
من بعد شرك حظه الخسران  
في يوم بدر قالها عثمان<sup>(٢)</sup>  
حتى قضى ما بله الإيمان<sup>(٣)</sup>  
تروي له ما ضمّه الميدان  
وشهدك البتار والخرمسان<sup>(٤)</sup>  
مضربة نقت فنق يمان  
بلهاء شاكية لها إرنان  
لكن أبوا مذ ساقهم عصيان

(١) قوي وأشد

(٢) قال عثمان لعلي: ما ذبيك إليك إذا لم تحبك قريش وقد قتلت منهم يوم بدر سبعين كان وجوههم شقوق الذهب تصرع آذانهم قبل سفاههم ( شرح النهج ٢٢/٩، نثر الدر ٢/٦٨، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢٠٧).

(٣) قال رسول الله ﷺ: (سياب المسلم فسوق وقتاله كفر) والحديث صحيح مروي في أكثر من أربعين مصدراً منها صحيح البخاري ٢٧/٢، ورواه في تاريخه الكبير ٤٧/٤ و ٢٨٤/٧، وتاريخه الصغير ٢٣٦/١، وأحمد في مسنده ٢٨٥/١ و ٤١١ و ٤٣٣ و ٤٥٤.

(٤) الخرمسان = الرماح

خسبٌ وذاك مغفلاً حيوان  
خسروا الرهان إذا هم إرهان  
تبغي الهدى ورقبهم شيطان  
تُحدي كأن مسيرهم كوفان  
أمر الحكومة فابتدا الإعلان  
حتى استجاب إلى الهدى من دانوا  
مرقت من الدين الحنيف فبانوا



لعصابة المراق مهما كانوا  
في النهروان يسوقهم شيطان  
فتحالفوا قسماً عتاة مانوا  
بسوادهم واطلمت الأكوان  
متجلداً لم تلهك الأحزان  
سقت وطارت واستشاط دخان  
حتى استجابوا وليتهم ما خانوا  
بالشام حيث مقره السلطان  
آل النبي وأنتك المعوان  
مهما تزايد جمعته الخوان  
فيما رأيت وفاتك النشدان  
ما انفك حزتك، ما أتى السلوان

فتباريا الحكمان هذا خادع  
وإذا العراق رهينة في حكمهم  
فتشتتوا زمراً وكنت رقيبهم  
وسرت ركبهم على غير الهدى  
لكنهم نزلوا حروراء انتهى  
فأتيت نحوهم بأمر بالغ  
ويقبت ترقيبهم وتلك عصابة

إيها أبا العباس خبر ما جرى  
عاثوا فساداً وانتهوا بجموعهم  
ولئن نجا من فرّ عاد مكابداً  
فأنوا بفاجعة الصيام وجللو  
وهنا أبا العباس رخم رزية  
فحمدت مشكوراً تعيد لأمة  
ودعوت للسبط الزكي مباعاً  
فبقيت تسترعي المواقف خلسة  
أصحرت في كل المواقف ناصراً  
ولكم دمغت الخصم حجة بالغ  
ونصرت للسبط الشهيد مناصحاً  
لولا الشهادة للحسين كما ترى

فقد الحبيب وما أتى العدوان

أهاأ أبا العباس عشت مكابداً



عُغْنِ الرُّؤُوسَ وَعِشْمَشَ الشَّيْطَانَ

ماذا لقيتَ من الأذى من معشر

طُخِيَاءَ قَدْ جَاءَتْ بِهَا الْأَوْثَانَ

فبقيت ترزح تحت كلِّ بلية

جوراً ابن هند واعتلى البنيان

فبنى على ظلمِ النبي وآله

وأتى بما لم يطويه النسيان

فيزيدهم حَكَمَ البلاد بكفره

مترنماً شعراً به الكفران

قَتَلَ الحَسينَ وذاك أعظم فادح

وغزاً لمكئة هذه الرحمن

وغزاً المدينة واستباح حريمها

أسفاً وتعباً إذا أتى مروان

وتسافلت فرص الحياة فساها

بالبيت قد ضجعت به الأركان

وابنُ الزبير وذاك رجس عائذ

تباله إذ حفظه الخسران

فلقد نفاك وكان آخر ظلمه

فجزاؤهم يوم الجزا النيران

ذهب الذين تهضموك بظلمهم

هذا ابن عباس يشير بنان

وبقيت حياً في العلوم لقارئ

ملاً القماطر كلها أعيان

هذا ابن عباس تجده مائلاً

إذ ليس من بعد العيان عيان

يكفيك حياً أن تعيش مخلداً

ومضى العناية نصيبهم خسران

حزرت الخلود وزادك الإيمان



تخز الضلوع ونارها حران

عذراً أبا العباس هذي نفثة

حتى امتشاط بأن يبوح لسان

فأقول من أسفٍ تصاعدتْ حزنة

ما أنصف الأعداء والخلان

صرت الضحية للعدو وللأولى

حصناً سليماً أو يُرى بنيان  
 بءات بها الأعداء والولدان  
 الآباء كل رزية تُختان  
 وغدا هجين يصطفيه هجان  
 من دان من يبغى عليه يُدان  
 كانت مناقبك العُلا أثمان  
 في آل أحمد ما أتى البرهان  
 أني نصرت وملؤه إيمان  
 أخطاء من بهتوا عليك فدانوا  
 للناس أن الحق فيه بيان  
 من نسج أعداء لهم أضغان  
 يوم الحساب سينصب الميزان



عمراً طويلاً كله تحننان  
 من خير خاتمة حوى إنسان  
 قريء وزلفى يرتضي الرحمن  
 من أحمة المختار فيه بيان  
 في كل شوط في الدنا تزدان



يروى حديثك كله عرفان

عصفت رياح بالعداوة لم تدع  
 منوا مسبتكم وتلك رزية  
 خصمان في أمر الخلافة انحلا  
 فالمكرماتُ تبدلت أضدادها  
 وتسابقا بالطعن حتى أنهم  
 فلقد جرت عبر العصور مصائب  
 لولا بنوك وقد أساؤا سيرة  
 فأبشها شكوى وقلبي مؤمن  
 حسبي بما حُبرْتُ فيك موضحاً  
 مستشرفاً وضح الحقيقة معلنا  
 والله بصركم عماية مغرض  
 لا تعجلوا بالقمح إن وراءكم

يا خير من نصر الوصي مشايماً  
 إيهأ أبا العباس يهنيك الولا  
 فولاً علي وهو خير وسيلة  
 ولقد عملت بما علمت وقد أتى  
 طوبى أبا العباس قد جرت المدى

يا حبراً يا من يستريح محدث

فلکم نشرت من العلوم صحائفاً  
ولکم هديت من الضلالة حائراً  
ولکم كشفت من الغوامض سرها  
لا غرولوا عشت القرون مخلدا  
فلأنت حي في فنون معارف



يا مجزل الإحسان برك واسع  
عفواً إذا ما كنت فيك مقصراً  
هذا جناي وما جنيت مجازفاً  
خمسون عاماً قد دأبت ومعناً  
حسبي بهذا أن يكون بضاعتي  
فتثيبني عند النبي شفاة  
ويضمني والحجر أقرب منزل  
أنت الشفيع فلا تخيب حاجتي  
لا شك ترعاني وترعى صحتي



يا حبر أمتي المجيدة إنني  
ها قد حيوت لباب قبري شاخصاً  
وقطعت من عمري سنيناً ثفت  
والمرء مهما قيل فيه معمر

ما زلت بالحق السني أزان  
نحو السماء ليعفو الرحمان  
ما قد قطعت وجازه الحسابان  
لابد يوماً ينتهي الإنسان

لابدَ يأتي بعده النقصان  
 كيلا تمس لجسمي النيران  
 بولاية فيها يصان مدان  
 بفصيح قول يستطيع لسان  
 لستُ الكميت ولا أنا حسان  
 لأرى الخليل عروضه الميزان  
 واقبل بنطقي إنني (خرسان)

مثل الهلال إذا تكامل نوره  
 فانعم أبا العباس وأرفع من يدي  
 فأنا على ما أنت كنتَ تقوله  
 تلكم هويتِي التي أعلنتها  
 فاقبل بشعري إن تخلخل وزنه  
 كنت الخليل فلم تدع لي فرصة  
 و اقبل بنشري إن تنائر نهجه

السبت ٢٨ رجب سنة ١٤٢٣ هـ





## المصادر

١. (أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ) لإبراهيم عليّ شعوط الأستاذ بجامعة الأزهر الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ نشر المكتب الإسلامي.
٢. (أبجد العلوم) للقنوجي تحقيق عبد الجبار زكار طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٧٨م.
٣. (أبو الشهداء) لعباس محمود العقاد (موسوعة العقاد).
٤. (الإتحاف بحب الأشراف) لعبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي الشافعي ١١٧١هـ طبعة بيروت.
٥. (إتحاف السادة المتقين) لمحمد مرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
٦. (الإتقان في علوم القرآن) لجلال الدين السيوطي الشافعي ٩١١هـ طبعة حجازي بالقاهرة سنة ١٣٦٨هـ.
٧. (إثبات الهداة) لمحمد حسين الحر العاملي ١١٠٤هـ والكتاب في مجموعته برقم (١٣) مجاميع خطية بمكتبة المرحوم المغفور له الشيخ محمد الحسين ال كاشف الغطاء.
٨. (الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة) لبدر الدين الزركشي ٧٩٤هـ طبعة دمشق سنة ١٣٥٨هـ.
٩. (أحاديث أم المؤمنين عائشة) للسيد مرتضى العسكري.
١٠. (الأحاديث المختارة) لمحمد بن عبد الواحد المقدسي ٦٤٣هـ طبعة مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ.

١١. (الاحتجاج) لأحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي ٥٤٨هـ طبعة النعمان.
١٢. (الأحداث) لعليّ بن محمد المدائني ٢٢٥هـ (بتوسط شرح النهج للمعتزلي).
١٣. (إحقاق الحق) للمرعشي النجفي.
١٤. (الأحكام السلطانية) لعليّ بن محمد الماوردي الشافعي ٤٥٠هـ طبعة المحمودية بمصر.
١٥. (الأحكام السلطانية) لمحمد بن الحسين أبي يعلى الحنبلي ٤٥٨هـ تحقيق حامد الفقي.
١٦. (الإحكام في أصول الأحكام) لعليّ بن حزم الأندلسي الظاهري ٤٥٦هـ طبعة السعادة بمصر.
١٧. (أحكام القرآن) لأحمد بن عليّ الرازي الجصاص ٣٧٠هـ طبعة افست دار الكتاب العربي بيروت.
١٨. (إحياء علوم الدين) لمحمد بن محمد الغزالي ٥٠٥هـ.
١٩. (أخبار الدولة العباسية) لعليّ بن عبد الله بن جعفر المدني ٢٣٤هـ تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي طبعة دار الطليعة بيروت.
٢٠. (الأخبار الطوال) لأحمد بن داود أبي حنيفة الدينوري ٢٨٢هـ طبعة تراثنا بمصر.
٢١. (أخبار الظراف والمتماجنين) لعبد الرحمن بن عليّ بن الجوزي ٥٩٧هـ.
٢٢. (أخبار القضاة) لمحمد بن خلف بن حيان الملقب بوكيع ٣٠٦هـ طبعة مصر.

٢٣. (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) لمحمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى ٢٥٠هـ تحقيق رشدي الصالح محسن مطابع دار الثقافة مكة المكرمة الطبعة الثانية سنة ١٣٨٥هـ وطبعة الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٢هـ.
٢٤. (الأخبار الموقيات) للزبير بن بكار ٢٥٦هـ تحقيق د. سامي مكّي العاني طبعة أوقاف بغداد.
٢٥. (اختيار معرفة الرجال / رجال الكشي) لمحمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠هـ تحقيق حسن المصطفوي طبعة جامعة مشهد ١٣٤٨هـ ش.
٢٦. (الأدب) لجعفر بن شمس الخلافة ٢٢٦هـ طبعة الخانجي سنة ١٣٤٩هـ.
٢٧. (أدب الدنيا والدين) لعليّ بن محمد الماوردي ٤٥٠هـ طبعة دار إحياء التراث العربي، وطبعة مصر.
٢٨. (أدب الشافعي ومناقبه) طبعة مصر.
٢٩. (أدب القاضي على مذهب أبي حنيفة) ليعقوب بن إبراهيم القاضي.
٣٠. (أدب الكاتب) لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٠هـ.
٣١. (الأدب المفرد) لمحمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ طبعة إسلامبول سنة ١٣٠٩هـ وطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٧٥هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٢. (الأذكياء) لعبد الرحمن بن عليّ بن الجوزي ٥٩٧هـ طبعة الحيدرية، وطبعة مصر.
٣٣. (الأربعين في أصول الدين) لمحمد بن عمر الرازي ٦٠٦هـ.
٣٤. (أرجح المطالب) لعبيد الله أمر تسري طبعة لاهور.

٣٥. (إرشاد الساري) لأحمد بن محمد القسطلاني ٩٢٣هـ طبعة مصر، وطبعة أفست دار الكتاب العربي بيروت.
٣٦. (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد) لمحمد بن محمد بن النعمان المفيد ٤١٣هـ طبعة الحيدرية، وطبعة حجرية سنة ١٣٢٠هـ وطبعة حجرية ثانية سنة ١٣٠٨هـ.
٣٧. (الإرشاد في معرفة علماء البلاد) لعبد الله بن أحمد القزويني ٤٤٦هـ تحقيق محمّد سعيد عمر ادريس طبعة مكتبة الرشد الرياض سنة ١٣٠٩هـ.
٣٨. (إرشاد القلوب) للحسن بن محمد الديلمي ق ٨هـ طبعة النجف الحيدرية (الأولى)، وطبعة بتوسط سفينة البحار.
٣٩. (الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد) لإمام الحرمين الجويني ٤٧٨هـ طبعة مصر.
٤٠. (الإستدكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار) ليوسف بن عبد الله بن عبد البر ٤٦٣هـ طبعة دار الكتب العلمية.
٤١. (الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى) لأحمد بن خالد الناصري السيلوي ١٣١٥هـ.
٤٢. (الإستيعاب في معرفة الأصحاب) ليوسف بن عبد الله بن عبد البر ٤٦٣هـ البر طبعة حيدر آباد، وطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٨هـ بهامش الإصابة، وطبعة محققة في تراجم زياد، ونافع، وأبي بكر، والمغيرة.
٤٣. (أسد الغابة) لعلي بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري ٦٣٠هـ طبعة أفست الإسلامية.

٤٤. (أسرار البلاغة) لمحمد بن الحسين البهائي ١٠٣١هـ (بذيل المخلاة المنسوبة للبهائي).
٤٥. (أسرار الشهادة) طبعة حجرية سنة ١٣١٩هـ.
٤٦. (إسفاف المبطل) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ طبعة مصر، مع تنوير الحوالك له.
٤٧. (الأشباه والنظائر) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ طبعة حيدر آباد.
٤٨. (الإصابة في تمييز الصحابة) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ الطبعة الأولى بنفقة عبد الحفيظ في ترجمة جندب بن عمرو بن حممة، وطبعة مصطفى محمد بمصر سنة ١٣٥٨هـ وطبعة البأبي الحلبي، وطبعة تحقيق الجاوي.
٤٩. (أصول الدين) لمحمد حسن البغدادي ١٣٣٦هـ طبعة افست المثنى.
٥٠. (أصول الكافي / الفروع) لمحمد بن يعقوب الكليني ٣٢٩هـ الطبعة الحجرية ١٣١٢هـ وطبعة دار الكتب الإسلامية طهران.
٥١. (الاعتصام) لإبراهيم بن موسى الشاطبي ٧٠٩هـ طبعة المنار سنة ١٣٣٢هـ بمصر.
٥٢. (إعجاز القرآن) لمحمد بن الطيب الباقلائي ٤٠٣هـ طبعة السلفية سنة ١٣٤٩هـ.
٥٣. (الأعلاق النفسية) لأحمد بن عمر بن بن رسة ق ٤٠٣هـ طبعة ليدن.
٥٤. (أعلام الموقعين عن رب العالمين) لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية ٧٥١هـ طبعة المنيرية.

٥٥. (أعلام النبوة) لعليّ بن محمد الماوردي الشافعي ٤٤٥٠هـ طبعة البهية بمصر سنة ١٣١٩هـ
٥٦. (أعلام الوري بأعلام الهدى) للفضل بن الحسن الطبرسي ٥٤٨هـ طبعة الحيدرية.
٥٧. (الأعلام) للزركلي سنة ٢٣٠هـ طبعة مصر.
٥٨. (أعيان الشيعة) للسيد محسن الأمين ١٣٧١هـ طبعة دمشق.
٥٩. (الأغانى) لأبي الفرج عليّ بن الحسن الأصفهاني ٣٥٦هـ طبعة الساسي، وطبعة دار الكتب المصرية.
٦٠. (إقبال الأعمال السنة) لعليّ بن موسى بن طاووس ٦٦٤هـ الطبعة الحجرية دار الكتب الإسلامية سنة ١٣٩٠هـ والطبعة الثانية.
٦١. (الإقتصاد) لمحمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠هـ تحقيق الشيخ حسن سعيد.
٦٢. (إكمال إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم) لمحمد بن خلفه الوشثاني الأبي المالكي ٨٢٧هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
٦٣. (إكمال الدين وإتمام النعمة) لمحمد بن عليّ بن الحسين الصدوق ٣٨١هـ طبعة الحيدرية.
٦٤. (الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية) لجورج جرداق طبعة بيروت.
٦٥. (الإمامة والسياسة) لمحمد بن عبد الله ابن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ طبعة مصر مطبعة الأمة سنة ١٣٢٨هـ وطبعة مصطفى محمد.
٦٦. (الأمان من أخطار الأسفار والأزمان) لعليّ بن جعفر الطاوسي ٦٦٤هـ طبعة الحيدرية سنة ١٣٧٠هـ

٦٧. (إمتاع الأسماع) لأحمد بن عليّ بن عبد القادر المقرئ ٨٤٥هـ طبعة مصر.
٦٨. (أمل الأمل) للجاحظ تحقيق رمضان ششن طبعة دار الكتاب الجديد بيروت سنة ١٣٨٧هـ.
٦٩. (الأموال) لأبي عبيد القاسم بن سلام طبعة الكليات الأزهرية تحقيق محمّد خليل هراس سنة ١٣٨٨هـ.
٧٠. (الأموال) لحميد بن زنجويه ٢٥١هـ طبع مركز الملك فيصل سنة ١٤٠٦هـ.
٧١. (أمالي ابن الشجري) هبة الله بن عليّ ٥٧٢هـ طبعة حيدر آباد.
٧٢. (الأمالي الخميسية) للإمام يحيى بن الحسين المرشد بالله ٤٩٩هـ \_ أحد أئمة الزيدية. طبعة عالم الكتب بيروت مكتبة المتنبّي بالقاهرة.
٧٣. (أمالي الزجاج) إبراهيم بن محمد النحوي ٣١٢هـ.
٧٤. (أمالي القالي في اللغة) إسماعيل بن القاسم اللغوي ٣٥٦هـ طبعة دار الكتب.
٧٥. (الأمالي) لعليّ بن الحسين المرتضى ٤٣٦هـ طبعة مصر.
٧٦. (الأمالي) لمحمد بن الحسن الطوسي ٣٦٠هـ طبعة حجرية سنة ١٣١٣هـ وطبعة النعمان النجف الأشرف.
٧٧. (الأمالي) لمحمد بن عليّ بن الحسين الصدوق ٣٨١هـ طبعة الحيدرية.
٧٨. (الأمالي) لمحمد بن محمد بن النعمان المفيد ٤١٣هـ طبعة الحيدرية سنة ١٣٦٧هـ.
٧٩. (أنباء نجباء الأبناء) لمحمد بن محمد بن ظفر الصقلي المكي ٥٦٥هـ طبعة مصر.

٨٠. (الإنصار) لعلي بن الحسين المرتضى ٤٣٦هـ طبعة الحيدرية.
٨١. (أنساب الأشراف) (ترجمة الإمام علي والإمام الحسن) لأحمد بن يحيى البلاذري ٢٧٩هـ طبعة بيروت سنة ١٤١٧هـ وطبعة أفست المثنى ببغداد، وطبعة تحقيق المحمودي، وتحقيق احسان عباس، وترجمة ابن عباس مخطوط بمكتبتي، وطبعة دار المعارف بتحقيق الدكتور محمد حميد الله، وطبعة يونس آبل سنة ١٨٨٤م.
٨٢. (الأنساب المتفقة) لمحمد بن طاهر ابن القيسراني ٥٠٧هـ.
٨٣. (الأنساب) لعبد الكريم بن محمد السمعاني ٥٦٢هـ بمكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة في النجف (مصور).
٨٤. (الأنوار الكاشفة) لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي ١٣٨٦هـ طبعة السلفية.
٨٥. (الأنوار النعمانية) لنعمة الله بن عبد الله الجزائري ١١١٢هـ.
٨٦. (بحار الأنوار) لمحمد باقر المجلسي طبعة حجرية الكمباني، وطبعة المكتبة الإسلامية، وطبعة تبريز.
٨٧. (البدء والتاريخ) المطهر بن طاهر المقدسي طبعة أوربا، طبعة أفست.
٨٨. (البدء والتاريخ) المنسوب لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي طبعة باريس أفست.
٨٩. (بدائع البدائه) لعلي بن ظافر الأزدي المكي ٦١٣هـ طبعة مصر.
٩٠. (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) لأبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ٥٨٧هـ طبعة مصر.
٩١. (بدائع الفوائد) لأبن قيم الجوزية ٧٥١هـ طبعة المنيرية بمصر.



٩٢. (البداية والنهاية / السيرة النبوية) لاسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ  
طبعة السعادة بمصر.
٩٣. (البدیع) لعبد الله بن المعتز العباسي ٢٩٦هـ طبعة أوروبا.
٩٤. (بشارة المصطفى لشيعه المرتضى) لمحمد بن أبي القاسم محمد بن عليّ  
الطبري ٥٢٥هـ طبعة الحيدرية سنة ١٣٨٣هـ والثانية.
٩٥. (البصائر والذخائر) لعليّ بن محمد أبي حيان التوحيدي ٢٨٠هـ طبعة  
مصر.
٩٦. (البلدان لليعقوبي) لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي ٢٨٤هـ طبعة النجف.
٩٧. (بلوغ الأرب في أحوال العرب) لمحمد شكري الالوسي ١٣٤٢هـ.
٩٨. (البيان في تفسير القرآن) لأبي القاسم الخوثي الطبعة الثانية سنة  
١٣٨٥هـ.
٩٩. (البيان والتبيين) لعمر بن بحر الجاحظ ٢٥٥هـ تحقيق عبد السلام  
هارون.
١٠٠. (تاج العروس في جواهر القاموس) لمحمد مرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ  
طبعة مصر، وطبعة أفسس بيروت.
١٠١. (التاج المكلل) لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ.
١٠٢. (التاج) لعمر بن بحر الجاحظ ٢٥٥هـ.
١٠٣. (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) لحسن إبراهيم  
حسن الطبعة الثالثة بمصر سنة ١٩٥٣م.
١٠٤. (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام / طبقات) لمحمد بن أحمد  
الذهبي ٧٤٨هـ طبعة القدسي بمصر سنة ١٣٦٨هـ.

١٠٥. (التاريخ الإسلامي العام) لعلي إبراهيم حسن.
١٠٦. (التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية) لأحمد شلبي طبعة الخامسة سنة ١٩٧٠م بمصر.
١٠٧. (تاريخ اصبهان / ذكر أخبار اصبهان) لأحمد بن عبد الله أبي نعيم الاصبهاني ٤٣٠هـ. أفست إسماعيليان عن طبعة ليدن أوروبا.
١٠٨. (تاريخ الأمم والملوك / تاريخ الطبري) لمحمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ طبعة ليدن، وطبعة الحسينية الثالثة، وطبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٠م، وطبعة الأستقامة بمصر.
١٠٩. (تاريخ بغداد) لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ طبعة السعادة بمصر.
١١٠. (تاريخ بن خلدون) لعبد الرحمن بن خلدون ٨٠٨هـ طبعة دار التريفة، ودار الكتاب اللبناني بيروت سنة ١٩٥٦م، وطبعة النهضة ١٣٥٥هـ.
١١١. (تاريخ جرجان) لحمزة بن يوسف السهمي ٤٢٧هـ طبعة أفست أوروبا.
١١٢. (تاريخ الحسين) لعبد الله العلاتي طبعة العرفان بصيدا.
١١٣. (تاريخ الخلفاء الراشدين) لعبد الوهاب النجار ١٣٦٠هـ طبعة السلفية بمصر.
١١٤. (تاريخ الخلفاء) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ طبعة موسكو سلسلة آثار الآداب الشرقية سنة ١٩٦٧م، وطبعة المنيرية سنة ١٣٥١هـ.
١١٥. (تاريخ خليفة بن خياط / طبقات) لخليفة بن خياط العصفري ٢٤٠هـ.
١١٦. (تاريخ الخميس) لحسين بن محمد الديار بكر ٩٦٦هـ.
١١٧. (تاريخ دول الإسلام) لرزق الله منقر يوس.

١١٨. (تاريخ السلامي في ولاية خراسان) لمحمد بن عبد الله السلامي ٣٩٣هـ بتوسط مقتل الحسين للخوارزمي طبعة الزهراء.
١١٩. (ال تاريخ الصغير / الأوسط) لمحمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ طبعة دار الوعي مكتبة التراث.
١٢٠. (تاريخ العرب العام) للويس يبير اوجين سيديو المستشرق الفرنسي، ترجمة عادل زعيتر طبعة عيسى البأبي الحلبي سنة ١٣٦٧هـ.
١٢١. (التاريخ الكبير) لمحمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ طبعة أفست المكتبة الإسلامية ديار بكر تركيا، وطبعة دار الفكر بيروت.
١٢٢. (تاريخ المختصر في أخبار البشر) لإسماعيل بن عليّ أبي الفداء ٧٣٢هـ طبعة أفست بيروت عن الطبعة المصرية.
١٢٣. (تاريخ مدينة دمشق) (ترجمة الإمام عليّ) لعليّ بن الحسن ابن عساكر ٥٧١هـ تحقيق محمودي.
١٢٤. (تاريخ المدينة المنورة) لعمر بن شبة النميري ٢٦٢هـ تحقيق فهيم محمّد شلتوت.
١٢٥. (تاريخ مصر) لأبي سعيد بن يونس ٣٤٧هـ طبعة أفست حيدر آباد.
١٢٦. (تاريخ مكة) لأحمد بن صالح السباعي ١٢٦٦هـ.
١٢٧. (تاريخ مكة) لمحمد بن عبد الله الأزرق ٢٢٣هـ طبعة دار الثقافة بمكة المكرمة سنة ١٣٨٥هـ.
١٢٨. (تاريخ اليعقوبي) لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي طبعة الحيدرية سنة ٣٥٨هـ وطبعة الغري بالنجف الأشرف.
١٢٩. (التاريخ) لأحمد بن أعثم الكوفي ٣١٤هـ طبعة دار الندوة.

١٣٠. (التاريخ) لإسماعيل بن عليّ أبي الفداء ٧٣٢هـ افسست طبعة مصر.
١٣١. (التاريخ) لعمر بن مظفر ابن الوردى ٧٤٩هـ طبعة الحيدرية.
١٣٢. (التبر السبوك في ذيل السلوك لمعرفة دول الملوك) لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي ٩٠٢هـ
١٣٣. (التبصرة) لعبد الرحمن بن عليّ الجوزي ٥٩٧هـ طبعة عيسى البأبي الحلبي بمصر.
١٣٤. (التيان) لمحمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠هـ طبعة النجف تحقيق أحمد القصير.
١٣٥. (تحذير العبقري من محاضرات الخضرى) لمحمد العربي التبانى طبعة مصر.
١٣٦. (تحف العقول) للمحسن بن عليّ بن الحسين بن شعبة الحراني ق ٤هـ طبعة حجرية سنة ١٢٩٩هـ وطبعة كتابفروشي إسلامية.
١٣٧. (تحفة البارى) زكريا الانصارى، بذيل إرشاد السارى طبعة مصر.
١٣٨. (تحفة المحتاج الى أدلة المنهاج) لعمر بن عليّ ابن الملقن ٨٠٤هـ طبعة دار حراء بمكة المكرمة.
١٣٩. (تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين) لعبد الله بن حجازى الشرقاوى ١٢٢٧هـ (بهامش تاريخ الاسحاقى طبعة مصر).
١٤٠. (تحقيق الصفا) لأحمد بن عبد الله محب الدين الطبرى ٦٩٤هـ طبعة مصر.
١٤١. (التذكار في أفضل الأذكار) لمحمد بن أحمد القرطبي ٦٦٨هـ / ٦٧١هـ طبعة مصر.

١٤٢. (تذكرة ابن حمدون) لمحمد بن الحسن البغدادي ٥٦٢هـ.
١٤٣. (تذكرة الحفاظ) لمحمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ طبعة دمج بيروت.
١٤٤. (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي يوسف بن قزاغلي ٦٥٤هـ طبعة حجرية سنة ١٢٩٩هـ وطبعة كتابفروشي إسلامية، وطبعة منشورات الشريف الرضي بقم.
١٤٥. (تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم) لمحمد بن إبراهيم الحموي ابن جماعة الكتاني ٧٣٣هـ طبعة حيدر آباد.
١٤٦. (التذكرة) لمحمد بن أحمد القرطبي ٦٧١هـ / ٦٦٨هـ طبعة دار المنار سنة ١٤١٨هـ.
١٤٧. (الترغيب والترهيب) لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٦٥٦هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١٧هـ وطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٨١هـ.
١٤٨. (تشديد المطاعن) لمحمد عليّ قلي الكنتوري ١٢٦٠هـ طبعة الهند.
١٤٩. (تطهير الجنان واللسان) لأحمد بن حجر الهيتمي المكي ٩٧٣هـ طبعة بهامش الصواعق المحرقة له، وطبعة الميمنية، وطبعة تحفة حمزة.
١٥٠. (تعظيم قدر الصلاة) لمحمد بن نصر بن الحجاج المروزي ٢٩٤هـ طبعة الأولى نشر مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
١٥١. (تفريج المهج) لعبد الوهاب بن عليّ السبكي ٧٧١هـ.
١٥٢. (تفسير الخازن) لعلاء الدين بن إبراهيم الخازن ٧٢٥هـ.
١٥٣. (تفسير فرات) لفرات بن إبراهيم الكوفي ٣٥٢هـ طبعة الحيدرية.

١٥٤. (تفسير القرآن العظيم) لإسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ طبعة دار الفكر بيروت.
١٥٥. (التفسير الكبير) لمحمد بن عمر بن حسين الفخر الرازي ٦٠٦هـ طبعة البهية بمصر ١٣٥٧هـ.
١٥٦. (تفسير الكشاف) لمحمد بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ طبعة مصر.
١٥٧. (تفسير المنار) لمحمد رشيد رضا الطبعة الأولى بمصر.
١٥٨. (تفسير النيسابوري) بهامش تفسير الطبري طبعة الأولى بمصر.
١٥٩. (التفكير والاعتبار) لعبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا ٢٨١هـ.
١٦٠. (تقريب التهذيب) لأحمد بن عليّ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ طبعة مصر.
١٦١. (تقييد العلم) لأحمد بن عليّ الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ طبعة مصر.
١٦٢. (تلخيص الحبير) لأحمد بن عليّ ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ.
١٦٣. (تلخيص الشافعي) لمحمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠هـ طبعة ملحفاً بكتاب الشافعي حجربة، وطبعة النجف.
١٦٤. (تلخيص المستدرک) لمحمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ بهامش المستدرک طبعة أفست بيروت، وطبعة دمج.
١٦٥. (التنبيه والإشراف) لعليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي ٣٤٦هـ طبعة مصر.
١٦٦. (التنظيمات الإجتماعية والإقتصادية في البصرة) لصالح أحمد العليّ طبعة المعارف بغداد سنة ١٩٥٣م.

١٦٧. (تتوير الحوالمك بشرح موطأ مالك) لجلال الدين السيوطي الشافعي  
٩١١هـ طبعة مصطفى محمد بمصر.
١٦٨. (تهذيب الآثار) لمحمد ابن جرير الطبري ٣١٠هـ طبعة مصر.
١٦٩. (تهذيب الأحكام) لمحمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠هـ تحقيق السيد حسن  
الموسوي الخراسان.
١٧٠. (تهذيب الأسماء واللغات) ليحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ طبعة المنيرية  
بمصر.
١٧١. (تهذيب تاريخ دمشق) لأبن بدران طبعة افست دار المسيرة بيروت.
١٧٢. (تهذيب التهذيب) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ طبعة  
أفست عن حيدر آباد.
١٧٣. (تهذيب الكمال) ليوسف المزي الحافظ ٧٤٢هـ تحقيق بشار عواد طبعة  
مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٠هـ
١٧٤. (تهذيب اللغة) لمحمد بن أحمد بن طلحة للأزهري اللغوي ٣٧٠هـ
١٧٥. (التوحيد) لمحمد بن علي بن الحسين الصدوق ٣٨١هـ طبعة حجرية  
١٣٢١هـ
١٧٦. (تيسير المطالب في امالي أبي طالب) ليحيى بن الحسين الهاروني ٤٢٤هـ  
طبعة بيروت سنة ١٣٩٥هـ
١٧٧. (الثقات) لمحمد بن حبان ٣٥٤هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.
١٧٨. (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) لعبد الملك بن محمد الثعالبي  
٤٣٠هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار نهضة مصر سنة ١٣٨٤هـ

١٧٩. (ثمرات الأوراق في المحاضرات) لأبي بكر بن عليّ ابن حجة الحموي ٨٣٧هـ بهامش المستظرف طبعة مصر.
١٨٠. (جامع البيان / تفسير) لمحمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ طبعة مصر مصطفى الباوي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٧٣هـ وطبعة دار المعارف تحقيق أحمد محمد شاكر.
١٨١. (جامع بيان العلم وفضله) ليوسف بن عبد الله ابن عبد البر ٤٦٣هـ طبعة مصر.
١٨٢. (الجامع الصغير) لجلال الدين السيوطي ٩١١هـ طبعة دار الفكر.
١٨٣. (الجامع لأحكام القرآن / تفسير) لمحمد بن أحمد القرطبي ٦٧١هـ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، وطبعة دار الشعب بالقاهرة.
١٨٤. (الجامع لأخلاق الراوي والسامع) لأحمد بن عليّ الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ طبعة مكتبة المعارف الرياض.
١٨٥. (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين) لنعمان بن محمود الالوسي ١٣١٧هـ طبعة بولاق سنة ١٢٩٨هـ.
١٨٦. (جمع الجوامع) لجلال الدين السيوطي الشافعي ٩١١هـ.
١٨٧. (جمع الجواهر في الملح والنوادر) لإبراهيم بن عليّ بن تميم الانصاري ٤٥٣هـ طبعة عيسى الباوي الحلبي بمصر سنة ١٣٧٢هـ تحقيق البجاوي.
١٨٨. (جمع الفوائد) لمحمد بن سليمان الروداني السوسي ١٠٩٤هـ طبعة مكة المكرمة.
١٨٩. (جمهرة الأمثال) لأبي هلال حسن بن عبد الله العسكري ٣٩٥هـ طبعة الأولى بمصر سنة ١٣٨٤هـ.



١٩٠. (جمهرة أنساب العرب) لعليّ ابن حزم الظاهري ٤٥٦هـ تحقيق پروفنسال.
١٩١. (جمهرة خطب العرب) لأحمد زكي صفوت.
١٩٢. (جمهرة رسائل العرب) لأحمد زكي صفوت طبعة الأولى بمصر سنة ١٣٥٦هـ.
١٩٣. (جمهرة النسب) لهشاه بن محمد الكلبي ٢٠٤هـ تحقيق عبد الستار أحمد فراج طبعة الكويت.
١٩٤. (جوامع السيرة) لعليّ بن حزم الظاهري ٤٥٦هـ طبعة دار المعارف.
١٩٥. (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) لمحمد حسن النجفي ١٢٦٦هـ طبعة النجف تحقيق الشيخ عباس القوجاني.
١٩٦. (الجواهر المضية) لعبد القادر بن محمد القرشي الحنفي ٧٧٥هـ طبعة حيدر آباد.
١٩٧. (جواهر المطالب) لمحمد بن أحمد الباعوني الشافعي ٨٧١هـ (نسخة مصورة بمكتبة المؤلف).
١٩٨. (الجواهر النقي في الرد على البيهقي) لأحمد بن عثمان المارديني ابن التركماني بهامش السنن الكبرى للبيهقي طبعة افست عن حيدر آباد.
١٩٩. (الجوهرة للبري) التلمساني طبعة دار الرفاعي بحلب.
٢٠٠. (الحاوي) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ طبعة مصر.
٢٠١. (الحدائق الوردية في أحوال الأئمة الزيدية) لخميد بن أحمد المحلي الشهيد الزيدي ٦٥٢هـ نسخة مكتبة الإمام كاشف الغطاء (مخطوطة)، وتحقيق د. المرتضى بن زيد المحظوري الحسني ١٤٢٣هـ مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي في صنعاء.

٢٠٢. (الحسبة) لعبد الرزاق بن رشيد الحصان ١٣٨٤هـ طبعة التضيض الأهلية بغداد.
٢٠٣. (الحسن بن علي مختار، عام الجماعة) لعبد القادر أحمد اليوسف طبعة بمطبعة الهلال بغداد سنة ١٩٤٨م.
٢٠٤. (الحسين والسنة) لابن سعد تحقيق الطباطبائي.
٢٠٥. (الحكمة الخالدة) لأحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه ٤٢١هـ طبعة مصر.
٢٠٦. (الحلة السراء) لمحمد بن عبد الله القضاعي ابن الأبار ٦٥٨هـ تحقيق حسين مؤنس طبعة الأولى بالقاهرة سنة ١٩٦٣م.
٢٠٧. (حلية الأولياء) لأحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني ٤٣٠هـ طبعة السعادة بمصر.
٢٠٨. (الحماسة البصرية) لعلي بن أبي الفرج أبو الحسن البصري ٦٥٩هـ
٢٠٩. (حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء) لعبد الله بن محمد بن يوسف الزوزني.
٢١٠. (حياة الحيوان) لمحمد بن موسى الدميري ٨٠٨هـ طبعة بولاق، وطبعة مصر.
٢١١. (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل.
٢١٢. (الحيوان) لعمر بن بحر الجاحظ ٢٥٥هـ تحقيق عبد السلام هارون.
٢١٣. (الخراج) لأبي يوسف طبعة السلفية.
٢١٤. (الخرايج والجرايح) لسعيد بن هبة الله القطب الراوندي (مطبوع منفصلاً إلى الأربعين للمجلسي طبعة حجرية).

٢١٥. (الخريدة) للعماد الاصبهاني.
٢١٦. (الخصال) لمحمد بن علي بن الحسين ابن بابويه الصدوق ٣٨١هـ طبعة  
البيدرية تقديم السيد محمد مهدي الخراسان.
٢١٧. (خصائص أمير المؤمنين علي) لأحمد بن شعيب النسائي ٢٠٣هـ طبعة  
التقدم بمصر سنة ١٣٤٨هـ وطبعة مكتبة المعلا بالكويت سنة ١٤٠٦هـ.
٢١٨. (الخصائص في النحو) لعثمان بن جني ٣٩٢هـ طبعة مصر.
٢١٩. (الخصائص الكبرى) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ تحقيق  
د. محمد خليل هراس وط حيدر آباد.
٢٢٠. (خلاصة تهذيب الكمال) لأحمد بن عبد الله الخزرجي ٩٢٣هـ طبعة  
مصر.
٢٢١. (خلاصة نقض كتاب العثمانية) لمحمد بن عبد الله الإسكافي ٢٤٠هـ  
طبعة الرحمانية بمصر.
٢٢٢. (الخلاف) لمحمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠هـ طبعة جماعة المدرسين  
بقم.
٢٢٣. (الخلق الكامل) لمحمد أحمد جاد المولى طبعة مصر.
٢٢٤. (دائرة المعارف) للمعلم بطرس البستاني طبعة بيروت.
٢٢٥. (الدر المنثور / تفسير) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ طبعة  
افست الإسلامية.
٢٢٦. (الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهميم) لجمال الدين يوسف بن حاتم  
الشامي ق ٧هـ (مخطوط).

٢٢٧. (الدراية لتخريج أحاديث الهداية) لأحمد بن علي بن حجر  
المسقلاني ٨٥٢هـ طبعة دار المعرفة بيروت.
٢٢٨. (الدرجات الرفيعة) لعليّ خان المدني الشيرازي ١١٢٠هـ (مخطوط)  
بمكتبة الشيخ السماوي، وطبعة الحيدرية سنة ١٣٨٢هـ.
٢٢٩. (درر البحار) طبعة حجرية.
٢٣٠. (دستور معالم الحكم) للقاضي محمد بن سلامة القضاعي طبعة النجف.
٢٣١. (دلائل الإمامة) لمحمد بن جرير الطبري الإمامي ق ٤هـ طبعة الحيدرية  
النجف ١٣٦٩هـ.
٢٣٢. (دلائل النبوة) لأحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ طبعة بيروت.
٢٣٣. (دليل الصالحين في شرح رياض الصالحين) لمحمد عليّ بن محمد ابن  
علان الصديقي المكي ١٠٥٧هـ طبعة بيروت (أفست).
٢٣٤. (دليل الفالحين شرح رياض الصالحين) لمحمد عليّ بن محمد المكي  
الصديقي ١٠٥٧هـ.
٢٣٥. (دور الحجاز في الحياة السياسية العامة) لأحمد إبراهيم الشريف.
٢٣٦. (دول العرب وعظماء الإسلام) لأحمد شوقي طبعة مصر.
٢٣٧. (الديباج) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ طبعة دار ابن عفان  
الخبر السعودية ١٤١٦هـ.
٢٣٨. (ديوان أبي طالب).
٢٣٩. (ديوان امرئ القيس الكندي) جمع السندويي طبعة مصر.
٢٤٠. (ديوان البحري).
٢٤١. (ديوان حافظ إبراهيم) شاعر النيل طبعة مصر.

٢٤٢. (ديوان زهير بشرح ثعلب).
٢٤٣. (ديوان عمدة المطالب لسيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام) طبعة بمبيء سنة ١٣٥٧هـ.
٢٤٤. (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) لأحمد بن عبد الله محب الدين الطبري ٦٩٤هـ طبعة القدسي سنة ٢٣٧هـ.
٢٤٥. (ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث) لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي ١١٤٢هـ.
٢٤٦. (راموز الأحاديث) طبعة استانبول سنة ١٢٧٥هـ.
٢٤٧. (ربيع الأبرار ونصوص الأخبار) لمحمد بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ طبعة أوقاف بغداد، ونسخة الشيخ السماوي بخطه، ونسخة الأوقاف ببغداد رقم ٣٨٨، ونسخة الرضوية.
٢٤٨. (رجال النجاشي) لأحمد بن علي النجاشي ٤٥٠هـ.
٢٤٩. (رسائل الجاحظ) جمع ونشر حسن السندوي الطبعة الأولى مصر مطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٢هـ وطبعة نشر الساسي بمصر بمطبعة التقدم، تحقيق عبد السلام هارون.
٢٥٠. (رسالة الشيخ المسند) لحسن العجيمي.
٢٥١. (رغبة الأمل) سيد بن علي المرصفي.
٢٥٢. (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لأحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية نشر المكتبة العلمية، باب الرحمة المدينة المنورة.
٢٥٣. (روح الإسلام) لأمير علي سعادت علي الهندي تعريب عمر الديراوي طبعة دار العلم للملايين بيروت.

٢٥٤. (روح المعاني / تفسير) لأبي الثناء محمود الالوسي ١٢٧٠هـ طبعة المنيرية بمصر.
٢٥٥. (الروض الأنف) لعبد الرحمن السهيلي ٥٨١هـ طبعة مصر.
٢٥٦. (روضات الجنات) لمحمد باقر بن زين الدين الخونساري ١٣١٣هـ طبعة إسماعيليان.
٢٥٧. (روضة الناظر) لعبد الغني بن أحمد ابن الشحنة الحنفي بهامش تاريخ ابن الأثير طبعة بولاق، وطبعة ذات التحرير بمصر سنة ١٣٠٣هـ وطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٣هـ.
٢٥٨. (روضة الواعظين) لمحمد بن الفتال النيسابوري ٥٠٨هـ طبعة الحيدرية.
٢٥٩. (رياض الشهادة) لمحمد حسن القزويني ١٢٤٠هـ.
٢٦٠. (الرياض المستطابة في معرفة من روى في الصحيحين من الصحابة) ليحيى بن أبي بكر العامري الحرصي ٨٩٣هـ طبعة الشاهجاني بهوبال الهند ١٣٠٣هـ.
٢٦١. (الرياض النضرة) لأحمد بن عبد الله المحب الطبري ٦٩٤هـ طبعة بدر الدين النعساني بمصر سنة ١٣٢٧هـ.
٢٦٢. (زاد المعاد) لمحمد بن أبي بكر الجوزي ٧٥١هـ.
٢٦٣. (الزهد) لابن أبي عاصم طبعة دار الريان للتراث القاهرة.
٢٦٤. (الزهد) لهشام بن السري الكوفي ٢٣٤هـ الطبعة الأولى نشر دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت.
٢٦٥. (زهر الآداب وثمر الآلباب) لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني ٤٥٣هـ طبعة مصر.

٢٦٦. (زهر الربيع) لنعمة الله الجزائري طبعة بمبى سنة ١٣٤٢هـ.
٢٦٧. (زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء) لجعفر نقدي طبعة الحيدرية.
٢٦٨. (زين الفتى في شرح سورة هل اتى) لأحمد بن محمد العاصمي ق ٤هـ (مخطوطة) في مكتبة الإمام أمير المؤمنين (ع) مكتبة الشيخ الأميني.
٢٦٩. (سر العالمين) لمحمد بن محمد الغزالي ٥٠٥هـ طبعة بومبي الهند حجرية سنة ١٣١٤هـ.
٢٧٠. (سراج الملوك) لمحمد بن الوليد الفهري الطروشي ٥٢٠هـ طبعة مصر.
٢٧١. (سفر السعادة) لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٨١٧هـ طبعة مصر.
٢٧٢. (السقيفة والخلافة) لعبد الفتاح مقصود طبعة مصر.
٢٧٣. (السقيفة) لأحمد بن عبد العزيز أبو بكر الجوهري ٣٢٣هـ (بتوسط شرح النهج لابن أبي الحديد).
٢٧٤. (سلسلة الأحاديث الصحيحة) لناصر الدين الالباني طبعة مكتبة المعارف الرياض، والمجلد الأول الطبعة الرابعة نشر المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ.
٢٧٥. (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) لمحمد خليل بن علي المرادي طبعة أفست مكتبة المثنى ببغداد.
٢٧٦. (سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي) لعبد الملك بن حسين المصامي المكي ١١١١هـ طبعة السلفية بمصر.
٢٧٧. (سمو المعنى في سمو الذات) لعبد الله العلاتلي طبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر سنة ١٣٥٨هـ.
٢٧٨. (السنة) لأبي بكر الخلال طبعة دار الراية الرياض ١٤١٠هـ.

٢٧٩. (سنن ابن ماجة) لمحمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ٢٧٣هـ الطبعة الأولى بمصر سنة ١٣١٣هـ وطبعة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٨٠. (سنن أبي داود) لسليمان بن الأشعث السجستاني ٢٧٥هـ طبعة محمد محي الدين عبد الحميد، وطبعة دار الفكر، وطبعة هندية.
٢٨١. (سنن الترمذي) لمحمد بن عيسى الترمذي ٢٧٩هـ طبعة تحقيق عطوة، وطبعة هندية، وأخرى مصرية بشرح تحفة الاحوذى.
٢٨٢. (سنن الدارقطني) لعلي بن عمر الدارقطني ٣٨٥هـ تحقيق هاشم نشر المدينة المنورة.
٢٨٣. (سنن الدارمي) لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ٢٥٥هـ طبعة دار المحاسن للطباعة سنة ١٣٨٦هـ.
٢٨٤. (سنن سعيد بن منصور) طبعة دار العصيمي الرياض.
٢٨٥. (السنن الكبرى / المجتبى) لأحمد بن الحسين علي البيهقي ٤٥٨هـ طبعة دار الفكر بيروت افست عن حيدر آباد، وطبعة دار الباز بمكة المكرمة سنة ١٤١٤هـ وطبعة بيروت سنة ١٤١١هـ وطبعة مصر.
٢٨٦. (سير أعلام النبلاء) لمحمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ طبعة مصر، وطبعة دار الفكر بيروت، وطبعة مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤١٣هـ.
٢٨٧. (سير الصحابة والزهاد والعلماء العباد) لأبي محمد عبد السلام بن محمد الخوارزمي الأندلسي بتوسط غاية المرام للبحراني.
٢٨٨. (السيرة الحلبية / انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون) لعلي بن برهان الدين الحلبي ١٠٤٤هـ طبعة الخيرية بمصر ١٣٢٩هـ.
٢٨٩. (السيرة النبوية والاثار النبوية) لأحمد زيني دحلان.



٢٩٠. (السيرة النبوية) لعبد الملك بن هشام برهان الدين الحلبي ٢١٨هـ طبعه  
الهيئة بمصر سنة ١٣٢٠هـ وطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٩هـ.
٢٩١. (الشافعي) لعلي بن الحسين المرتضى ٤٣٦هـ طبعه حجرية سنة ١٣٠١هـ.
٢٩٢. (شدو الربابة، الصحابة والصحابة) لخليل عبد الكريم طبعه سينا للنشر.
٢٩٣. (شذرات الذهب) لعبد الحي بن العماد الحنبلي ١٠٨٩هـ طبعه مصر.
٢٩٤. (شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار) للنعمان بن محمد المغربي  
٣٦٣هـ طبعه مؤسسة النشر الإسلامي، وطبعة مصر.
٢٩٥. (شرح إكمال إكمال المعلم) لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبهي المالكي  
٨٢٧هـ طبعه دار الكتب العلمية بيروت.
٢٩٦. (شرح بهجة المحافل وبقية الامائل) لمحمد بن أبي بكر الأشخر اليمني  
٩٩١هـ.
٢٩٧. (شرح بهجة المحافل) لمحمد بن أبي بكر للأشخر اليمني ٩٩١هـ طبعه  
مصر.
٢٩٨. (شرح تراجم أبواب صحيح البخاري) لأحمد بن عبد الرحيم الفاروقي  
الدهلوي ١١٧٦هـ طبعه حيدرآباد.
٢٩٩. (شرح حماسة أبي تمام) ليحيى بن علي التبريزي ٥٠٢هـ مطبعة حجازي  
بالقاهرة تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.
٣٠٠. (شرح روضة الكافي) لملا محمد صالح المازندراني ١٠٨١هـ طبعه  
المكتبة الإسلامية.
٣٠١. (شرح شافية) لمحمد أمير الحاج أبي فراس طبعه حجرية.

٣٠٢. (شرح صحيح مسلم) لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبى المالكي ٨٢٧هـ  
طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٣٤٩هـ بمصر.
٣٠٣. (شرح صحيح مسلم) ليحيى بن شرف النووي ٦٧٦هـ طبعة الهند، وطبعة  
مصر سنة ١٣٤٩هـ
٣٠٤. (شرح كتاب الأدب المفرد / المسمى بفضل الله الصمد) لفضل الله  
الجيلاني طبعة السلفية سنة ١٣٧٨هـ
٣٠٥. (شرح معاني الآثار) لأحمد بن سلامة القضاعي الطحاوي الحنفي ٣٢٩هـ  
تحقيق محمد زهري النجار طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٣٩٩هـ بيروت.
٣٠٦. (شرح مكمل إكمال الإكمال) لمحمد بن يوسف السنوسي الحسيني  
٨٩٥هـ طبعة بيروت دار الكتب العلمية.
٣٠٧. (شرح المواقف) لعلي بن محمد الجرجاني ٨١٦هـ طبعة دار الكتب  
العلمية بيروت.
٣٠٨. (شرح المواهب اللدنية) لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ١١٢٢هـ
٣٠٩. (شرح الموطأ) لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ١١٢٢هـ
٣١٠. (شرح نهج البلاغة / منهاج البراعة) لحبيب الله الخوثي ١٣٢٤هـ طبعة  
الإسلامية.
٣١١. (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد المعتزلي ٦٥٦هـ طبعة مصر الأولى،  
وطبعة دار الكتب العربية بمصر الأولى، والطبعة الحديثة بتحقيق محمد أبو  
الفضل إبراهيم.
٣١٢. (شرح نهج البلاغة) لمحمد عبده ١٣٢٣هـ طبعة الاستقامة الأولى بمصر.

٣١٣. (شرح نهج البلاغة) لميثم بن علي بن ميثم البهراني ٦٧٩هـ طبعة  
الإسلامية.
٣١٤. (شعب الإيمان) لأحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي الشافعي ٤٥٨هـ  
تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول نشر دار الكتب العلمية بيروت سنة  
١٤١٠هـ ونسخة مصورة ميكروفيلم بمكتبة المؤلف.
٣١٥. (شعب المقال) لنجم الدين بن محمد التراقي ١٣١٩هـ طبعة إيران.
٣١٦. (الشعر والشعراء) لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ طبعة مصر.
٣١٧. (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) لمحمد بن أحمد بن عليّ الفاسي  
٨٣٢هـ طبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر سنة ١٩٥٦م.
٣١٨. (الشفاء) للقاضي عياض اليحصبي المالكي ٥٤٤هـ طبعة اسلامبول سنة  
١٣٠٤هـ
٣١٩. (شواهد التنزيل) لعبد الله بن أحمد الحاكم الحسكاتي ق ٥٥
٣٢٠. (الصارم المسلول في كفر شاتم الرسول) لابن تيمية ٧٢٨هـ طبعة مصر.
٣٢١. (صحيح الأعشى في صناعة الأنشئ) لأحمد بن عليّ القلقشندي ٨٢١هـ  
طبعة تراثنا بمصر.
٣٢٢. (صحيح ابن حبان / السنن) لمحمد بن حبان البستي ٣٥٤هـ
٣٢٣. (صحيح ابن خزيمة) لمحمد بن إسحاق النيسابوري ٣١١هـ طبعة المكتب  
الإسلامي بيروت.
٣٢٤. (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ طبعة مصر بولاق  
سنة ١٣١٢هـ طبعة مصر بولاق سنة ١٣١٤هـ

٣٢٥. (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ طبعة حجرية سنة ١٢٧٢هـ وطبعة بولاق بمصر، وطبعة محمد علي صبيح.
٣٢٦. (الصديقة بنت الصديق) لعباس محمود العقاد.
٣٢٧. (الصراط المستقيم) لعلي بن يونس الياضي العاملي ٨٧٧هـ طبعة الحيدري طهران.
٣٢٨. (صفوة الصفوة) لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ٥٩٧هـ طبعة حيدر آباد.
٣٢٩. (الصواعق المحرقة) لأحمد بن حجر المكي الهيثمي ٩٧٣هـ طبعة الميمنية ١٣١٢هـ الأولى، وطبعة تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، وطبعة محققة بمصر.
٣٣٠. (ضياء العالمين) لأبي الحسن بن محمد بن طاهر الفتوني ١١٤٠هـ (مصور بمكتبة المؤلف).
٣٣١. (طبقات الحنابلة) لمحمد بن أبي يعلى الحنبلي ٥١٦هـ تحقيق حامد الفقي.
٣٣٢. (طبقات الشافعية) لعبد الوهاب بن علي السبكي ٧٧١هـ طبعة مصر الأولى، وطبعة سنة ١٣٢٤هـ وطبعة تحقيق عبد الفتاح الحلو.
٣٣٣. (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد ٢٣٠هـ تحقيق د محمد بن صامل السلمي طبعة الطائف، وتحقيق د محمد بن صامل السلمي سنة ١٤١٤هـ وطبعة الخانجي بمصر، وطبعة أفست ليدن، وطبعة مؤسسة ال البيت بيروت سنة ١٤١٤هـ وطبعة لجنة الثقافة القاهرة سنة ١٣٥٨هـ

٣٣٤. (الطراز في علوم حقائق الإعجاز) ليحيى بن حمزة الزبيدي ٧٤٩هـ طبعة مصر.
٣٣٥. (طراز المجالس) لأحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي ١٠٦٩هـ
٣٣٦. (طلبة الطالب في شرح لامية أبي طالب) لعليّ فهمي المستاري طبعة إسلامبول.
٣٣٧. (طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب) لعبد العزيز بن أحمد الدهري الديري ٦٩٧هـ
٣٣٨. (عائشة والسياسة) لسعيد الأفغاني طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.
٣٣٩. (عقربية الإسلام ونظام الحكم) للعجلاني.
٣٤٠. (عقربية الإمام) لعباس محمود العقاد (العقربيات الإسلامية، موسوعة العقاد) طبعة دار الكتاب العربي بيروت.
٣٤١. (العثمانية) لعمر بن بحر الجاحظ ٢٥٥هـ طبعة دار الكتاب العربي بمصر تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون.
٣٤٢. (العدالة الاجتماعية في الإسلام) لسيد قطب طبعة مصر.
٣٤٣. (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) لمحمد بن أحمد تقي الدين الحسيني الفاسي المكي المتوفى سنة ٨٣٢هـ تحقيق فؤاد سيد مط السنة المحمدية القاهرة سنة ١٩٥٨م - ١٣٨٥هـ
٣٤٤. (العقد الفريد للملك السعيد) لمحمد بن طلحة القرشي النصيبيني الوزير ٦٥٢هـ نسخة عند الشيخ السماوي.

٣٤٥. (العقد الفريد) لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ٣٢٨هـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٣هـ تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري.

٣٤٦. (العقود الفضية في أصول الأياضية) لسالم بن محمد بن سليمان الحارثي طبعة دار اليقظة العربية سوريا ولبنان.

٣٤٧. (علل الحديث) لابن أبي حاتم عبد الرحمن الرازي ٣٢٧هـ طبعة السلفية بمصر.

٣٤٨. (علل الشرائع) لمحمد بن علي الصدوق ابن بابويه ٣٨١هـ طبعة منشورات مكتبة الشريف الرضي بقم، وطبعة الحيدرية.

٣٤٩. (العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ) لصالح بن مهدي بن علي المقبلي اليمني ١١١٠هـ طبعة مصر سنة ١٣٢٨هـ.

٣٥٠. (علي بن أبي طالب بقية النبوة . وخاتم الخلافة) لعبد الكريم الخطيب طبعة مصر، وطبعة دار الفكر العربي سنة ١٣٦٨هـ الأولى.

٣٥١. (علي وبنوه) لطف حسين طبعة دار المعارف.

٣٥٢. (العمدة في صناعة الشعر) للحسن بن رشيق القيرواني ٤٥٦هـ طبعة مصر.

٣٥٣. (عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري) لمحمود بن أحمد العيني ٨٥٥هـ طبعة مصر.

٣٥٤. (العمدة) ليحيى بن الحسن الأسدي ابن البطريق طبعة حجرية.

٣٥٥. (عوارق المعارف / العوارف) لعمر بن محمد السهروردي ٦٣٢هـ طبعة مصر.

٣٥٦. (عين الأدب والسياسة) لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري ق ٨هـ  
طبعة مصر.
٣٥٧. (عيون الأثر) لمحمد بن عبد الله ابن سيد الناس ٧٣٤هـ
٣٥٨. (عيون الأخبار) لعبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ٢٧٦هـ طبعة دار  
الكتب المصرية.
٣٥٩. (عيون المعجزات) منسوبة للمرتضى ق ٥٥هـ طبعة الحيدرية.
٣٦٠. (الغارات) لمحمد بن إبراهيم الثقفي ٢٨٣هـ تحقيق السيد جلال الدين  
الحسيني المحدث الأرموي.
٣٦١. (غاية المرام / تفسير) لمحمد بن العباس بن ماهيار.
٣٦٢. (غاية المرام في حجة الخصام) لهاشم بن سليمان البهراني ١١٠٧هـ طبعة  
حجرية سنة ١٢٧٢هـ
٣٦٣. (الغدِير) لعبد الحسين أحمد الأميني طبعة دار الكتب الإسلامية.
٣٦٤. (غرر الأخبار ودرر الآثار) للحسن بن محمد الديلمي ق ٨هـ (نسخة  
مخطوطة ناقصة عند شيخنا العلامة الحجة الشيخ شير محمد الهمداني  
الجورقاني رحمته).
٣٦٥. (الغرر الحسان) للأمير حيدر بن أحمد الشهابي ١٢٥١هـ
٣٦٦. (غرر الخصائص الواضحة) لمحمد بن إبراهيم بن يحيى الوطواط ٧١٨هـ  
طبعة سنة ١٢٩٩هـ بمصر.
٣٦٧. (غريب الحديث) لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٦هـ تحقيق عبد الله  
الجبوري مطبعة العاني بغداد سنة ١٩٧٧م.

٣٦٨. (الفيث المسجّم في شرح لامية المعجم) لخليل بن أيك الصفدي ٥٧٦٤هـ  
طبعة مصر الأولى، وطبعة محققة.
٣٦٩. (الالف باء) للبلوي طبعة مصر.
٣٧٠. (الفائق) لمحمود بن عمر الزمخشري ٥٣٨هـ طبعة حيدر آباد، وطبعة  
تحقيق الطناحي بمصر.
٣٧١. (الفاخر) للمفضل بن سلمة ق ٣هـ طبعة مصر (تراثنا).
٣٧٢. (فارسي نامه) ناصري طبعة إيران.
٣٧٣. (الفاضل والمفضول) لمحمد بن يزيد الميرد طبعة مصر.
٣٧٤. (فاطمة بنت محمد) لعمر أبو نصر الطبعة الأولى الاهلية بيروت.
٣٧٥. (فتح الباري / شرح صحيح البخاري) لأحمد بن علي بن حجر  
العسقلاني ٨٥٢هـ طبعة مصطفى الباوي الحلبي وأولاده سنة ١٣٧٨هـ وطبعة  
دار المعرفة بيروت تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب.
٣٧٦. (الفتح الرباني بترتيب مسند الشيباني) لأحمد بن عبد المنعم الدمهوري  
١١٩٢هـ طبعة مصر.
٣٧٧. (فتح العزيز شرح الوجيز) لعبد الكريم محمد الرافعي ٦٢٣هـ طبعة مصر.
٣٧٨. (فتح القدير / تفسير) لمحمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ.
٣٧٩. (الفتح الكبير) ليوسف النبهاني ١٣٥٠هـ طبعة بيروت.
٣٨٠. (فتح الملك المعبود / تكملة المنهل العذب المورود شرح سنن أبي  
داود) لأمين بن محمود المصري طبعة الاعتصام بالخيمية سنة ١٣٧٥هـ.



٣٨١. (الفتن) لنعيم بن حماد بن معاوية الخزازي المروزي ٢٢٩هـ تحقيق سهيل زكار طبعة بيروت، ونسخة مصورة (ميكروفلم) عن مكتبة المتحف البريطاني في لندن بمكتبة المؤلف).
٣٨٢. (الفتنة / جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر) هشام جعيط، ترجمة خليل أحمد خليل، طبعة دار الطليعة.
٣٨٣. (الفتنة الكبرى) لطف حسين طبعة دار المعارف بمصر.
٣٨٤. (فتوح البلدان) لأحمد بن يحيى البلاذري ٢٧٩هـ طبعة الأولى بالقاهرة المعزبة سنة ١٣١٩هـ، وطبعة دار الكتب العربية بمصر سنة ١٣١٩هـ الأولى.
٣٨٥. (الفتوح) لأحمد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي ق ٤هـ طبعة دار الندوة الجديدة أفتت بيروت، وطبعة دار المعارف بحيدر آباد طبعة الأولى، والترجمة الفارسية طبعة الهند.
٣٨٦. (الفتوحات الإسلامية) لأحمد بن زيني دحلان ١٣٠٤هـ طبعة مصر.
٣٨٧. (الفخري في الآداب السلطانية في الدول الإسلامية) لابن الطقطقي طبعة مصر الأولى، وطبعة دار صادر بيروت.
٣٨٨. (قرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين) لإبراهيم بن محمد الجويني الحموي ٧٢٢هـ
٣٨٩. (الفردوس) لشيرويه بن شهردار الديلمي ٥٠٩هـ طبعة بيروت.
٣٩٠. (الفرق الإسلامية) للبشيشي طبعة الرحمانية بمصر.
٣٩١. (الفرقان بين الحقّ والباطل) لابن تيمية ٧٢٨هـ (مؤلفات ابن تيمية الطبعة الثانية).
٣٩٢. (الفروع) لمحمد بن مفلح الحنبلي ٧٦٣هـ طبعة مصر.

٣٩٣. (الفروق بين الأباطيل والحقوق) لمحمد بن بحر الشيباني ٣٤٠هـ طبعة مصر.
٣٩٤. (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) لعبد الله بن عبد العزيز بن مصعب البكري ٤٨٧هـ طبعة بيروت دار الأمانة.
٣٩٥. (الفصل) لعلي بن حزم الأندلسي ٤٥٦هـ
٣٩٦. (الفصول المختارة) لعلي بن الطاهر الشريف المرتضى ٤٣٦هـ طبعة الأولى بالحيدرية.
٣٩٧. (الفصول المهمة في معرفة الأئمة) لعلي بن محمد بن أحمد ابن الصباغ المالكي ٨٥٥هـ طبعة حجرية.
٣٩٨. (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل ٢٤١هـ (نسخة مصورة بمكتبة المؤلف)
٣٩٩. (الفضائل) لابن شاذان ق ٧٧هـ طبعة حجرية ملحقة بعلل الشرائع والروضة.
٤٠٠. (فقه السيرة) لمحمد الغزالي.
٤٠١. (الفقيه والمتفقه) لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ٤٦٣هـ
٤٠٢. (فلاح السائل) لعلي بن موسى ابن طاووس ٦٦٤هـ طبعة الحيدرية سنة ١٣٨٥هـ
٤٠٣. (فهارس كتاب الثقة لابن حبان) طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، وطبعة دار الكتب العلمية.
٤٠٤. (الفهرست) لمحمد بن إسحاق الوراق ابن النديم ٤٣٨هـ طبع و تحقيق رضا تجدد.
٤٠٥. (الفوائد المجموعة) لمحمد بن علي الشوكاتي ١٢٥٠هـ طبعة مصر.

٤٠٦. (الفوائد) لتمام بن محمد الرازي ٤١٤هـ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي طبعة مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤١٢هـ.
٤٠٧. (فيض القدير) لمحمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ طبعة دار الكتب العلمية، وطبعة الإستقامة بمصر.
٤٠٨. (قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة) لأبن تيمية ٧٧٨هـ طبعة مصر سنة ١٣٧٣هـ.
٤٠٩. (القاموس المحيط) لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي ٨١٧هـ طبعة مصر.
٤١٠. (القضايا العلويات السبع) لأبن أبي الحديد المعتزلي ٦٥٦هـ طبعة حجرية مع المعلقات السبع.
٤١١. (قصص العرب) لمحمد أحمد جاد المولى ١٣٦٣هـ طبعة مصر.
٤١٢. (القضايا الكبرى في الإسلام) لعبد المتعال الصعيدي الطبعة الثانية بمصر سنة ١٩٦٠م.
٤١٣. (قطر المحيط) لبطرس بن بولس بن عبد الله البستاني طبعة بيروت.
٤١٤. (قوت القلوب) لمحمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي ٣٨٦هـ طبعة مصر.
٤١٥. (القول المسدد في الذب عن مسند أحمد) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ طبعة مكتبة ابن تيمية بالقاهرة سنة ١٤٠١هـ.
٤١٦. (الكافي في تاريخ مصر) لميخائيل شاروويم بك طبعة مصر.
٤١٧. (كامل الزيارات) لجعفر بن محمد ابن قولويه القمي ٣٦٨هـ طبعة حجرية بالنجف الأشرف.
٤١٨. (الكامل في التاريخ) لعلي بن محمد ابن الأثير ٦٣٠هـ طبعة بولاق.

٤١٩. (الكامل في التاريخ) لعلي بن محمد ابن الأثير الجزري ٦٣٠هـ طبعة بولاق بمصر.
٤٢٠. (الكامل) لمحمد بن يزيد المبرد ٢٨٥هـ طبعة دار نهضة مصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
٤٢١. (كتاب الجمل) لمحمد بن محمد بن النعمان المفيد ٤١٣هـ الطبعة الثانية بالحيدرية سنة ١٣٦٨هـ ونسخة مخطوطة في مكتبة المرحوم السيد الوالد تتل بخطه.
٤٢٢. (كتاب سليم) لسليم بن قيس الهلالي ق ١هـ طبعة الحيدرية، وطبعة الهادي سنة ١٤١٥هـ تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري.
٤٢٣. (كتاب السنة) لعمر بن أبي عاصم الشيباني ٢٨٧هـ طبعة المكتب الإسلامي تحقيق الالباني.
٤٢٤. (كتاب القمقام الذخار والصمصام البتار) لفرهاد ميرزا القاجاري ١٣٠٥هـ طبعة حجرية.
٤٢٥. (كتاب المناسك) لإبراهيم بن إسحاق الحرب ٣٨٥هـ.
٤٢٦. (كتاب نقض العثمانية) لأبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي ٣٤٠هـ طبعة مصر.
٤٢٧. (الكتاب وصفة الدواة والقلم وتعريفها) لأبي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي مؤدب المهتدي بن الواثق العباسي سنة ٢١٨هـ (مجلة المورد البغدادية).
٤٢٨. (الكرماء) لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ٣٩٥هـ مطبعة الشورى بالفجالة بمصر سنة ١٣٢٦هـ

٤٢٩. (الكشاف) لعليّ بن حزم الأندلسي ٤٥٦هـ.
٤٣٠. (كشف الأرتياب) للسيد لمحسن بن عبد الكريم الأمين العاملي نثذ طبعة بيروت.
٤٣١. (كشف الخفاء) لإسماعيل بن محمد العجلوني ١١٦٣هـ طبعة مصر.
٤٣٢. (كشف الظنون عن أسامي الكتب والمتون) لمصطفى بن عبد الله الجليبي ١٠٦٧هـ طبعة المعارف التركية.
٤٣٣. (كشف الغمة عن جميع الأئمة) لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني ٩٧٣هـ طبعة مصر.
٤٣٤. (كشف الغمة) لعليّ بن عيسى الأربلي ٦٩٣هـ طبعة حجرية ١٢٩٤هـ وطبعة الحيدرية، وطبعة مكتبة الشريف الرضي بقم.
٤٣٥. (الكشف والبيان / تفسير) لأحمد الثعلبي ٤٢٧هـ.
٤٣٦. (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين) للحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي ٧٢٦هـ طبعة حجرية.
٤٣٧. (الكشكول / أنيس المسافر وجليس الخاطر) ليوسف البحراني طبعة النجف.
٤٣٨. (الكشكول) لمحمد بن عبد الصمد البهائي ١٠٣١هـ طبعة نجم الدولة، وطبعة الحيدرية.
٤٣٩. (كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر) لعليّ بن محمد بن عليّ الخزاز ق ٤هـ طبعة حجرية سنة ١٣٠٥هـ، وطبعة محققة إيران.
٤٤٠. (كفاية الطالب لمناقب عليّ بن أبي طالب) لمحمد حبيب الله بن عبد الله الشنقيطي ١٣٦٣هـ طبعة الإستقامة بمصر.

٤٤١. (كفاية الطالب) لمحمد بن يوسف الحافظ الكنجي الشافعي ٦٥٨هـ طبعة  
الحيدرية سنة ١٣٩٠هـ.
٤٤٢. (الكفاية في علم الرواية) لأحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي  
٤٦٣هـ طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
٤٤٣. (كنج دانش) (فارسي) لمحمد تقي خان طبعة إيران.
٤٤٤. (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) لعلاء الدين عبد الرحمن المتقي  
الهندي ٩٧٥هـ طبعة مؤسسة الرسالة بطب، وطبعة حيدر آباد، وطبعة  
بهامش مسند أحمد، وطبعة حيدر آباد (الأولى والثانية).
٤٤٥. (الكنز المدفون والفلك المشحون) منسوب لجلال الدين عبد الرحمن  
السيوطي ٩١١هـ طبعة مصر.
٤٤٦. (الكنى والأسماء) لمحمد بن أحمد بن حماد الدولابي ٣٢١هـ طبعة  
حيدر آباد سنة ١٣١٢هـ.
٤٤٧. (الكنى واللقاب) لعباس بن محمدرضا القمي ١٣٥٩هـ طبعة صيدا،  
وطبعة الحيدرية.
٤٤٨. (الكنى) لمحمد بن محمد بن أحمد الحاكم النيسابوري ٣٧٨هـ.
٤٤٩. (كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري) لمحمد  
الخضر بن عبد الله الجكني الشنقيطي ١٣٥٤هـ طبعة مؤسسة الرسالة.
٤٥٠. (لسان العرب) لمحمد بن مكرم ابن منظور ٧١١هـ طبعة أفست عن  
بولاق.
٤٥١. (لسان الميزان) لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ طبعة حيدر  
آباد.

٤٥٢. (لطائف المعارف) لعبد الله بن محمد بن طاهر الطريشي.
٤٥٣. (اللمع في التصوف) لعبد الله بن عليّ أبي نصر السراج الطوسي ٣٧٨هـ  
طبعة مصر.
٤٥٤. (لواقح الأنوار في طبقات الأخبار) لعبد الوهاب بن أحمد الشعراني  
٩٧٣هـ طبعة مصر.
٤٥٥. (لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية) لعبد الوهاب بن أحمد  
الشعراني ٩٧٣هـ الطبعة الأولى نشر البابي الحطبي سنة ١٣٨٠هـ و١٣٨١هـ.
٤٥٦. (اللالائي المصنوعة) لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ طبعة مصر  
الأولى.
٤٥٧. (المؤتلف والمختلف) للآمدي بتحقيق عبد الستار أحمد فراج.
٤٥٨. (مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار) لعبد اللطيف بن عبد العزيز ابن  
الملك ٨٠١هـ.
٤٥٩. (المبسوط) لمحمد بن أبي سهل السرخسي ٤٨٢هـ طبعة بيروت أفست  
عن مصر.
٤٦٠. (المثالب) لهشام بن محمد الكلبي ٢٠٥هـ (بواسطة).
٤٦١. (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) لنصر الله بن أبي الكرم ابن  
الأثير ٦٣٧هـ طبعة مصر سنة ١٣٥٤هـ.
٤٦٢. (المجتبى) لمحمد بن الحسن ابن دريد ٣٢١هـ طبعة حيدر آباد.
٤٦٣. (مجالس ثعلب) لأحمد بن يحيى بن يسار المعروف بثعلب ٢٩١هـ طبعة  
دار المعارف بمصر.

٤٦٤. (مجمع الأمثال) لأحمد بن محمد الميداني النيسابوري ٥١٨هـ طبعة دار الفكر مصر.

٤٦٥. (مجمع البيان / تفسير) للفضل بن الحسن الطبرسي ٥٤٨هـ طبعة صيدا.

٤٦٦. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) لعلي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ طبعة القدس سنة ١٣٥٣هـ بمصر.

٤٦٧. (مجموعة الوثائق السياسية) طبعة مصر.

٤٦٨. (المحاسن والأضداد) لعمر بن بحر الجاحظ ٢٥٥هـ طبعة المعاهد بمصر سنة ١٣٥٠هـ.

٤٦٩. (المحاسن والمساوي) لإبراهيم بن محمد البيهقي ٣٢٠هـ طبعة السعادة، وطبعة النعساني بمصر سنة ١٣٢٥هـ.

٤٧٠. (المحاسن) لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ٢٧٤هـ تحقيق السيد جلال الدين المحدث الأرموي.

٤٧١. (محاضرات الأدباء / ومحاورات الشعراء والبلغاء) لحسين بن محمد الراغب الاصفهاني ٥٠٠هـ طبعة مصر الأولى، ومخطوطة الرضوية.

٤٧٢. (المحبر) لمحمد بن حبيب النحوي الهاشمي ٢٤٥هـ طبعة حيدر آباد.

٤٧٣. (المحجة البيضاء) لمحمد محسن بن المرتضى الفيض الكاشاني ١٠٩١هـ طبعة الإسلامية إيران.

٤٧٤. (المحلى) لعلي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ٤٥٦هـ طبعة افست دار الفكر.

٤٧٥. (محمّد وصحبه) لعبد الحفيظ أبو السعود طبعة دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٦٧هـ.



- ٤٧٦ (مختصر تاريخ دمشق) لمحمد بن كرم ابن منظور ٧١١هـ طبعة بيروت.
- ٤٧٧ (مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي) لأمير علي بن سعادت الهندي ترجمة رياض رأفت طبعة التمدن الإسلامي.
- ٤٧٨ (المختصر في أخبار البشر) لإسماعيل بن علي أبي الفداء ٧٣٢هـ طبعة بيروت أفتت عن بولاق.
- ٤٧٩ (مختصر كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة) لإسماعيل بن علي بن الحسن ابن زنجويه الرازي السمان ٤٤٥هـ.
- ٤٨٠ (مختصر كتاب الوتر) لتقي الدين المقرئزي ٨٤٥هـ طبعة مكتبة المنار، الزرقاء الأردن.
- ٤٨١ (المختصر) لعلي بن إسماعيل الأندلسي ابن سيدة ٤٥٨هـ طبعة بولاق.
- ٤٨٢ (المختلطة) منسوب لمحمد بن الحسين البهائي ١٠٣٠هـ طبعة مصر.
- ٤٨٣ (المدخل) لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي ٤٥٨هـ طبعة مصر.
- ٤٨٤ (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) لعبد الله بن أسعد اليافعي ٧٦٨هـ طبعة بيروت.
- ٤٨٥ (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) ليوسف بن قزظلي سبط ابن الجوزي ٦٥٤هـ.
- ٤٨٦ (المرآة العربية في جاهليتها وإسلامها) لعبد الله العفيفي طبعة مصر.
- ٤٨٧ (مرآة العقول) لمحمد باقر المجلسي ١١١١هـ طبعة حجرية.
- ٤٨٨ (المرآة الناظرة لمنازل الآخرة) للحسين الحسني الهمداني طبعة النجف.
- ٤٨٩ (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ٧٣٩هـ طبعة مصر تحقيق البجاوي.

٤٩٠. (المردفات من قریش) لعلي بن محمد المدائني ٢٢٥هـ تحقيق عبد السلام هارون طبعة مصر ١٣٧٠هـ

٤٩١. (المرصع) لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير ٦٠٦هـ

٤٩٢. (مراة المفاتيح) لعلي القاري ١٠١٤هـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٤٩٣. (مروج الذهب) لعلي بن الحسين بن علي المسعودي ٣٤٦هـ طبعة

مصطفى محمّد، وطبعة بولاق سنة ١٢٨٣هـ وطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٣هـ

وطبعة مصرية بهامش تاريخ ابن الأثير، وطبعة العامرة البهية سنة ١٣٤٦هـ

وطبعة مصر بتحقيق محمّد محي الدين عبد الحميد سنة ١٣٦٧هـ مطبعة

السعادة، وطبعة الثالثة سنة ١٣٧٧هـ وطبعة بيروت دار الفكر، وطبعة دار

الأندلس.

٤٩٤. (المستجد من فعلات الأجواد) للحسن بن أبي القاسم القاضي التنوخي

٣٨٤هـ تحقيق محمّد كرد علي طبعة الترقّي بدمشق سنة ١٣٦٥هـ

٤٩٥. (المستدرك على الصحيحين) لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري

٤٠٥هـ طبعة دار الكتب العلمية تحقيق مصطفى عبد القادر، وطبعة دمج

بحلب أفتت عن حيدر آباد.

٤٩٦. (المسترشد) لمحمد بن جرير طبعة الحيدرية.

٤٩٧. (المستطرف في كل فن مستظرف) لمحمد بن أحمد بن منصور

الأبشيهي ٨٥٢هـ طبعة دار احياء التراث العربي (أفتت)، وطبعة مصر.

٤٩٨. (المسالك والممالك) لإبراهيم بن محمد الأصبخري ق ٤هـ طبعة ليدن.

٤٩٩. (المسالك والممالك) لعبيد الله بن عبد الله بن خردازية ٣٠٠هـ أفتت طبعة

ليدن.

- ٥٠٠ (مسند أبي حنيفة) للنعمان بن ثابت ١٥٠هـ طبعة مصر.
- ٥٠١ (مسند أبي يعلى) لإسماعيل بن محمد بن فضل الموصللي ٣٠٧هـ طبعة دار المأمون للتراث بدمشق سنة ١٤٠٤هـ ونشر دار الكتب العلمية.
- ٥٠٢ (مسند أحمد) لأحمد بن حنبل ٢٤١هـ افست طبعة مصر الأولى، وطبعة مكتبة التراث الإسلامي تحقيق أحمد محمد شاكر، وطبعة مصر الأولى، وطبعة مؤسسة قرطبة بمصر.
- ٥٠٣ (مسند الروياني / مسند الصحابة) لمحمد بن هارون الروياني الطبري ٣٠٧هـ طبعة مؤسسة قرطبة بمصر سنة ١٤١٦هـ.
- ٥٠٤ (مسند الشافعي) لمحمد بن إدريس الشافعي ٢٠٤هـ طبعة مصر.
- ٥٠٥ (مسند الطيالسي) لسليمان بن داود بن جارود ٢٠٤هـ طبعة حيدر آباد.
- ٥٠٦ (مسند عبد بن حميد) لحافظ عبد بن حميد ٢٤٩هـ تحقيق صبحي البدري السامرائي ومحمود خليل الصعيدي نشر مكتبة السنة بالقاهرة سنة ١٤١١هـ.
- ٥٠٧ (مشكاة الأدب الناصري) لعباس قلي خان سيهرثاني ١٣٤٠هـ.
- ٥٠٨ (مشكاة المصابيح) لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ٥١٦هـ طبعة المكتب الإسلامي تحقيق الالباني، وطبعة مصر، وطبعة الهند.
- ٥٠٩ (مصابيح السنة) للحسين بن مسعود البغوي ٥١٦هـ طبعة الخيرية بمصر.
- ٥١٠ (المصاحف) لعبد الله بن سليمان ابن أبي داود السجستاني ٣١٦هـ طبعة الرحمانية ١٣٥٥ تحقيق آرثر جفري، طبعة افست المثنى.
- ٥١١ (مصادر نهج البلاغة) لعبد الزهراء الخطيب طبعة الأهلبي بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

- ٥١٢ (مصباح الأنوار) لهاشم بن محمد ق ٦هـ نسخة (مخطوطة) بمكتبة  
المرحوم السيد حسن الخرسان (مكتبة ال خرسان).
- ٥١٣ (المصباح المنير) للفيومي طبعة بولاق.
- ٥١٤ (المصنف) لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ٢١١هـ طبعة المكتب  
الإسلامي المجلس العلمي.
- ٥١٥ (المصنف) لعبد الله بن محمد ابن أبي شيبة ٢٣٥هـ طبعة نشر إدارة  
القرآن والعلوم الإسلامية كراتشي باكستان سنة ١٤٠٦هـ وطبعة مكتبة  
الرشد في الرياض سنة ١٤٠٩هـ
- ٥١٦ (مطالب السؤل في مناقب ال الرسول) لمحمد بن طلحة النسيبي  
الشافعي ٦٥٢هـ طبعة حجرية ملحقاً بتذكرة الخواص.
- ٥١٧ (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) لأحمد بن علي بن حجر  
المسقلاتي ٨٥٢هـ طبعة الكويت.
- ٥١٨ (المعارف) لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ٢٧٠هـ تحقيق ثروت عكاشة، وطبعة  
ليدن سنة ١٩٦٠م.
- ٥١٩ (معاني الأخبار) لمحمد بن علي بن الحسين الصدوق ٣٨١هـ طبعة  
الحيدرية سنة ١٣٩١هـ
- ٥٢٠ (معاوية في الميزان) لعباس محمود العقاد ضمن موسوعة العقاد.
- ٥٢١ (معجم البلدان) لياقوت بن عبد الله الحموي ٦٢٦هـ طبعة دار صادر.
- ٥٢٢ (معجم الشعراء) للمرزباني تحقيق عبد الستار أحمد فراج.
- ٥٢٣ (المعجم الكبير / الصغير) لسليمان بن أحمد اللخمي الطبراني ٣٦٠هـ  
الطبعة الثانية بمطبعة الزهراء بالموصل، وطبعة الأولى بمطبعة الوطن العربي.

٥٢٤. (معرفة الصحابة) أطروحة دكتوراه تحقيق د محمد راضي بن حاج عثمان سنة ١٤٠٨هـ.
٥٢٥. (معرفة الصحابة) لأحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الاصبهاني ٤٣٠هـ.
٥٢٦. (معرفة علوم الحديث) لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ طبعة حيدرآباد.
٥٢٧. (معرفة الناقلين) للكشي طبعة بمي، وتحقيق حسن المصطفوي طبعة دار رانشكاه مشهد.
٥٢٨. (المعرفة والتاريخ) للفسوي طبعة الإرشاد بغداد سنة ١٣٩٤هـ.
٥٢٩. (معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان) لأبي زيد الأسدي الدبّاغ تحقيق إبراهيم شيوخ طبعة الخانجي بمصر سنة ١٩٦٨م.
٥٣٠. (المعمرين) لأبي حاتم السجستاني بتحقيق عبد المنعم عامر طبعة دار احياء الكتب العربية سنة ١٩٦١م.
٥٣١. (المغازي) لمحمد بن واقد الواقدي ٢٠٧هـ طبعة أوروبا.
٥٣٢. (المغني) لابن قدامة الحنبلي المقدسي طبعة دار المنار بمصر سنة ١٣٦٧هـ.
٥٣٣. (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة) للسيوطي (ضمن الرسائل المنبرية).
٥٣٤. (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) لجواد علي الطبعة الأولى.
٥٣٥. (المفهم في شرح صحيح مسلم) للقرطبي.
٥٣٦. (مقاتل الطالبين) لأبي الفرج الاصبهاني ٣٥٦هـ تحقيق السيد أحمد صقر طبعة مصر سنة ١٣٦٨هـ بالقاهرة، وطبعة الحيدرية.
٥٣٧. (المقامة السندسية) للسيوطي طبعة الجوانب ١٢٩٨هـ.

٥٣٨. (مقتل الحسين عليه السلام) للموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم الحنفي  
٥٦٨هـ طبعة الزهراء بالنجف الأشرف.
٥٣٩. (المقتل) للخطي طبعة بمبيي.
٥٤٠. (مقدمة ابن خلدون) لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون طبعة دار  
الكتاب اللبناني.
٥٤١. (مقدمة شرح التريب) للزين عبد الرحيم العراقي طبعة مصر.
٥٤٢. (المقفى الكبير) لأحمد بن علي بن عبد القادر المقرزي ٨٤٥هـ طبعة دار  
الغرب الإسلامي بيروت.
٥٤٣. (مكارم الأخلاق) لابن أبي الدنيا القرشي نشر مكتبة الفرات بالقاهرة سنة  
١٤١١هـ
٥٤٤. (مكارم الأخلاق) لأبي بكر الخرائطي طبعة السلفية بمصر سنة ١٣٥٠هـ
٥٤٥. (مكارم الأخلاق) للطبرسي طبعة مصر، وطبعة حجرية، وطبعة الحيدرية.
٥٤٦. (مكمل إكمال الإكمال) للسوسي الحسني طبعة دار الكتب العلمية.
٥٤٧. (الملل والنحل) لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ٤٥٨هـ طبعة الأزهر  
الحديثة الثانية سنة ١٣٩٥هـ وطبعة بيروت.
٥٤٨. (الملهوف على قتلى الطفوف) لعلي بن موسى ابن طاووس ٦٦٤هـ طبعة  
الحيدرية.
٥٤٩. (من أين نبأ) لخالد محمد خالد طبعة الثامنة سنة ١٩٥٤م.
٥٥٠. (من لا يحضره الفقيه) لمحمد بن علي بن الحسين الصدوق ٣٨٠هـ  
تحقيق المرحوم السيد حسن الخراسان طبعة النجف.
٥٥١. (منازل الآخرة) لعباس بن محمدرضا القمي ١٣٥٩هـ طبعة طهران.

٥٥٢. (المناسك وأماكن طريق الحج ومعالم الجزيرة) بتحقيق حمد الجاسر  
نشر دار اليمامة الرياض.
٥٥٣. (مناقب ال أبي طالب) لمحمد بن عليّ بن شهر آشوب السروي ٥٥٨هـ  
طبعة الحجرية، وطبعة الحيدرية.
٥٥٤. (مناقب أبي حنيفة) للخوارزمي طبعة حيدر آباد.
٥٥٥. (مناقب أبي حنيفة) للكردي (بهامش مناقب أبي حنيفة للخوارزمي).
٥٥٦. (مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) للخوارزمي طبعة حجرية، وطبعة  
الحيدرية.
٥٥٧. (مناقب عمر) لعبد الرحمن بن عليّ بن الجوزي ٥٩٧هـ طبعة بيروت.
٥٥٨. (المناقب) لأبن المغازلي المالكي طبعة الإسلامية.
٥٥٩. (مناهل العرفان) للزرقاني طبعة مصر.
٥٦٠. (منتخب كنز العمال) بهامش مسند أحمد طبعة مصر الأولى.
٥٦١. (المنتخب من ذيل المدّيل) للطبري طبعة مصر الحسينية.
٥٦٢. (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) لعبد الرحمن بن عليّ بن الجوزي  
٥٩٧هـ طبعة حيدر آباد، وطبعة دار الكتب العلمية.
٥٦٣. (المتقى من أخبار المصطفى) طبعة الهند سنة ١٢٩٦هـ، وطبعة مصر.
٥٦٤. (المتقى) لابن الجارود طبعة مؤسسة الكتاب الثقافية بيروت.
٥٦٥. (المنجد في اللغة والاعلام) طبعة بيروت الطبعة التاسعة، والطبعة الثالثة  
والعشرين.
٥٦٦. (المنق) لمحمد بن حبيب الهاشمي طبعة حيدر آباد.

٥٦٧. (منهاج السنة) لأحمد بن عبد المطيم ابن تيمية ٧٢٨هـ طبعة مؤسسة قرطبة سنة ١٤٠٦هـ وطبعة أفست بولاق سنة ١٣٢٢هـ وطبعة مصر (الأولى).
٥٦٨. (منهاج العابدين الى جنة رب العالمين) لمحمد بن محمد أبو حامد الغزالي ٤٦٥هـ طبعة مصر سنة ١٣٢٧هـ.
٥٦٩. (منية المرید) لزين الدين بن عليّ العامليّ الشهيد ٩٦٥هـ طبعة النجف.
٥٧٠. (مهج الدعوات ومنهج العناية) لعليّ بن موسى ابن طاووس ٦٦٤هـ طبعة حجرية.
٥٧١. (المهذب في الفقه الشافعي) لأبي إسحاق الشيرازي طبعة مصر سنة ١٣٤٣هـ.
٥٧٢. (الموافقات) لإبراهيم بن موسى الشاطبي ٧٩٠هـ طبعة الرحمانية بمصر.
٥٧٣. (الموشى في الظرف والظرفاء) لأبي الطيب الوشاء الدؤليّ.
٥٧٤. (الموطأ لمالك بشرح تنوير الحوالك) لجلال الدين السيوطي الشافعي ٩١١هـ طبعة مصطفى محمّد بمصر.
٥٧٥. (ميزان الاعتدال) لمحمد بن أحمد الذهبي ٧٤٨هـ طبعة مصر الأولى.
٥٧٦. (الميزان في تفسير القرآن) لمحمد حسين الطباطبائي ١٤١٢هـ طبعة بيروت.
٥٧٧. (ناسخ التواريخ) لمحمّد تقي سبهر (فارسي) طبعة حجرية.
٥٧٨. (النجوم الزاهرة) لابن تغري بردي طبعة مصر (تراثاً).
٥٧٩. (نحو الدستور الإسلامي) للمودودي (لجنة الشباب المسلم) طبعة القاهرة سنة ١٣٧٣هـ.



٥٨٠. (النزاع والتخاصم) لأحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزي ٨٤٥هـ طبعة مصر سنة ١٩٣٧م.
٥٨١. (نزهة المجالس) للصفوري طبعة مصر.
٥٨٢. (نزهة الناظر وتنبه الخاطر) للحسن بن محمد بن الحسن الحلواني ق ٥٥ طبعة النجف.
٥٨٣. (نسب قريش) للمؤرخ السدوسي ١٩٥هـ نشرة صلاح الدين المنجد.
٥٨٤. (نسب قريش) لمصعب الزبيري طبعة دار المعارف بمصر تحقيق بروفسال.
٥٨٥. (نسب معدن واليمن الكبير) لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي تحقيق ناجي حسن طبعة عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية بيروت سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٥٨٦. (نسيم الرياض بشرح الشفاء) لشهاب الخفاجي طبعة افست دار الكتاب العربي بيروت.
٥٨٧. (نسيم الرياض في شرح الشفاء) لأحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ١٠٦٩هـ
٥٨٨. (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) لعلي سامي النشار طبعة السابعة دار المعارف سنة ١٩٧٧م.
٥٨٩. (النصائح الكافية) لمحمد بن عقيل الحضرمي طبعة بمبي سنة ١٣٢٦هـ
٥٩٠. (نصب الراية لأحاديث الهداية) لجمال الدين عبد الله بن يوسف الحنفي الزليعي طبعة المجلس العلمي دار الحديث بمصر سنة ١٣٥٧هـ الأولى.

٥٩١. (النصرة في حرب البصرة) لمحمد بن محمد بن النعمان المفيد ٤١٣هـ.  
الطبعة الثانية بالحيدرية سنة ١٣٦٨هـ.
٥٩٢. (النظريات السياسية الإسلامية) لمحمد ضياء الدين الريس الطبعة الثانية.
٥٩٣. (نظرية الإسلام وهدية في السياسة والقانون والدستور) للمودودي طبعة دار الفكر بدمشق سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م الطبعة الأولى.
٥٩٤. (نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية) لأحمد محمود صبحي طبعة دار المعارف بمصر.
٥٩٥. (النظم الإسلامية نشأتها وتطورها) لصبحي الصالح طبعة دار العلم للملايين بيروت الطبعة الأولى سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
٥٩٦. (النظم الإسلامية) لحسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن الطبعة الثانية بمصر.
٥٩٧. (نظم درر السمطين) لجمال الدين محمد بن يوسف الزرندي ٧٥٠هـ.  
طبعة النجف.
٥٩٨. (نفح الطيب) (نقلا عن محاضرات المقرئ الكبير) طبعة مصر.
٥٩٩. (نكت الهميان) للصفدي طبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٢٩هـ.
٦٠٠. (نهاية الإرب) للنويري طبعة دار الكتب بمصر.
٦٠١. (نهاية الاقدام في علم الكلام) لعبد الكريم الشهرستاني طبعة الأزهر الحديثة.
٦٠٢. (النهاية في غريب الحديث) لعلي بن محمد الشيباني ابن الأثير الجزري ٦٣٠هـ. طبعة بمط الخيرية بمصر سنة ١٣٢٢هـ الأولى، وطبعة محققة.

٦٠٣. (نهج البلاغة) نسخة جديدة محققة وموثقة، تحقيق وتوثيق صبري إبراهيم السيد، جامعة عين شمس وجامعة قطر.
٦٠٤. (نهج السعادة) للمحمودي طبعه النجف.
٦٠٥. (نوادير الحمقى والمغفلين) طبعه مصر.
٦٠٦. (نوادير القليوبي) طبعه مصر.
٦٠٧. (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار) لمؤمن بن حسن الشبلنجي ٢٩٨هـ طبعه مصر الأولى.
٦٠٨. (نيل الأمان في توضيح مقدمة القسطلاني) للأنباري طبعه دار الكتب العلمية.
٦٠٩. (نيل الأوطار) لمحمد بن علي الشوكاني ١٢٥٠هـ طبعه العثمانية بمصر سنة ١٣٥٧هـ وطبعه دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٣م.
٦١٠. (الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد) للكلاباذي طبعه دار المعرفة.
٦١١. (هدى الساري في مقدمة فتح الباري) لأحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ طبعه مصطفى الباي الحلبي.
٦١٢. (الهمة في آداب اتباع الأئمة) للنعمان بن حيون المغربي التميمي القاضي طبعه القاهرة.
٦١٣. (الوافي بالوفيات) للصفدي طبعه بيروت سنة ١٤٢٠هـ دار احياء التراث.
٦١٤. (الوافي للفيض الكاشاني طبعه حجرية).

٦١٥. (وفيات الاعيان في ابناء ابناء الزمان) لأحمد بن محمد ابن خلكان  
٦٨١هـ طبعة بولاق تحقيق إحسان عباس، وبيروت في ترجمة يزيد بن زياد  
بن مفرغ، وطبعة حجرية في إيران.
٦١٦. (وقعة الجمل) لمحمد بن زكريا الغلابي تحقيق ال يس.  
٦١٧. (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم المنقري تحقيق عبد السلام هارون،  
وطبعة حجرية الطبعة الثانية بمصر ١٣٨٢هـ وطبعة الأولى بالقاهرة سنة  
١٣٦٥هـ
٦١٨. (الولاية) للمافظ السجستاني.
٦١٩. (اليقين باختصاص مولانا أمير المؤمنين عليّ بإمرة المؤمنين) لعليّ بن  
موسى ابن طاووس ٦٦٤هـ طبعة الحيدرية.
٦٢٠. (اليمن واليسار في الإسلام) لأحمد عباس صالح طبعة المؤسسة العربية  
للدراسات والنشر مصر.
٦٢١. (ينابيع المودة لذوي القربى) لسليمان بن إبراهيم القندوزي ١٢٩٤هـ طبعة  
اسلامبول سنة ١٣٠٢هـ وطبعة الحيدرية تقديم محمد مهدي الخرسان.
٦٢٢. (يوم الإسلام) لأحمد أمين طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٢م.

## شهرس الجزء الخامس

٧.....تقديم

### الفصل الأول

#### بداية عهد جديد

٩.....عهد معاوية

١١.....وآذنت شمس الخلافة بالغروب

١٨.....ابن عباس في حكومة معاوية

٢١.....جهاد ابن عباس بسلاح الرواية

٢٢.....لا أشيع الله بطنه

٢٣.....وقفه تنوير مع علماء التبرير

٢٧.....والشجرة الملعونة في القرآن

٢٨.....روايته في آية النبأ

٢٩.....لعنه معاوية في يوم عرفة

٣١.....ماذا في معرفة التاريخ؟

٣٣.....في مكة المكرمة أو المدينة المنورة

٤١.....محاورة ثانية

٤٧.....جرأة وشجاعة

٥٠.....في الشام

- ٦٥..... إنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت
- ٦٧..... إنا كتبنا في الآفاق
- ٦٨..... ١- تسعة رهط يفسدون في الأرض
- ٧١..... ٢- أيكم الساب لله؟
- ٧٣..... ٣- لقد سبقت لعليّ سوابق
- ٧٥..... ٤- فرجت عني
- ٨١..... ٥- آته من أهل بيت النبوة
- ٨٢..... ٦- لو كان رسول الله حياً لأذيته
- ٨٣..... ٧- أرخني من شخصك
- ٨٥..... مغازلة واستدراج
- ٨٧..... كأسان أحلاهما مرّ
- ٨٨..... معاوية يستجد بابن عباس في محنته
- ٩١..... معاوية يستجده ثانياً فينجده
- ٩٤..... معاوية يستجد بابن عباس مرة ثالثة
- ٩٦..... ما تقول يا بن عباس؟
- ٩٧..... تمهيد لبيعة يزيد
- ١٠١..... سم الإمام الحسن عليه السلام
- ١٠٤..... القرن الثاني
- ١٠٥..... القرن الثالث
- ١٠٦..... القرن الرابع

- ١٠٦..... القرن الخامس
- ١٠٦..... القرن السادس
- ١٠٧..... القرن السابع
- ١٠٨..... القرن الثامن
- ١٠٨..... القرن التاسع
- ١٠٩..... القرن العاشر
- ١٠٩..... القرن الحادي عشر
- ١١٠..... القرن الثاني عشر
- ١١٠..... القرن الثالث عشر
- ١١١..... تحقيق: أين كان ابن عباس عند موت الحسن عليه السلام؟
- ١١٢..... رواية ابن عباس في موت الإمام
- ١١٨..... عودة إلى الإشكال
- ١٢٣..... مواقف متضاربة
- ١٣٩..... أول ذل دخل العرب
- ١٤٢..... ماذا كان موقف ابن عباس من السلطة بعد موت الحسن
- ١٤٤..... معاوية في المدينة
- ١٤٦..... لعمر الله إنها لذرية الرسول وأحد أصحاب الكساء ومن البيت المطهر
- ١٥٠..... وعيد وتهديد لمن لم يبايع يزيد
- ١٥٣..... تضليل وأحابيل
- ١٥٧..... سنة كسرى وقيصر

- ١٦٣..... مرويات مفتريات على ابن عباس في فضل معاوية  
 ١٩١..... شواهد كفر محمومة.....  
 ١٩٤..... خاتمة السوء.....  
 ١٩٩..... ابن عباس ومعاوية في أكل ذبابة شعر النبي ﷺ.....  
 ٢٠٤..... وجاءت سكرة الموت بالحق.....

### الفصل الثاني

#### حبر الأمة أيام حكومة يزيد

- ٢١٩..... في عهد يزيد.....  
 ٢٢١..... كتاب يزيد إلى ابن عباس.....  
 ٢٢٢..... خروج الحسين من المدينة إلى مكة وإقامته بها.....  
 ٢٢٧..... كتاب يزيد إلى ابن عباس في أمر الحسين عليه السلام.....  
 ٢٢٧..... جواب ابن عباس إلى يزيد.....  
 ٢٣٢..... لماذا الإصرار وحوار بعد حوار.....  
 ٢٣٥..... روايات في المحاورات.....  
 ٢٤٢..... سؤال يتبعه سؤال.....  
 ٢٤٧..... واحسبناه.....  
 ٢٤٨..... نبأ الفاجعة في الرؤيا المحزنة.....  
 ٢٥٢..... سبع سنين عجاف.....  
 ٢٥٢..... شماتة الأعداء.....  
 ٢٥٤..... وقعة الحررة.....



- ٢٥٧..... فكلّ إناء بالذي فيه ينضح.....  
 ٢٦٠..... لقد همّ يزيد بقتل ابن عباس؟.....

### الفصل الثالث

#### حبر الأمة أيام ابن الزبير والمروانيين

- ٢٧١..... أحداث متتابعة.....  
 ٢٧٦..... آراء صحابية في تفسيق صحابي.....  
 ٢٧٧..... فماذا قال ابن عباس في ابن الزبير؟.....  
 ٢٧٨..... وماذا قال ابن عمر في ابن الزبير؟.....  
 ٢٨٠..... وماذا قال عبد الله بن عمرو بن العاص في ابن الزبير؟.....  
 ٢٨١..... وماذا قال أبو برزة الأسلمي في ابن الزبير؟.....  
 ٢٨٣..... هدم ابن الزبير للكعبة وموقف ابن عباس منه.....  
 ٢٨٧..... مواقف ابن الزبير العدائية لبني هاشم.....  
 ٢٩٥..... وقفة تحقيق لا ترفاً ولا سرفاً.....  
 ٣٠٥..... بواعث حسد ابن الزبير لابن عباس.....  
 ٣٠٧..... الشاهد الأول.....  
 ٣١٠..... الشاهد الثاني.....  
 ٣١١..... الشاهد الثالث.....  
 ٣١٢..... الشاهد الرابع.....  
 ٣١٦..... الشاهد الخامس.....  
 ٣١٨..... الشاهد السادس.....

- ٣٢١..... تصاعد حمى العداء عند ابن الزبير.....
- ٣٢٢..... ماذا عند البخاري؟.....
- ٣٢٩..... حبس ابن الزبير لبني هاشم.....
- ٣٣٥..... كأسان أحلاهما مر.....
- ٣٣٨..... ابن الزبير يشتد على بني هاشم بعد مقتل المختار.....
- ٣٤١..... ما تقول يا عربة؟.....
- ٣٤٦..... الطائف دار الهجرة الآخرة إلى الآخرة.....
- ٣٤٩..... نشاط ابن عباس في الطائف.....
- ٣٥٣..... معطيات ابن عباس في الطائف.....
- ٣٥٨..... ماذا عنه في مرض موته؟.....
- ٣٥٩..... وصاياها لابنه علي.....
- ٣٦٤..... ملاك العمل خواتيمه.....
- ٣٦٥..... حديث الخاتمة.....
- ٣٦٧..... ماذا بعد موته؟.....
- ٣٦٨..... أولاً: دخول الطائر الأبيض في أكفانه.....
- ٣٧٣..... ثانياً: مسألة الصلاة عليه.....
- ٣٧٦..... ثالثاً: مسألة الدفن.....
- ٣٧٨..... رابعاً: غيب السحابة قد بلّ ترابه.....
- ٣٧٩..... خامساً: تأيين.....
- ٣٨١..... سادساً: ضرب ابن الحنفية فسطاط على قبره.....

٣٨٣.....	سابعاً: أخطاء يجب التنبيه عليها.....
٣٨٥.....	ثامناً: قبره مزار شريف.....

### الفصل الرابع

#### في بقية تاريخ حياته

#### بامتداد أبنائه ونائه وأسماء زواجته

٣٩٥.....	الأبناء الذكور.....
٤٠٣.....	البنات.....
٤٠٧.....	زوجاته.....

### الفصل الخامس

#### في أشتات مجموعة من أدوار حياته في أخلاقه وعاداته

٤١١.....	الجود والعطاء.....
٤٢٤.....	الأدب الرفيع والخلق العالي.....
٤٢٥.....	فمع الشعراء.....
٤٣٢.....	ثمّ مع سائر الناس.....
٤٤٠.....	شخصية ابن عباس.....
٤٤٠.....	رأيته في السلوك والتربية.....
٤٤٧.....	ما روي عنه من الدعاء وآدابه.....
٤٥٢.....	آيات فضلك.....
٤٦٣.....	المصادر.....
٥١٥.....	فهرس الجزء الخامس.....